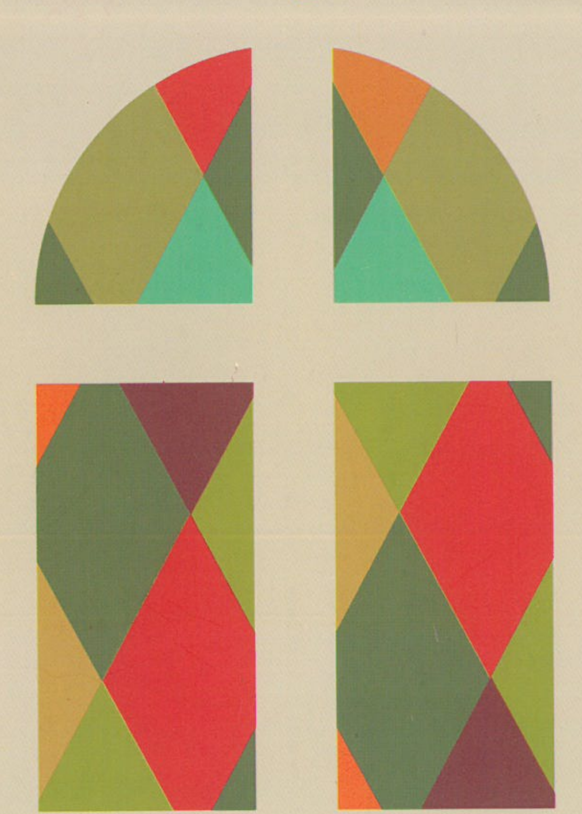
الدكتور داود سلمان السعدي

# الرجلُ الذي اضطهدَ المسيحيّةَ مرتينِ



دار الحرف العربي

الدكتور داود سلمان السعدي

# الرجلُ الذي اضطهدَ المسيحيّةَ مرتينِ







دار الحرف العربي

اسم الكتاب:
الرجل الذي اضطهد المسيحية مرتين

المؤلف:
الدكتور داود سلمان السعدي

الناشر:
دار الحرف العربي
للطباعة والنشر والتوزيع
زقاق البلاط - بناية فخرالدين
شارع خليل سركيس
تلفون وفاكس: 009611/361045
بيروت - لبنان

E - mail:
Daralharefalarabi@yahoo.com
DarAlHarefAlArabi@gmail.com
www.dar-alharef-alarabi-lb@jimdo.com

الطبعة:
الأولى 1437هـ - 2016م

الخطوط:
علي عاصي

تصميم الغلاف:
فؤاد سليمان وهبي

تنضيد وإخراج:
سوزان العكاوي



الترقيم الدولي:
2-91-4108-416-879 NBSI

الطّبعة الأولى
1437هـ - 2016م



دار الحرف العربي
للطباعة والنشر والتوزيع
فاكس: ٠٠٩٦١١/٣٦١٠٤٥
بيروت - لبنان

طبع في لبنان Printed In Lebanon

# بين يديّ الكتاب

ليس الهدفُ من هذا الكتاب إلاّ البحث عن الحقيقة المحضة من مصادرها الأصلية، وهو واحدٌ من أربعة كتُبٍ[1] هي ثمرةُ زُهاء عَشرِ سنواتٍ من البحث المضني.

وقد اعتمدتُ في بحثي نصوص «الكتاب المقدّس» المتداولة والمعتَرف بها، العربيّة منها والإنكليزية، في طبعاتها المختلفة. كما اعتمدت، في غير ذلك الموردِ، على النصوص المترجمة؛ والإنكليزيّة منها بشكل خاصّ؛ أكثرَ بكثيرٍ من المصادر العربيّة التي تُعتبر شحيحةً نسبياً بالمقارنة مع نظيراتها الأجنبيّة. كما أنّ البحوث الغربية، إذ تسودُها عامّةً روحُ البحث عن الحقيقة، والتحليل العميق، فإنّها أكثرُ جرأةً في تناولها لِما نحنُ بصدَدِهِ من بحثٍ.

ولكثرة المراجع والمصادر التي تخصُّ موضوع البحث باللّغات الأجنبية، وشِحّتِها النسبية بالعربيّة، فسيلاحظُ القارئُ الكريم اعتماديَ على المصادر الإنكليزيّة بشكلٍ كبير، مع الاعتناء بالنقل الحرفيّ عنها. وكلُّ ما يجدُهُ القارئُ من النصوص المنقولة يُمكنُ له الرّجوعُ إليها في مظانّها الأصيلة، حيث اهتممت بتثبيت تلك المصادر حيثما اقتضتِ الضرورةُ، فلم أذكر أمراً ذا بالٍ، أو مُختلفاً فيه، إلاّ وأثبتُّ مُقابلَهُ المصدرَ الذي أخذَتهُ عنه. وكلُّ ما في الكتاب من وقائعَ أو نصوصٍ تاريخيّة أو آراءٍ لم يكن لي فيها إلاّ البحثُ والتنقيبُ المُعَنّي، في طوفانٍ عظيمٍ من المصادر الأجنبية التي تستغرقُ الآلاف العديدة من الصفحات، مع مقارنةِ النّصوص، والرجوع إلى أُصولها التي كُتبت بها، والتدقيقِ الشديد في تلك الأصول. لا بل إنّني كثيراً ما أذكرُ الترجمةَ العربيّة للنصّ مقرونةً بالنصِّ ذاته في لغتِهِ الأصليّة،

(١) وقد صدر الأوّلُ منها، وهو كتاب «لاهوت التجسّد من الهندوسية إلى المسيحية»، عن دار الحرف العربي - بيروت (٢٠١٦).

وكلّ ذا زيادة في التدقيق والتوثيق للباحث والمؤرّخ.

وبما أنّ موضوعَ الكتاب، باللّغاتِ الأوروبيّة، أمرٌ البحثُ فيه واسعٌ، فهو تسودُه، عادةً، روحُ البحث العلميّ التي تهدفُ للوصول إلى المعرفة أقربَ ما تكونُ إلى المصدر الموثَّق، والحقيقة. وكلُّ ما جاء ذِكرُه من النصوص - كما ذكرنا - يتراوحُ بين أن يكون نصوصاً مُستلّةً من النصوص الدينيّة المعتبرة عند أصحابها؛ وهي لذلك منقولةٌ بالنصّ الحرفيّ، أو نصوصاً تُرجمت من مظانّها الأصلية. وبالحقّ، فإنّك لا تكادُ تجِدُ بين دفّتيّ هذا الكتاب من النصوص إلاّ وأنت واجدُه في تلك المظانّ الأصلية التي نقلت عنها، وليس لي من يدٍ فيها إلاّ البحث عنها وتوثيقها، وتعريبها عند الضرورة، ثم دراستُها وتحليلُها باستخدام أداة البحث العلميّ والنظرة العلمية المجرّدة.

وأمّا النصوصُ العربيّةُ الأصليةُ في الكتاب فهي، كما قُلنا، منقولةٌ حرفيّاً عن مصادرها المعتمدة، وهو ما ينطبقُ، بالذات، على نصوص «الكتاب المقدس»، في طبعاته المختلفة المتداولة، وكلُّها طبعاتٌ رسميّة ومعتمدة، فكلُّ ما أنت واجدُه في كتابنا تجِدُه، لا شكَّ، في إحدى تلك الطبعات.

وأمّا النصوصُ الأجنبيّة فيه فتكادُ أن تكون كلُّها إنكليزيّةً، وهي كلُّها من تعريبي، إلاّ إذا أُشيرَ إلى غير ذلك في مو ضعِه، وهو قليلٌ جدّاً. ولا تكادُ أن تجدَ في الكتاب أمراً انفردتُ به عن تلك المظانّ الأصلية. فبقَدْرِ ما جاء في تلك المظانّ، بقدرِ ما نهلتُ منه، إلاّ ما ندر (انظر، مثلاً، الصفحة ٢٧٥، التي انفردت فيها في تفسير مغزى تزامنِ مناسبتيْن تاريخيتيْن مهمّتين، وهما ما صار يُعرف بعيد الفصح اليهوديّ وعيد الفصح المسيحيّ). وما عدا ذلك فإنّك لا تجدُ لي رأياً ارتأيتهُ في هذا الكتاب إلاّ وأنت واجدٌ ما يُضارعُه من رأيٍ لأولئك الباحثين الغربيّين، وأكثرهُم المسيحيُّ، ومنهم اليهوديّ، إذ حرصتُ على إثباتِ الأخيرِ، من مُنطلَق أهميّة الاطّلاع على آراء الفُرَقاء المختلفين من خلال البحث المُقارَن في نصوصهم.

لقد ألزمتُ نفسي في هذا الكتاب بروحِ البحثِ العلميِّ المُجرَّد، فبذلتُ



الغايةَ مِن الوُسع، بحيث استغرقَ مني الجهدَ الكبير والوقت المديد، ولم يكنْ رائدي في ذلك كلِّه إلاّ البحث عن الحقيقة كأقرب ما تكونُ إلى الحقيقة المحضةِ المُجرَّدة، مثلَما لم تكن أداتي فيه إلاّ النظرة المُدقِّقة والمتأنّية لِما بين يديَّ من النصوص.

بغداد: ٢٦ نيسان ٢٠١٦

١٨ رجب ١٤٣٧

**الدكتور**

**داود سلمان السعدي**

# مُقدّمة

حوَّل شاؤلُ اليهوديُّ اسمَه، وهذا اسمُه الأصليّ، بعد تحوُّله إلى المسيحيّة، إلى بولس.

وإذ غادر بولس اليهوديّة، فإنّه لم يصِرْ مسيحيًّا، على وجه الحقيقة. لقد قفز من الديانة الأولى إلى الثانية، ولكنّه لم يكن أيَّهُما.

ومثلما مقتَه اليهود، ولا يزالون يمقتونَهُ أشدَّ المَقت، لتحريفه الدّين التوحيديَّ الحقَّ إلى ديانةٍ شِركيّة تَعجُّ بالأفكار والطّقوس الوثنية، فلقد أنكر عليه حواريّو السّيّد المسيح بُدعه الكثيرة، وما أخطرها، ونازعوه أشدّ منازعة. وبادلهم بولس كُرهاً بكُره، ولئن حاول صاحبه وصديقه الحميم لوقا، الذي يُعزى إليه ثالث الأناجيل الأربعة «القانونيّة»، وهو مؤلّف سِفر «أعمال الرُسل» الذي يروي الأحداث التي جرت بعد رفع السيد المسيح (ع) حاول جُهد إمكانه أن يُخفّف من وقع ذلك الخلاف المرير، فلقد ظهر ذلك بيّناً فيه. لا بل إنَّ الرسائل الأربع عشرة في العهد الجديد، والتي تُنسبُ إلى بولس نفسه، قد أظهرت من العداوة المريرة في نفس بولس ما لا مزيد عليه، حتى أنّه سمّاهم في رسائله بـ«الكذبة»، بل و«الكلاب»، وهي رسائل وجّهها إلى متنصّري الوثنيّين «الأمميّين».

وتكمن الكارثة الكبرى في أنّ الأذى الذي تسبّب في حدوثه لم يقتصر عليه هو نفسه، بل هو أصاب الديانتين معاً، وحتّى يومنا الحاضر.

ومثلما أنكر بولس **العقيدة** التوحيديّة اليهوديّة الحقّة واستبدل بها عقيدةً وثنيّةً أُسطوريّةً، فلقد أنكر **الشريعة** اليهوديّة أيضاً، وجَهَرَ بذلك، وكرّره في رسائله إلى أولئك «الأمميّين».

ومثلما هو اضطهد المسيحيّة والمسيحيّين، قبل أن يَصبأ عن اليهودية، وعلى لسانه هو، أشدَّ اضطهاد ـ وقد أورد ذلك بولس نفسه في رسائله مثلما أوردَه صاحبُه لوقا في «الأعمال» ـ فلقد ألحق أفدح الضرّر بالديانة المسيحيّة، بعد أن أعلن ظهور المسيح له في رؤيا غامضة، فصار «في الحال يُبشّر في المجامع بأنّ

يسوع هو ابنُ الله» [أعمال الرّسل ٢٠:٩]، وحرّف المسيحية، فأصابها بأكبر ما يمكن أن تُصاب به ديانة، وهو لُبُّها وجوهرُها، وأعني به معتقدها الإلهيّ (لاهوتها)، فوق ما أصاب به شرعتها وشعائرها، وحوّلها من ديانة توحيدية سماويّة إلى عقيدة وثنيّة شركيّة، صيرت من الإله رجلاً، ومن الرجل إلهاً. وإذ طغتْ بصمةُ بولس على المسيحيّة، عقيدةً وسلوكاً، فلقد طمست أو كادت أن تطمس وجه المسيح الحقيقيّ فيها، حتّى لقد صار بولس يُعرف بحقٍّ بأنّه مؤسّسُ المسيحيّة الحاليّة الحقيقيُّ، والتي صار الكثيرُ من الباحثين يُطلقون عليها اسم «المسيحية البولسيّة» Pauline Christianity، لا تلك المسيحيّة الأصيلة التي تنزّلت على عيسى المسيح (ع)، الرّسول البشر، من ربّ العالمين.



## جوهر العقيدة البولسيّة
## («إنجيل بولس»، كما سمّاه هو):
## الخلاصُ هو بالإيمان بالمسيح إلهاً، متجسّداً، فادياً لا باتباع الشريعة الإلهية

جاء بولس بعقيدة جديدة، تختلف عن العقيدة التي جاءت بها كلُّ الرسالات السّماوية الأخرى، وهي أنْبَتَتْ على أسطورة أساسيّة تضرب جذورُها عميقاً في الأساطير الوثنيّة، وتقول بنزول كائن إلهيّ متجسّد على شكل بشر، يُصلب ويُقتل للتكفير عن خطايا البشريّة ، فادياً نفسه لخلاصها، وبأنّ طريقة الخلاص الوحيدة هي بالإيمان بهذا الكائن، وهو السيّدُ المسيح، إلهاً متجسّداً، وابناً لله، في آنٍ. وبأنّ الناموسَ (الشريعة الموسوية) الذي تُلخِّصُهُ وصايا التوراة العشر لم يَعُد قائماً، لأنّه قد عجز أن يَهَبَ البرَّ للناس، تلك التوراةُ، التي قبل أن تَسرُد الوصايا الأخرى، وكلُّها يختصُّ بالعلاقات ما بين الناس أنفسهم، تبتدئُ بأهمّ الوصايا على الإطلاق، وهي تقول: «لا يكُن لك آلهةٌ أخرى أمامي»، تليها وصيّةٌ أخرى تختصُّ بالتوحيد أيضاً: «لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً...» و«لا تحلِف باسم إلهك باطلاً».

وهكذا فلقد صار الخلاصُ هو بالإيمان بعيسى إلهاً متجسّداً مُخلّصاً ومُفتدياً لخطايا البشريّة منذُ آدمَ، لا بالشريعة. يقول بولسُ:

«فاعلموا، أيُّها الإخوةُ، أنّه بيسوع تُبشّرون بغُفران الخطايا، وأنّه به يتبرّرُ كلُّ مَن يُومنُ، مِن كلِّ ما عجزَتْ شريعةُ موسى».

«أعمال الرُّسل» ١٣: ٣٨ و٣٩

شاوُلُ اليهوديُّ، قاتِلُ المسحيين ومعذِّبُهم، يغيّر اسمه إلى بولس، ويقول، بعد رؤيا غريبة له، بأنّ المسيح هو ابنُ الله وأنه أي بولس، رسوله، إنه [بولس]، في الحقيقة، هو مؤسِّسُ المسيحية، وقد اقتبسَ كثيراً من الطُّقوس الوثنيّة».

Religions of the World,

Gerald Berry, p. 68 - 76



## بولس (بولص) Paul (Paulus باللاتينية)
## «بولس الرسول» Paul the Apostle
## «القديس بولس» Saint Paul
## «رسول الأمم»
## بولس، مؤسس المسيحية الحاضرة الحقيقي

■ هو يهوديّ، واسمه شاوُل Saul الطرسوسيُّ of Tarsus (١٠ - ٦٦م) نسبةً إلى مدينة «طرسوس»، التي تقع على الساحل الجنوبي لتركيا، وقد انتحلَ المسيحيّة، عام ٣٨.

■ وصف نفسه بأنه «يهوديّ فريسيّ» في [أعمال الرسل ٢٣ : ٦].

■ لم يرَ المسيحَ قطُّ ولا سمعه يتكلّم.

■ ولَكِنْ اضطهدَ المسيحيّين وقتلهم، وذلك حسب نصوص العهد الجديد نفسه.

■ تحوّل إلى المسيحية، فجأةً، وغيّر اسمه إلى بولس Paul.

■ قال إنّ الوحي قد نزل عليه من الله «المسيح»: «لأنني تسلّمتُ من الربّ ما سلّمتُكم»، وبَذَر فكرةَ أُلوهية المسيح.

■ قال، عام ٣٨، إنّ بَرَقاً من السماء طَرَحَهُ أرضاً، وهو في طريقه من أورشليم إلى دمشق، فسمع صوتَ المسيح يقولُ له: «لماذا تضطهدُني؟» [أعمال الرسل ٩ : ٤] [!]، فسألَ: «مَن أنت يا سيّدي؟».

وجاءه الجوابُ: «أنا يسوعُ الذي أنت تضطهده» [!] [٩ : ٥].

فقال، وهو مرتعدٌ ومتحيّرٌ: «يا ربُّ ماذا تريدُ أن أفعل؟» [٩ : ٦].

يذكرُ لوقا، في ختام سردِهِ لهذه القصّة، في كتاب «أعمالِ الرّسل»، جملةً عن فعلٍ كان له أثرٌ بالغٌ غيّرَ وجه تاريخ المسيحيّة، وهي:

وفي الحال بدأ يبشّرُ في المجامع بأن يسوع هو ابن الله. [٩ : ٢٠].

وهي فكرةٌ لم تكن عُرفت من قبل، في أيّ كتابٍ سماويٍّ، أو رسالة سماوية.

■ وهكذا، وبعد تلك «الرؤيا»، المُدّعاة، صار شاولُ مسيحيًّا، وأدخل

فكرة أن المسيح هو ابنُ الله.

■ قال عن نفسه إنّه الوحيدُ الذي اؤتُمن على المسيحيّة الصحيحة [تيطس ١:٣].

■ وإنّ كلّ ما يُخالفُ ما يقولُ به مِن تعاليم، كلام باطل دنس [تيموثاوس الأولى ٦: ٢٠ - ٢١].

■ إنّه المؤسسُ الحقيقيُّ للديانة المسيحية السائدة، يقولُ كافندش:

■ إنّه الشخصيةُ الأكثرُ تأثيراً، على الإطلاق، بعد يسوع نفسه، في تاريخ المسيحية كلّها.

The most influential figure after Jesus himself in the entire history of Christianity

■ هو مهندسُ الديانة [المسيحية] كما تُعرفُ اليوم.

The architect of the {Christian} religion as it is Known today

■ يبدو أنّ بولس كان أوّل من وضع العقيدة المركزية المُميِّزة للمسيحيّة بإعلانه أنّ يسوع ليس هو مسيح اليهود بل هو الله الذي جاء في شخص ابنه ليموتَ من أجل خلاص العالم.

Paul seems to have been the first to formulate the central distinctive doctrine of Christianity by proclaiming Jesus not as the Messiah of the Jews but as God, who came to the earth in person of his Son to die for the Salvatian of the World.

(The Great Religions, Richard Cavendish, W.H.Smith, London (1980), p.177).

■ إنّ كثيراً من الثِّقاتِ العصريين يعدّونه [بولس] المؤسس الحقيقي للمسيحية.

(The Outline of History, H.G. Wells, Vol.3, p695)

■ إنّه، في الحقيقة، مؤسّسُ المسيحية، واقتبس كثيراً من الطّقوس الوثنية.

(Religions of the World, Gerald Berry, p68 - 76).

■ ويقولُ بولسُ:



كلمة الله ذاته خُلق من العَدَم، وكان هناك وقتٌ ما حينما لم يكن موجوداً، ومن بعد ذلك، عندما أراد [الله] أن يخلقنا، عندئذٍ بالضبط خَلَق شخصاً وهو الذي دعاه الكلمة والابن [أي المسيح]، وذلك لكي يخلقَنا بواسطته.

أي أنّ «الله الآب» قد خلق «الله الابن»، و«اللّهُ الابن» خلق الناس، وهذه عقيدة مسيحية معروفة ومتداولة.

■ وإذْ حرَّف بولس المسيحية عن التوحيد، فلقد عرقل تنصير اليهود:

لم يكن ليمكن لليهود الذين بقوا على يهوديتهم أن يتقبّلوا ذلك النوع من المسيحية الذي بشّر به بولس. إذ لم يكتفِ بأقواله المستخفّة والمُنتقِصة للشريعة اليهودية، بل هو، أيضاً، أعلن المسيح إلهاً ثانياً، وهو ما كان من وجهة النظر اليهودية، انتهاكاً جسيماً للتوحيد.

لقد لعنه اليهود [لعنوا بولس] باعتباره مُرتدًّا، ولم تَخبُ مشاعرُ اليهود المغتاظة حوله حتى اليوم.

(The Great Religions, p.178)

■ وبعد أن بَذَرَ بولسُ بذرةَ أُلوهية المسيح،

وبسبب الأرضيّة الخصبة الناتجة عن التأثيرات الوثنية والإغريقية وغيرها، وبسبب الاضطرابات المدمّرة التي تعرّضت لها المسيحة لمدّة تزيدُ على الثلاثة قرون، والتي قضت على أتباع المسيحية الحقيقية، فلقد فقدت المسيحيةُ روحها الأصيل، وصارت تعجُّ بالمتناقضات. يقول ويلز:

كان بولسُ شديد الإهتمام بحركات زمانه الدّينية، فتراهُ على علم عظيم باليهودية والمثرائية وهي ديانة ذلك الزّمان التي تعتنقُها الإسكندريّة، فنقل إلى المسيحية الكثير من فكراتهم ومُصطلح تعبيرهم، ولم يهتم بتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنميتها، وهي فكرة «ملكوت السماوات»، ولكنه علّم الناس أنّ عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب، ولا زعيم اليهود الموعود فقط، بل إنّه ابنُ الله نزل إلى الأرض ليقدّم نفسه قُرباناً ويُصلب تكفيراً عن خطيئة البشر. فموته كان تضحية مثل ممات الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية.، وقد استعارت المسيحيةُ أشياء كثيرةً من هذه

الديانات، كالقسّيس الحليق، وتقديم النُذور، والهياكل والشموع والتراتيل والتماثيل التي كانت لعقائد المثرائيين والإسكندرية، بل تبنّت أيضاً حتى عباراتها في عباداتها وأفكارها اللاّهوتية.

وراح القديسُ بولسُ يُقرِّبُ إلى عُقول تلاميذه الفكرة الذاهبة إلى أنّ شأن عيسى كشأن أوزوريس. كان ربَّما مات ليُبْعَثَ حيًّا ليمنح الناس الخلود!

(A Short History of the World, H.G. Wells, p.178 - 180.

■ إنّ المسيحية قد أُعيدت صياغتها صياغة دائبة حتى بَدَت هلينية [أي يونانية] في جوهرها، ولكن مع تعديل العناصر التي فيها من فلسفة أفلاطون.

(ديلاس أوليري
دكتور في اللاهوت، وأستاذ الآرامية والسريانية
في جامعة بريستول - مستشرقٌ إيرلنديُّ الأصل)

■ وحتى لا نُتّهم بنقل صورةٍ غير مُحايدة لبولس ومعتقداته وأعماله، وما كان عليه الحالُ بعد رفع المسيح (ع)، ننقلُ هنا التقرير الخطير الذي كتبه ريتشارد كافندش، المؤرخ البريطانيّ المشهور، والمعروف بتجرّدِه العلميّ وعُمْقِ تحريه، في كتابه «الأديان العظيمة»(١). يقول كافندش، تحت عنوان «القدّيس بولس»:

كان مركز الطائفة الجديدة، بعد قيامة المسيح، في القدس. وكان يقودهم بطرسُ Peter وبقيّة حواريّي المسيح، وهم النّصارى The Nazarenes، كما كانوا يُدعون بصورةٍ مُستهجنةٍ. ولم ينظر هؤلاء إلى أنفسهم على أنهم رُوّادٌ لديانة مختلفة عن الديانة اليهودية، بل على أنّهم يهودٌ خُلصاء. لقد تعبّدوا في الهيكل Temple، واتّبعوا الشريعة اليهودية، وحافظوا على تماسكهم باجتماعهم في بيوتهم لتناول الطعام معاً.

ولسوء الحظّ، فليس ثمّة إلاّ بيّنة معتمدةٌ ضعيفة حول معتقدات مسيحيّي القدس، ولكن يبدو أنّهم كانوا واثقين من أنّ يسوع كان هو

(١) The Great Religions, p176.



المسيح(١) [الذي وُعِدَ به اليهودُ من قبلُ، والذي هو رسولٌ بَشَرٌ من ربِّ العالمين، لا إلهٌ].

They seem to have been confident that Jesus was the Messiah.

وأنّ الله سوف يُقيم مملكته عن قريبٍ، وهو ما يؤكِّدُ رسالة المسيح ويبرِّئُهُ، وأنّ الله قد نفخ فيهم روحه لهدايتهم. وكانت لهم نجاحاتٌ ملحوظة في إشفاء المرضى باسم يسوع، وحصلوا على معتنقين جُدُدٍ للدّين الجديد، ولكنهم أثاروا ضدهم عداءً شديداً، حتى لقد اعتُقل قادتهم أكثر من مرة، ثم رُجم اسطيفانُ Stephen بالحجارة حتى الموت من قبل الرُّعاع الغاضبين. ولكنَّ المشهد تبدّل تبدّلاً كاملاً بوصول بولس Paul إلى المسرح. **إنّ بولس هو أبرزُ شخصية، بعد يسوع نفسه، في تاريخ المسيحية، وهو مهندسُ الدِّين المسيحي كما نعرفه اليوم.**

The most remarkable figure after Jesus himself in the history of Christianity and the architect of the religion as it is known today.

وإذْ وُصف بولس على أنّه رجلٌ قصيرٌ أصلعٌ، ذو ساقين ملتويتين، فلقد كان ذا طاقة متفجِّرة، ومزاجٍ حادّ، وجَلْداً، لا يعرفُ الكلل.

ولد بولسُ في آسيا الصّغرى، وكان يهودياً متحمساً، وهو لم يرَ المسيح قطُّ ولا عايشه. ولقد مَقَت بولسُ النصارى The Nazarenes، واضطهدَهم أشدَّ اضطهادٍ، حتى كان ذات يومٍ، في طريقه من القدس إلى دمشق، حيثُ تمثّل له يسوعُ في رؤيا غامضة التفاصيل وفقد فيها بصرَهُ ثلاثة أيام [حسب زعمه]، فغيّر ذلك مجرى حياتِه.

وأقنع ذلك بولُس بأنّ يسوع قد قام من الموت، ثم هو اقتنع، ومع مُرور الوقت، بما هو أكثر من ذلك بكثير. لقد أحسَّ بولسُ بأنه رسولُ ليسوع "apostle or "messenger كمِثل أولئك الذين كانوا في القدس، وأن يسوع قد كُشف على أنه الإلهُ المُخلِّصُ Divine Saviour للعالَم

(١) المسيحُ Messiah، في الكتابات اليهودية، ومنذ القرن ٢ قبل الميلاد فتالياً، هو الشخص الذي سيساعد على تخليص إسرائيل من أعدائها، وعلى تجديدها، وتأسيس مملكة عالمية، وأمّا في الفكر المسيحي فيُنظر إليه على أنه قد تحقق بيسوع الناصري.

Combridge Encyclopaedia, p.556

كلّه، وأنه، أي بولسُ، قد اختُصَّ بحَملِ رسالته إلى غير اليهود «الأمميّين» Gentiles. قام بولسُ، طيلة حياته بالتبشير برسالته تلك، تجاه كلِّ المعارَضة، والمخاطر، والصعوبات، فسافر إلى سوريا، وقبرص، وآسيا الصّغرى، واليونان، وأسَّس فيها مجتمعات مسيحية من غير ذوي الأصل اليهوديِّ، مُكَرِّراً زياراته لمدنها، ناصحاً لهم في رسائله، ومُحافظاً على سلطتِهِ هو شخصياً عليهم. ولم تكن نشاطاته المتوثبةُ تلك لتروق لأعدائه السابقين من قادةِ ورؤساءِ القُدس، ولقد شكك هؤلاء في أية إمكانيةٍ لإدخال أولئك «الأمميين» إلى رعيتهم. ثم، إذ هم أذعنوا لذاك، فلقد احتدم جدلٌ مرير بينهم حول موضوع تطبيق الشريعة اليهودية. ولقد اعتقد هؤلاء الرؤساء، وهم الذين كانوا ينظرون إلى حركتهم باعتبارها اليهودية الحقيقية، بأنْ لا بُدَّ من ختان المتحوّلين إلى المسيحية، وأن يلتزموا بقواعد الأكل، وكلِّ ما نصّت عليه الشريعة. ولكنّ بولس عارض هذه المتطلّبات بكلِّ قوة، لأنها كانت ستقلّل من عدد المتحوّلين إلى المسيحية كثيراً. ولقد مضى بولسُ في نهجه ذاك، لا يلوي على شيء، وكانت نتيجةُ ذلك سلخُ الحركة المسيحية عن اليهودية وتحويلُها إلى ديانة منفصلة.

### كافندش: بولس هو أول من صاغ عقيدة الله المتجسد في ابنه

ويظهر بولس على أنه كان أول من صاغ العقيدة المسيحية الأساسية والمميزة بإعلان أنّ يسوع لم يكن مسيح اليهود وإنما هو الله الذي جاء إلى الأرض في شخص ابنه حتى يموت من أجل خلاص العالم.

**The first** to formulate the central distinctive doctrine of Christianity by proclaiming Jesus not as the Messiah of the Jews but as God, who came to earth in the person of his Son to die for the salvation of the world.

ولكنْ ثَمّة آخرون، ممّن يعتقدون بأنَّ مسيحيّ القُدس كانوا يقولون بالأمر ذاتِهِ في ذلك الوقت، يُشكّكون في ذلك. وتكمُن المُعضلةُ في ذلك التعارُض البيِّن بين شخصية بولس كما نراه من خلال رسائله وبين



بولس في كتاب «أعمال الرسل» Acts of Apsostles، والذين قد يكونان بحق شخصين اثنين مختلفين.

لقد كُتِب «أعمالُ الرسل» فيما بعد، ويبدو أنّه كان محاولةً للتغطية على الإختلافات بين بولس وبين مناوئيه.

ولم يكنْ لليهود الذين ظلّوا على يهوديتهم أن يتقبّلوا ذلك النوع من المسيحية الذي بشّر به بولسُ، فهو لم يكتفِ بالانتقاص من الشريعة اليهودية والاستخفاف بها، بل إنّ إعلانه المسيح إلهاً ثانياً كان، من وجهة النظر اليهودية، نقضاً سافراً للوحدانية. لقد قال بولسُ عن المسيح بأنه ابنُ الله على وجه الحقيقة، لا المجاز، وإنه قد امتلك قدرةَ أبيه وعظمتَه كلّها.

لم يذهب بولسُ إلى ذلك الحدِّ تماماً، ولكنّه ذهب بما يكفي لأن يقوم اليهودُ بلعنه، وبكلِّ مرارةٍ، باعتباره مرتدّاً عن عقيدته، ولم تَخْبُ مشاعر الضّغينة عند اليهود تجاهَه حتى اليوم. قال بولسُ بأنّ المسيح كان ابن الله، ليس بالمعنى الحرفيّ للعلاقة العائلية، ولكن بالمعنى المجازيّ [ولكنّ المصادر المسيحية تُجمع على أنّ المسيح هو ابنُ الله فعلاً وحقًّا، لكن بقيّةُ الخلق من الناس هم أبناءُ الله مجازاً]. وقال إنّ المسيح كان الإبن الذي امتلك قُدرة أبيه وعظمته كلّها، وإنّه حاكمُ الخَلق أجمعين، والذي يتوجّبُ أن يسجد له كلُّ شخص. ولم يَقُم بولسُ قطُّ بإيضاح التعابير الغامضة والملتبسة التي قال بها، فلقد تكلّم أحياناً، وكأنَّ «الآب» و«الإبن» ذاتٌ واحدة، وتكلم أحياناً أخرى عنهما وكأنّهما كائنان منفصلان.

ولم يكن رسولُ الأمميّين هذا مهتمًّا أساساً بيسوع الناصريِّ، الإنسان الذي لم يعرفه قطُّ، ولكنّه كان مهتماً بالصورة الإلهية التي كلَّفَتْه وفوّضتْه. واعتقد بولسُ أنّ العهد القديم، وهو عهدٌ وعلاقة خاصّةٌ بين الله وبين اليهود، قد أُلغي وصار خبراً من الأخبار عندما رفض هؤلاء المسيحَ، وأنّ ثمّة تدبيراً إلهياً جديداً لـ«عهدٍ جديد» New Testament قد قام. لقد صار المسيحيون الآن بني إسرائيل الحقيقيّين، ولم تَعُد ثمة حاجةٌ إلى اليهودية بعد ذلك. وأنّ المسيح، في مماته وقيامته، في فِعْلٍ

إلهيٍّ مُدهش ومُتّسم بالإنعام، والتفضُّل، قد أنقذ البشرية من الشرّ والموت مثلما فعل المسيحُ نفسه.

وربما تعود الأسبابُ الرئيسيةُ لانتشار المسيحية السريع إلى معتقد محبة الله البالغة وتضحيته بنفسه، وعَرْضِ الخلود لأن يناله جميعُ الناس، من خلال الاعتقاد بالمخلِّص Saviour الذي لم يكن رجلاً من الماضي السحيق، بل هو عاش من قريب، ومات بينهم.

وكان الإنتماءُ إلى المسيح يعني الإيمان به والتكريسَ الشخصيَّ له، وهو ما اعتبره بولس أكبر أهميّة من «الأعمال الصالحة». لقد كان السلوكُ الأخلاقيُّ القويم مطلوباً من المسيحيّ، بالتأكيد ، ولكنَّ بولس كان متيقناً من أنّ الخطيئة متأصلةٌ في الجنس البشريِّ وأنّه ينبغي أن لا يُبذل أيُّ جهدٍ إنسانيٍّ في ذاته لتخليص الرجل والمرأة من الطبيعة البشرية. ثم إنّ الإنتماء إلى المسيح كان يعني أيضاً أن يكون المرءُ جزءاً من المجتمع المسيحيّ والذي كان هو بدوره «جسد» المسيح على الأرض، ولذا، فأن تنتمي إليه، أي إلى جسد المسيح، معناهُ أنّك ستكونُ «في المسيح». ويكونُ إدخالُ الشخص في الدين الجديد بشعيرةٍ تُعرف بالتعميد Baptism، وهو تمَثُّلُ الداخلِ حديثاً إلى المسيحية، وبصورةٍ رمزية، لموتِ الرّب وقيامته Lord's death and resurrection، وصيرورته طاهر الروح.

واعتقد بولس أيضاً أنّ الرّبَ سيعودُ إلى الأرض، ولكن ليس هذه المرّة في داره المتواضعة في الناصرة، وإنما في مجدٍ، ليُدمِّر كلَّ قوّةٍ وسلطة أخرى. و«المجيءُ الثاني» The Second Coming، وهو ليس فكرةً يهودية، هو مُتوقَّعٌ في أيّة لحظة. وفي ذلك الأثناء يتوجّبُ على المسيحيّين أن يَبقوا كما كانوا، وأن لا يُضيّعوا جُهودَهم في محاولة تحسين ظروفهم الإجتماعية. لا ولا ثمّة من حاجة لإنجاب الأطفال بينما أن العالم على وشك أن ينتهي. ولم يكن لبولس نفسه من علاقات جنسية، ولقد فضّل أن يكون كلُّ امرئٍ آخر مثلَه، ولكنّه أذعن كارهاً بالقول بأنَّ مِن الأفضل للمؤمن أن يتزوّج من أن يحترق في رغباته غير الملبّاة.



وكان «العشاءُ الربّانيُّ» Lord's Supper أكثر الطُقوس المسيحية أهميةً، فيما يبدو. فمن خلال كسر الخبز وشُرب النبيذ يتمُّ تخليدُ عشاء يسوع الأخير مع حواريّيه. ولئِنْ ظلَّ معنى وتأثيرُ العشاء الربّانيّ مصدراً للاختلاف العميق بين المسيحيين، فلقد كان، في زمن بولس، أكبر من مجرّد التَّذكار البسيط. لقد أحاط الغموضُ والسرّيّةُ بالموضوع، وقَبل أن يَمُرَّ زمنٌ طويل، بل وفي الزّمن ذاته، لم يكن ليُسْمَحَ بالمشاركة في العشاء الرّبانيّ إلاّ للمسيحيين المعمَّدين من ذوي المكانة المعتبرة. واعتبر بولس أنَّ هذا الطقس هو وسيلةٌ للانتماء إلى الربّ في موته وقيامته، ومشاركةً في جسد ودمِ المسيح.

واحتفظ الرؤساء المسيحيون في القدس بمكانةٍ عظيمة وتأثير كبير في الحركة المسيحية، ولكنْ ما إنْ مرّت سُنون قلائلُ حتى قُضي على جماعة القدس هذه خلال تمرّد الزيلوت[1] Zealot والحصار الرومانيّ للقدس ونهبها بعد احتلالها [عام ٧٠]. وفقدت المسيحية اليهوديةُ [المسيحية التي اعتنقها اليهود قبلَ مجيءُ بولس] بذلك مقرّاتها ومصدر سلطتها. وأمّا مسيحيةُ بولس فإنها هي التي بقيت على قيد الحياة. وأمّا الأناجيلُ الأربعة التي أُنتجت في المجتمعات الأممية [المسيحية غير اليهودية]، والتي سوف تَنقُلُ رسالتها، في نهاية المطاف، إلى ملايين الناس، فلقد صَهرت مُعتقد بولس في المُخلِّص الإلهيَّ مع التقاليد التي عرفها تلاميذُه. ولقد هوجم بولس لأنه حَجَبَ تعاليم يسوع البسيطة تحت سيل جارف من النظريات اللاّهوتية العويصة التي تُحرج مشاعر الإنسانية التحرّرية العصرية. ولكنَّ بساطة يسوع المفترضة تلك ظاهريةٌ أكثر مما هي حقيقيّةٌ، ومن دون بولس فلقد كان يصعُبُ على المسيحية أن تترك أثراً ما على العالم، ومِن دونه ما كدنا أن نسمع بيسوعَ مُطلقاً.

ثم يذكرُ كافندش، بعد ذلك، أنّ بولس عاد إلى القدس حوالى العام ٥٨، حيث تمَّ اعتقالُه من قِبَلِ السلطات الرومانية باعتباره مُشاغباً ومُثيراً للفتنة،

(١) الزيلوت هم طائفةٌ يهودية قديمةٌ عُرفت بمقاومتها الشّديدة للسيطرة الرومانية على فلسطين.

ثم أُرسل إلى روما حيث عاش فيها عامين تحت الإقامة الجبرية، ثم قُتل مع «الرسول» بطرس خلالَ عمليةِ تعذيب ضارية.

واختلف المسيحيون، فيما بينهم، أشدَّ اختلافٍ وأعنفَهُ، حول عقائدهم، ذلك لأنَّ مُعتقد أنَّ المسيح هو ابنُ الله في شكل بشريٍّ قد أثار مُعضلات فكريّةً عويصةً وهائلة.

The concept of Christ as the Son of God in human form raised formidable intellectual difficnlties.

وورِثَ المسيحيّون مُعتقَدَ رُسُل العهد القديم في كونهم مالكين لزمام الحقيقة، ومن الله مباشرةً، فاعتقدوا بأنّهم مُنبأون من الرّوح القُدس.

وكان هذا المعتقد ذاته هو ما جعل المسيحيين يحصلون على مُعتنقين جُددٍ للمسيحية من الوثنيين، ولقد جعلتهم ثقتُهم بصواب ما لديهم أن صاروا شديدي التعصّب، قليلي التحمّل.

وقد أمكنَ لكلِّ فرقةٍ من تلك الفِرق المسيحيّة المتنازعة فيما بينها أن تجد حُجّةً وبرهاناً على آرائها في مكانٍ ما من أقوال القّديس بولس [صار قاتلُ المسيحيين قدّيساً!]، وكان من هؤلاء ذوو الإتّجاهات الغُنوسطيّة Gnostic، فنشأت أشكالٌ عديدة من المسيحيّة الغنوسطية.

■ وقال غيبون[١] عن بولس:

إنّه فسّر نظرية الكون الإفلاطونية تفسيراً مسيحيّاً، وأظهر أنّ يسوع المسيح هو الكيان الذي تجسّدت فيه الكلمة أو العقل (اللّوغوس) Logos الذي تحدّث عنه إفلاطونُ والذي كان مع الله منذ البدء.

■ أمّا ويلز[٢]، فقد وصف الحِقبة التي أعقبت ظهور بولس، وما جرّه ذلك عليهم:

وفي أثناء ذلك الأمد غير المحدَّد فيما يبدو قَدَرٌ جسيمٌ من ضربٍ بعينه

(١) غيبون Edward Gibbon (١٧٣٧ - ١٧٩٤): مؤرخ إنكليزي يعتبر أعظم المؤرخين الإنكليز في عصره، وقد ألّف كتاب «اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية» (٥ مجلدات)، ٦١١/١.

(٢) ويلز، معالم تاريخ الإنسانية، ج٣.



من الثيوقراطيّة Theocrasia، أي التّوحيد والمطابقة بين الآلهة المختلفة، بين النّحلة المسيحية وبين العقيدة المثرائية التي كادت أن تُضارعها في سعة انتشارها بين سواد الشّعب، وبين نِحلة سيرابس إيزيس حورس.

على أن ما أسهمت به نِحلةُ الإسكندرية، في الفكر المسيحيّ والطقوس المسيحيّة، كان أعظم قدراً أو يكادُ، ولذا فقد كان من الطبيعيّ أن يجد المسيحيون في شخصية حورس (الذي كان ابناً لسيرابس وهو سيرابسُ في الوقت عينه!) شبيهاً مُرشداً لهم فيما يبذلونه من جهودٍ عظيمة لتفهُّم ما خلّفه لهم القدّيس بولسُ من خفايا.

### بولس يعترف في رسالة له، في العهد الجديد، بأنّه يتظاهر أمام اليهود كيهوديّ، وأمام من هو بلا شريعة كأنه لا شريعة له

ونرى بولس هنا، في رسالته الأولى إلى هل كورنثوس، وهي نجدُها ضمن العهد الجديد [!] وهو يعترفُ فيها بأنّه يتعامل مع أصحاب كلِّ عقيدةٍ وكأنّه واحدٌ منهم:

صحيحٌ أنني حرٌّ ولستُ تحت سلطة أحد، إلاّ أنّني جعلتُ نفسي خادماً لجميع الناس لكي أربحَ أكبر عددٍ ممكن.

فقد صرتُ لليهودي كيهوديٍّ لكي أربح اليهود.

صِرْت للذين تحت الناموس [الشريعة] كمن هو تحت الناموس وهدفي هو أن أربح الذين تحت الشريعة.

وصرتُ للّذين بلا شريعةٍ كَمن هو بلا شريعة، رُغم أنّي لستُ بلا شريعة الله، لأنّي خاضع لشريعة المسيح. وهدفي هو أن أربح الذين بلا شريعة.

صرتُ كلَّ شيءٍ لكلِّ إنسان، لكي أربح بعض الناس بكلِّ وسيلة ممكنة. وأنا مستعدٌّ أن أفعل كلَّ شيء من أجل بشارة المسيح، لكي أشترك في بركاتها.

[رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ٩: ١٩ - ٢٠]

لقد ابتدأ بولسُ رحلته قاتلاً للمسيحيين، ثم انتهى كداعية للمسيحية يتظاهرُ أمام كل قوم بأنه منهم، لقد عَلمنا أنّ الله يختار لرسالاته أحسن الناس وأصدقهم، لكنَّ ذلك هو بولسُ الذي أسمى نفسه ويسميه المسيحيون: «بولس الرسول»، أي رسول المسيح الإله!

■ يقول جيرالد بيري، في كتابه «ديانات العالم»، ص٦٨ - ٧٦:
أوشكتْ دعوةُ عيسى أن تفنى بعد موته، ومرّ الزمنُ، وجاء شاولُ - الذي سُميّ فيما بعدُ بولس - وهو يهوديٌّ روماني، لم يَرَ عيسى ولا سمعه يبشِّرُ الناس. وكان شاولُ هذا في أولِّ عهده أكبر عدوٍّ للمسيحيين، فأنزل بهم ألواناً من الإضطهاد والقتل والتعذيب، لكنّه تحول إلى المسيحيّة فجأة، واستخدم تجاربه ومكانته، لينقذ المسيحية ويوجِّهها على نحو ما أراد.

إنَّ شاوُل، أو بولس، هو موسِّسُ المسيحية الحقيقيّ، وقد أدخل بولس على ديانته بعض التعاليم اليهودية ليجذب له أتباعاً منهم، فبدأ يُذيعُ أنّ عيسى مُنقذٌ ومخلِّص وربٌّ Lord استطاع الجنسُ البشريُّ بواسطته أن ينال النجاة، وهذه الإصطلاحاتُ التي قال بها بولس كانت معروفة عند فرق كثيرة وبخاصّة المثرائيين Mithras، والسيبليّين Cybeles، فانحاز أتباعُ هؤلاء إلى ديانة بولس، وعَمَد هذا كذلك إلى إرضاء المثقفين، فاستعار من فلاسفة الإغريق، وبخاصّة الفيلسوف فيلون Philo فكرة اتّصال الإله بالأرض من طريق «الكلمة» (اللوغوس)، أو من طريق ابن الإله The Son of God أو من طريق الرّوح القُدس The Holy Ghost.

بدأ بولس ديانته في أنطاكيا ، ثم بدت هذه الديانةُ بالإنتشار في المدن وبقاع أخرى. **وتَمُدنا رسائلُ بولس إلى هذه الجماعات بالجزء الأعظم من المادّة التي تُكوِّنُ العهد الجديد** [!].

إنَّ بولس هو المؤسّسُ الحقيقيُّ للديانة المسيحية، وقد طوّر فكرة المسيح من الناحيتين اللاّهوتيّة والإنسانية، وجعلها تتناسبُ مع فكرةِ الخلاص القديمة، وقدَّم أفكاراً مُستحدثةً في طابع قديم مألوف.

ولم ينفر بولسُ من الطّقوس الوثنية، بل وعلى العكس اقتبس الكثير منها، ليضمن نشر ديانته بين الوثنيّين دون أن ينفروا منها، فجعل عطلة الأسبوع يوم الأحد، متبّعاً في ذلك تقاليد المثرائيين، وأهمل يوم السبت، وهو اليومُ المقدّس عند اليهود [الخروج ٣٣: ١٧ والتثنية ٥: ٣]، واقتبس من الوثنيات كذلك أعياد رأس السّنة، وعيد القيامة، وعيد



الغطاس، وأطلق عليها مسمّيات جديدة، فعيد الربيع عند أوستارا[١] صار عيداً لخروج عيسى من القبر Easter، وطقوس السرِّ المقدّس أخذت مكان معبد التضحية عند اليهود، وعيسى أصبح «ابن الله»، حملتْ به أمّه العذراء حملاً غير طبيعيٍّ، واحتلّت صورةُ العذراء والمسيح مكاناً مقدساً كانت قد احتلته من قبل صورتا حوروس وأوزيريس Horus and Osiris، ووضعتا في كلِّ الكنائس.

## «بولسُ الرّسولُ» و«الأنبياءُ الكَذَبَة»

جاء في رسالة يوحنا الأولى [٤: ١]، عن المسيح، قوله:

أيها الأحبّاءُ، لا تصدِّقوا كلَّ روح،
بل امتحنوا الأرواح: هل هيَ مِن الله؟
لأن أنبياء كذبةً كثيرين قد خرجوا إلى العالم[٢].

إنهم، حسب هذا النص، أُناسٌ يدّعون بأنهم رُسُلٌ من الله، يجيئون بعد المسيح، وهم من الكذبة. «لا تُصدِّقوا كلَّ روحٍ! بل امتحنوا الأرواح، هل هي من الله؟»ادّعى بولس أنه «رسول الله»، إثْرَ حادثٍ غريب ادّعى حدوثه له، فهل كان بولسُ صادقاً فيما ادّعاه؟ سوف نحاول أن نمتحن هذه الروح، روح بولس، هل هي مرسلة من الله، ولننظر إلى سِفر «أعمال الرسل»، المنسوب إلى لوقا، صاحب الإنجيل المسمّى باسمه، وهو يحدثنا عن بولس. وبادئ ذي بدء لا بُدَّ من القول بأنّ المسيح كان رسولاً بشراً، لا إلهاً. فادعاء بولس بأنه رسولُ المسيح الإله هو زعمٌ باطل. وهاك أولاً ما قاله لوقا عن استشهاد «استِفانوس»، وهو أحد الذين يصفهم بأنهم سبعة مساعدين للرسل:

---

(١) أوستارا هي إلاهةً عند الجرمانيّين والأنكلوسكسونيّين القدماء.

(٢) يجب أن لا يغيبَ عن بالنا هنا بأن المسيحيين لا ينظرون إلى عيسى (ع) على أنه النبي الرسول البشر من الله، بل على أنه الله المتجسد نفسُه في ابنه. وأمّا تلاميذُ السيّد المسيح وأصفياؤه، الذين وصفهم الله تعالى في القرآن الكريم بـ«الحواريين»، فإن المسيحيين يعتبرونهم على أنهم رُسُلٌ، رسل من الله المتجسد في المسيح إلى الناس. كما أنهم ينظرون إلى بولس على أنه «بولس الرسول»، رغم أنه لم يرَ المسيح ولم يسمعه.

## لوقا يصف بولس وموبقاته في المسيحيين

لقد وصف لوقا بولس، في سفر أعمال الرسل، بأبشع الأوصاف:

١:٨ كان شاؤلُ موافقاً على قتل استِفانوس.

ونعجبُ كيف يصير الظهيرُ على قتل مساعد الرّسول و«مبيدُ الكنيسة» رسولاً.

٣:٨ أمّا شاؤلُ فكان يحاولُ إبادة الكنيسة، فيذهب من بيت إلى بيت، ويجرُّ الرجال والنساء ويلقيهم في السجن.

١:٩ أمّا شاؤلُ فكان لم يزل ينفُثُ تهدّداً وقتلاً على تلاميذ الربّ، فتقدّم إلى رئيس الكهنة.

١:٩ وطلب منه رسائل إلى دمشق، إلى الجماعات، حتى إذا وَجَدَ أُناساً من الطريق، رجالاً أو نساءً، يسوقهم موثّقين إلى أورشليم.

## بولس يعترف بموبقاته

لا بل إنّ بولس ليعترفُ بما جنتْه يدهُ من جرائم فيقول عن نفسه، في السفر ذاته، وعما فعله بالمسيحيين:

١٠:٢٦ فألقيتُ في السجن عدداً كبيراً من القدّيسين. وكنتُ أُعطي صوتي بالموافقة عندما كان المجلسُ يحكمُ بإعدامهم.

١١:٢٦ وكم عذّبتُهم في المجامع كلِّها، لأجبرَهم على التجديف. وقد بلغ حقدي عليهم درجةً جعلتني أُطاردُهم في المدن التي في خارج البلاد.

## لوقا يسرد ما رواه بولُس عن قصة تحوّله

٥:٩ وفيما هو منطلقٌ إلى دمشق، وقد اقترب منها، لمع حوله فجأةً نورٌ من السماء، فوقع إلى الأرض، وسمع صوتاً يقول له: «شاولُ! شاولُ! لماذا تضطهدني؟» فسأل: «مَنْ أنت يا سيّد؟» فجاءه الجوابُ: أنا يسوعُ الذي أنت تضطهدُه».

ويا لها من قصةٍ عجيبة، في أن يضطهد العبدُ إلهَهُ، فيشكو الإله إليه ذلك! لكنّ ذلك الإله المضطهَد سيُخبر مضطهدَه عبر شخص ثالث بأنّه قد اختاره رسولاً إلى الناس أجمعين! ويرى «تلميذٌ للربّ» [للمسيح] اسمه



حنانيّا، الربَّ في رؤياً وهو يدعوه إلى أن يذهب إلى رجلٍ اسمُه شاولُ، فيجيب حنانيا الربَّ:

١٣:٩ «يا ربُّ! قد سمعتُ من كثيرين عن هذاالرجل، كم مِنَ الشّرور فَعَل بقدّيسيك في أُورشليم».

ولكنّ الربَّ يأمرُه:

١٥:٩ إذهَب! فقد اخترتُ لي هذا الرجل إناءً يحملُ اسمي إلى الأمم والملوك وبني إسرائيل.

ولم يُخبر الإلهُ رسولَه باختياره له، بل هو كلّف حنانيا بذلك!

١٧:٩ فذهب حنانيا، ووضع يديه على شاول وقال: «أيُّها الأخُ شاولُ، إنّ الربَّ يسوع الذي ظَهَر لك في الطريق التي جئت فيها، أرسلني إليك لكي تُبصر وتمتلئ من الرّوح القُدُس.

ويذكر لوقا في ختام هذه القصة فعلاً لبولس غيَّر وجه التاريخ:

٢٠:٩ وفي الحال بدأ ينشرُ في المجامع بأنّ يسوع هو ابنُ الله!

ولم تكن هذه الفكرةُ قد عُرفت من قبل في رسالات الله، فأصبحت بذلك نقطة التحوّل من المسيحية، ولقد حدث هذا التطورُ لشاول وهو في طريقه من أورشليم إلى دمشق. وهكذا فإنّ شاول الذي صار يُدعى بولس بعد انتحاله المسيحية، والذي لم يَرَ المسيح قطُّ ولا سمعَهُ، ادّعى بأنه قد اتّصل به اتّصالاً مُباشراً، صِلَةً أدخلته المسيحيّة وسكبت في نفسه عقيدة جديدة خطيرة، وهو بذلك صار رسول الله المتجسّد، وصار يُدعى «بولس الرّسول». فيا لها من دعوى لم يُسمَح لأحدٍ أن يُناقشَهُ فيها، ما دام هو ادّعى أنّه قد تلقّاها من الإله نفسه!

## رفقاءُ بولس ينفُرون منه ويهجرونَه

يقول الدكتور أحمد شلبي[1]:

بعد أن أعلن بولس فكره الذي يتنافى مع المسيحيّة الحقّة، فلقد نفر منه زملاؤُه وتلاميذه، ولم يبق معه إلاّ تلميذُه لوقا الذي وصفه بقوله: «إنّه الطبيبُ الحبيب» [كولوسي ٤:١٤]. آمَن لوقا برسالة بولس وأخلص

(١) المسيحية، مقارنة الأديان، ط٨، القاهرة (١٩٨٤)، ص ١١٣-١١٤.

لها، فخدم أستاذه وأحلّه محلاً رفيعاً لا يقلّ عن مقام عيسى نفسه. وإذ كتب لوقا رسالة أعمالِ الرسل فإنّها، في حقيقة الأمر، قصة حياة بولس. إذ هي لبولس كإنجيل متّى ومرقص للمسيح، فكلّها وصفٌ لأعماله وإشادةٌ بمعجزاته.

لقد أفرغ لوقا أفكار أُستاذه في إنجيله (إنجيل لوقا)، وهكذا فلقد تبادل بولسُ ولوقا المدحَ والمنفعة، فأصبح لوقا في الصفِّ الأول، إذ هو صار من كَتَبَةِ الأناجيل مع أنّه هو وأستاذُه لم يريا عيسى قطُّ، وأصبح لُوقا «الطبيب الحبيب»، وكافأ لُوقا أستاذَهُ بولس على احتفائه به فأصبح خير داعية لأفكاره. واختلطت أفكارُ بولس ولوقا حتى لقد قال القدّيسُ ترتليانوس أُسقُف قرطاجة: «إنّ إنجيل لُوقا يُنسَبُ كلّه إلى بولس»(1).

ويقول ويلز عنه(2):

الراجح جدّاً أنّ بولس تأثّر بالمثرائية، إذ هو يستخدمُ عباراتٍ قريبة الشبه بالمثرائية، ويتّضحُ لكلِّ من يقرأُ «رسائله»، جنباً إلى جنب مع «الأناجيل»، أنّ ذهنه كان مشبعاً بفكرة لا تبدو قطُّ بارزةً قويّة فيما نُسب لعيسى من أقوال وتعاليم، ألا وهي فكرةُ الضحيّة الذي يُقدَّمُ قُرباناً لله كفّارة عن الخطيئة.

فما بَشَّرَ به عيسى كان ميلاداً جديداً للروح الإنسانية.

وأمّا ما بشّر به بولسُ فلقد كان الديانة القديمة، ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدّماء طلباً لاسترضاء الآلهة.

أما الأبُ بولس الياس، وهو رائد مسيحيٌّ وقسٌّ متبحِّرٌ، فإنّه يصفُ المسيح الذي نعرفه اليوم بأنّه:

«مسيحُ بُولس» ولا عَجَب، فبولس الفيلسوفُ اللاهوتيُّ لم يَرَ المسيح في الجسدِ، ولا رافقهُ كباقي الرُّسُل، فمسيحُه هو ابنُ الله، له طبيعتان إلهيّة وإنسانيّة، تجسّد واتّخذ صورة عبدٍ، وتحدّر من ذُرّية إبراهيم حسب الجسد، ومات مصلوباً وقبر وقام من بين الأموات(3).

(1) الأب بولس الياس: يسوع المسيح، ص ٢١.

(2) Outline of History, H. G, Wells, Vol.3, p.696.

(3) الأب بولس الياس: يسوع المسيح، ص١٧ - ١٨.



## عداوة بولس لأقرب المقربين إليه، وتخليهم عنه
## العهد الجديد: الحواري برنابا افترق عن بولس، وإلى الأبد
## بولس يصف برنابا بالمرائي

كان شاول شديد القسوة والتعذيب للمسيحيين، حتى أنّ حواريّي المسيح ابتعدوا عنه، بعد أن أعلن تحوّله إلى المسيحية، خوفاً منه، وشكّاً فيه، وظلّ المسيحيون على خوفهم منه حتى بعد انتحاله المسيحية. وعندما عاد بولُس، أخيراً، إلى أورشليم، فلقد تعيّن على تلميذ المسيح وحواريّه «برنابا» أن يقوم بإقناع الحواريّين حتى يتقبّلوا رفقته (أعمال الرسل ٩:٢٦)، ونتيجة لذلك حدثت صداقةٌ كبيرةٌ بين الإثنين ولكنها سرعان ما انهارت وابتعد الحواريُّ برنابا عن بولس، وإلى الأبد. ففي رحلتهم التبشيرية الثانية، اقترح برنابا أن يستصحبا مرقس كمساعدٍ لهما، ولكنّ بولس قاوم ذلك بشدّةٍ، ويشيرُ لوقا إلى «خلافٍ حادٍّ» بين برنابا وبين بولس [أعمالُ الرسل ١٥:٣٦ - ٤١]، فافترقا بعد أن لم يمكنهما أن يتوصّلا إلى اتفاق، وحسب النصوص المقدّسة ذاتها فإنّ هذين الشخصين لم يَرَ أحدهُما الآخر منذُ ذلك الحين. ويُشير المؤرخون إلى أنّ بُولس كان صعب المراس في تعامُله مع برنابا الحواري، وأن برنابا الذي أيد بولس أول الأمر، عاد فتخلى عنه، بعد أن افتُضحت أفكاره، وها هو بولس يصفه في رسالته إلى غلاطية [٢:١٣] بأنه مراء: حتى أن برنابا أيضاً قد انقاد إلى رياء الآخرين.

والأمرُ هنا لا يتعلق باختلاف الشخصين، برنابا وبولس، في أمر شخصيٍّ وحسب، بل هو اختلافٌ من موقع أن برنابا هو من حواريي المسيح، وأن بولس هو «الرسول» و«القديس»، لا بل أن برنابا، وهو ذلك الحواري المنزّه، صار منقاداً لرياء الآخرين، ويا لها من تهمة رهيبة، من «رسول» إلى «رسول». وأنه لَلْعَجَبُ العجاب أن يتأثر حواري المسيح الجليل برنابا، حسب ادعاء بولس، برياء الآخرين، فيتشاجران، ثم يفترقان إلى الأبد، فذلك هو أمر غير مفهوم البتة، لأن كليهما رسول هو تحت عناية وإرشاد «الله - الروح القدس»، حسب قولهم، لا بل ماذا أقول؟ إن «الله - الروح القدس»، وحسب النص التالي، في «أعمال الرسل» نفسه، لهو يطلب من

بعض الأنبياء [!] والمعلمين أن يُخصِّصوا له برنابا وشاول نفسيهما، ومعاً، ليكلفهما بمهمات خاصة:

١٣:١ وكان في الكنيسة التي في أنطاكية بعض الأنبياء والمعلمين، ومنهم برنابا، وشاول.

١٣:٢ وذات يوم، وهم صائمون يتعبدون للرب، قال لهم الروح القدس: «خصصوا لي برنابا وشاول لأجل العمل الذي دعوتُهما إليه».

١٣:٤ وإذ أرسل الروحُ القدس برنابا وشاول توجّها..

١٣:٥ ولما وصلا الجزيرة نزلا.. وأخذا يبشران بكلمة الله.

ثمة احتمالانِ هنا، لا ثالث لهما، وهما إمّا أن يكون «الله ـ الروح القدس» قد أخطأ في اختيار برنابا، الذي أصبح خصماً «مُرائياً» لشاول، حسب وصف الأخير، فهو من ثم ليس بإله، وإمّا أن رواية لوقا هذه كاذبة، وأن ظهور «الله ـ الروح القدس»لـ«الأنبياء» والمعلمين كان ادّعاءاً فارغاً، ويبدو من هذا النصّ أن مكانة «الرسولين» بولس وبرنابا هي أعلى من مكانة الأنبياء [ما أكثرهم آنذاك، وما أقلّ خطرهم!].

### بولس يعطي نفسه لقب «قدّيس»، بل هو أصغرُ القدّيسين

أعطى بولس نفسه لقب «قديس»، لا بل هو يصفُ نفسه بأنّه «أصغرُ القدّيسين»، وأنّه من بين جميع القدّيسين، وهو أصغرُهُم، قد وُهب نعمة «التبشير بين الأمم»، و«إنارة الجميع». يقول في سفر أفسس:

٣:٨ لي أنا أصغر جميع القديسين،
أُعطيت هذه النعمة،
أن أبشِّرَ بين الأُمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى،
٣:٩ وأُنيرُ الجميع في ما هو شركةُ السرِّ المكتوم منذ الدّهور.

### أكثرُ أنصار بولس ينفضّون عنه

لقد انفضَّ أكثر أنصاره عنه، فها هو يكتب إلى تلميذه تيموثاوس، قائلاً، في رسالته الثانية له:

١:١٥ أنت تعلم أن جميع الذين في آسيا ارتدّوا عني.
٤:٩ بادِرْ أن تجيء إليّ سريعاً،



٤:١٠ لأن ديماس قد تركني، إذ أحبَّ العالَمَ الحاضر.. وكريسكيس، وتيطُس.
٤:١١ لوقا وحدُه معي.
٤:١٤ اسكندرُ النحاس أظهر لي شُروراً كثيرة.
٤:١٦ لم يحضُرْ أحَدٌ معي، بل الجميع تركوني.

### تفاخر بولس الشديد، و«أنويّته»، و«تعاليه»
### بولس: كل من اختلف معي فهو صلف لا يفقه شيئاً

ويقول في تيموثاوس الأولى:

٦:٣ إن كان أحدٌ يُعَلِم تعليماً آخر..
٦:٤ فقد تَصَلَّف، وهو لا يفهمُ شيئاً.
٦:٥ ومنازعاتِ إناسٍ فاسدي الذهن وعادمي الحق، يظنون أن التقوى تجارة.
[تيموثاوس الأول ٦: ٣ ـ ٥]

### لا نظير لي

وتغمُرنا الدهشةُ البالغةُ عندما نُدرك كم أنّ «الأنا» هي كبيرة عند بولس، حتى إنها لتطغى على من هو غيرُه من الدّعاة، فلا يعودُ ثمة من مكان لهم، أو فرصة، فكلُّهم أنانيٌّ لا يريد إلاّ نفسه. وليس لبولس من نظيرٍ. يقول في رسالته إلى **فيليبي**:

٢:٢١ ليس لي أحدٌ نظيرُ نفسي يهتمُّ بأحوالكم بإخلاصٍ،
إذ الجميعُ يطلبون ما هو لأنفسهم،
لا ما هو ليسوع المسيح.

إنّها الذّاتُ المتضخمة التي لا ترى سوى نفسها، ولا ترضى أن ترى أحداً غيرها.

### أنا الوحيدُ الذي اؤتُمن على المسيحية الحقّة

ولننظر إلى ما وصف بولس به نفسه، بأنّه الوحيدُ الذي أؤتُمن على المسيحيةالصحيحة، في تيموثاوس:

١:١ بولُس، رسولُ يسوع المسيح، بحسب أمرِ الله مخلِّصنا، وربّنا يسوع المسيح رجائنا.

تيطس ٣:١ وإنّما أظهر [الله] كلمته في أوقاتها الخاصة، بالكرازة التي أنا اؤتمنتُ عليها، بحسب أمر مُخلِّصنا الله.

١١:١ حَسَب إنجيل مَجدِ الله المبارك الذي اؤتمنتُ أنا عليه.

وهو يصفُ كلَّ ما يخالفُ ما يقول به من تعاليم بأنّه كلامٌ باطلٌ دنس:

٢٠:٦ يا تيموثاوس، احفظ الوديعة، معرضاً عن الكلام الباطل الدنس، ومخالفات العلم الكاذب الاسم.

## بولس يُناقض نفسه ويقول بأنّ كلامه ليس بحسب الرب

١٧:١١ كورنثوس، الذي أتكلم به لست أتكلم به بحسب الرب بل كأنه في غباوة في جسارة الإفتخار هذه.

أي أنّ كلامه ليس وحياً، بل مجرّدُ «غباوة» منه.

## واجباتُ العبيد، حسب المسيحية البولسية

ويا للمسيحيّة البولسيّة من دين يكرِّسُ العبودية في أنفس المُستعبدين، إرضاءً لطبقة السادة والطبقة الحاكمة، فهم لا بُدّ أن يُطيعوهم من كل قلوبهم، وبكلِّ جوارحهم، كطاعتهم للمسيح الإله نفسه! يقول في أفسس:

٥:٦ أيها العبيدُ، أطيعوا سادتَكم حَسَبَ الجسدِ
بخوفٍ ورعدةٍ،
في بساطةِ قُلوبِكم
كما للمسيح

١:٦ لا بخدمة العين كمن يُرضي النّاس،
بل كعبيد المسيح.

لا بل إنَّ في عدم طاعة العبيد، تحت نيرٍ، لسادتهم، إنّما هو افتراءٌ على اسم الله! وتعليمه! يقول في تيموثاوس:

١:٦ جميعُ الذين هم عبيدٌ تحت نيرٍ
فليحسبوا سادتَهُم مستحقين كلَّ إكرامٍ
لئلا يُفترى على اسم الله وتعليمه!



فلا نعجبَنَّ بعد ذلك أن يرضى السّادةُ والحكّامُ عن دين بولس الجديد، فهو كان، حسب رسالته إلى تيطس:

٣:١ ذكِّرهم أن يخضعوا للرياساتِ
والسلاطين
ويُطيعوا.

## ليس للنساء أن يتكلمن، بل أن يخضعنّ

وليس مسموحاً به، عند بولس للنساء أن يتكلمن، بل أن يخضعن لأزواجهنّ، فالمطلوب من شريكة الرجل في حياته أن لا تناقشه البتّة في الأمور التي تخصّهما معاً، كيف وأنّ الرجل، حسب بولس، بالنسبة للمرأة، هو كالمسيح الإله بالنسبة للرجل؟

٢٢:٥ أفسس أيها النساءُ اخضعن لرجالكنّ كما للرّب.

٢٣:٥ لأنّ الرجل هو رأسُ المرأة كما أنّ المسيح أيضاً هو رأسُ الكنيسة [أفسس].

٣٤:١٤ لِتصمُت نساؤكُم في الكنائس، لأنّه ليس مأذوناً لهنَّ أن يتكلّمن، بل يخضعن.

٣٥:١٤ لأنّه قبيحٌ بالمرأة أن تتكلّم في الكنيسة [كورنثوس ١].

ولكن إذا كان منْعُ النساء من الكلام في الكنائس احتراماً وتقديساً لها، فلم لم يمنع بولسُ الرجال من الشيء نفسه؟

## «كان يجبُ أن تمدحوني»

ويطلب بولس من أتباعه أن يمتدحوه، لأنه، حسب كلامه، ليس أقلَّ من غيره من الرّسل الفائقين:

١١:١٢ قد صرت غبياً وأنا أفتخر. أنتم ألزمتموني لأنه كان ينبغي أن أُمدح منكم إذ لم أنقص شيئاً عن فائقي الرُّسُل [كورنثوس ٢].

٢٢:١١ أهُمْ عبرانيّون فأنا أيضاً. أهُمْ إسرائيليون فأنا أيضاً. أهُمْ نَسْلُ إبراهيم فأنا أيضاً.

٢٣:١١ أهم خُدّامُ المسيح. أقول كمختلِّ العقل. فأنا أفضلُ. في الأتعابِ أكثرُ، في الضربات أوفرُ.. [كورنثوس ٢].

٥:١١ لأنّي أحسبُ أني لم أنقُص شيئاً عن فائقي الرّسل [الرسل المتفوقين].

وادعى بولس في خطابه إلى أهل أفسس، التالي، ثم بكى الجميع [أعمال الرسل]:

٣١:٢٠ تذكروا أني، مدة ثلاث سنين، لم أتوقف ليلاً ونهاراً عن نُصح كلِّ واحدٍ منكم وأنا أذرفُ الدموع.

فهل كان ذلك حقيقياً أم تمثيلاً؟

## بولس يفضح نفسه في طلبه الفخر والمنافسة

يعترف بولس بأنّ «رسالته» ليست إلاّ لقطع الفرصة على منافسيه في أن يوجدوا، ويفتخروا كما هو يتفاخر، لا بل إنّه ليصفُهم بما لا يقلُّ عن وصف الرُّسُل الكَذَبة:

١٢:١١ ولكن ما أفعلُه سأفعلُه لأقطع فُرصَة الذين يريدون فرصةً كي يوجدوا كما نحن أيضاً في ما يفتخرون به.

١٣:١١ لأنّ مثلَ هؤلاء هم رُسُلٌ كَذَبةٌ فَعَلَةٌ ماكرون مُغيِّرون شكلهم إلى شِبْهِ رُسُل المسيح [كورنثوس ٢].

إنّه لا يريدُ بفعله إلاّ قطع الطريق على من قد يُنافسُه ويُزاحمُه من الآخرين، وأولئك هم، بحسب كلامه، الرّسلُ الكذبة الفعلة الماكرون المغيّرون شكلهم.

## قاموسُ الكتاب المقدس يعترف بتأثير الفلسفة اليونانية، والرّواقية بالذات، على بولس

ومثلما كان بولس يهودياً ملمّاً بالديانة والثقافة اليهوديتين، فلقد تأثر تأثراً شديداً بالفلسفات اليونانية، والرواقية Stoicism في مدينة طرسوس التي وُلد ونشأ فيها، والتي كانت سائدةً على عصره، بشكل خاص، وقد ظهر تأثيرُ هذه الفلسفة في كثير من تعبيرات بولس عن المبادئ المسيحية، كما ذكر قاموسُ الكتاب المقدس، في الصفحة ١٩٦ منه. ولقد كان من فلسفته أن يتلوّن بأيِّ لونٍ، ويتظاهر بأيِّ انتماء لديانةٍ، فهو لليهود يتصرفُ كيهوديٍّ، «وللذين بلا ناموس [بلا شريعة].. كأني بلا ناموسٍ [أي بلا شريعةٍ]»، وهو لا يتردّد في أن يتظاهر بالوثنية، حتى يتقرب من أتباعها. ومن كان هذا حاله



أين هو من الحكمة، والعلم، بَلْهَ الوحي الإلهيّ؟ لقد اعترف بولُس بأنّه كان يتكلم عن شخصية مريضة بحُبِّ الظهور، والترؤس، وبتأثير عظيم لكل ما أحاط به من ثقافاتٍ، ومللٍ، وظروف. وهكذا فإنّه يعترف بأنه مدينٌ للجهلاء مثلما هو مدينٌ لفلاسفةِ اليونان والحكماء.

١٤:١ إني مدينٌ لليونانيين والبرابرة، للحكماء والجهلاء [رومية].

وها هو لوقا، في «أعمال الرسل»، يخبرنا باتصال بولس بالفلاسفة الأبيقوريّين والرّواقيين:

١٨:١٧ وجرت [في أثينا] مناقشة بينه [بولس] وبين بعض الفلاسفة الأبيقوريين والرواقيين.

## الله يمتدح الحكمة، في القرآن الكريم، وبولس يذمها والله يأمرُ بالعلم، وبولس يمتدحُ الجهل

ولَشَدَّ ما امتدح المولى سبحانه، في كتابه العزيز، الحكمة، ولطالما تكلّم على إيتائه الحكمة للأصفياء من عباده، وبالخصوص أنبيائه ورسله، فقال ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً..﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وقال ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٥١]. لكنّ إله المسيحيّة، حسب بولس، يرفض حكمة الحكماء، وفهم الفهماء.

١٩:١ لأنه مكتوبٌ سأبيدُ حكمة الحكماء وأرفضُ فهم الفهماء.

٢٠:١ أين الحكيمُ. أين الكاتبُ.

أين مباحثُ هذا الدّهر. ألم يُجَهِّل اللّهُ حكمة هذا العالم [كورنثوس ١].

فإلهُ المسيحيّة يرفضُ الحكمة، ولا يقبلُ إلاّ بالجهل. لا بل إنّ هذا الإله لا يقعُ اختيارُه إلاّ على الجهلة فقط، وهو يفضّلهم على أهل الحكمة الذين يريد أن يُخزيهم:

٢٧:١ بل اختارَ الله جُهّالَ العالَمِ ليُخزِي الحُكَماء [كورنثوس ١].

هذا بينما لا يني كتابُ الله تعالى يقولُ ويكرّر: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿لعلهم يتفكرون﴾، وقد قال: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩، ٢٦٦].

ويذهبُ رسولُ المسيحية البولسية بعيداً، ليقول بأنّ إله المسيحيّة يرى أنّ الطريق الأمثل لمعرفته هو طريقُ الجَّهل والحماقة:

٢١:١ لأنه إذ كان العالمُ في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله أن يُخلِّص المؤمنين بجهالةِ الكرازة [أي بحماقة البشارة by the Foolishness of preaching]. [كورنثوس ١].

إنّ فِكر إله المسيحية عن الحكمة والحُكماء يتلخّص في أنّ الحكمة هي جهالةٌ، وأنّ أفكار الحكماء باطلة!:

١٨:٣ لا يَخْدَعَنَّ أحَدٌ نَفْسهُ. إنْ كان أحدٌ يظنٌّ أنّه حكيمٌ بينكم في هذا الدهر، فليصر جاهلاً لكي يصير حكيماً!

١٩:٣ لأنّ حكمة هذا العالم هي جهالةٌ عند الله، لأنه مكتوب: الآخِذ الحُكماء بمكرِهِم.

٢٠:٣ وأيضاً: الرّبُّ يَعلَمُ أفكار الحكماء أنّها باطلة [كورنثوس ١].

## رسائلُ بولس

تناول العديد من الأبحاث الحديثة رسائل بولس وخُطبهُ، من أمثال روبير آمبلان، وجونتر بورنكام، وأنطوني نيريل هانسن، وهيام ماكوبي، وألبير شفايتزر، وخوان لويس سجوندو، وغيرهم، وجميعُهم يلتقون في دهشةٍ واحدة على حدِّ قول ج. أ. ويلز، ناجمةٍ عن:

أنَّ الرسائل والخُطَب لا تذكرُ أيَّ شيءٍ على الإطلاق عن حياة يسوع: لا تاريخ أو مكان ميلاده ولا محاكمته، ولا شيء عن القدس بصفتها المكان الذي «صُلب» فيه. كما أنها لا تتحدّثُ على يوحنا المعمّدان، ولا يهوذا، ولا تنكُر بطرس له، والذي لا يتحرّجُ بولسُ من اتهامه باللؤم.. بل لا تقول شيئاً عن أنَّ يسوع قد «قُتِل».

إنّ كلَّ المادة الأساسية التاريخية للأناجيل، المعتمدة منها أو المستبعدة، قد أُفرغت ببساطة، بما في ذلك المعجزات التي قام بها يسوع. إنّ يسوع في تبشير بولس ينتقل إلى مستوى التجريد، بل أنّ



المرءَ لا يلحظُ منها أنّ يسوع كان معلّماً أخلاقياً، وأنّ علم أخلاق بولس ومفاهيمه هي التي تسيطرُ بدلاً عن تعاليم يسوع[١].

## دَوْرُ بولس في العهد الجديد

حتى نتعرّف على الدّور الكبير والخطير الذي لعبه بولسُ في تكوين العهد الجديد، يَحسُنُ بنا أن نُجمِلَ تركيبتَه، في إلمامةٍ سريعةٍ. يتكوّنُ العهدُ الجديد من ٢٧ سِفراً، ويُمكنُ أن نقسّمها إلى ثلاثة أقسام:

١ - قسم **«الأسفار التاريخية»**، وهو يشمل:

(أ) الأناجيل الأربعة (متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا).

(ب) ثم رسالة أعمال الرسل، للوقا.

وسُميّت هذه الأسفار الخمسة بالأسفار التاريخية، لأنّها تحوي قصصاً تاريخية. فالأناجيلُ تروي قصة حياة عيسى، وتاريخه، وعظاتِه، ومعجزاته، وهي أساسيّةٌ في المعتقد المسيحيّ. وأمّارسالةُ أعمال الرُّسُل فهي تحوي قصّة حياة معلّمي المسيحية، وبخاصةٍ بولس، فلقد كرَّسَ قُرابة نصفها للحديث عن حياته ومهمّاته التبشيرية.

٢ - قسمُ **«الأسفار التعليمية»**، وهو يشتمل على ٢١ رسالة Epistles، وهي كالآتي:

١٤ رسالة من كتابة بولس.

٣ رسائل من كتابة يوحنا.

٢ رسالتان من كتابة بطرس.

١ رسالة واحدة من كتابة يعقوب.

١ رسالة من كتابة يهوذا.

وتقول دائرة المعارف الفرنسية[٢] إنّ هذه المصادر، بقسميْها، هي مِن عمل بولس أو من عمل أتباعه، وليست الأسماءُ الموضوعة عليها إلاّ أسماءً مستعارةً وغير حقيقية.

---

(١) تنصير العالم، د. زينب عبد العزيز، أستاذ الحضارة ورئيس القسم الفرنسي بكلية الآداب - جامعة المنوفية، دار الوفاء، المنصورة (١٩٩٥)، ص٦٠.

(٢) ج٥ ص١١٧.

## خمسةُ أسداس رسائل العهد الجديد هي من كتابة بولس

وهكذا يتّضحُ لنا أنّ أكثر رسائل العهد الجديد إنّما هي من كتابة بولس، وبالتالي فهو واضعُ أكثر التشريعات المسيحية، فلقد كتب بولسُ أربع عشرة رسالةً، هي وحدها تُمثِّلُ، في حجمها، خمسةَ أسداسِ الرسائلِ جميعاً. وأمّا ما ورد من التشريعات، في الرسائل الأخرى، فهي ليست إلاّ تكراراً وصدىً لآراء بولسَ وتشريعاته.

٣ - وأمّا القسم الثالث فهو «رؤيا يوحنّا اللاهوتي»(١)، وهي تتضمنُ نبوّاتٍ «لِما كان وسوف يكون»، ويختلفُ الكثيرون في تفسيرها، وهي أقربُ إلى الأساطير والخرافات.

وتقولُ موسوعة ويكيبيديا:

بالمحصِّلةِ، فإنّ حوالى نصفَ كتاب العهد الجديد قد تمت كتابتُه بين بولس وبين أشخاصٍ تأثروا بفكر وكرازة هذا الأخير.

وبولسُ هو الذي أوصى بما نراه اليوم في الكنائس من التسابيح، والأغاني الروحية، والمزامير والتراتيل، وذلك كلّه يشهد لأثرِ بولس العظيم على المسيحية الحاضرة:

مكلِّمين بَعْضَكُم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحيةٍ، مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب [أفسس ٥:١٩].

لقد اعترف بولسُ بأنّه لم يكن يتكلمُ عن وحيٍ جاء إليه من السماء، وإذ كوّنت رسائلُ بولس خمسة أسداس رسائل العهد الجديد، ونحواً من نصف محتوياته، فإنّ بولس هو الذي قرّر أُلوهيةَ المسيح، وهو الذي قال بالمسيح ابناً لله، والثالوث، والخطيئة الأصلية، والفداء، والصليب، وإلى ما هنالك. لقد صارت المسيحية التي تُنسبُ إلى السيد المسيح بالإسم مسيحية بولس لا مسيحية المسيح.

ولمّا كانت المسيحيةُ، في شكلها الحالي، قد شكّلتها قراراتُ المجامع الكنسية، مستندةً في ذلك إلى رسائل بولس، فلا غرابة أن قد صار من العادة

(١) جاء عن يوحنا هذا بأنّه يوحنا بن زبدي، وهو غير يوحنا الذي يُنسب إليه إنجيلُ يوحنا.



أن يُطلق عليها اسمُ «مسيحية بولس»، وليس «مسيحية المسيح». ولا غرابة أن يحذِّر السيّد المسيح قومه من الأنبياء الكذبة الذين سيأتون مَن يخاطبهم، والذين يأتونهم بثياب الحُملان، حسب إنجيل متى:

١٥:٧ احترزوا من الأنبياء الكَذَبة الذينم يأتونكم بثياب الحُمْلانِ، ولكنهم من داخلٍ ذئابٌ خاطفة!

١٦:٧ مِن ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنباً، أو من الحَسَك تيناً؟

١٧:٧ هكذا كلُّ شجرةٍ جيدة تصنعُ أثماراً جيدة، وأمّا الشجرةُ الرديّة فتصنع أثماراً رديّة.

وليس ذلك ما ينطبق على أحدٍ، كانطباقه على «بولس الرسول»، من خلال أعماله وأقواله ذاتها.

ويقول في ذلك الدكتور محمد الحسيني إسماعيل(١):

١ - كيف ساغ لرجال الدين المسيحيِّ القيامُ بضمِّ تفاسير بولس (أي رسائل بولس) إلى الأناجيل (هذا بغضِّ النظر عن صحّتها)، واعتبار هذه التفاسير (أي الرسائل) جزءاً مكمّلاً أو متمّماً للديانة المسيحية نفسها؟

٢ - كيف ساغ لرجال الدين المسيحي اعتبارُ رؤية بولس للمسيحية هي الرؤيةُ الوحيدةُ والصحيحة للديانة المسيحية، وفرضُها على الجميع بالقوة (وهي الرؤيةُ التي شكّلت الدّيانة المسيحية فيما بعدُ). بل وحَرَمَتْ هذه الرؤيةُ الآخرين من رؤية المسيح على حقيقته؟

## العهدُ الجديد، أكثرهُ لبولسَ

ومِن غرابةٍ أنّ أكثر ما في العهد الجديد من كلام مباشر صدر عن صاحبه، ليس هو يعود إلى السيّد المسيح (ع)، بل هو يعود إلى بولس. وهو شيءٌ يعكس الأثر العظيم الذي ترك بولسُ في المسيحية الحاضرة. بل ماذا أقولُ؟ لقد صار المسيح، بجنب بولس، أثراً باهتاً. إنّ بصمة بولس، في

(١) الحوار الخفي، الدين الإسلامي في كليات اللاهوت، د.م. محمد الحسيني إسماعيل، مكتبة وهبة، القاهرة، ص ١٢٤.

المسيحية الراهنة، قد غطّت على بصمة المسيح. وإذ قد نَقَلَتْ رسائلُ بولس الإثنتا عشر كلام بولس المنمّق، والمخادع، بصورةٍ مباشرة، فإننا لا نجد في الأناجيل الأربعة إلاّ صدى باهتاً، ومتهافتاً، عمّا قيل بأنه قد صدر عن المسيح (ع)، بعد زمن متطاولٍ من رحيله. إنّ العهد الجديد لهو يعكسُ، وإلى حدٍّ بعيدٍ، في محتواه وتوازناته ما للمسيح وما لبولس في المسيحية الحاضرة، ومِن أسىً عميق أنَّ ما للثاني قد طغى، وبشكل عظيم على ما للأوّل، حتى هو غطّاهُ بحجابٍ كثيفٍ سُداهُ ولحمتُه العقيدةُ البولسية البشرية، لا العقيدةُ المسيحية المنزّلة على السيد المسيح (ع) من ربِّ العالمين.



## المسيحيّةُ البولسيّة

وأما وقد غطّى تأثيرُ العقائد البولسية العظيمُ على تعليمات السيد المسيح، في المسيحية الحاضرة، فلقد صار المؤرخون والباحثون يستخدمون مُصطلح «المسيحية البولسيّة» Pauline Christianity، منذ أوائل القرن ٢٠ للإشارة إلى المسيحية المترافقة مع المعتقدات والعقائد التي قال بها بولس من خلال رسائله. وكان بولسُ نفسُه يُطلِقُ على معتقداتِه تلك إسم «الإنجيل»، إنجيل بولس، فالمسيحيةُ البولسية تُشيرُ إلى تعاليم وعقائد بولس في كتاباته.

**والمسيحيةُ الأصولية** Fundamentalist Christianity تعتمدُ بشدّةٍ على تعاليم بولسَ وتعتبرُها توسيعاتٍ وشروحاً لتعاليم المسيح، مثلما اعتمدتْها الحركاتُ البروتستانتية، فالأمرُ هو هكذا:

بولس ← البروتستانتية ← الأُصولية (وهي بروتستانتيةُ الإتّجاه)

فمن دعائم المعتقد البروتستانتي التفسيرُ الحرفيّ للنصوص، والالتزام بها، والتي هي وكما يتبيّنُ لنا من بحثنا بولسيةٌ في الأساس. وأمّا الأصوليةُ Fundamentalism فهي تُعرَّفُ بأنها «نزعةٌ لاهوتيةٌ تهدف إلى المحافظة على ما يُعتَقَد بأنّها العقائدُ الأساسية «الأصول» 'Essential doctrines Fundamentals' للديانة». وهذا المصطلحُ قد استخدمتْهُ حركةُ البروتستانتِ المُحافظةُ في الولايات المتحدة، لأوّلِ مرّة، في عشرينات القرن ٢٠، ويتميّزُ هذا المعتقد بالتفسير الحرفيّ للكتاب المقدّس، وهو يضُمُّ بصورةٍ عامّةٍ كلَّ لاهوتٍ مُعارضٍ للتحرّر Liberalism.

والتزامُ البروتستانتية بالنصوص المسيحية المقدسة؛ وهي إمّا أن تكون نصوصاً لبولس (في رسائله الأربع عشرة) أو متأثّرةً بها أشدّ التأثّر (كما هو حالُ الأناجيل المتوافقة الأربعة التي كتبت بعد عهد كتابة بولس لرسائله)؛ قد أعاق البروتستانتية عن إجراء أيِّ إصلاحٍ حقيقيٍّ في المسيحية

إلاّ أنّ فِرَقاً مسيحيةً عديدة تختلفُ مع النظرة الأُصولية هذه إلى تعاليم

بولس، فهي ترى فيها شكلاً مختلفاً عن تعاليم المسيح الأصلية التي جاءت في الأناجيل القانونية وأوائل سِفر أعمال الرسل ورسائل أخرى كرسالة «يعقوب الرسول» The Epistle of James، الذي هو أخو المسيح، والذي يُشيرُ «إنجيلُ توماس» إلى أنّ السيّد المسيح قد اعتبرَه أعظم وأكبرَ تلاميذه على الإطلاق.

ولقد انتشر مصطلحُ «المسيحية البولسية» كثيراً، وهو مبنيٌّ على حقيقة أنّ شكل الإيمان الموجود في كتابات بولس هو مختلفٌ عما هو موجود في بقيّة العهد الجديد، إضافةً إلى حقيقة أنّ التأثير البولسيَّ قد ساد على غيره من المعتقدات.

ومن مُناصري بولس مارسيونُ Marcion، ذلك اللاهوتيُّ الذي يعود إلى القرن ٢ الميلادي، والذي اعتُبر مُهَرطِقاً إذ هو اعتبرَ أنّ بولس هو الرسول الوحيدُ للمسيح الذي فهمَ بحقٍّ رسالة الخلاص الجديدة كما سلَّمها المسيحُ.

وإذ انزوى أو طُمِسَ أثَرُ مُعظم أو كلِّ تلاميذ المسيح الذين عاصروه وهو اختارهم بنفسه، إلى زوايا النسيان، بسبب حملات بولس المركّزة والعنيفة ضدّهم، حتى أنّه وصفهم في رسائله بالكَذَبَة، وبأنهم «رُسُل الشيطان»، فلقد وقف الكثيرون ضده، وفي مقدمتهم الأبيونيون The Ebionites وطائفةُ «النصارى» Nazarenes والغنوسطيون Gnostics، ويُظهِرُ عددٌ كبير من النصوص غير القانونية Non-canonical texts، والتي اكتُشف بعضُها خلال المائة سنة الأخيرة، أنّ ثمة حركاتٍ وتفرّعات للفكر كثيرة نشأت عن تعاليم المسيح، وكان الكثيرُ منها مُضاداً لفكر بولس.

ويشهَدُ للاختلافات والصّراعات العنيفة التي أثارتْها عقائدُ بولس الغريبة اعترافُه هو بذلك، وكما جاء في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، مثلاً:

١٠:١ ولكنّني أطلبُ إليكم أيها الإخوةُ، باسم ربِّنا يسوع المسيح، أن تقولوا جميعكم قولاً واحداً، ولا يكون بينكم انشقاقات، بل كونوا كاملين في فكرٍ واحدٍ ورأيٍ واحد.



١١:١ لأنّي أُخبِرتُ عنكم يا إخوتي من أهل خَلُوْيَ أنّ بينكم خصوماتٍ.

١٣:١ هل انقسمَ المسيح؟..

لا بل إنّ بولس ليعترف في رسالته ذاتها بأنّ الناس قد رأوا في رُسُل المسيح المختلفين تعاليم مختلفة.

وينظرُ آيزمان Robert Eisman إلى المسيحية البولسية على أنها وسيلةٌ اعتمدها بولسُ لتدجين طائفةٍ من اليهود الراديكاليين وجعلِها مقبولةً للسلطات الرومانية، حيث أنّ المسيحية البولسية قد أنبَتَت بالضرورة على روما.

وثمةَ ما يُعرف بالإستخدام «الإزدرائي» لمصطلح المسيحية البولسية، باعتبار أنّ بولس ومُسانديه الذين شكّلوا مجموعةً منفصلةً ومتميّزةً عن غيرهم كان لهم تأثيرٌ عظيم على تكوين وتشكيل لائحة الأسفارِ المعترف بأنها تؤلّفُ الكتاب المقدّس Canon of Scriptures، وأنّ بعضاً من الأساقفة، وخُصوصاً أُسقُف روما، قد أثّروا على النقاشات التي كانت جاريةً آنذاك، والتي تمَّ من خلالها إنتاج الأفكار الجَزمية (الدوغماتية)[1] المعروفة بالعقائد Creeds، وهكذا هي ضَمَنَتْ فهماً بولسيّاً للعهد الجديد.

وتستندُ هذه النظرة «الإزدرائية» إلى المسيحية البولسية إلى أمرَيْن اثنين، أوّلُهما الإختلافاتُ ما بين آراء بولس وبين تلاميذ المسيح في أورشليم، وثانيهما الإختلافُ في صورة بولس نفسِه ما بين سِفر أعمال الرُسل وبين كتاباته هو، حيث يقولُ أصحابُ هذه النظرة أنّ خصائص العهد الجديد اليهودية الضرورية قد تمّ القضاءُ عليها.

ويعتقدُ الثائرون على المسيحية، أمثالُ ليو تولستوي وآمون هيناسي Ammon Hennancy (١٨٩٣ - ١٩٧٠)، أنّ بولس قد شوَّهَ تعاليم المسيح، ويقول تولستوي[2] إنّ بولس كان له دورٌ بارز في انحراف الكنيسة عن

(١) الدوغماتية Dogmatism: الجزّمية، توكيدُ الرأي أو القطعُ به مِن غير بيّنةٍ أو دليلٍ كافٍ.

(٢) Tolstoy, Leo (1882). Church and State. "This deviation begins from the times of the Apostles and especially from that hankerer after mastership Paul".

تعاليم وممارسات المسيح، بينما يعتقدُ هينانسي، أنّ بولس قد دمّر رسالة المسيح[1]، واستناداً إلى توم أوغولو Tom O'Golo، فإنّ الأبيونيّين اعتقدوا بأنّ بولس كان رسولاً مزيّفاً لم تكنْ مهمّته تحويلُ الرومانيين إلى مسيحيين، بل تحويل المسيحيين إلى رومان[2]. وأمّا إرينايوسُ Irenaeus، أسقفُ ليون، فلقد كتب في النصف ٢ من القرن ٢ بأنّ الأبيونيّين رفضوا بولس باعتباره مرتدّاً عن الشريعة Apostate from the law، وقد استند إرينايوسُ في ذلك إلى نسخة من إنجيل يُعزى إلى متّى يُعرفُ باسم إنجيل الأبيونيّين.

وقد عدَّد أوغولو عدّة عناصر أساسيّةٍ أضافها بولسُ إلى اللاّهوت المسيحيّ، ولم تكن موجودةً في المسيحيّة الأصلية، ومنها:

١- الخطيئة الأصلية.

٢ - جَعلُ اليهود أوغاداً.

٣ - جعلُ المسيح إلهاً.

٤ - استحالةُ الخبز والنبيذ إلى جسد ودم المسيح الفعليّيْن.

٥ - النظرُ إلى موت المسيح باعتباره تكفيراً عن الخطيئة البشريّة.

٦ - توسيعُ فكرة الناس المختارين لتشملَ كُلّ من اعتقدَ المسيحَ مُخَلِّصاً.

٧ - جعلُ الخلاص قضيّةً تتعلّقُ بالإيمان بيسوع، ومن دون أيِّ اعتبارٍ تقريباً للتوراة.

٨ - تأسيسُ تسلسلُ هرميّ (تَدَرُّج رُتَبيٍّ) لإيجاد كنيسةٍ والسيطرة عليها، وما هو أهمُّ من ذلك ابتداعُ معتقداتِ أعضائها، والسيطرةُ عليهم.

ويقول بور F.C. Baur، وهو لاهوتيٌّ ينتمي إلى القرن ١٩، إنّ بولس قد عارض تلاميذ المسيح بكلّ ما في الكلمة من معنىً، بانياً رأيه على أنّ سِفر أعمال الرُّسل الذي سردَ حياة وأعمال بولسَ قد كان مؤلَّفاً مُتأخِّراً وغير موثوق، كما يقولُ بأنّ المسيحية الكاثوليكية كانت صناعةً لآراء بولس وتهويد المسيح في أورشليم. لقد حوّلَ بولسُ الداعيةَ اليهوديّ إلى ابنٍ لله.

---

(١) Hennacy, Ammon (1970). The Book of Ammon. Hennacy. p.475. "Paul and the Churches'.

(٢) Tom O'Golo (2011). Christ? no! Jesus? Yes!: A radical reappraisal of a very important life p.81.



وبينما كُتُبَ جُلُّ العهد الجديد من وجهة نظرٍ بولسيّةٍ بحتة، فإنّ مُعظم ما فيه هو رسائلُ لبولس نفسه، ذلك الرجلُ الذي لم يرَ المسيح ولم يكن من حواريّيه، والذي ما ادَّخرَ وسعاً في اضطهاد المسيحيين أشدَّ اضطهادٍ، هذا بينما قد غَيّبتِ الأناجيلُ الأربعةُ تغييباً شبه تامٍّ أيّةَ تفاصيل عن حياة المسيح منذ ولايته وحتى رسالته وقد نوّف على الثلاثين كما قيل، باستثناء إشارة واحدة يتيمة إليه عندما وُجد وهو يتكلّمُ بين الناس بعمرِ اثني عشر عاماً.

ويتعجّبُ الكاتب والأديب والفيلسوف اللبناني ميخائيل نعيمة، في كتابه «من وحي المسيح»[1]، من ذلك، فيقول:

يؤخذ من كلام لوقا في افتتاح إنجيله أن الذين كتبوا عنك [عن المسيح] كانوا كثيرين:

«لمّا أن أخذ كثيرٌ من الناس يدوّنون رواية الأحداث التي جرت بيننا، كما نقل إلينا الذين كانوا منذ البدء شهودَ عيانٍ للكلمة ثمّ صاروا عاملين لها، رأيتُ أنا أيضاً، وقد تتبّعتُها كلّها من أصولها غاية التتبّع، أن أكتبَها لك مُرتّبَةً يا ثاوفيلسُ المكرّم لتتيقّن صحّة ما تلقّيت من تعليم».

أوليسَ يعني ذلك أنّ الذي كُتب عنك، حتى في ذلك الزمان السّحيق، كان أكثر بكثير من الأناجيل الأربعة التي وصلتنا؟ فكيف انطمس بل كيف طُمِس؟

ويستطردُ نعيمةُ في تساؤلاته المُلِحّة عن أسباب غياب الكثير الكثير عن حياة المسيح وأفعاله في الأناجيل، فلا يسعُنا مع تلك التساؤلات إلاّ أن نتذكّر جعجعةَ بولسَ المتكررة وافتخاره بأعماله، ونضالاته، وآلامه، ومعاناته، وأخيراً وليس آخراً اتصال «الرّب» به، بل وظهوره له، باعتباره رسوله الوحيد المؤتَمن إلى الناس والتي لطالما أكدّ بولسُ أنه لم يأخذ رسالته تلك من إنسانٍ قطُّ، حتى ولا من «رُسُلِ» المسيح أنفسهم، وذلك هو ما يتكرّرُ في رسائل بولس مثلما هو يتكرّرُ في «أعمال الرسل» التي كتبها صديقُه الحميمُ لوقا، والذي يُنسَب له أيضاً الإنجيلُ المسمّى باسمه. يقول نعيمة، مخاطباً السيد المسيح:

---

(١) «من وحي المسيح»، ميخائيل نعيمة، مؤسسة نوفل - بيروت، ط٢ (١٩٨٧)، ص٩-١٠.

والغريبُ في أمرِ ولادتِكَ من عذراءَ أنّك لم تأتِ على ذِكرِها ولو مرّةً واحدة في حياتك. ولا جاء على ذكرها أيٌّ من تلاميذك الإثني عشر في خلال حياتهم معك. ولو أنّ جيران مريم في الناصرة صدّقوا حكايتها لانتشر الخبرُ بسرعة البرق لا في الناصرة وحدها، بل في الجليل كلّه وفي اليهودية كلّها، ولكانت تلك الولادةُ خير السلاح في يدك وأيدي تلاميذك ضدَّ الذين شكّكوا في أنك المسيحُ المنتظر.

ها هو يوحّنا يُحدِّثُ عن اللّغطِ الذي قام بين اليهود إذ سمعوك ذات مرّةٍ، فراح بعضهم يقولُ إنك المسيحُ فينكر البعضُ الآخرُ قولَه بحُجَّةِ أنّ المسيح لا يأتي من الجليل، بل من نسلِ داود ومن عذراءَ وفي بيت لحم. لقد كانت هذه سانحةً فريدةً لك لتؤكِّدَ لهم أنك وُلدتَ من نسل داود، ومن عذراء، وفي بيت لحم. ولكنّك لم تفعل شيئاً من ذلك.

وها هو لوقا يروي لنا عن زيارةٍ قُمتَ بها للناصرة، وعن العِظَة البليغة التي ألقيتها في المجمّع هناك فأدهشتِ السامعين إلى حدِّ أن راحوا يتهامسون فيما بينهم: «أما هو ابنُ يوسف؟». لم يقولوا «ابنُ مريم» بل «ابنَ يوسف». هكذا كان يعتبرُك أهل المدينة التي عشت فيها طفولتك وقسماً من صباك. فما سفّهتهُم أنت، ولا سَفَّهَتْهُم أمُّك، ولا سفّهَهُم يوسُف. وكاد الناسُ هناك يقذفون بك مِن رأس الجبل لولا أنّك أحسنتَ التملّص منهم.

ثم ها هو متّى نفسُه في بدءِ إنجيله يَرُدُّ نَسَبَك إلى يوسفَ ناسياً أنك، حسب قوله، لم تأتِ من صُلْبِ يوسُفَ، بل من الروح القدس.

لقد حاولتُ أن أقَعَ في الأناجيل الأربعة على ما أشْتَمُّ منه أنّ لأمّك في قلبك مِن المكانةِ فوق التي لسائر الأمّهات، على الإجمالِ، في قلوب أبنائهنّ. فإذا بي أسمعُك تُخاطبها في عُرْس قانا الجليل بقولك:

«مالي ولك أيّتها المرأة؟ لم تأتِ ساعتي بعدُ». وكانت خمرةُ العُرْس قد نَفَدَتْ. وكانت أمُّك تعلمُ عِلم اليقين أنّ في استطاعتك تحويل الماء إلى خمرٍ. وذلك لكثرة الخوارق المذهلة التي أجريْتَها من قَبْلُ على مرأىً منها. وقد شاقها أن تعتزَّ بك وبمقدرتك. لذلك، وبرغمِ جوابك



الجّافِّ لها، قالت للخدم: «افعلوا ما يأمرُكم به».

وبينما يُسرِفُ العهدُ الجديد في تِعدادِ أعمالِ ومآثر ومفاخِرِ بولس، سواءً على لسانه هو أو لسانِ صاحبِهِ لوقا، ها هو نعيمة يتساءلُ:

هناك فترةٌ طويلة من حياة يسوع على الأرض تمتدُّ بين الثانية عشرة من عمره وحتى الثلاثين سكتَت عنها الأناجيلُ الأربعةُ سكوتاً مُطبِقاً. وقد انفردَ لوقا بالإشارة إليها إشارةً خاطفة لا تَنْقَعُ غِلّة سائل. فمن بعدِ أن روى حكاية الصبيِّ يسوعَ وتفتيش والديه عنهُ، ثم عثورهما عليه في الهيكل، ثم عودتِهما به إلى الناصرة، اكتفى بالقول إنّه - أي الصبيُّ «كان يتسامى في الحكمة والقامة والخطوة عند الله والناس».

أوَليسَ مِن المُحيِّر حقّاً أن يهتمَّ اثنان من الإنجيليّين - متّى ولوقا - ببعض التفاصيل عن ولادة يسوع وطفولتِه وأن تتجاهل الأناجيلُ الأربعةُ كلَّ التجاهل ثماني عشرة سنةً من عمره، وهي السنواتُ التي فيها اكتملت رجولتُه، ونضجت رسالته فانطلق يُذيعها بين الناس؟

إذن أين كان يسوع بين الثانية عشرة والثلاثين من عمره؟

# عقيدةُ «التبرير بالإيمان»، أو «السولا فايدي» من بولس إلى مارتن لوثر

قام مارتن لوثر Martin Luther (١٤٨٣ - ١٥٤٦) الراهبُ الألمانيّ بتزعُّم حركة الإصلاح البروتستانتيّ في ألمانيا، والتي امتدّت إلى الأقطار الأوروبية الأخرى. وقد قام لوثر بصكِّ مصطلحٍ هو غايةٌ في الأهمية، وهو الـ«سولا فايدي» Sola fide، وهي كلمةٌ لاتينيةٌ تعني حرفياً (بالإيمان وحدِه) By faith alone، أو بمعنىً أدقّ (التبريرُ بالإيمان وحدِه) Justification by faith alone، وسنبيِّنُ في هذا الفصل ماهيّةَ هذه العقيدة وأصلَها البولسيَّ الصِّرف.

لقد ظهرتْ حركةُ الإصلاح البروتستانتيّ Protestant Reformation، على يد لوثر، عام ١٥١٧، كردِّ فعلٍ مباشرٍ على بيع صكوك الغفران Indulgences من قِبَل كهنةِ الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وقد تبعه جون كالڤن John Calvin في فرنسا ثم في سويسرا، وزوينغلي Zwingli في سويسرا. وكانت الكنيسةُ تَمنحُ صُكوكَ الغفران هذه مُقابِلَ مبالغَ مادية تُدفع إلى الكنيسة، فتخلّصُ دافعَها من العقاب الأبديّ في الآخرة، اعتماداً على تكأة ما وُصف من تضحية المسيح، «ابن الله»، والله المتجسّد على الصليب وقيامهِ من الموت. وكانت صكوكُ الغفران من أهمِّ الأسباب التي أثارها لوثرُ وغيره من المصلحين البروتستانت في حملاتِهم الشعواءِ على الكنيسة الكاثوليكية التي كانت مستعدّةً للعفو عن أي جُرْمٍ يقترفُه الإنسانُ، عفواً في الآخرة - مِن الله! -، مُقابلَ المال.

أنكرَ لوثرُ وغيره من الإصلاحيّين على الكنيسة الكاثوليكية عملية إصدار صكوك الغفران تلك، وانتهت تلك الحملات ببروز طائفة ثالثة غير طائفتي الكاثوليك والأرثوذكس، وهي طائفةُ البروتستانت، وحقَّ لهم أن يُنكروا، استناداً إلى قانون العدل الإلهي، والحساب والعقاب، في أنّ الإنسان مُحاسَبٌ على كلِّ أعماله، صغيرةً كانت أو كبيرة، وهو يُجازي أو يُعاقب بحسبِها، وذلك هو الوزنُ العدل. وإذْ طَمح أولئك إلى إصلاح المسيحية وتنقيتها ممّا أصابها من أدرانٍ وأوضار، فلقد فشلتِ البروتستانتية فشلاً



ذريعاً في إنقاذ المسيحية وانتشالها من الوهدة التي وقعت فيها فأضاعت معالمها التوحيدية، وصارت ديانةً شِركيّة وثنية في معتقداتها وطقوسها.

وإذ أنكرَ لوثرُ الغفرانَ الكَنَسيَّ الكاثوليكي لذنوب الإنسان، وهو شيءٌ مكافئٌ لإفلاته من الحساب والجزاء الإلهيّين، فلقد وقع في المَطَبِّ نفسه، إذ كانت الكاثوليكيةُ، رغم كلِّ شيء، وكما يشهد بذلك المؤرخون، قد تغلغلت في أعماق نفس لوثر بما لم يملك منه فكاكاً حقيقياً[1].

ولقد ظلّ الإصلاحيون، أمثالُ لوثر، وكالڤن، وزوينغلي، أُسارى للمسيحية البولسية، لا يملكون منها فكاكاً. وكان أقصى ما أمكن لهم أن يفزعوا إليه، في وجه الممارسات الكنسية غير المعقولة، هو أن يدعوا للالتزام الحرفيّ بالنصوص الدينية[2] Authority of Scripture، ولكنّ ذلك لم يكن مؤداهُ إلاّ الالتزامُ التامُّ بكلِّ ما جاء به بولسُ من تحريفٍ وتشويه.

وبدلاً من أن يُخلّص لوثرُ المسيحيةَ من أوضار التثليث، وتجسُّد الإله، وعقيدة «المسيح الإله الابن»، وغيرها من الأوضار، فلقد اتّجه اتجاهاً غريباً بالإعلان عن التزامه بالنصوص المسيحية، وهي نصوصٌ بولسيّة الهوى إن لم يكن معظمُها نصوصاً بولسية صِرفة، والتي هيمنت روحُها على كَتَبة العهد الجديد، بفعل أنَّ رسائل بولس قد كُتبت، وكما هو معروف، قبل كتابة الأناجيل الأربعة المعروفة.

ولقد ذكرْنا في فصولٍ سابقةٍ أنّ بولس هو واضعُ عقيدة أنّ الإيمان بالمسيح إلهاً وابناً للإله، بل وإلهاً متجسداً في الوقت ذاته، صُلب ومات من أجل خلاص البشرية من خطاياها، هو وحدُه الذي يخلِّصُ الإنسان، وبه

(١) يتجلى ذلك، مثلاً، في قول الكنيسة الكاثوليكية باستحالة Transubstantiation الخبز والنبيذ، المتناولَيْن في العشاء الرباني، أثناء «القداس» ، إلى جسد ودم المسيح، حقاً وصدقاً. ولم يتمكن لوثر من تخليص نفسه من هذا الشِّرك الكاثوليكي الوثني، فلم يمكن له أن يخرج سوى بالقول إن جسد المسيح ودمه يحلاّن حلولاً في الخبز والنبيذ Sacremental presence (Consubstantiation)، فيتحول الأخيران، إلى جسد، ودمه، وهي ليست إلا تحويراً بسيطاً في معتقد العشاء الرباني الكاثوليكي.

(٢) وهذه ركيزةٌ ثانيةٌ من ركائز البروتستانتية التي تُضافُ إلى الركيزة الأخرى، وهي عقيدةُ «السولافايدي»، أو «التبرير بالإيمان وحدِه». وهذه النقطةُ بذاتِها، أي الإعلانُ عن الإلتزام الكلّي بالنصوص، لا شكَّ أنها كانت تشكِّلُ حمايةً للوثر من مُنتقديه الأشدّاء، ولكنه جعله مكتوف اليدين أمام أيِّ إصلاحٍ حقيقيّ في المسيحية.

وحده تتمُّ مغفرةُ الله لكلِّ إنسان عن خطاياه، وعن خطايا آدم الأبديّة، من دون حاجة إلى العمل الصالح، باتّباع أوامر الشريعة ونواهيها (الشريعة هي الناموس في الكتاب المقدس). وبذلك فلقد قام بولس بعمليةٍ مزدوجة خطيرة، فهو قد طوّح بشريعة التوراة من جانبٍ، وحرّف المسيحية وهي الدينُ السماويّ التوحيديّ، وحوّلها إلى ديانة شركيةٍ وثنية خُرافية بائسة من جانب آخر. فهو إذ صَبَأ من اليهودية إلى المسيحية التي ادّعاها، قد أنكر اليهودية، ثم هو سرعان ما طوّح بالعقيدة المسيحية التوحيدية الحقيقية، فسدّد بذلك ضربتين ماحقتين لكلتا الديانتين. ولئن ظلَّ اليهودُ على ديانتهم اليهودية التي عرفوها من خلال النصوص اليهودية المقدسة التي أطلق عليها المسيحيون اسم «العهد القديم»[1]، إلاّ أنهم أنكروا كَوْن عيسى (ع) هو المسيحُ الموعود، مثلما أنكروا رسالته. وأمّا المتنصِّرون من الناس، والأجيال التالية لهم، فلقد أمسكتِ المسيحيةُ البولسية Pauline Christianity بتلابيبهم، فلم يكد أن ينجو من براثنها أحدٌ. واسم المسيحية البولسية ليس هو من عندنا، بل هو معروف ومشهورٌ في الأدب المسيحيّ، وبذلك فلقد قضى بولس على جوهر المسيحية، بل وجوهر الدين كله، مثلما هو طَوَّحَ بالتوراة عقيدةً وشريعة، وضرب بها عَرض الحائط، ولكنَّ تأثير بولس المدمِّر في العقيدة الإيمانية قد فاق تأثيرَه التخريبيّ في عدم الإلتزام بالشريعة، على أهمية الأخيرة البالغة.

ولنتذكر أنّ وصايا التوراة العشر، باستثناء الوصيّة الأولى التي تأمُر بالتوحيد «لا يكن له آلهةٌ أخرى»، تتعلّق جميعاً بأوامر تخصُّ سلوك الإنسان اليوميّ مع أخيه الإنسان، مِن مثل قول: لا تقتل! لا تزنِ! لا تسرق! ولكن، وحسب تعاليم بولس المبثوثة في رسائله، فإنّ الله يغفرُ للمذنبين الخاطئين، ومهما ارتكبوا من سيئات وامتنعوا عن فعل الصالحات، من خلال إيمانهم بالمسيح على الوجه الذي ذكرناه.

(١) أطلق المسيحيون اسم «العهد الجديد» New Testament على النصوص اليهوديّة المقدّسة، وأمّا اليهود فإنّهم لا يعرفونها بهذا الاسم، بل هي تُعرف عندهم باسم «التاناخ» Tanach، كما تُعرف الأسفارُ الخمسةُ الأولى منها باسم «التوراة»، وقد يُطلق الأخير، تجوّزاً، على «التاناخ» كلّه. والمسيحيّون يعتبرون أنّ مجيء المسيح (ع) قد شكّل عهداً جديداً ألغى «العهد القديم»، عهد الله مع اليهود.



وكذلك فلقد قال لوثر، في دعوته الإصلاحية، إن الأعمال الصالحة ليست وسيلةً ولا شرطاً للخلاص، بل إنّ «**التبرير**» Justification، أي التبرئة الإلهية من الإثم، والتي يُعتبر المرءُ بفعلها صالحاً وجديراً بأن ينعم بالخلاص، إنما هو يتم عبر الإيمان وحدِه، والمقصودُ بالإيمان هنا هو الإيمانُ بحياة وموت وقيامة ابن الله يسوع المسيح، وتُعرف هذه العقيدة أيضاً باسم **«عقيدة التبرير بالإيمان»**، أو «السولا فايدي» والتي تعني حرفيًا «الإيمان وحده».

وتتميزُ الكنائسُ البروتستانتية، على اختلافها وتنوعها، بعقيدة التبرير هذه، عن الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية، وتشيرُ عقيدة «السولافايدي» إلى غُفران الله لخطايا المذنبين من خلال الإيمان فقط، وبصرف النظر عن جهودهم أو أعمالهم، وحسب هذه العقيدة، فإنّ البشرية خاطئة، وهي تحت لعنة الله، وغيرُ قادرةٍ على تخليص نفسها من غضب الله ولعنته وعقابه، إلاّ أنّ الإيمان بحياة وموت وقيامة يسوع المسيح وحده «بالمسيح وحده» Solus Christus، ابناً له متجسِّداً، صُلب ومات من أجل البشر الخاطئين، يُعطي الخاطئين العفو أو التبرير (البراءة) والذي لا يُؤخذ إلاّ من طريق الإيمان. فعقيدة التبرير بالإيمان وحده تقول بأنّ مغفرة الله للمذنبين الخاطئين لا تُعطى ولا تُستلم إلاّ عبر الإيمان وحده، وباستبعاد الأعمال جميعاً.

The doctrine of Solo fide or "by faith alone" asserts God's pardon for guilty sinners is granted and received through faith, conceived as excluding all "works", alone.

اعتبر مارتن لوثر «السولا فايدي» سبباً رئيسيّاً وشعاراً لحرب الإصلاح البروتستانتي التي قام بها، باعتباره أبرز فَرْق بين البروتستانتية والكاثوليكية. وإذ لا تظهر عبارة «السولا فايدي» هذه في العهد الجديد، فإنّ أصحاب هذه العقيدة يؤكدون على وجودها فيه ضمنياً، وعلى أنها **تُلخّص تعاليم العهد الجديد، وخصوصاً رسائل بولس التي ترفضُ التبرير بواسطة طاعة شريعة موسى.**

وتتمسك البروتستانتية التاريخية (اللوثرية Lutheran، والإصلاحية Reformed) بعقيدة التبرير بالإيمان، ويستبعدُ البروتستانت كلَّ الأعمال البشرية، ما عدا أعمالَ المسيح التي تشكِّلُ أساس التبرير، من مغفرة التبرير، على العكس من الكنيسة الكاثوليكية بالخصوص، ومن الأرثوذكسية الشرقية

في أوجه عديدةٍ. وأمّا الكنيسةُ الكاثوليكية، وبموجب القانون ١٤ حول «التبرير»، والصادر عن مجمّع ترنت العام General Council of Trent، فهي تجعلُ صاحب هذا القول ملعوناً ومُحرَّماً (أي مستبعداً من شِرْكة المؤمنين) Anathema (excommunicated).

وإذا كانت مقولةُ «السولا فايدي» البروتستانتية قد ميّزتها عن بقية الفرق المسيحية الأخرى، فإنّ مارتن لوثر قد أعلى من شأن هذه العقيدة، حتى أنه جعلها السبب الأساس لقيامه بالإصلاح البروتستانتي. **ويعتبرُ البروتستانتُ هذه العبارةَ ملخّصةً لتعاليم العهد الجديد ورسائلِ بولس على وجه الخصوص، كرسالته إلى أهل رومية**، في الإصحاح الرابع منها، والتي تستبعدُ الحصول على «التبرير» أمام الله كنتيجةٍ لإطاعة المرء شريعة موسى the Law of Moses.

ويبني البروتستانتُ قولهم ذاك على حقيقة أنّ العهد الجديد يحتوي على ٢٠٠ بيّنةٍ تدلّ على أنّ الإيمان أو الاعتقاد هو كافٍ للخلاص، وبالخصوص كلماتِ بولسَ في رسالة رومية:

٢٧:٣ فأينَ الإفتخار؟ قد انتفى. بأيِّ ناموس؟ أبناموسِ [شريعة] الأعمال؟ كلاّ. بل بناموس الإيمان.

٢٨:٣ إذاً نحسب أنّ الإنسان يتبرّر بالإيمان بدون أعمال الناموس.

٥:٤ وأمّا الذي لا يعملُ، ولكن يؤمنُ بالذي يُبرّر الفاجرَ فإيمانه يُحسب له بِرّاً.

فالإيمانُ حسب هذه العقيدة، كافٍ للخاطئين حتى يقبلهم الله، ويعتبرهم من شعبه، حتي وإن لم يعملوا.

ويقول فيليب سكاف Philip Schaff، في كتابه «الروح البروتستانتية لوجهة نظر لوثر» The Protestant Spirit of Luther's Version إنّ اعتقاد لوثر بما جاء في رسالة بولس إلى أهلِ رومية (٢٨:٣) مِن أنّ التبرير هو بالإيمان **وحده** لهو يتناقض مع ما جاء عن يعقوب James (أخي المسيح)، في رسالة يعقوب الرسول[1]:

(١) وجاء في السِّفْر نفسِه، على لسانِ يعقوبَ، أخِ المسيح: ١٩:٢ «أنت تؤمنُ أنّ الله واحدٌ. حسناً تفعلُ».
=



٢٤:٢ بالأعمال يتبرّرُ الإنسانُ، لا بالإيمان وحدَه.

واعتبر سكافُ أنّ لوثر قد فشل في التوفيق بين الرسولين بولس ويعقوب، في هذا الموضوع، باعتبار لوثر رسالة «يعقوب الرسول» غير ذي أهميّةٍ رساليّة.

وتعترفُ موسوعةُ كامبريدج Cambridge Encyclopaedia (ص٦٩٨)، بأنّ أهم ما في البروتستانتية هو عقيدتُها في «التبرير بالإيمان وحده».

وثمّة مصطلحٌ آخرُ لاتينيٌّ يُضاف إلى مصطلح «السولا فايدي»، قد قام لوثر أيضاً بصَكّهِ، وهو مصطلح Antinomianism (against the law)، ويمكنُ أن نترجمه بعقيدة **«اللاأخلاقية القانونية»**، وهذا المعتقَدُ ينفي الأهمية الثابتة للقانون الأخلاقي، وهو يقولُ بأنّ الخلاص يتمّ فقط من طريق الإيمان وحده، وأن لا أهميةَ للقانون الأخلاقيّ في ذلك.

لقد أصرّت المسيحيةُ الكاثوليكية، وهي مسيحيةٌ بولسيّةٌ بالضرورة، في أوْجِ عصور مجدها وسطوتها، على أنها تملكُ الحقّ في غُفران ذنوب المخطئ، في الآخرة، غفراناً أبدياً. ولا شكّ في أنّ لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦) قد تأثر من ذلك كثيراً، حتى أنه لم يَصُغْ أطروحاته الخمس وتسعين الشهيرة، عام ١٥١٧، ضدّ الكنيسة، إلا كردٍّ فِعلٍ مباشر على سلوك الكنيسة هذا، الذي هو يجرّدُ مبدأ الحساب والثواب والعقاب من كلّ معنىً له، ويقدَحُ بمبدأ العدالة الإلهيّ، مثلما هو يقدح في ألوهية الله إذ هي، أي الكنيسة، تتصرّفُ بالنيابة عنه، وعوضاً عنه، وأين؟ ومتى؟ حيث ليس ثمة إلاّ الله!

ولكنّ لوثر قد فشل، وأسفاهُ، مثلما فشل زعماءُ البروتستانتية الآخرون في عمليتهم الإصلاحية تلك. وبدلاً من أن يصيروا إلى انتشال الديانة المسيحية العظيمة من وهدتها التي سقطت فيها على يد بولس، فلقد ظلّت عقيدةُ الأخير المحرَّفةُ تُشكل المعين الذي استقى منه الإصلاحيُّ لوثرُ، لا بل أنّ زعماء البروتستانتية جميعاً قد أعلنوا الإستناد الحرفيّ إلى النصوص

= فها هو يعقوبُ، أخو المسيح، يعترفُ بأنْ لا إله إلاّ الله، وهو لا يذكرُ في أيٍّ من الإصحاحات الخمسة من رسالته أنّ المسيح هو ابنُ الله، أو أيَّ شيءٍ يشي، ولو من بعيد، بشيءٍ اسمه «الثالوث».

المقدّسة - وهي محرّفةٌ - مبدأً أساسياً لدعوتهم الجديدة، ممّا زاد الأمر سوءاً، أو هو زاده، حسب التعبير العربي القديم، ضِغثاً على إبّالَة. وقالوا بتجريد الخلاص من العقاب الإلهيّ الأخرويّ على الخطايا مِن كلّ حسابٍ، من خلال الإيمان بالمسيح إلهاً إبناً، بل وإلهاً متجسّداً في الوقت ذاته، في ثالوث اقترضه بولسُ من الوثنية الشركية ومزَجه بفكرة الإله الذي يموتُ من أجل خلاص الآخرين من خطاياهم بالعفو عنهم، وبفكرة استحضار الإله - البشر في عملية الافخارستيا استحضاراً حقيقياً بلحمه ودمه في كل مرّةٍ يُجرى فيها «القُدّاس»، وكلّها أفكارٌ وثنية صرفة شقّتْ طريقها إلى المسيحية وصارت تشكّلُ الجزء الأساس من «المسيحية البولسية» على يدِ بولس، وكعقيدةِ «التبرير» التي صارت من غرابةٍ العمودَ الفقريَّ للإصلاحية البروتستانتية الجديدة. لقد استولت البولسيةُ مرّة أخرى على لوثر وغير لوثر، وأحاطت بهم، فلم يستطيعوا الفكاك من أسْرِها.

ومثلما خرج لوثرُ على الكنيسة الكاثوليكية، مستنكراً غُفران الكنيسة لخطايا البشر، بينما هو عملٌ إلهيٌ صرف، فلقد وقع في فخّ القول بالغُفران الإلهيّ الأخرويّ بالإيمان بمسيحه، والإيمان به وحدَه، ذلك المسيحُ الذي لم يرسم صفاته إلاّ بولس، فوقع لوثر، بل والبروتستانتية جميعاً، في مَطبٍّ هو أكبرُ وأخطرُ من مطبّ الكاثوليكية.

### مقارنةٌ بين «صكوك الغفران» الكاثوليكية وعقيدة «السولا فايدي» البروتستانتية

ولَعمري، لئن قالت الكاثوليكية بغفران الذنوب جميعاً، من الله، يوم الحساب، بشراء صكوك غفران الكنيسة الكاثوليكية لقاءَ ثمنٍ ما، فإنّ لوثر وباقي قادة البروتستانت قد قالوا بالشيء نفسِه، ولكنَّ الحصولَ عليه هذه المرةَ هو مجّانيٌ - إنّ الخلاصَ على يد البروتستانتية المُصلَحة صار لا يستدعي أكثر من الإيمان بيسوع[1] وحدَه، ولْيُوَدِّعْ مسيحيٌّ مؤمنٌ أعماله، الصالح، منها والطالح، على حدٍّ سواء، إلى غير رجعة!

(١) قُلنا في غير مكانٍ من كتاباتِنا إنّ كلمة «يسوع» تعني ألوهية المسيح، ولذلك فإن استخدام هذه الكلمة للإشارة إلى السيد المسيح (ع) لا تصحّ عند المسلم.



إنّ عقيدة «السولا فايدي» البروتستانتية هي الوجهُ الآخر لصكوك الغفران الكاثوليكية، وكلاهُما يشكّل صفحةً سوداء مُحزنةً من صفحات المسيحية المُشرقة التي جاء بها الرسولُ البَشَرُ: السّيدُ المسيحُ (ع). فانطبق على لوثر وعلى زعماء البروتستانتية جميعاً المثَلُ العربيُّ القائل:

«جاء يكحّلُها عَماها».

حقاً إنّ المسيحية البولسية لهي تأخذُ بخِناقِ المسيحية والمسيحيين، ولقد فشلتِ البروتستانتيةُ الإصلاحيةُ في إجراءِ أيّ إصلاحٍ جوهريٍّ في المسيحية. ومثلما فشلتِ الأخيرةُ في إصلاح اللاّهوتِ المسيحي، بتجريده من البولسية - التثليثية - الوثنية، وردِّه إلى جادّة الديانة التوحيدية الإلهية الحقّة، فلقد فشلت فيما هو أدنى من ذلك بكثيرٍ، وأعني به فشلها حتى في تخليص طقس العشاء الرباني السريّ من فحواه البولسيةِ الوثنيةِ الأُسطورية المُحيِّرةِ والمُحزنِة!

# من عجائب بولس:
# بولس يعترف بأنّ للمسيح إلهاً:
# الله العظيم الذي أقام المسيح من الأموات

كلّما قلّبتُ صفحات «الكتاب المقدس»، لم أزل أعثرُ على كلّ عجيبةٍ غريبةٍ هي أكبرُ من أخواتها، وهاك ما جاء في رسالة بولس إلى أهل أفسس:

١٧:١ كيْ يعطيكم إلهُ ربّنا يسوعَ المسيحِ The God of our Lord Jesus Christ، أبو المجد، روحَ الحكمة.

١٩:١ وما هي عظمةُ قدرته الفائقة [قدرة الله] نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوّته. and his incomparably great power for us who believe. That power is the same as the mighty strength.

٢٠:١ الذي عمله في المسيح، وبقوّته أقام المسيح من الأموات وأجلسه عن يمينه. he exerted when he raised Christ from the dead and seated him at his right hand. (NIV).

إنّ بولسَ هنا، يعترفُ بأنّ للمسيح إلهاً، هذا الإلهُ العظيم، القويُّ، الذي أقام المسيحَ من الأموات [حسب قوله]. وهذا كلُّه يَدُلّ على أنّ المسيح (ع) ليس إلاّ ذلك العبدُ المخلوق. وأمّا كلمةُ Lord التي أُطلقت على المسيح في النسخ الإنكليزية وتُرجمت عنها النسخُ العربية، فهي تعني ضمن ما تعني «السيّد»، وهذا هو المعنى الذي أُريدَ منها، والذي تُرجِمَ بصورةٍ متعسّفةٍ على أنه «الربُّ»، وسياقُ الكلام، لا شكَّ، يَدُلُّ على ذلك بوضوح.

لقد كان بولسُ يغالِطُ الناس، ويغالِطُ نفسه قبل ذلك، ولكن ها أنّ رسالته هذه قد أنطقته بالحقيقة التي لم يشأ أن يعترف بها، في أمر عُبوديةِ السيّد المسيح (ع)، مثلما هي أنطقته بحقيقة كذبه وتزويره على الناس.

وللوقا، صاحب بولس الحميم، في **إنجيل لوقا**، شطحات كشطحات أستاذِه، فها هو يتحدّث على **«المسيح الربّ»** تارةً، وعلى **«مسيح الرّب»**، تارةً أخرى. لكنَّ العبارة الأولى تعني أنّ المسيح هو ربٌّ، بينما أنّ العبارة الثانية «مسيحُ الربِّ» تعني أنّ المسيح هو غيرُ الربِّ أولاً، ثم هي تعني ثانياً



أنّ المسيح هو تابعٌ للربِّ وهو ليس كُفواً له:

١٠:٢ فقال لهم الملاك..

١١:٢ أنه وُلِدَ لكم اليوم في مدينة داود مُخلِّصٌ هو المسيح الرب.
a Saviour, which is Christ the Lord .

٢٦:٢ وكان قد أوحي إليه [إلى سِمعان، الرجل البار] بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى المسيح الرب the Lord's Christ.

يقول القمص تادرس يعقوب ملطي في تفسير الفقرة ١١:٢ حرفياً:

مُخلِّصٌ هو المسيحِ الرب - نرى في هذه الآية أن يسوع هو المسيح، الرب يهوه، المخلّص (يهوه هو المخلص - إشعياء في العهد القديم ٤٣:١١ «أنا الرب وليس غيري مخلص -) والذي تأنس وصار إنساناً ومُسح بالروح القدس ليكون ملكاً وكاهناً ونبياً [هل يدل هذا على أنه الله؟]. لقد سبحته القوات السماوية لأن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة.

أُنظر كيف صار المسيحُ هو الإلهُ، وهو يهوه - إلهُ العهد القديم - الذي كان تابعاً لله، والذي مَسَحه «الله - الآب» بوساطة «الله - الروح القدس»، حتى يصير ملكاً، وكاهناً ونبياً، في إنسان - إلهٍ منذ الأزلِ وإلى الأبد! هذا مع العلم أنّ المسيح لم يذكر يهوه، في العهد الجديد كلّه، ولا مرّةً واحدةً.

### بولس يعترفُ بحقيقة المسيح

ولا نزال نَقَعُ، في كتاباتِ بولس، على تهافتاتٍ هي دليلٌ على أنّ ما جاء به لم يكنْ وحياً من الله، وإنما هو من عندِ نفسه، إذ هو يُناقضُ ما سَبَقَ وأن نادى به مِن أنّ المسيح هو الله المتجسّدُ نفسُه.

كتبَ بولسُ، في رسالته الأولى إلى أهلِ تيموثاوس، يقول:

٥:٢ لأنّه يوجدُ إلهٌ واحدٌ.
ووسيطٌ واحدٌ
بين الله والناسِ:
الإنسانُ يسوع المسيح.

يَتَّضِحُ لنا ممّا سَبَقَ مِن قولِ بولس، أنّه يقولُ بوجودِ ثلاثةِ كياناتٍ

منفصلةٍ، فالأولُ، وهو المُرْسِلُ، الله. والثالثُ هو الناسُ. والثاني هو وسيطٌ بين الإثنين، ويمكن أن نُمثِّلَ ذلك بالتالي:



ونلاحظُ هنا استخدامَ بولس لوصفيْنِ اثنين:

أوّلهما وصفُ الله بأنّه إلهٌ واحد.

وثانيهما هو وصفُ المسيح بأنّه الإنسانُ.

و المسيحُ، حَسَبَ هذا النصِّ، ليس إلاّ إنساناً وسيطاً بين الله الواحد وبين الناس، وهو وصفٌ لا يخرجُ به عن دائرة بقيّة رُسُلِ الله البَشَرِ، وهو حَسَبَ هذا النصِّ أيضاً كيانٌ منفصلٌ عن الذات الإلهية. فالله هو الإلهُ المُرسِلُ، والمسيحُ هو الإنسانُ المُرْسَلُ، وأمّا دعوى أنه الله المتجسّدُ نفسه، وأنّه ابنُ الله فهي ليس لها أيُّ أساسٍ من الصِّحّة. ثم إنّ الدعويين الأخيرتيْن متهافتتانِ أيضاً ـ إذ كيف يُمكنُ أن يكونَ هو الله نفسُه متجسِّداً، ثم هو يكونُ بعد ذلك «اللّهَ ـ الإبنَ ـ الوسيطَ»؟

## لوقا، صاحبُ بولس الحميم، في كتاباته، هو الصّدى الحاكي لأفكار بولس

لقد لعب لوقا دوراً كبيراً في مساندة صاحبه ورفيقه بولس. وإذ يُنسب إليه الإنجيلُ الثالث من الأناجيل القانونية الأربعة التي يحتويها العهدُ الجديد، فإنّ لوقا هو كاتبُ سِفر «أعمال الرسل»، الذي يحكي أعمال «رسل المسيح» من بعد رفعه. ومحاباةُ لوقا لبولسَ ومعتقداته واضحةٌ لا تحتاج إلى برهانٍ. لقد طمس «أعمال الرسل» شخصيات وأعمال هؤلاء من جانبٍ، وسجّل المثالبَ عليهم، ثم هو بالغ مِن ذكْرِ دور وأعمال بولس من جانبٍ آخر. ولئن حاولَ لوقا أن يُغطّي على الخلافات والنزاعات الخطيرة ما بين بولس من جانبٍ، وبقية حواريّي أو تلاميذ المسيح من جانب آخر،



فإنّ كتابه لم يستطع أن يُخفي تلك النزاعات المريرة. وهذا بعضُ ما ذكره لوقا، وجارى فيه بولس، في عقائده، في «أعمال الرسل»:

١ ـ ذكر لوقا أنّ بطرس خطبَ قائلاً:

٢:٣٤ «ثم إنّه هو نفسُه [النبيُّ داود] يقول: قال الربّ لربيّ [أي: الله ـ الآب» لـ«الله ـ الابن»]: إجلسْ عن يميني.

٢:٣٦ فليعلمْ يقيناً بنو إسرائيل جميعاً، أنّ الله قد **جعل** يسوع، هذا الذي صلبتموه أنتم، ربّاً ومسيحاً.

God has **made** this Jesus, whom you crucified, both **Lord** and Christ.

الله جعل يسوع! God made Jesus.

وننظرُ في معاني الفعل make، فنجد الآتي: يُحدِث، يَخلُقُ، يسبِّبُ، يعمل، يصنع، ينشئ، يبني، يهيئ، يجعل، ينصِّب. ولا تحمّل هذه المعاني كلُّها إلاّ معنى المُحدِث أمام المُحدَث، والخالق أمام المخلوق، والصانع أمام المصنوع، والجاعل أمام المجعول. ولا نفهمُ ممّا ذكرَهُ لوقا على لسان بطرسَ إلاّ أنّ المسيح قد صار بعد أن لم يكُن. وكلمةُ Lord، وكما قد شرحْنا سابقاً لا تدلُّ على معنى «الإله» وإنما على معنى «السيّد».

وإذْ جعلَ الله عيسى مسيحاً، فالأخيرُ ما دام كذلكَ، فهو ليسَ بإلهٍ. ثم كيف يكونُ الله والمسيحُ واحداً، والله يُخاطب الأخير، ويتكلم معه، ويأمُرُه أن يجلس جنبه؟ فإن اعتقدَ القارئُ رَغم كلِّ شيءٍ، أنهما واحدٌ، فالأمرُ يخصُّه هو وحدَه، أمام الله. ولكنْ، كيف يتكلمُ الإثنان مع بعضهما، ويأمر أحدُهما الآخر، وهما واحدٌ؟

٢ ـ وجاء في خُطبةٍ أخرى، نُسبت إلى بولس أيضاً، قولُه:

٣:٢٢ وقد قال موسى: سيبعث الله فيكم من بين إخوتكم نبياً مثلي.

إنّ السيد المسيح (ع)، وبنصِّ الكلام المنسوب إلى موسى (ع)، ليس إلاّ نبياً مثلَه، وهو كبقيّة الناس، وهو يختارُه الله «مِن بين إخوتِكم». فالمسيحُ حسبَ هذا النصِّ، لا يختلفُ عن بقية الناس في بشريّته، مثلما هو لا يختلفُ عن موسى رسول الله، في طبيعته البشرية ورسالته، رسولاً بشراً من ربّ العالمين الواحد إلى الناس.

٣ ـ وجاء على لسان بطرس، في السِّفر نفسه:

٥:٣٠ إنّ إله آبائنا أقام يسوعَ، الذي قتلتموه أنتم مُعلِّقين إيّاهُ على الخشبة!

٥:٣١ ولكنَّ الله رفعه إلي يمينه وجعله رئيساً ومُخَلِّصاً.

لو كان المسيحُ هو الله المتجسِّدُ، كما يقولُ المسيحيون، وإذاً لكان الأُقنومان الأول والثاني واحداً، لا يجلسُ أحدُهما على يمين الآخرِ، ولما احتاج الثاني إلى الأول حتى «يُقيمه من الموت»، حتى لو لم يكن ذلك إلاّ «أباه».

٤ ـ ونقل السفر ذاته، عن بطرس قوله:

١٠:٣٨ فقد مَسَحَ الله يسوعَ الناصريَّ بالرّوح القدس وبالقدرة.

ثمّة كياناتٌ ثلاثةٌ منفصلةٌ هنا، أحدُهما هو الفاعلُ، أو الماسحُ، وهو الله، والمفعول به، أو الممسوح، وهو يسوعُ الناصريُّ، والواسطة، وهو الرّوح القُدسُ. فكيف يكونُ الفاعلُ، والمفعولُ به، والمفعولُ بوساطته، واحداً؟

وإذا احتاج المسيحُ، حسب هذا النصِّ، إلى الرّوح القدس، حتى يمسحه، فذلك قد دلَّ على أنه ليس بإلهٍ، إنّ الإله لا يحتاجُ إلى أحدٍ غيره، في أيِّ شيء كان، ومهما عظُم، فكيف بالمسح، مُجرَّد المسح؟ وإذا كان المسيحُ هو الله نفسُه مُتجسّداً، فعلام هو يحتاج إلى الأُقنوم الأوّل يُرسِل الأُقنوم الثالث، حتى يمسحه؟



## من متناقضات بولس:

## بولس يعترف بالألوهية لله وحده، لا للمسيح

### 1 ـ المُلكُ كلّه لله «الآب»

### 2 ـ المسيحُ هو غيرُ الله الذي أخضع له كلّ شيءٍ

### 3 ـ المسيحُ يخضع لله الذي أخضَعَ له الكلّ، لأن الله هو الكلُّ في الكلّ

يعترفُ بولس، في رسالته **الأولى إلى أهل كورنثوس** بالأُلوهية لله وحده، وأنّ المُلك ليس إلاّ لله وحده:

١٥:٢٤ وبعد ذلك النهايةُ [القيامة]، متى ما سلَّم [المسيح] المُلكَ لله الآب.

يفسِّرُ العلامة أوريجانوس هذه الفقرة بأنّ المسيح يُسلِّمُ الملكوت لله الآب، وذلك لا يدل إلاّ على أنّ المسيح هو عبد مخلوق من قبل الخالق الواحد. وقد قال تعالى في صفة نفسه، ﴿.. **رَب العالمين**﴾، ﴿**مالِك يَوْم الدِّين**﴾ [الفاتحة: ٢ و٤].

وانظرْ إلى هاتين الفقرتين اللتين يُستغرب صدورُهما من بولس، مُؤلِّهِ المسيح، واللتين يعترفُ فيهما بأنّ المسيح هو غير الله الذي أخضع كلَّ شيء له، وأنّه (أي المسيح)، سيخضعُ لله الذي خضع له الكُلُّ!

١٥:٢٧ لأنه أخضع كلَّ شيءٍ تحت قدميه،
ولكن حينما يقولُ: «إنّ كلَّ شيءٍ قد أُخضِع»
فواضحٌ أنه غيرُ الذي أخضع له الكُلّ.
١٥:٢٨ ومتى أُخضِع لهُ الكُلّ،
فحينئذٍ الإبن نفسه أيضاً سيخضَعُ للذي أخضعَ له الكُلّ،
كي يكون الله الكلَّ في الكُلّ.

لماذا قال بولسُ أنَّ المسيح هو «غيرُ الذي أخضعَ له الكُلّ»؟ يقول القمص تادرس يعقوب ملطي، في تفسير ذلك:

ليتجنّب إمكانية إثارة اعتراضاتٍ تافهة، لئلا يفهم البعض «كُلّ شيءٍ» بما فيه الآبُ يخضعُ له [أي للمسيح]، وذلك كما كان عند الأمم حيث يعتقدون أن جوبيتر Jupiter [كبير الهة الرومان] يُروى عنه أنه استبعد والده من عرشه ومن السماء. لكي تمنع الظنّ بأنّ بولس في حديثه عن سُلطان الابن قد بالغ فيه حتى صار أعظم من الآب. فإن كان الابنُ قد تجسّد وخضع كابن الإنسان للآب، فبعد القيامة وإتمام عمل المسيح الشفاعيّ تظهرُ مساواةُ الآب والابن بوضوحٍ كما في التجسد.

إنّ بولس، حسب هذا التفسير، قد قال ما قال حتى لا يُشكَّ، وكما هو الحالُ في الأساطير الإغريقية الوثنية، بأنّ أمر المسيح مع الله هو كأمر «الإله جوبيتر» مع والده عندما أزاحه عن العرش!

وحتى لا يُظنَّ بأن بولس قد بالغ في حديثه على سلطان الله الابن قبالة الله الآب!

وثالثة الأثافي في هذا التفسير أنّه يبذلُ وسعه كلَّهُ، كالحاوي الساحر الخالي من الحقيقة، ومن خلال كذبة جديدة تُغطي على وضوح النصّ الأصليّ، وهي أنّ الله الابن يصيرُ مساوياً لله الآب، بعد القيامة!

ولا يجدُ أوكيمينوس Oecumenius إلاّ الإدّعاء ذاته، بالقول إنّ «بولس يكتبُ لليونانيين. فإنهم قد عبدوا (قبلاً) زيوس الذي ثار ضد أبيه لكي يُمسك بزمام المملكة. خشيَ بولسُ أنهم يتخيلون ذلك في علاقة المسيح بأبيه.

وأمّا ثيؤدورت أسقف قورش، فهو يدافع عن هذه المقولة بعذرٍ جديد، وهو أنّ بولس يتكلم على المسيح في ناسوته، لا في لاهوته:

لا يتحدثُ الرسول عن المسيح في لاهوته بل في ناسوته.

وكيف يخضَعُ المسيح «للذي أخضع له الكُلّ»؟ يقولُ القمص ملطي، في تفسير هذه الجملة التي لا تدلُّ إلاّ على عبودية المسيح لله، بأنّ السبب في ذلك ليس هو إلا **بهدف التكريم المتبادل بين الإبن والآب!**

فالابنُ الذي قام بدور الوسيط وقدّم نفسه ذبيحة حُبٍّ عن البشرية وصار رأساً للكنيسة يُعلن خضوعه للآب كتكريمٍ مُتبادل فيما بينهما.



فالإبنُ يُكرِّمُ الآب، كما أنّ الآبَ يكرِّمُ الإبن، والكلُّ يكرمون الإبن كما يكرّمون الآب.

وبينما يصفُ أمبروسيوسُ ذلك الخضوع بأنّه اتّحادُ المتساويَيْن:

خضوعُ المسيح للآب ليس كخضوعنا نحنُ للإبن، فإنّ خضوعنا هو اعتمادٌ عليه وليس اتحادُ المتساويين،

فإنّ القدّيس غريغوريوس النزنيزي يقسّمُ العمل بين الإثنين، ذاك بعمله، والآخر بمسرّتِهِ!

كما أنّ الإبن يُخضِعُ الكُلّ للآب، هكذا يفعلُ الآبُ للإبن، واحدٌ بعمله والآخرُ بمسرّته.

## بولس: المسيحُ صار لعنةً لأجلنا، لأنه «ملعونٌ كلُّ من عُلّق على خشبة»

هذه شطحةٌ أخرى غريبةٌ، من شطحات بولس، يُفسّرها اعتدادُه الزائد بنفسه، وثقتُه بمقدراته الخطابيّة والسيطرة على عواطف الناس، حتى لو هي جرّته إلى ما لا يُحمد من كلامٍ يؤاخَذُ عليه، وهي أشبهُ بكلام من لا عقل له.

جاء في رسالته إلى أهل غلاطية:

١٣:٣ والمسيحُ افتدانا من لعنة الناموس،

إذ صار لعنةً لأجلنا،

لأنّه مكتوبٌ: «ملعونٌ كلُّ مَن عُلِّق على خشبة».

لقد حار مفسّرو العهد الجديد في كيفيّة التخلّص من ورطة تفسير هذه العبارات، إذ كيف يكون النّاموس أو الشّريعة، للناس نقمة، وهو وصايا الله وأحكامُه؟

وكيف يصيرُ المسيح، وهو الإلهُ في قولهم، لعنةً؟

أم كيف يصيرُ لعنةً، وهو قد وصف نفسه بأنّ النّعمة والحقّ صارا به؟ جاء في إنجيل يوحنا:

١٧:١ لأنّ النّاموس بموسى أُعطي،

أمّا النّعمةُ والحقُّ فبيسوع المسيح صارا.

لا بل كيف يكونُ المسيحُ إلهاً ملعوناً لأنّه قد عُلِّق على خشبة الصليب، وهو في دعواهم لم يُصلب إلاّ لخلاص الناس؟

ثم كيف يرتضي أجهلُ الناس أن يقول شيئاً كهذا، فكم من الأبرياء، بل ومن البَرَرة الصالحين، هُم كانوا شهداء عند الله، وهم على الصليب، أو على الخشبية، يُعلَّقون؟

وتجِدُ، في تفسير هذه الفقرة، أقوالاً لا تكادُ تُعدّ، للقدّيسين، والبابوات، والعلماء، والقسسة، لأنّ أيّ تفسير، لأيٍّ منهم، لا يزيد قارئه إلاّ حيرةً واضطراباً.

ويقولُ القدّيس غريغوريوس النزينزي أنّ «المسيح ـ الإله» قد فعل ذلك حتى «يمارس تواضعه»:



كيف يمكن أن يكون خطيّةً ذاك الذي يحرّرنا من الخطيّة؟ وكيف يمكنه أن يكون لعنةً ذاك الذي يفدينا من لعنة الناموس؟ حدث هذا ليُمارس تواضعه إلى هذه الدرجة، ولكي يشكِلنا نحنُ بالتواضع الذي يجلب مجداً.

وأمّا القدّيسُ أمبروسيوس، فهو لا يملكُ إلاّ أن يقول عن ذلك:

صارَ [المسيح] خطيّةً ولعنةً لا لحسابه بل لحسابنا. صار لعنةً لأنه حمل لعناتنا.

**ولكن، لماذا هو الناموسُ، أو الشريعةُ، ليس بكافٍ اليهود، لخلاصهم؟**

يقولُ القدّيسُ يوحنّا الذّهبيُّ الفم:

أُعطي لهم [لليهود] الناموسُ ليتحسّسوا جراحاتهم ، لعلّهم يتوقون إلى طبيب [!].

فكأنَّ الناموس لم يكن بلسماً لجراحات اليهود ومعاناتهم، ورحمةً من الله لهم ونعمةً، وإنّما هو كان منخساً لجراحاتهم، لعلهم يتوقون إلى الطبيب المخلِّص!

ويقول أوركارد Dom B. Orchard، في «الحياة الدّينية في العالم»:

في نظر القدّيس بولس ـ مرَّت بثلاث مراحل من أيام إبراهيم مؤسِّس جنس اليهود:

١ ـ من إبراهيم إلى موسى: خلال هذه الفترة كان التبريرُ [الحصولُ على البِرّ] يتحقّق خلال الإيمان بالمواعيد، دون وجود ناموس بالمعنى الإيجابيّ (ما عدا الختان وحده الذي وُجِد في العهد الإلهيّ مع إبراهيم ـ تكوين ١٧ : ١١).

٢ ـ من موسى إلى المسيح: خلالها كان التبريرُ يتحقّق خلال الإيمان بالمواعيد، مع الإلتزام بحفظ الناموس الذي تسلّموهُ في سيناء بطريقةٍ إيجابية (الذي يُبرِّرُ هوالإيمانُ لا الناموس).

٣ ـ منذ عهد المسيح: يتحقّقُ التبريرُ بالمسيح وبحفظ الإنجيل (وهو أسمى من أن يكون مجرَّدَ تجديدٍ للتهوُّد).

وذلك، في سبيل تفسير ما لا يُمكن تفسيرُه، وتبرير ما لا يُبرَّرُ من شطحات بولس، ينفي وجود أيّ ناموسٍ أو شريعة ابتداء من شريعة إبراهيم

(ع) وحتى رسالة موسى (ع). وهو تعسُّفٌ في القول، واجتراءٌ على حقيقة الرّسالات السماوية، كبيرٌ. إذ كيف تخلو رسالاتُ إبراهيم (ع)، وهو أبو الأنبياء بحقٍّ، وصاحبُ «صُحُفِ إبراهيم» كما أخبرنا المولى في القرآن الكريم، ومروراً برسالات من جاء من بعده، من رُسُل كُثر، وحتى مجيء موسى (ع)، من شريعةٍ؟

ثم، أيُّ فرق هو للإنجيل - وأين هو الإنجيل؟! - عن التوراة، وأين هي التوراة الحقُّ؟!

والذي أهمَّ بولس، وأكّد عليه، في زعمه أنْ لا برّ من دون الإيمان بالمسيح إلهاً متجسداً وابناً للإله!، ولو كان ذلك البِرُّ هو البِرُّ الذي أوصى به ناموس الأنبياء، كإبراهيم وموسى، وليس غيرُه، ناموساً من عند الله، لا من عند الناس.

## بولسُ يُناقض الأناجيل في رسائله

كانت دعوةُ بولس على العكس ممّا نصّت عليه تعاليمُ المسيح (ع) في الأناجيل الأربعة، بأنّ الخلاص يتم فقط بحفظ الوصايا وتطبيق الناموس. جاء عن المسيح، في إنجيل متى، قوله:

١٨:٥ فإني الحقَّ أقولُ لكم: إلى أن تزول السّماءُ والأرض لا يزولُ حرفٌ واحد أو نقطةٌ واحدة من الناموس حتى يكون الكلُّ.

١٩:٥ فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصّغرى وعلَّم الناس هكذا، يُدعى أصغرَ في ملكوت السماوات. وأمّا من عمل وعلَّم، فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات.

على العكس من ذلك، فإنّ بولس يُدقُّ مسماره مُسَمِّراً الوصايا والنامُوسْ (الشريعة) على الصّليب. يقول بولس في رسالته إلى أهل كولوسي:

١٤:٢ إذ مَحا [المسيحُ] الصّكَّ الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدّاً لنا، وقد رفعه من الوسط، مُسَمِّراً إيّاهُ على الصليب.

فإذا كان السيد المسيح يؤكد بأنّه لا يزولُ حرفٌ واحد، ولا حتى نقطة واحدة من الناموس، حسب الأناجيل، فكيف يريد بولس منّا أن نصدّقه



بقوله إنّ المسيح قد سمَّر الناموس، والفرائض كلّها، على الصليب، فلم يَعُد لها أيَّةُ أهميةٍ؟

إدّعى بولس بأنّ الخلاص ليس هو باتّباع الناموس، وإنما هو فقط في موت وقيامة عيسى المسيح، وقال بأنه ليس لدى المسيحية ما تُقدِّمه إلى البشريّة غيرُ دم المسيح، فإن لم يَمُت عيسى ولم يقُم من الموت، فلا خلاص في المسيحية!

لقد بنى بولس فكرة سفك دم المسيح كفّارة عن خطايا البشر، وروَّج لها في رسائله، تلك الرسائلُ التي لم يُكتب أقدمُها إلاّ بعد رفع المسيح بأكثر من ٢٠ عاماً، قائلاً:

- المسيحُ «بذل نفسه لأجل خطايانا، لينقذَنا من العالم الحاضر الشرّير». [رسالة بولس إلى أهل غلاطية ١:٤].
- وإنه «بذل نفسه فديةً لأجل الجميع» [رسالة بولس الأولى إلى أهل تيموثاوس ٢:٦].
- وإنه «إذْ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب» [رسالة بولس إلى أهل فيلبي ٢:٨].
- وإنه «بعدما قدّم عن الخطايا ذبيحةً واحدةً، جلس إلى الأبد عن يمين الله، منتظراً بعد ذلك حتى تُوضع أعداؤُه موطئاً لقدميه » [رسالة بولس إلى العبرانيين ١٠:١٢ و١٣].

فالمسيحُ حسب هذا النصّ البولسي قد قدّم نفسه ذبيحة مرّةً واحدةً ثم جلس إلى الأبد عن يمين الله، فما باله ينزلُ في كلِّ حينٍ في كلِّ قُدّاس، ليُذبح في كلِّ مرّة؟ وما أكثر القدّاسات في الأرض، أفتَراهُ ينقسمُ أقساماً ليحضُر كُلاًّ منها، في الوقت الواحد؟

## إنجيلُ متى يكذِّب بولس:
## الله يريد للناس رحمةً، لا ذبيحةً!

ثانياً: وتردُ في إنجيل متّى فقرة خطيرة تنسفُ دعاوى «القربان الإلهي» من جذورها، وتذرّيها الرّياح. إنّ المسيح، في هذه الفقرة، لهو يصدعُ بحقيقة الله الرّحمن الرّحيم: إنّ الله سبحانه، لو قد علم الناسُ حقيقته، إن هو إلاّ يُريد الرّحمة بالناس، وهو ليس بحاجة إلى ذبيحة، حتى يغفر للناس

ويرحمهم ﴿.. إنه هو الغفور الرحيم﴾ [يوسف:٩٨]. **«لو علمتم ما هو، إني أُريدُ رحمةً لا ذبيحةً»**. [إنجيل متى ١٢:٧].

### بولسُ يقولُ إنّه «رسولٌ لا مِن الناس ولا بإنسان»

يقول بولس عن نفسه، في رسالته إلى **أهل غلاطية:**

١:١ بولسُ، رسولٌ لا من الناس، ولا بإنسان،
بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات.

١١:١ وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشّرتُ به، أنّه ليس بحسب إنسانٍ.

١٢:١ لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمتُهُ. بل بإعلان يسوع المسيح.

ها أنّ بولس يجهر ويؤكد بأنّ دعوته لم يأخذها من إنسان أبداً، ولا حتى تلاميذ المسيح وحواريّيه، الذين يدعوهم المسيحيّون بالرُّسل Apostles.

ليس ثمّة، في دعوى بولس، من مصدر لما جاء به إلاّ «الله الإبن» و«الله الآب». وكلام بولس خطير، وخطيرٌ جداً.

لقد جاء السيد المسيح (ع)، ثم صار ما صار من أمره، ورُفِع إلى السماء. وجاء من بعده حواريّوه الأحد عشر، وهذا هو الإطار العامّ الذي جاء من خلاله ما صار يُعرف بعدئذ بالنّصارى Nazarenes والمسيحية. والأخيرة، كديانةٍ، لا بدّ أن تكون قد توضّحت معالمها، وتبيّنت تفاصيلها للناس، كاملةً من غير نقص، ولا عيب، على زمن المسيح نفسه، إذ لا يعقل أن يجيء السيدُ المسيح (ع) برسالة منقوصة الأركان، غامضة البنيان، شأنُه في ذلك شأنُ أيّ رسولٍ آخر إلى الناس من ربِّ العالمين.

فهل يُعقل، من بعد ذلك، أن تظلّ هذه الرسالةُ على يد رسولها، لا بل وعلى يد «رسله» من بعده، كما يصفُهم المسيحيّون، ناقصةً، بانتظار أن يجيء ذلك اليهودي «شاول» الذي ما ادّخر وسعاً في اضطهاد الكنيسة وتقتيل المسيحيّين، حتى لا يكتفي بالقول بأنه قد صَبَأَإلى المسيحيّة، بل هو يدّعي لنفسه الرّسالة من الرّب [المسيح] بل والله الآب نفسه!

**لقد اعترف بولس، من حيث لم يُرِد ولم يَشعُر، بأنّه قد جاء بما لم يجئ به المسيحُ نفسُه، في زمنه، ولا «رُسُله» من بعده. جاء بشيءٍ، بل أشياء مختلفةٍ تماماً**



**عمّا جاء به السيّد المسيح نفسه.** وقوله الذي جاء أعلاه، في رسالته إلى أهل غلاطية، لا يدلّ إلاّ على تسلّط هاجس الترّأس عليه، إلى درجة الاستحواذ Obsession، والأهم من ذلك كلّه، وبما لا يُقاس، مجيئه بما لم يجئ به حواريّو السيد المسيح، ولا المسيح نفسه، ولا حتى موسى وبقيةُ رُسُل الله جميعاً.

لقد خرج بولس من اليهودية، ولكنه لم يصِر مسيحياً، حقّاً.
وما كان أحدٌ ليهتمّ بذلك، لو هو بقي في تلك الحدود، ما دام الأمر متعلّقاً به وحده.

و لكنّ خروجه بدعوىً جديدةٍ غريبة كلّ الغرابة عن المسيحيّة الأصيلة، وادّعاءَه بأنها هي المسيحيّة الحقّة التي لم يأخذها إلاّ من الله نفسه، ثم هوسَه المحمومُ في نشر تلك الدعوة في صفوف الوثنيّين «الأمميّين»، من غير اليهود، في آسيا الصّغرى (تركيا الحالية) وجنوبيّ أوروبا، هو الذي كلّف المسيحيّة، بل والدِّين كلَّه، الثمن الغالي، وبما يَعسُرُ أن يُقاس.
لقد ترك بولسُ اليهوديّة وراءه ظهريّاً، وإذ هو عايش المسيحيّة الوليدة، فلقد أعمل بمعولِه فيها، من غير رحمة، وذلك كلُّه لم يكُن إلاّ باسم المسيحيّة، واسم الرّسول من الرّب!

### «بولس الرسول»

### من هم الرُّسُل، في العهد الجديد، ومن هم الأنبياء؟

أُطلق على بولس اسم «الرّسول» Paul the Apostle، و«رسول الأمم».
وثمّة رسُلٌ وأنبياء كثيرون جاء ذِكرهم في العهد الجديد، ويقصُّ علينا سِفرُ «أعمال الرسل» حياة وأعمال مَن أُسمي برُسل المسيح، إلى الناس، كما تُوردُ الأناجيل تحذيرَ المسيح للناس من «الأنبياء الكَذَبة». فمن هو الرسولُ، ومن هو النبيُّ، في العهد الجديد؟

### الرسولُ حسب قاموس العهد الجديد

إنّ المعتقد الإسلاميّ في رُسُل الله هو أنّ الله سبحانه يُرسل رُسله، من البشر، إلى الناس، بالإيحاء إليهم من خلال الملك جبريل (ع)، والذي هو نفسُه الروح القُدُس، في العقيدة الإسلامية. وكذلك هو المعتَقدُ اليهودي، في رُسُل الله، وما أكثرهم، وفي كلِّ الديانات السماوية، منذُ آدم (ع).

وأمّا في المعتقد المسيحيّ، فإنّ الأناجيل تخبّرنا بإرسال الله تعالى الملاك جبرائيل، من الله إلى الناس، إذ يخبّرنا إنجيل لوقا باتّصال الله بعباده من الناس، عبر الملاك جبرائيل:

١ ـ فعندما يبشّرُ الله نبيّه زكريا (وزكريا ليس نبيّاً عند اليهود ولا عند المسيحيين) بميلاد يحيى (اسمه في الكتاب المقدس «يوحنا»)، يخبرُنا **إنجيلُ لوقا** بأنّ ملاكاً من عند الله قد ظهر لزكريا، وأخبره بأنّ اسمه جبرائيل، وأنّه قد أُرسل من الله ليبشّرهُ بيحيى:

١١:١ فظهر له [لزكريا] ملاكٌ من عند الربِّ واقفاً [وقولُه: «واقفاً»قد دلّ، إضافةً إلى استخدام كلة «فظهر»، على تمثُّل جبريل لزكريا ورؤية زكريا له].

١٩:١ فأجاب الملاكُ: «أنا جبرائيلُ، الواقف أمام الله، وقد أُرسلتُ لأكلّمك وأبشّرك بهذا».

٢ ـ وكذلك عند إنباء جبريل (ع) لمريم (ع) بمقدم عيسى (ع) في **إنجيل لوقا**:

٢٦:١ وفي شهرها السادس، أُرسل الملاكُ جبرائيل من قِبل الله..

٢٧:١١ إلى عذراء.. واسمُ العذراء مريم.

٣٠:١ فقال لها الملاك: «لا تخافي يا مريم، فإنك قد نلت نعمة عند الله!

٣١:١ وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً».

إنّ الرسول، في هاتين الحالتين، من الله إلى الناس، إنّما هو ملاكٌ، وهو بالتحديد، وحسب نصّ إنجيل لوقا نفسه، ليس إلاّ جبرائيل نفسه. وذلك هو مصداقٌ لما جاء في كتاب الله وكلام رسول الله محمد (ﷺ)، والعقيدة الإسلامية.

ولكنّ بولس في دعواه بأنه رسولُ الله إلى الناس، حتى أنّه أسمّى نفسه «بولس الرسول»، قد جاء شيئاً عجباً، فهو ادّعى تارةً بأنّ الرّب «يسوع» (الأقنوم الثاني) قد ظهر له، وادّعى تارةً أخرى بأن الله الروح القدس (الأقنوم الثالث) قد ظهر له، وتارةً ثالثةً بأنّ ملاكاً قد كلّمه.



إذا كان الروحُ القدسُ عند المسلمين، وبنصّ القرآن الكريم، هو المَلكُ جبريل (ع) مُرسلاً من الله، فإنّه عند المسيحيين الأقنومُ الثالث من أقانيم ثلاثة لله «الثالوثُ المقدّس»، فهو الله نفسه، وهو غيرُ الملك جبريل (جبرائيل)، وهم يمثّلونه عادة، وكما يظهرُ في اللّوحات المرسومة، على شكل حمامة نازلة من السماء.

ورغم أنّ «الله ـ الروح القدس»، في المعتقد المسيحي الحاضر، هو الله، وأنّ المسيح هو الله أيضاً «الله ـ الابن»، فإنّ الأناجيل تخبّرنا بأنّ الأول قد نزل على الثاني، وأنّ نزوله كان بهيئةٍ جسمية كحمامةٍ. جاء في إنجيل **لوقا**:

٢٢:٣ ونزل [الروحُ القدس] عليه (على المسيح) بهيئة جسمية مثل حمامة.

ورغم قولهم بأنّ الروح القدس هو الله، فإنّ العهد الجديد يخبّرنا بأنه **مُرسَل!**، تماماً مثلما يخبّرنا بأن المسيح، والذي هو ـ إضافة إلى كونه المسيح الذي وُعد به اليهود ـ الله المتجسّدُ نفسه، **مُرْسَلٌ** من «الله ـ الآب». والعقلُ يقول بأنّ الله يكونُ مُرسِلاً، لا مُرسَلاً! ولكنّنا نقرأ في رسالة **بطرس** الرسول الأولى:

١٢:١ .. في الروح القدس المُرسَل من السماء.

والروح القدس، في المسيحية، يوحي حتى إلى الناس العاديين، من غير «الرُسل»، فها هو يوحي إلى سِمعان، الرجل التقي، كما في إنجيل **لوقا**:

٢٦:٢ وكان قد أُوحي إليه [إلى سمعان] بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب.

والسيدة العذراء مريم، في الأناجيل، لم تحمل عيسى بوساطة الروح القدس،وإنما منه. جاء في إنجيل **متى**:

١٨:١ .. وجدت [مريم] حُبلى من الروح القدس.

وإذا كانت العذراء مريم، حسب هذا النص، زوجة لله ـ الروح القدس، فلا نستغربن من اعتقاد قسم من المسيحيين بألوهيّتها، أو اعتقادهم جميعاً بأن المسيح هو ابن الله ـ وكلا الأمرين باطل طبعاً في الإسلام ـ، وحسب هذه النصوص فإن السيدة العذراء قد حبلت بالسيد المسيح من «الله ـ الروح

القدس»، ولكنه لم يخبّرها بذلك، حتى وصل حملها ستة أشهر، فقام الملك جبرائيل بإخبارها. ولا نعلم سبب ترك «الله ـ الروح القدس» للسيدة مريم فريسة للمعاناة، بسبب جهلها بما فعل بها وأراد من أمرها.

إنه يحدث في حُلمٍ، كما في إنجيل **متّى**:

١٢:٢ ثم إذ أوحي إليهم في حُلمٍ.

٢٢:٢ وإذ أُوحي إليه في حُلْم.

وبالحقّ، فإنّ هذه النظرة إلى الأحلام على أنّهاهي الوحيُ الإلهيُّ المتنزّلُ على الإنسان لا يُمكن أن تصِحَّ بحال. فأكثرُ الأحلام هي «أضغاثٌ»، والرُّؤى في الإسلام لا يُمكنُ أن تُشكِّل مصدراً للعقيدة أو الشريعة. نعم، إنّ أحلام الصالحين من عباد الله قد تَصدُق، ولكنَّ هذا شيءٌ، واعتبارُها مصدراً للمعتقد أو التشريع الإلهيِّ لهو شيءٌ آخرُ مختلفٌ تماماً.

**ومن هو الرسولُ، في المسيحية؟**

١ ـ يُسمّى المسيحيون السيد المسيح رسولاً من «الله ـ الآب»، كما في إنجيل يوحنّا:

٢١:٢٠ فقال لهم [لتلاميذه] يسوعُ أيضاً: سلامٌ لكم كما أرسلني الآبُ أُرسلكم أنا.

**ويقول قاموس الكتاب المقدس:**

وسُمّي مخلِّصُنا رسولاً [عبرانيين ١:٣] وهو خليقٌ بهذا الإسم، لأنه هو المرسل من الآب لخلاص البشرية. وفي ٤٢ موضعاً من إنجيل يوحنا يتحدثُ المسيحُ عن نفسه بأنه مُرسَلٌ من الآب.

**أمّا الطبعة الإنكليزية** من الكتاب ذاته، فتقول:

إنّ الرسولَ هو شخصٌ مُرسَلٌ إلى آخر. تُستخدم هذه الكلمة كتعريف وصفيٍّ ليسوع المسيح المرسل من الآب [رسالة بولس إلى العبرانيين ١:٣].

٢ ـ ولكنَّ المسيحيين يطلقون الإسم ذاته على حواريّي المسيح، أي أنصارِه الخُلّص Disciples، وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم **﴿..قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ**



**اللهِ..﴾** [الصف:١٤]. وقيل بأنهم سُمّوا بالحواريين لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم.

ويقولُ **قاموس الكتاب المقدّس**، أيضاً، في مادة «رسول»:

يُطلق الإسم بصفةٍ خاصّة على تلاميذ الربِّ يسوعَ الإثني عشر الذين اختارَهم ليعاينوا حوادث حياته على الأرض ويَرَوْهُ بعد قيامته ويشهدوا له أمام العالَمِ بعد حُلول الروح القدس عليهم [إنجيل متى ١٠:٢ ـ ٤٢].

يُشترط في الرسول أن يكون قد اتّصل بالمسيح وعاشره وتلقى تعاليمه منه مباشرةً.

فحواريّو المسيح، أو تلامذتُه، هم قومٌ عايشوا المسيحَ مُعايشةً قريبة، وأخلصوا له أنفسهم، وعزّروه، ونصروه، لا بل إنّ المسيح (ع) قد اختارهم بنفسه، عند وجوده على الأرض، لا «ليعاينوا حوادث حياته» وحسب، بل ولينصروه أيضاً، وليساعدوه في نشر دعوته.

وإذ اعتُبر بولسُ رسولاً، بل هو صار أعظم «الرّسل» مكانةً عند المسيحيين، فإنه لم يلقَ المسيحَ ولم يأخذ عنه، رغم معاصرته له، لا بل هو كان بعد رَفع المسيح أشدَّ الناس اضطهاداً للمسيحيّة والمسيحيين، وما كان كذلك حواريو المسيح.

وتتضمنُ أسفار العهد الجديد أربع قوائم مختلفةً بأسماء أولئك الحواريين، ويقول المصدر ذاته:

ولدينا أربعُ قوائم للحواريين، واحدةٌ في كلٍّ من الأناجيل المتوافقة، وأخرى في «أعمال الرسل»، ولكن لا يوجد منها اثنتان متطابقتان.

وأمّا **قاموس الكتاب المقدس، في طبعته الإنكليزية**، فيقول عن كلمة الرسول[1]:

لكنّ هذا الإسم يُستخدم عامّةً للإشارة إلى مجموعة التلاميذ التي أوكل إليها المسيحُ تكوين كنيسته، وهم «الإثنا عشر» كما يُشار إليهم [متى ١:١٠ ـ ٥].

(1) Apostle: It is, however, generally used as designating the body of disciples to whom he intrusted the organization of his church, "the twelve", as they are called (Matt. 10:1-5).

وتقول الكنيسة إنّ أسفار العهد الجديد قد كُتبت بإلهامِ الروح القدس، وأنّ «الرسل» قد صرحوا بأنّ رسائلهم التي ضُمِّنت في العهد الجديد هي «جزءٌ من كلمة الله» [١تسالونيكي ٢:١٣].

ويذكر إنجيلُ **متى** وصيّةً غريبة ينسبها إلى السيّد المسيح - ويحارُ فيها دُعاةُ المسيحية العالمية - يُوصيهم فيها بأن لا يتوجهوا بدعوتهم إلى غير اليهود.

١٠:٥ هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوعُ وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أُممٍ لا تمضوا، وإلى مدينةٍ للسامريّين لا تدخلوا.

١٠:٦ بل اذهبوا بالحريِّ إلى خِراف بيتِ إسرائيل الضالّة.

٣ - ورغم اشتراط أن يكون الرُسُل قد اتصلوا بالمسيح وعاشروه، وتلقّوا تعاليمهم منه مباشرةً، بل هم اختارهم المسيحُ نفسهُ، إلاّ أنّ المسيحية استثنت بولس من هذه الشروط جميعاً، واعتبرته رسولاً، رغم عدم تمتّعه بأيٍّ من الشروط المستوجب توفُّرُها في الرسول [قاموس الكتاب المقدس].

وإذْ يخبّرنا إنجيلُ متى بخطابٍ مفصّلٍ من المسيح إلى تلاميذه الإثني عشر، أو حوارييه الذين اختارهم، يُعلِّمهم فيه كلَّ ما يَهمُّهم ويَهُمُّ الدين ونشره، فإنَّ بولس لم يكن من أولئك. وإذ عَرَفَ العالمُ جميعاً أولئك التلاميذ الإثني عشر الذين اختارهم المسيحُ، فإنّ بولس لم يكن منهم، والدليلُ الوحيد على كونه رسولاً من المسيح هو ادعاؤه هو نفسه في موقفٍ غريبٍ مُعجب.

وإذ لا ريب في أنّ حواريّي المسيح، باستثناء يهوذا الأسخريوطي الذي قيل بأن هو الذي أسلم المسيح إلى جلاّديه، كانوا أحسن الناس، وأخلصَهُم للمسيح بحقٍّ، فإنّ شاول اليهوديَّ الذي غيّر اسمه إلى بولس بعد انتحاله المسيحية، كان لا يني تقتيلاً واضطهاداً للمسيحيين، وما هكذا يكونُ الرسول من الله، ولا كان رُسُل الله قطُّ!

**وما هي صفاتُ أولئك التلاميذ؟**

يقول إنجيل متى عن حال المسيح مع تلاميذه:



١٠:١ ثم دعا تلاميذه الإثني عشر
وأعطاهُم سُلطاناً على أرواحٍ نجسةٍ حتى يُخرجوها.
ويَشْفوا كلَّ مَريضٍ
وكلَّ ضعفٍ

١٠:٨ إشْفُوا مرضى. طهِّروا برصاً. أقيموا موتى.
أخرِجوا شياطين.

هذا هو حالُ تلاميذ المسيح، حسب الأناجيل، على زمن المسيح. فماذا كان يفعل بولسُ حينذاك، وماذا فَعَل بعد ذلك، إلاّ القتل؟ ألا ما أبعدَ بولس عن حواريّي المسيح المُخلَصين! وإنّنا لنجدُ تفاصيل ذلك كلَّه في سفر «أعمال الرسل» الذي ذكر لنا العَجَبَ العُجاب من أفاعيل بولس، وعلى لسانه هو، بالمسيحية والمسيحيين، ممّا لا مزيد عليه من التعذيب، والقتل، والإضطهاد، لا بل إنّ بولس نفسه ليعترفُ بأفاعيله هو نفسه في رسائله التي يحتويها الكتابُ المقدس، باعتبارها جزءاً من «العهد الجديد»!

ولم تكن رسالةُ بولس المدّعاةُ إلاّ بعد سبع سنوات من رفع السيد المسيح، مثلما ينقل الباحثون، ولكنَّ العهد الجديد، ومن خلال «أعمال الرسل»، ورسائل بولس نفسه، ليُسبغُ على بولس من صنوف المدح ما لم يسبغهُ المسيحُ على حوارييه. وهاك ما يقولُه قاموسُ الكتاب المقدس عنه، وهو مثالٌ لرفع النصوص المسيحية بولسَ فوق مستوى حواريّي السيد المسيح:

بعد الصعود [صعود المسيح] بسبع سنوات، دُعي بولسُ من المسيح إذ كان في الطريق بين أورشليم ودمشق [نفسُ بولس الذي قال عنه صاحبُه الحميم لوقا - أعمال الرسل» ٨:٣ «أما شاولُ فكان يحاول إبادة الكنيسة، فيذهبُ من بيت إلى بيت ويجرُّ الرجال والنساء (حتى النساء) ويُلقيهم في السجن»)، ومع أنه لم يكن ضمن الإثني عشر، إلاّ أنه جاهد وتعب أكثر من جميعهم، وكرّز في بلاد أكثر، وكتب رسائل أكثر.

ولذلك سببٌ وجيه، ودلالةٌ خطيرة، وهي أنّ ما جاء به بولسُ من عقيدةٍ

إنما كان تلفيقاً من عنده، لا ما نقله الحواريّون عن المسيح. وها هو بولسُ يُعلن في رسالته إلى أهل **غلاطية** أنه ليس إلاّ **رسولاً من «يسوع المسيح» و«الله ـ الآب»**، حتى يبشّر بذلك بين الأمم. إنه لا يقبلُ أن يعترف بأنّ ما يقولُ به قد سمعه أو قبله من أحدٍ من الحواريّين الحقيقيّين، أو غيرهم، من كلام المسيح.

ليت شعري، كيف يعترف بولسُ لحواريّي المسيح بأنه قد أخذ شيئاً عنهم، البتّة، وهو يعلم علم اليقين أنّ ما جاء به (أي بولس) من عقيدة أنّ المسيح هو ابنُ الله واللهُ المتجسّدُ نفسه هو ما لم يفُه به السيّد المسيح (ع) ولم يخطر على قلبه؟

١:١ بولُسُ، رسولٌ لا من الناس ولا بإنسانٍ، بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات [لقد جعل بولس من نفسه في هذه الفقرة وأمثالها المصدر الوحيد للعقيدة المسيحية، وصيّر غيره من حواريّي المسيح صفرا].

١١:١ وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به، أنه ليس بحسب إنسان [إن بولس هنا لا يرضى بأقل من أن يدعو ما جاء به إنجيلاً، إنجيلاً بحسبه هو. فأين هو إنجيل السيد المسيح، وأين ما استحفظه منه حواريّو المسيح؟].

١٢:١ لأني لم أقبله من عند إنسان، ولا عُلِّمْتُهُ. بل بإعلان يسوع المسيح [اعتراف صريح من بولس بأن ما جاء به لم ينقله أحد من تلاميذ المسيح، وهو مختلف عما كانوا يقولون به. وهذا لا شك سبب معقول جداً، بل ومُلْزم، للاعتقاد بأن كتبة الأناجيل الأربعة، وهي كلها كتبت بعد زمن كتابة بولس لرسائله، قد تأثروا أعظم تأثرٍ، إن لم يكونوا اضطُرّوا لمماشاة ما عَلّمَ به بولس].

١٣:١ فإنّكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية، أنّي كنت اضطهدُ كنيسة الله بإفراط وأتلفها.

١٥:١ ولكن لما سرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته [ما أدرى بولس بأن الله قد أفرزه وهو في بطن أمه، لتلك الرسالة الخطيرة؟



هنا يتّضح كذبُ بولس الصُّراح، لأنه لو كان كذلك فلم قد تركه يسيرُ تلك السيرة الشّنعاء مع المسيحيين والمسيحية، من الاضطهاد والتقتيل، طيلة تلك الفترة؟].

١٦:١ أن يعلن ابنه فيَّ لأُبشِّر به بين الأمم [ها هنا تظهرُ الفضيحةُ الكبرى لبولس، وهي زلّةُ لسان منه دعاهُ إليها هوسُه بالتفاخر: إنّ الله ـ الآب» لم يُعلن عن «الله ـ الابن» إلاّ على لسان بولس نفسه. ولِمَ؟ حتى يصير بولس رسولاً مبشّراً بابن الله، لا بين اليهود، وإنما بين الأمم جميعاً. وهذا مانراه دليلاً قوياً على أنّ حواريّي المسيح (ع) لم يقولوا ببنوّته لله، بل هي دعوة ادّعاها بولسُ بأنّ الله قد أراد أن يعلنها بشخصه هو].

٢٤:١١ فكانوا يمجّدون الله فيَّ [هذا هو هدف بولس الحقيقي: التمجيد له].

وبولس يتهمُ غيره بأنهم رُسُلٌ كَذَبةٌ، وهو لا يفعلُ ما يفعلُه إلاّ ليقطع الطريق على الذين يريدون فرصةً في أن يوجدوا ويفتخروا مثله، وهو ليس أقلَّ من غيره من الرسل. جاء في رسالته لثانية إلى أهل **كورنثوس**:

٥:١١ لأني أحسبُ أنّي لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل.

١٢:١١ ولكن ما أفعلُه سأفعلُه لأقطع فرصة الذين يريدون فرصةً كي يوجدوا كما نحن أيضاً في ما يفتخرون به [لاحظ كلمة «يفتخرون» تجد فيها مفتاح شخصية بولس وأسراره المستغلقة].

١٣:١١ لأنّ مثلَ هؤلاء هم رُسُلٌ كَذَبةٌ، فعلةٌ ماكرون، مغيّرون شكلهم إلى شبه رُسُل المسيح[1].

وانظر إلى تضخّم «الأنا» الكبير، وتمدّدها. إنّها المباهاةُ والتفاخر والتعالي في أجلى صورها:

٢٢:١١ أهُمْ عِبرانيون؟ فأنا أيضاً.
أهُمْ إسرائيليون؟ فأنا أيضاً.
أهم نسلُ إبراهيم؟ فأنا أيضاً.

(١ و٢) ونسأل أنفسنا بكل إخلاص وتجرد: هل كان السيد المسيح ليتكلم مثل هذاالكلام الذي ينضح بالتبجح، والافتخار، والتعالي، والامتنان؟

٢٣:١١ أهم خُدّامُ المسيح؟ أقول كمختلِّ العقل، فأنا أفضلُ: في الأتعاب أكثرُ، في الضَرَبات أوفرُ، في السجون أكثرُ، في الميتاتِ مراراً كثيرة(٢).

وهكذا صارت رسائلُ بولس الحاوية على أمثال هذه التفاخرات ضمن «الكتب المقدسة». لم يكن بولسُ من تلاميذ المسيح، وهو لم يعرفه، ولم يشهده، وهو ليس ممّن اختارهم المسيحُ تلاميذ له، وليس ثمّة من دليل على وصفِه لنفسهِ بأنّه رسولُ المسيح إلاّ ادعاؤُه هو نفسُه، مُحاججاً كلَّ مَن أنكر عليه شيئاً من افتراءاته بأنّ المسيح هو من أوحى له، وأنّ المسيح هو الربُّ الإله، وأنّ المسيحية الحقّة هي ما جاء به هو، لا ما جاء به المسيحُ وعرفه وبشرّ به تلاميذه. ويقول في ذلك الباحث البريطاني هيم ماكبي Hyam Maccoby، في كتابه «بولس وتحريف المسيحية(١) (ص٨):

ثمة شخصيتان أساسيتان لا بُدّ من ذكرِهما كلّما أردنا الحديث على أحوال المسيحية: شخصية عيسى (ع) وشخصية بولس. إنّ المسيحيين يظنون أنّ عيسى هو الذي أسّس ديانتهم، ذلك لأنّ أحداث حياته هي التي أرست دعائم المسيحية لكنّهم يعتبرون أن بولس هو المفسِّر الحقيقيّ لمهمّة عيسى، وأنّه هو الذي فسّر بطريقة خاصّة لم نجدها عند عيسى أبداً، كيف أنّ حياة عيسى وموته ينتميان إلى نظام كونيٍّ خاصٍّ يمتدُّ من آدم (ع) إلى نهاية الزّمان.

وإذْ وصَفَ بولسُ نفسه بأنّه رسولٌ من يسوع المسيح والله ـ الآب، فلقد عَرَفَهُ المسيحيون باسم «بولس الرسول»، مثلما قد عُرف باسم «رسول الأمم». ولقد أصابتني الدهشة عندما وجدتُ قاموس الكتاب المقدس يصف بولس، في تعريفه لكلمة Apostle «الرسول»، على أنه «بولس عدم الختان» Paul, the "apostle of the uncircumcision"، كيف وهو المسؤول عن إبطال الختان في المسيحية، على العكس مما عهِدَ به الله إلى رسله أجمعين، وفي عهده إلى إبراهيم (ع) وذريّته، وعلى الرّغم من ختان عيسى (ع) في اليوم ٧ من ولادته، كما أخبرتنا الأناجيلُ بذلك؟

(١) The Mythmaker: Paul and the Invention of Chrisianity (1986) ترجمة سميرة عزمي الدين: المعهد الدولي للدراسات الإنسانية. ماكبي هو أستاذ تاريخ الأديان في معهد «ليوبايك» في لندن.



إنّ المسيح، وبنصِّ العهد الجديد، هو رسولُ الله، فكيف يكون حواريّوه رسلاً لله؟ ثم لا يلبثُ العهد الجديد أخيراً حتى يخبرنا، وعلى لسان بولس نفسه، بأنّ بولس هو أيضاً رسولٌ من «المسيح ـ الإله» إلى الناس، رغم عدم انطباق شروط الرسالة فيه والواردة في أسفار العهد الجديد المختلفة نفسها.

وبينما تزعُمُ الأناجيل أنّ المسيح قد صرّح بأنه قد أُرسل إلى «الخِراف الضّالة من بني إسرائيل»، وحسب، وأنّه قد أوصى حواريّيه أو «رسله» الإثني عشر بأن لا يدعوا غير اليهود، فها هو بولسُ يُجاهرُ بأن «الرّب» قد أرسله إلى الناس أجمعين. وهذا التناقضُ إمّا أن يكون سببُه خَلَلٌ واضطرابٌ في نصوص العهد الجديد يعود إلى أنّ كاتبيه ليسوا موحىً إليهم من الله كما ادّعوا، أو أنّ بولس كان كاذباً. وللكنيسة وحدها أن تُجيب على هذا السؤال.

**«الله ـ الآب» لم يصِف حتى «ابنه» بهذه العبارة!**

إنّ الربَّ «قد أوصانا» (هكذا يقول بولس)، قائلاً: قد جعلتُك [جعل بولس] نوراً للأُمم، ليكون سبيل خلاصٍ إلى أقصى الأرض. يقول بولس، في **«أعمال الرسل»**:

٤٧:١٣ فقد أوصانا [!] الربُّ قائلاً: قد جعلتُك نوراً للأمم، لتكون سبيل خلاصٍ إلى أقصى الأرض.

يا له من فضلٍ قد تفضّل به الرّبُّ على بولس، ممّا لم يَحزُهُ الرّبُّ [يسوع] نفسه! وللكنيسةُ أن تشرح للناس هذا التفضيل العجيب، خصوصاً وأنّ المسيح كان يخبّرُ تلاميذه مراراً أنّ برّهم هو شرطٌ لازمٌ لتلمذتهم له.

**من هم الأنبياء، Prophets، في الكتاب المقدس؟**

يقول قاموسُ الكتاب المقدس في تعريف «النبيّ»:

إنّ الكتاب المقدس يعتبرُ أنّ النبيَّ هو من يتكلّم بما يُوحى إليه من الله، فأقواله ليست من بنات أفكاره، ولكنّها من مصدرٍ أسمى. والنبيُّ هو في نفس الوقت الرائي الذي يرى أموراً لا تقع في دائرة البصر الطبيعي، ويسمعُ أشياء لا تستطيعُ الأذن الطبيعية أن تسمعها. وقد عرف العهدُ القديم عدداً كبيراً من الأنبياء، وكان الأنبياءُ من عماد الحياة في المجتمع العبراني. وكانوا، مع الحكماء والكهنة، مستشاري

الدولة ومقرّري مصائرِها. ويحذِّرُ العهدُ القديم من الأنبياء الكَذَبَة ويصفُهم بأنهم يدّعون بأنّهم مُرسلون مِن عند الله.

**بولس والأنبياء الكذبة**

جاء في رسالة يوحنا الأولى، عن السيد المسيح، قولُه:

٤:١أيّها الأحباء لا تصدّقوا كلَّ روحٍ،
بل امتحنواالأرواح: هل هي من عند الله؟
لأنَّ أنبياء كثيرين قد خرجوا إلى العالم.

إن أولئك الكذبة، حسب هذا النصِّ المرويِّ عن السيد المسيح، يدّعون بأنّهم رسل من الله، يجيئون إلى القوم الذين كان المسيح يخاطبهم، وهم كذبة، ويأمرُ المسيح سامعيه أن يمتحنوا أولئك المدّعين.

ولعمري، أنْ لو امتحنّا ذلك العدد الكبير من مُدَّعي النبوّة والرّسالة في قومه، بعد رفعه لم نجد مَن قد كَذَب على الله وعلى السيد المسيح، وبدّل الرسالتيْن الموسوية والعيسوية، كما بدّل بولسُ. كما لا يشهدُ عدد الأنبياء والرسل الكبير جدّاً، في تلك الفترة، إلاّ بكذبهم. إذ ما هي الحاجةُ إلى رسالةٍ جديدة ولمّا يغادرهم السيدُ المسيح؟

وثمة أنبياءُ ونبيّاتٌ في العهد القديم، ذُكرت أسماؤهم، كما ذكر العهد الجديد أسماء بعض الأنبياء كيوحنا المعمدان، و«القديس يوحنا اللاهوتي النبي»، وبعض النبياتِ، مثل بنات فيلبُّس المبشّر [أعمال الرسل ٢١:٨]، وثمّة أنبياءُ كذبةٌ في العهد القديم يعارضون الأنبياء الحقيقيين، المرّة بعد المرة، ويدّعون بأنهم مُرسَلون من عند الله.

**بولس: أربعُ أخواتٍ كلُّهن نبياتٌ:**

ويتحدّثُ بولس على نزوله ضيفاً في بيت أحد المبشرين، واسمه فيلبُّسُ، ويعلمنا بأنه كانت له أربعُ بناتٍ نبيّات، وبينما كان بولسُ هناك نزل في البيت نفسه نبيٌّ آخرُ اسمُه أغابوس. جاء في «**أعمال الرسل**»:

٢٧:١١وفي تلك الأيام جاء إلى أنطاكية بعضُ الأنبياء من أورشليم.
٢٨:١١ وبينهم نبيّ اسمه أغابوس، تنبأ بوحيٍ من الروحِ أنّ مجاعةً عظيمةً ستحدث.
٨:٢١ ونزلْنا ضيوفاً ببيت المبشِّر فيلبس،



٩:٢١ وله أربعُ بناتٍ عذارى كنَّ يتنبأن.
١٠:٢١ وبينما نحن هناك جاءنا من منطقة اليهودية نبيٌّ اسمُه أغابوس.

فما أكثرالأنبياء، والنبيات إذاً، حسب العهد الجديد، وهذا كلّه والسيدُ المسيح لم يكد أن يغادرهم، أليس هو مَنْ حذّرهم من الأنبياء والرسل الكذبة؟ ولقد ذكر لنا العهدانِ القديمُ والجديدُ أسماءً لبعضٍ من أولئك الأنبياء والنبيات الكذبة.

وعندما يخاطبُ المسيحُ الناسَ، حسب العهد الجديد، فإنّه يحذّرهم من المسحاء والأنبياء الكذبة:

متى ٢٤:٢٤ لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة.

رسالة بطرس الرسول الثانية ١:٢ ولكنْ، كان أيضاً في الشعب أنبياءُ كذبة، كما سيكون فيكم أيضاً معلّمون كذبة.

أعمال الرسل ١:١٣ وكان في الكنيسة التي في أنطاكية بعضُ الأنبياء والمعلّمين، ومنهم برنابا، وسِمعان، ولوكيوس، ومناين، وشاول.

٢:١٣ وذات يوم، وهم صائمون يتعبدون للربّ... قال لهم الروحُ القدس: «خصِّصوا لي برنابا وشاول لأجل العمل الذي دعوتهما إليه».

ولما كان اتصال الروح القدس بهؤلاء قد حدث وهم يتعبّدون، معاً، فإنّ ذلك لم يكن في رؤيا أو إغماءةً أو في حُلم، على غير العادة في وصف اتصال الروح القدس بالناس، وهو ما يجعل الأمر يبدو وكأنّه كان في انتباهةٍ كاملة ووعي تامٍّ منهم.

سيتبيّنُ لنا، بعد قليل، من خلال التناقضات في كلام بولس، عدمُ صحّة ما ادّعاه، وأنّه لم يكن إلاّ ذلك الشخص الذي حذّر المسيحُ منه، ومن أمثاله، نبيّاً رسولاً كاذباً، وأنّ بولس قد كشف عما في دخيلته من ابتداع «الدين» الجديد، من خلال تأكيده على أنّ ما بشر به لم يكن بحسب إنسان، حتى لو كان أُولئك الناسُ ليسوا إلاّ «رُسُلَ» المسيح وحواريّيه أنفسهم، الذين أرسلهم إلى الناس ليبشّروا بالدين الجديد!

**بولس «رسولُ» الله، إلى مَن؟**

الكلُّ يعرف تلك العبارة الشهيرة التي نسبها إنجيل متى إلى السيد المسيح:

٢٤:١٥ «لم أُرسَل إلاّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة».

ولكِنْ إذا كان المسيح، بنصّ إنجيل متى، رسولاً إلى بني إسرائيل وحدهم، فإنّ بولس لهو شيءٌ مختلفٌ تماماً، فهو بحسب ادّعائه، رسولٌ إلهيٌّ أُرسل بتوصية إلهية، وهو نورٌ للأمم يصل إلى أقصى الأرض. لا بل إنه لا يقول «أوصاني الربُّ»، بل يقول «أوصانا الرب». ووصيةُ الله للناس لا بدّ أن يحترموها ويقدّسوها، فصارت الوصيّة من الله للناس ببولسَ، الذي هو نورٌ للأمم، وسبيلُ الخلاص إلى أقصى الأرض. جاء في «**أعمال الرسل**»، على لسانِ بولس:

٤٧:١٣ «فقد أوصانا الربُّ «أوصى الله بولس والناس» قائلاً:
قد جعلتُكَ [يا بولس!] نوراً للأمم ،
لتكون سبيل خلاصٍ، إلى أقصى الأرض!».

فإذا كانت رسالةُ السيدِ المسيح، حسب القول المنسوب إليه في إنجيل متى، محصورةً في أرض فلسطين، وفي سكّانها اليهود وحدهم، فها هي رسالةُ بولس بأمر الله يشعُّ نورها في أقطار الأرض الأربعة، سبيلاً وحيداً للخلاص. فمرحى يا بولسُ على الدرجة الرفيعة التي أخبرتنا بوضعِ الله إياكَ فيها، فإنّ يهود فلسطين لا يُعدّونَ شيئاً مذكوراً أمام جهات الأرضِ الأربع!

ولكن مهلاً، فليس ذلك هو كلُّ ما في جعبة بولس، فهو لديه المزيد، وكأيٍّ حاوٍ للأفاعي في ألعابه السحرية: إنّه ليُخبّرُنا، في مناسبةٍ أخرى شيئاً آخر مختلفاً تماماً.

إنَّ بطرس هو «رسول الله» إلى اليهود، وأمّا بولسُ فهو رسولُ الله إلى غير اليهود، وفي العالم كلِّه. فها هي نعمةُ الله تختصُ بولس دون سواه بالفضل الأكبر، والحصّة الأعظم من نعمه، حتى ولو كانت أكبر من النعم المُنعم بها على «الله - الإبن» نفسِه، أو بطرس رأس الكنيسة ومؤسّسها، وها هو بولسُ يقولُ في رسالته إلى أهل غلاطية:

٨:٢ فالله الذي جعل بُطرس رسولاً لليهود، هو جعلني رسولاً لغير اليهود.

ولا ندري لِمَ قد اختصّ الله نورَ الأمم، وسبيل الخلاص إلى أقصى الأرض، بغير اليهود، فحجبه عن اليهود.





| المسيح | بولس |
| --- | --- |
| ١ - المسيحُ يصفُ نفسه:<br>إنجيل متى -<br>٢٢:١٥ وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: «ارحمني، يا سيّدُ، يا ابن داود! إبنتي مجنونة جداً».<br>٢٣:١٥ فلم يجبها بكلمةٍ. فتقدّم تلاميذُه، وطلبوا إليه قائلين: «اصرفْها، لأنها تصيحُ وراءنا!».<br>٢٤:١٥ فأجاب وقال: «لم أُرسَل إلاّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة».<br>٢٥:١٥ فأتتْ وسجدت له قائلةً: «يا سيّدُ، أعنّي!»<br>٢٦:١٥ فأجاب وقال: «ليس حسناً أن يُؤخذ خبزُ البنين ويُطرح للكلاب».<br>٢٧:١٥ قالت «نعم يا سيّدُ! والكلابُ أيضاً تأكلُ من الفُتات الذي يسقطُ من مائدة أربابها!». | أعمال الرسل -<br>٤٧:١٣ «لأنْ هكذا أوصانا الربُّ: قد أقمتُكَ نوراً للأُمم، لتكون خلاصاً إلى أقصى الأرض!». |
| ٢ - المسيحُ يوصي حواريّيه الإثني عشرَ:<br>إنجيل متى -<br>١:١٠ ثم دعا تلاميذه الإثني عشر..<br>٢:١٠ وأمّا أسماء الإثني عشر رسولاً فهي هذه..<br>٥:١٠ هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوعُ وأوصاهم قائلاً:<br>«إلى طريق أُمَمٍ لا تَمضوا،<br>وإلى مدينةٍ للسامريين لا تدخلوا.<br>٦:١٠ بل اذهبوا بالحريِّ إلى خِرافِ بيت إسرائيل | |

**مقارنة بين الأقوال المنسوبة للمسيح، وبولس**

هل نُصَدِّق الأناجيل، فيما نسبته إلى السيدِّ المسيح، من أنه لم يُرسل إلاّ إلى الخراف الضالة من بين إسرائيل؟

وأنه قد أوصى تلاميذه، الإثني عشر، أيضاً، بأن يقصروا دعوتهم التبشيرية على بني إسرائيل؟

أم نصدِّقُ بولس، في خطابه الذي نسبه إليه صاحبه لوقا، في «أعمال الرسل»، من أنّ الربَّ قد أرسله إلى الأمم، وإلى أقصى الأرض؟

إذا كان «الربُّ» LORD، وهذا هو لقبُ المسيح، في العهد الجديد، غالباً، لم يُرِدْ لدعوة المسيح وتلاميذه أن تكون خارج نطاق بني إسرائيل، ولا حتى المدن السامرية!، فَلِمَ هو يعودُ ليرسل «الرسول بولس» إلى الأُمم والناس أجمعين؟

وإذ نلحظُ، فيما نُسب إلى السيد المسيح (ع)، وحاشاه، وصفُه لأبناء بني إسرائيل بالخراف، ولِما عداهم بالكلاب.

فإنّنا نلحظُ، في الوقت ذاته، وصفَ بولس، على لسان الله [!]، بأنه نورٌ للأمم، وسبيلُ خلاصٍ إلى أقصى الأرض. ولا نعلمُ لم قد استحق «الكلابُ»، في وصف المسيح المزعوم، استحقوا نور الأمم: بولس!

يا لها من متناقضاتٍ مُشينة، لا يجد أحدٌ لها تفسيراً.

لكنَّ ثمة تفسيرٍ واحد فقط يخطر على البال، لتفسير هذا التناقض، وهو أنّ المسيح كان ينوي أن يختصَّ الأمم وحدَهم، فيما بعدُ، ببولس، دون خِراف بني إسرائيل، تعويضاً لهم عن وصفه لهم بالكلاب.

**رسالاتُ بولس**

**روايات بولس الثلاث، في «أعمال الرسل»، عن «رؤياه»، تكشف عن كذبه**

أظهرت رواياتُ بولس، في «أعمال الرّسل»، عن رؤياهُ وهو في طريقه من أورشليم إلى دمشق، تناقضاتٍ عديدة صارخة دلّت على اختلاقه لتلك الرؤيا.

وثمة ثلاثُ رواياتٍ لهذا الحدث يرويها تلميذُ بولس وصاحبُه، لوقا، في «أعمال الرسل». وحتى نتبيّن ما فيها من مزاعم متناقضةٍ ندرجُها جميعاً، ثم نبيِّن ما فيها من تناقضٍ.



**أولاً - أعمال الرّسلُ، الإصحاح التاسع:**

> ٣:٩ وفيما هو منطلقٌ إلى دمشق، وقد اقترب منها، لمع حوله فجأة نورٌ من السماء،
>
> ٤:٩ فوقع إلى الأرض.
>
> وسمع صوتاً يقول له: «شاوُلُ! شاوُلُ! لماذا تضطهدني؟».
>
> ٥:٩ فسأل: «من أنت يا سيدُ؟» فجاءه الجوابُ: «أنا يسوعُ الذي أنت تضطهدُه، صعْبٌ عليك أن ترفُسَ المناخِسَ».
>
> ٦:٩ فقال وهو مرتعدٌ ومتحيِّرٌ: «يا ربُّ ماذا تريدُ أن أفعل؟».
>
> فقال له الربُ: «قُمْ، وادخلِ المدينة فيُقال لك ما يجب أن تفعله».
>
> ٧:٩ وأمّا مرافقو شاوُل فوقفوا مذهولين لا ينطقون، فقد سمعوا الصوت ولكنهم لم يَروا أحداً.
>
> the men who journeyed him stood speechless, hearing a voice but seeing no man (KJ21).
>
> ٨:٩ وعندما نهض شاول عن الأرض، فتح عينيه فوجد أنه لا يُبصرُ، فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق،
>
> ٩:٩ حيث بقي ثلاثةَ أيام لا يُبصرُ ولا يأكلُ ولا يشربُ.

يتّضحُ لنا من هذه الرواية الغريبة أنّ شاول هنا قد رأى نوراً من السماء، وهو في طريقه من أورشليم إلى دمشق، يحملُ رسائلَ طلبها بولسُ نفسه من رئيس الكهنة، إلى مجامع اليهود في دمشق لتسهيل القبض على أتباع هذا الطريق من الرجال والنساء المسيحيين، حيثما يجدهُم، ليسوقَهم مقيّدين إلى أورشليم [أعمال ١:٩ و٢]، فوقع على الأرض، وسمع يسوعَ يتكلم معه ويعنّفه ويوجّهه، وأنّ من مع شاول لم يقعوا، بل هم وقفوا مذهولين لا ينطقون، وهم قد سمعوا صوت المسيح أيضاً وكلامه، من غير أن يرى شاول ولا غيرُه أحداً. ثم إنّ شاول ينهضُ ويفتح عينيه ليجدَ أنه قد فقدَ الإبصار لمدّة ثلاثة أيام، حيث يقتادُه من معه إلى دمشق.

ولنا في هذه الأمور وقفةٌ:

١ - لقد لمع من السماء نورٌ أوقع شاول، فوقع على الأرض، ولكنّ من

معه لم يقعوا، بل وقفوا مذهولين. فَلِمَ يقعُ شاول ولا يقعُ غيرُه؟

٢ ـ ووقوعُ شاول، فيما سُميّ بالرؤيا Vision، معناه أنه قد فَقَد وعيه، فكيف عَلِمَ شاول في حالته تلك بأنّ مرافقيه قد سمعوا الصوت ولم يروا أحداً؟

٣ ـ إنّ مرافقي شاول قد تشاركوا معه في أمرَيْن اثنيْن:

(أ) سماعِ صوت المسيح،

(ب) وعدم رؤية أحدٍ ما.

ومؤدّى ذلك أنْ قد سمع أولئك المرافقون نفس ما قد سمعه شاول، وسمعوا المحادثة بين شاول والمسيح، إذ من غير المعقول أن يسمعوا كلام المسيح، حسب النصّ، ولا يسمعوا كلام شاول. والنتيجةُ الطبيعيةُ لسماع هذه المحادثة المزعومة هو إيمانُ مرافقي شاول بما قد آمن به هو، وهو الشيءُ الذي لم يحدث. إنّ المعقول جداً، والمتوقع، هو أنْ يصير من مع بولس أشدَّ مؤمنين ومُناصرين لدعواه، وهو ويا للغرابة ما لم يحدث، ولو كان قد حدث لنشر هؤلاء قصة بولس المثيرة، في الأرض، ولأقام بولس الدنيا ولم يقعدها.

٤ ـ لقد فقد شاول، حسب النصِّ، بصره. ولا سبب لذلك إلاّ لمعانُ النور من السماء. فَلِمَ هو فَقَدَ بصرَهُ، ولَمْ يفقِد الآخرون أبصارهم؟

سوف نرى، من الروايتين الثانية والثالثة، إضافاتٍ وتناقضاتٍ في أقوالِ شاول لا يفسّرها إلاّ اختلاقُه لتلك الأشياء.

**ثانياً ـ أعمال الرسل، الإصحاح الثاني والعشرون:**

٢٢:٦ ولمّا وصلتُ إلى مقربةٍ من دمشق، وكان الوقتُ نحو الظهر، أضاء حولي فجأةً نورٌ باهر،

٢٢:٧ فوقعتُ على الأرض، وسمعتُ صوتاً يقولُ لي شاول، شاول، لماذا تضطهدُني؟

٢٢:٨ فأجبتُ: مَن أنت يا سيدُ؟ فقال: أنا يسوع الناصريُّ الذي أنت تضطهدُه.

٢٢:٩ وقدرأى مرافقيَّ النورَ، ولكنّهم لم يسمعوا صوت مخاطبي.

٢٢:١٠ فسألتُ: ماذا أفعلُ يا ربُّ؟ فأجابني الربُّ: قم وادخل دمشق، وهناك يُقال لك ما يجب عليك أن تفعله.

٢٢:١١ واقتادني مُرافقيَّ بيدي حتى أوصلوني إلى دمشق، لأنّني لم أكن أُبصرُ بسبب شدّة ذلك النور الباهر.



ونلاحظ هنا:

١ ـ أنّ (النور) الذي وصفه شاول، أول مرّةٍ، قد صار هذه المرة (نوراً باهراً).

٢ ـ وهو لم يَعزُ سبب فقدانه بصره إلاّ لذلك النور الباهر، فتوجب أن يفقد من معه أبصارهم أيضاً، كفقده بصره، للسبب ذاته، وهو ما لم يحدُث.

٣ ـ وثمّة إضافةٌ أخرى جديدةٌ، وهي قوله بأنّ مرافقيه قد رأوا النور مثله. ولقد اقتادوه إلى دمشق، فهم لم يفقدوا أبصارهم مثله، وهذا شيءٌ عجيبٌ، إذ لماذا أعمى ذلك النورُ الباهرُ شاوُل وأوقعه أرضاً، وهم واقفون، لم يفقدوا أبصارهم مثله؟ إنّ التعليل الوحيد لهذه القصة العجيبة أن لم يكن ثمة من نورٍ، وأنّ القصة مختلقةٌ كلها.

٤ ـ وإذ زعم بولسُ، في الإصحاح ٩، أنّ مرافقيه قد سمعوا الصوت، فإنه هذه المرّة ينفي ذلك عنهم. فَلِمَ هو أنكرَهُ، بعد أن تطوّع لذكرِه أوّل مرةٍ؟ لا بُدَّ أنّه أدرك افتضاحه، وأن ليس ثمّة من كان معه قد سمع صوتاً هو صوتُ «يسوع الربّ»، في زعمه. ولو كان أحدٌ ممّن معه قد سمع المسيح متكلّماً لكان أولّ المصدّقين والدّاعين بتلك الدعوى، وهو ما لم يحدث، بالطبع. إنّ هذه الجزئيّة، وحدها، تكفي للتطويح بروايات بولس باعتبارها أكاذيب ملفّقة.

**ثالثاً ـ أعمالُ الرسل، الإصحاحُ السادس والعشرون:**

٢٦:١٢ وتوجّهت إلى مدينة دمشق بتفويض وترخيص من رؤساء الكهنة.

٢٦:١٣ فرأيتُ أيها الملك، على الطريق عند الظهر نوراً يفوق نور الشمس يسطعُ حولي وحول مُرافقيَّ،

٢٦:١٤ فسقطنا كلّنا على الأرض. وسمعتُ صوتاً يناديني باللغة العبرية قائلاً: شاولُ، شاولُ، لماذا تضطهدُني؟ يصعُبُ عليك أن ترفس المناخِس.

٢٦:١٥ فسألتُ: من أنت يا سيد؟ فأجاب أنا يسوع الذي أنت تضطهده.

٢٦:١٦ إنهض وقف على قدميك، فقد ظهرتُ لك لأُعيّنك خادماً لي a minister وشاهداً and a witness بهذه الرؤيا التي تراني فيها الآن، وبالرُؤى التي ستراني فيها بعد اليوم.

١٧:٢٦ وسأُنقذك من شعبك from the people ومن الأمم and from the Gentiles التي أُرسلك إليها الآن،
١٨:٢٦ لتفتح عيونهم كي يرجعوا من الظلام إلى النور،
ومن سيطرة الشيطان إلى الله،
فينالوا غفران الخطايا ونصيباً بين الذين تقدّسوا بالإيمان بي.
١٩:٢٦ ومن ذلك الحين لم أُعاند الرؤيا السماوية..
٢٢:٢٦.. ولست أحيدُ عمّا تنبأ به موسى والأنبياء،
٢٤:٢٦ وما إن وصل بولسُ في دفاعه إلى هذا الحدّ، حتى قاطعه فستُوسُ قائلاً بصوتٍ عالٍ: «أجُننت يا بولس! إنّ تبحرّك في العلم أصابك بالجنون».

ونلاحظ هنا تغيراً كبيراً في رواية بولس، فلقد صارت أطول من سابقتيها، وبإضافات جديدة:

١ ـ فلقد صار «النورُ الذي لمع من السماء» نوراً يفوق نور الشمس،

٢ ـ وصار ذلك النورُ يُحيط بشاوُل ومن معه، وهو مدعاة لأن يفقدوا أبصارهم هم أيضاً، لا أن يفقد بصره وحده، كما ادّعى.

٣ ـ وسقط الجميعُ «**سقطنا كلُّنا** على الأرض» هذه المرّة، بينما هو لم يذكر هذا الشيء في روايته الأولى، والتي ادّعى فيها أنّ مرافقيه كانوا واقفين حينئذ. وليس هذا وحده، بل لقد كانوا مذهولين أيضاً.

٤ ـ وليس في هذه الرواية ذكر لفقدان بولس لبصره، إذ صار «الرسولُ بولس» في غنى عن يدي حنانيا اللتين تمتدّان إليه لتعيدا إليه بصره، كما في الروايتيْن السابقتيْن.

٥ ـ ولعمري، إنّ قول شاول، أو بولس، هنا، لأمراً إدّاً.
إنه يقول، في الرواية الأولى، بأنهم كانوا واقفين مذهولين،
بينما هو يدعي في الرواية الثانية، بأنهم قد سقطوا معاً، جميعاً.
ونحن لا نقولُ عن أحدٍ بأنه واقف مذهولاً إلاّ ونعني بأنه كان محتفظاً بوعيه. فالذي يفقد وعيه يخِرُّ إلى الأرض ساقطاً، وهو ما لم يحدث حسب الرواية الأولى.

وقد يُصيب الكللُ ذاكرة الإنسان، من شيخوخة أو مرض، ولكنه يظل عادةً محتفظاً بذكرياته القديمة، وبتفاصيلها التي لا ينساها، وهو ما يعرفه



كلُّ طبيب. والموقف الذي وصفه بولس من ظهور ذلك النور المُعمي للأبصار، والذي سقط بسببه إلى الأرض، لهُوَ موقف فريد، غريب، وهو ممّا ينطبع في ذاكرة الإنسان، فلا ينساه صاحبه أبداً. ومثلُ هذا الموقف هو ما لا يحدث مثله، لو هو حدث، في حياة الإنسان، لا قبله ولا بعده، أبداً. ومثلُ هذه المواقف لا يزال يتمثّلُ في ذهن المرء الحين بعد الحين، طيلة عمره، ولا ينساه أبداً، بل إنّ تلك المشاهد الغريبة والمخيفة لهي تتمثّل لصاحبها في كلِّ حين ، وبكل قوّة، وهو ما يُعرف طبيّاً بالتذكر اللاإرادي المتكرّر والمفاجئ والشديد Flashbacks. ومِثلُ ذلك هو ما لا يمكن أن يتطرّق إليه نسيانٌ بحال، اللّهم إلاّ في حالة واحدة، وهي أنّ الأمر إن هو إلاّ أكذوبة ملفّقة، في سلسلةٍ من الأكاذيب التي لا يعود المرءُ يتذكرها كلَّها، لكثرتها أوّلاً، ولعدم كونها حقيقة مطبوعة في ذهن المرء ثانية. وتهافت روايات بولس لا يدلُّ إلا على كذبه.

٦ ـ ولقد ادعى بولس، هذه المرة، أنّ المسيح قد خاطبه بالعبرية، وهو ما لم يقله من قبل، وذلك ليس إلاّ زيادة في حبكة القصة لإسباغ مسحة من الواقعية عليها.

٧ ـ وإذ يسألُ بولس، في الرواية الأولى، عيسى، عما يتعيّن عليه أن يفعله، يُجيبه: «قم، وادخل المدينة فيقال لك ما يجب أن تفعله»، فإنّ عيسى ليحكي مع بولس، هذه المرة، كلاماً طويلاً هو تفصيل لما يتوجّب عليه أن يفعله، بالفعل! لا وعداً بأن يُقال له ما يتوجّب عليه فعله بعد أن يدخل دمشق.

وما الذي أخبر به «رسول الربّ» المدعوُّ حنانيّا Anania بولس، حسب الرواية الأولى، بما يتوجّب عليه فعله؟ إنه ليس إلاّ قول حنانيا له:

١٧:٩ «أيّها الأخ شاول، إنّ الربَّ يسوع، الذي ظهر لك في الطريق التي جئت فيها، أرسلني إليك لكي تُبصر وتمتلئ من الروح القدس».

وذلك هو كلُّ ما أخبر به حنانيا شاول حول المطلوب منه، حسب الرواية الأولى. ولكنَّ الرواية الثالثة، وبدلاً من تكرار أمر عيسى لشاول: «قم، وادخل المدينة فيُقال لك ما يجب أن تفعله»، تذكر أشياء أخرى عديدة، إذ أنّه يذكر تفاصيل جديدة لم يذكرها من قبل ويدّعي فيها أنّ المسيح قد:

ـ ظهر له ليعينه.

ـ وأنه قد عيّنه خادماً له[1] a minister،

ـ وشاهداً a witness،

ـ ورسولاً،

ـ ليفتح عيونهم إلخ.. حتى «ينالوا غفران الخطايا ونصيباً بين الذين تقدّسوا بالإيمان به»، أي بالمسيح. أي أنّ الغفران والخلاص لم يعُد بالعمل بالشريعة التي أنزلها الله، وإنما بالإيمان بـ«المخلّص»، وحسب[2].

ـ وأنّ «الربَّ» (المسيح) سينقذُ شاول من شعبه (اليهود)، ومن الأمم الأخرى.

ـ وأنّه سيظهر له في رؤى أخرى في المستقبل.

ـ وأن كلَّ ما قاله ودعا إليه شاول، الذي صار بولس بعد ذلك، إنّما هو طاعة لرؤياه السماوية.

ـ وأنه كمثل موسى، وبقيّة رسل الله، سواء بسواء، وأنه لم يحِد عما جاؤوا به.

وأغلبُ الظّن أنّ بولس قد نسي كذباته القديمة، وانطلق في كذبات أخرى جديدة، ولو كان ما ذكره قد حدث له حقاً لكان ذلك قد انطبع في مخيّلته وذاكرته إلى الأبد، ولما **اختلفت أقواله وتهافتت**.

ولقد كان تلاميذ عيسى (ع) يبشّرون ويكرّزون بدعوته من بعده، لكنَّ بولس مرّت عليه سبعُ سنين عجاف، حسب قول «أعمال الرسل»، وهو منهمك في قتل المسيحيين واضطهادهم، حتى أنّه ليحصل على كتاب من رئيس الكهنة اليهود في أورشليم يسمح له، حسب قوله، بتتبّع المسيحيّين في دمشق، لقتلهم وتعذيبهم وحبسهم. وبالطبع، فإنّ كلَّ دعوة عيسى (ع) وحواريّيه لم تجد أذناً صاغية عند شاول، ولم يُصدِّق منها حرفاً. فماذا حدث له بعد وصوله دمشق؟

(١) Minister، حسب «المورد»، هو الوكيل، والممثل، والكاهن، والوزير، والسفير.

(٢) إنّ من الأهمية بمكان أن نتنبه إلى هذا التشابه المدهش في عدم معقوليته: إن عدم معقولية أن يصير شاول، ذلك المجرم الشرير، أحب الناس وأقربهم إلى الله، في فعل مفاجئ وغير مبرر، لهُوَ كالسحر، هو كعدم معقولية أن يصير إيمان الشخص بالله المخلص المتجسد المصلوب طريقاً للخلاص، وحده، ومهما اجترح المرء من شرور وموبقات.



لقد جاءه حنانيّا، بعد إذ «ناداه الربُّ في رؤيا» [أعمال الرسل» ٩:١٠]، ووضع يديه عليه، فعاد إليه بصره. وحنانيا في الرواية الأولى يخاطبه بقوله:

١٧:٩ «أيها الأخ شاولُ، إنّ الربّ يسوع، الذي ظهر لك في الطريق التي جئت فيها، أرسلني إليك لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس».

وأمّا في الرواية الثانية، فإنه يقول له:

١٤:٢٢ إلهُ آبائنا اختارك مسبقاً لتعرف إرادته، وترى البارّ وتسمع صوتاً من فمه. فإنّك ستكون **شاهداً** له، أمام جميع الناس، بما رأيت وسمعت.

وأمّا في الرواية الثالثة، فلقد أغفل بولس ذكر قصّة حنانيّا كليّةً، فلم يُشرإلى اسم حنانيا، ولا إلى ما ادّعاه، من تبليغ حنانيا له. وصار الذي بلّغ بولس بأنه صار **شاهداً** لـ«الرب» الرّبُّ نفسه، لا حنانيا!

ولا بد أن بولس، مع مرور الأيام، قد فطن، إلى زيادة مُربكةٍ لا مُبرّر لها في روايتيه الأوليَيْن، ثم إنّه لم يعُد بحاجة إلى ما زعمه من قصة حنانيا: لقد صار أكبر في نفسه من أن يحتاج إلى شخص آخر في كلّ ما يزعمه. وهذا الأمر هو مدعاةٌ للشك في القصة برمّتها، قصة مجيء حنانيّا إليه وتبليغه له بأوامر المسيح. فلكم احتاج شاول، في عظمته، من مبلّغين، ليس للمسيح وحده، بل ولحنانيا أيضاً!

وما هي حاجة شاول لحنانيا، «تلميذ الرب»، حتى يُنادي «الربُّ» حنانيا في رؤيا ذكرها «أعمال الرسل» [٩:١٠]، طالباً منه أن يذهب إلى دمشق لرؤية شاول لإعادة البصر إليه وتبليغه، في الرواية الأولى، بأن «الرب يسوع، الذي ظهر لك في الطريق التي جئت فيها، أرسلني إليك لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس»، أو تبليغه، في الرواية الثانية «إله آبائنا اختارك مُسبقاً لتعرف إرادته، وترى البارَّ وتسمع صوتاً من فمه، فإنك ستكون شاهداً عليه أمام جميع الناس بما رأيت وسمعت [٢٢:١٤ و١٥].

لقد أدرك بولس أنّ قصة مجيء حنانيا صارت إضافةً لا لزوم لها، لا بل هي أيضاً مدعاةٌ للشكِّ، إذ ما دام المسيحُ قد ظهر لشاول وتكلّم معه وبلّغه ما أراد تبليغه، فأية حاجة هي إلى وسيط بينهما هو حنانيا؟ ما الحاجة إلى حنانيا أو غير

حنانيا في توصيل رسالةٍ وصلت مباشرةً من «الربّ يسوع» إلى شاول؟

بل ما حاجة «بولس الرسول»، «رسول الربّ»، إلى يد حنانيا حتى تُعيد إليه بصره؟ لقد كان الأولى والمعقول أن يعيد «الربُّ» البصر إلى بولس بعد أن فقده مباشرة، تكريماً منه لرسوله، وتثبيتاً لقلبه الذي هو كالصخرة الصّماء في قسوته كما قد شهد هو على نفسه مراراً. ثم إنها كرامةٌ لحنانيا لا يستحقّها، وكان الأولى بفعلها المسيحُ نفسه، فضربُ الحديد وهو حامٍ لَهُوَ أبلغُ في إقناع بولس بألوهيته.

ولذلك كله أغفل بولس، في روايته الثالثة، قصة فقدانه لبصره ثم استرجاعه له، مثل إغفاله ذِكر شخصٍ اسمُه حنانيا، وما كان منه معه.

وإذ يزعمُ بولسُ مخاطبته للمسيح بكلمة Lord، وهي تعني «السيد»، و«المولى»، مثلما هي تعني «الربّ»، فإنّ المسيح، حسب رواية بولس ذاتها، لم يقل له بأنه إلهٌ أو أنه ابنُ الله، لا ولا أنه الله المتجسد نفسه أو هو أقنومٌ ثانٍ لأقانيم ثلاثة لله، ولذلك كلّه دلالةٌ خطيرة في أن تلك الدعاوى كلها لم تكن إلاّ ادعاءاتٍ باطلةً لم يَفُهْ بها المسيح بتاتاً، ولا قال بها حواريوه.

والدليلُ على ذلك أمران اثنان، أوّلُهما ما ذكرناه من خُلوّ مزاعم بولس في مخاطبته المسيح له عن قولٍ للمسيح بألوهيته، وبنوّته لله، إلخ، وثانيهما هو ذلك النصُّ الخطير الذي ذكره لوقا، صاحبُ بولس الحميم، في «**أعمال الرسل**»، إذ إنّه يقول في الإصحاح التاسع نفسه، وبعد ذكر الرواية المزعومة لظهور المسيح لبولس، مباشرةً:

٢٠:٩ وفي الحال بدأ يبشّرُ في المجامع بأنّ يسوع هو ابنُ الله.

٢١:٩ وأثار كلامُه دهشة السامعين، فتساءلوا: «أليس هذا هو الذي كان يُبيدُ جميع الداعين بهذا الاسم في أورشليم؟ أما جاء إلى هنا ليُلقي القبض عليهم ويسوقهم مقيّدين إلى رؤساء الكهنة؟».

إنّ بولس لم يبدأ دعوته بأنّ المسيح هو ابنُ الله إلاّ بعد تلك الرؤيا المزعومة، وبعدها مباشرة. تلك الرؤيا التي لم تُشِر، حسب الكلام الذي



عزاه بولسُ إلى المسيح، وفي الروايات الثلاث جميعها، لا من قريب ولا من بعيد، إلى ألوهية للمسيح أو نُبوّةٍ له لله.

وحُقّ لسامعيه أن يدهشوا لكلامه ذاك. فهو، أوّلاً، شيءٌ جديد لم يجئ به دينٌ سماوي، ولا كتابٌ منزّل، من قبل. ثم، ثانياً، كيف أنّ تلك الدعوة الإلهية المزعومة لم تتنزّل إلاّ على شرِّ الناس، لا على خيّرهم؟

أوَلم يقُل السيدُ المسيح، في إنجيل متى:

١٦:٧ من ثمارهم تعرفونهم.

هل يجتنون من الشوك عنباً، أو من الحَسَك تيناً؟

إنّ أعمال شاول، قتلاً واضطهاداً وحبساً، للمسيحيّين، لهي إعلان على نفسيته المريضة بالإجرام وعداوة الإنسانية، فكيف تختارُ الدعوةُ الإلهية المزعومة لا أحد من الناس إلاّ شاول، أعتى الناس وأشدّهم على المسيحية والمسيحيين؟

وذلك الإنكارُ الذي واجه الناسُ به شاول، في دمشق، بعد تلك الرؤيا المزعومة مباشرة، هو ذاته الإنكارُ، والتشكّك، والريبة العميقة التي واجهها بعد أن فرّ من دمشق إلى أورشليم. جاء في «أعمال الرسل»:

٢٦:٩ ولما وصل شاول إلى أورشليم، حاول أن ينضمّ إلى التلاميذ هناك، فخافوا منه، إذ لم يصدّقوا أنه صار تلميذاً للرب.

وبولسُ لا يكلُّ ولا يملُّ، في رسائله وخطبه، المرّة بعد المرة، من التأكيد على أنه لم يجئ بما ادّعاه من رسالة عن إنسان، أو رُسلٍ ممن كان قبله، أي الحواريين. إنها دعوى جديدة افتراها ولم يكن لها وجود، وهذا ما يقوله في رسالته إلى أهل **غلاطية**:

١:١ بولسُ رسولٌ من الناس لا بإنسان، بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات.

١٦:١ لم أستشِر لحماً ودماً.

١٧:١ ولا صعدتُ إلى أورشليم، إلى الرسل الذين قبلي.

إنها دعوة بعقيدةٍ جديدة، يعترفُ بأنه لم يأخذها من إنسان، ولا حتى بما نقله تلاميذُ المسيح وحواريّوه، بل هو لاهوتٌ جديد على الأديان السماوية افتراهُ وبشّر به، ونسبهُ إلى اتّصالٍ مباشر من «الله الإبن» به، رغم أنّ عيسى حسب ما ادّعاه هو نفسه في «أعمال الرسل» لم يفُه بأيِّ شيءٍ من ذلك أبداً، ولا غيره، اللّهم إلاّ قولُه: «قم وادخل المدينة فيُقال لك ما يجبُ أن تفعله».

ليت شعري لم يُكلِّف «الربُّ» شخصاً ثالثاً ـ حنانيّا ـ لتوصيل ما يريده إلى رسوله، ما دام هو قد تكلّم معه مباشرةً؟

نحن نعلمُ، مسلمين ومسيحيين، بأنّ المسيح (ع)، قد رُفع إلى السّماء، وكلنا يسلّم بذلك، وكذلك نسلّم كلنا بأنّ له، في آخر الزمان، رجوعاً إلى الأرض، وهو ليس بنازلٍ إلى الأرض قبل ذلك. فكيف هو يظهر لشاول، بعد رفعه بفترةٍ زمنيةٍ قصيرة، ليخبره باختياره له رسولاً؟ ولو كان ظهور المسيح لشاول في حلم، لما كان لذلك الضياء المبهر أن يُحيط بشاول ومن معه جميعاً، ثم هو يسقطه أرضاً ويودي ببصره، فهذه كلها آثارٌ مادّية تحكي، لو صحّت، وهي غيرُ صحيحة طبعاً، حضوراً مادّياً للمسيح، وهو شيء مستحيلٌ حدوثه، لأنّ نزولاً له، بعد رفعه، لن يحدث قبل آخر الزمان[1].

إنّ المعروف، حسب المعتقد المسيحي السائد، أنّ اتصال «الله ـ الآب» بالناس يتمُّ من خلال «الله ـ الروح القدس»، الذين «تمتلئُ قلوبهم به». لكن شاول ادّعى بأنّ «الله ـ الآب» قد اتصل به من خلال «الله ـ الإبن» بعد رفع الأخير إلى السماء، وهو أمر لم يحدث ولم يجرؤُ على ادّعائه أحدٌ غير بولس.

وتلك «الرؤيا» المزعومة في روايتي بولس الأولتين صارت في رواية **«أعمال الرسل»** الثالثة مصحوبة بوعد لم يُذكر من قبل، وهو وعد الرؤى المتكررة التي «يرى» فيه بولس المسيح:

١٦:٢٦ فقد ظهرتُ لك.. بهذه الرؤيا التي تراني فيها الآن، وبالرؤى التي ستراني فيها بعد اليوم.

---

(١) يذكر العهد الجديد أن المسيح قد ظهر لتلاميذه مرّات عديدة [أعمال الرسل ١:٣ «وخلال فترة أربعين يوماً بعد آلامه، ظهر لهم مرات عديدة]، ولكنه لم يظهر لأحدٍ بعد ذلك، لأنّه قد «رُفع إلى يمين الله».



والحقيقة أنّ بولس لم يجرؤ على ادّعاء «رؤية» المسيح، حتى ولو هو وضع ذلك على لسان المسيح.

وما اختار السيد المسيح تلاميذه إلاّ لأنهم أحسنُ الناس، فصار يُضرب المثلُ فيهم، في صفاء نفوسهم ونقاوة قلوبهم ومرحمتهم.

فكيف يُراد لنا أن نصدّق بأنّ المسيح قد اختار، بعد رفعه، من هو أحطُّ الناس قدراً، وأكثرُ قلوبهم لؤماً، باعترافه هو نفسه، رسولاً منه إلى البشرية جمعاء؟

هذا وإنه، أي بولس، في زعمه، لهو رسولُ الله الأوحد، الذي أرسله «الرب يسوع» إلى الناس، من بعد رفعه، وهو ظهر له وتكلّم معه، مثلما هو أوّلُ من بشّر بأنّ المسيح ليس إلاّ ابن الله.

سبحانك ربِّ إنّ هذا لَظُلْمٌ كبير.

## من الذي كلّم بولس، في زعمه
## هل هو «الله - الإبن»؟ أم هو «الله - الروح القدس»؟
## أم هو الملاك؟ أم هؤلاء جميعاً

**أولاً - تكليمُ المسيح له في «رؤيا»:**

زعم بولس أنّ المسيح قد «ظهر» له، أو بالإصحّ كلمه، وهو في طريقه من أورشليم إلى دمشق، فيما وُصف بالرؤيا، في الطبعات العربية من الكتاب المقدس، وبكلمة Vision في الطبعات الإنكليزية، وَوَعَدَهُ برؤى أخرى.

**الرؤيا، في العهد الجديد، ما هي؟**

جاء في قاموس الكتاب المقدس، في تفسير كلمة الرؤيا:

رؤيا (وجمعُها رُؤى) تُستعمل لفظة «رؤيا» في الكتاب المقدس لِمعنيين:

١ - الحُلم في المنام.

٢ - الإعلان.

والواقعُ أنهما معنىً واحد، لأنّ الله يستخدمُ كليهما لإعلان إرادته وحكمه وذلك **عن طريق أشخاص أتقياء تقدّمت حياتُهم وصَفت من أدناس العالم** [وذلك ما لا يُمكن أن ينطبق على شاول الشّرّير، بحالٍ، فهو، وبحقٍّ، آخر من يمكن أن يطلق عليه مثل هذا الوصف].

وقد حذّر الكتابُ المقدس من **الرؤى المزيّفة التي يدّعيها الأشرار**.

ووصفُ الشرير ينطبق تمام الإنطباق على حال شاول قبل رؤياه المزعومة. فما يدّعيه مَن هو شرير، من رسالة أو نبّوة، إنما هو رؤىً مزيفة، وهم «أنبياءُ كذبة»، حسب وصف العهد الجديد نفسه. أمّا قاموس العهد الجديد، في نسخته الإنكليزية Bible Dictionary، فهو يذكر شيئاً مختلفاً، إذ هو يصف «الرؤيا» بأنها:

ظهورٌ مفعمٌ بالحياة، وهو ليس حُلماً.

A vivid apparition, not a dream.



ويحيلُنا هذا المصدر إلى إنجيل **لوقا** [١:٢٢]، حيث ترد كلمة «الرؤيا».

وعندما نرجع إلى الإصحاح الأول من هذا الإنجيل، لرؤية تفاصيل هذه «الرؤيا»، نلاحظ أنه يصفُ ما حدث لزكريا:

١:١١ و١٢ فظهر له ملاكٌ من عند الربّ واقفاً عن يمين مذبح البخور. فاضطرب زكريا لما رآه واستولى عليه الخوفُ.

وتحدثُ مناظرة بين زكريا وبين الملاك الذي يبشّره بيوحنا المعمدان (النبي يحيى في القرآن الكريم):

١:١٩ فأجابه الملاكُ: «أنا جبرائيل، الواقف أمام الله، وقد أُرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا».

وها هنا ذكرٌ صريح لظهور الملك جبريل (جبرائيل في الكتاب المقدس) لزكريا، يبشره بمقدم يحيى.

ونحن نقف هنا حائرين:

بين أن نأخذ بتفسير قاموس الكتاب المقدس، في نسخته العربية، في تفسيره الرؤيا بأنها حلم؟ أو نأخذ بتفسير النسخة الإنكليزية منه، بأنّه الظهور المفعم بالحياة، وبأنه ليس حلماً؟

ونبحث في قاموس «المنجد» للأب لويس معلوف اليسوعي، فنجد أنه يفسّر مفردة **الرؤيا**، وجمعها رؤىً، بأنها ما تراه في المنام، بينما تدلّ كلمة **الرؤية** على النظر بالعين أو بالقلب.

ويتضح لنا من كلام قاموس الكتاب المقدس، في نسخته العربية، و«المنجد»، أنّ الرؤيا إنّما هي الحُلم الذي تراه في المنام.

وأما كلمة Vision التي تأتي في مقابلها، في نسخ الكتاب المقدس الإنكليزية، فهي حسب أشهر القواميس الإنكليزية، وهو قاموسُ Webster، قد تعني النظر، أو المنظور، أو التمثّل الذّهني للأشياء، كما قد يحدث في النوم، أو التخيل، كما أنها قد تعني على وجه التحديد «الكشف المُوحى به» Inspired revelation.

وأمّا قاموس Oxford، فهو يفسّرها بأنها تجربة رؤية أحد أو شيء ما في حلم أو في غشية.

An experience of seeing someone or something in a dream or a trance.

ورغم وصف تجربة بولس المدّعاة بأنّها رؤية ليسوع، إلاّ أنه لم يجسر على الإدعاء بأنّه قد تمثّل له عياناً، وإلاّ لكان قد رُوي عن مرافقيه الذين كانوا معه رؤيتهم له.

لقد وصف العهدُ الجديد ظهوراً متجسّداً لجبريل الملك لزكريا، على أنه «رؤيا» Vision، ثم هو يصفُ سماع شاول لصوت «الربّ»، من غير ظهور له، على أنّه «رؤيا» أيضاً، وتخبرنا المصادرُ المسيحية بأنّ تلك الرؤيا كانت ظهوراً مفعماً بالحياة تارة فيما هو ليس بحلم، وعلى أنها كانت حلماً، تارة أخرى. وهي تهافتات تترك قارئ العهد الجديد المتدبر في حيرة من المقصود بالرؤيا.

ولقد تكررت رؤيا بولس لـ«الربّ».

و«الربُّ» لم يناد شاول وحده ويأمره، فلقد نادى حنانيا أيضاً، وأمره، مرّة واحدة، بعد كلامه مع شاول، مباشرةً.

وباستثناء ما جاء في أعمال الرسل، في الإصحاح ١١ منه، حول كلام «الرب» مع بطرس، في رؤيا حدثت في غيبوبة (وهي جاءت لتبرير إلغاء الختان، وتبرير تناول اللحوم المحرمة)، فإن «الرب» لم يظهر لأحدٍ أبداً، بعد رفعه إلى السماء، حسب العهد الجديد، إلاّ لاثنين، وهما «بولس» و«حنانيا». والأخير لم يكن «رسولاً من الربّ»، حسب العهد الجديد، وإنّما هو شخص عاديّ. ولم يكن ظهوره له حسب ذلك الإدعاء، أو بالأصح مناداته له، وكلامه معه، وأمره له، إلاّ لهدف واحد. ولم يكن ذلك الهدف إلاّ الذهاب إلى بولس لتبليغه «إنّ الرب يسوع، الذي ظهر لك في الطريق التي جئت فيه، أرسلني إليك لكي تُبصر وتمتلئ من الروح القدس». أي أنّ ظهور «الرب يسوع» لحنانيا لم يكن إلاّ من أجل بولس، حسب ادّعاء بولس نفسه، وهي رواية لم تجئ إلاّ لتوكيد ادّعاء بولس بأنّه رسولُ الرب.

فـ«الرب يسوع» لم يظهر لحنانيا إلاّ من أجل إرسال بولس إلى العالمين، وهو يأمُرُ حنانيا الذي يعترض على «الرب» قائلاً في «**أعمال الرسل**»:

١٣:٩ ولكني، يا ربُّ قد سمعتُ من كثيرين بالفظائع التي ارتكبها هذا الرجلُ بقدّيسيك في أورشليم،



١٤:٩ وقد خوله رؤساءُ الكهنة السلطة ليُلقي القبض على الدّاعين باسمك».

ولا يكونُ من «الربّ» إلاّ أن يأمره قائلاً:

١٥:٩ إذهب! فقد اخترتُ لي هذاالرجل إناء يحملُ اسمي إلى الأمم والملوك وبني إسرائيل.

فذلك هو اتصال «الله ـ الإبن»، أو «الأُقنوم الثاني»، لم يكن إلاّ مع بولس ـ أو مع حنانيا، من أجل بولس وحده.

إنّ «الربَّ» يسوع، حسب قول لوقا في «**أعمال الرسل**»، قد رُفع إلى السماء، في يمين الله وأخذ من «الله ـ الآب» الروح القدس فأفاضه على الناس، في الأرض. ومعنى ذلك أنّ «الله ـ الروح القدس»، بعد رفع المسيح، صار هو أداة اتّصال «الله ـ الآب» بالناس، فكيف ينزل «الله ـ الإبن» ثانية على بولس وحنانيا، من بعد ذلك؟

٣٣:٢ وإذ رُفع [يسوع] إلى يمين الله، وأخذ من الآب الروحَ القدس الموعود به أفاضه علينا. وما ترونه الآن وتسمعونه هو نتيجةٌ لذلك.

إنّ المسيح لن يعود إلى الأرض ثانية، بعد رفعه، إلاّ في نهاية الزمان، حسب لوقا، ومعنى ذلك أنّ نزوله على بولس وحنانيا هو محضُ افتراء، وكلّ «وحي» سمعه الناس أو رأوه بعد رفع المسيح إنّما هو من «الله ـ الروح القدس». فكيف يدّعي بولس بأنّ «الربّ» يسوع قد ظهر له في رؤىً عديدة، وذلك إضافة لظهور «الله ـ الروح القدس» له أيضاً؟

### ثانياً ـ اتّصالُ الروح القدس ببولس:

وادّعى بولس أيضاً اتصال «الروح القدس» به و«امتلاءه منه». ولم يكن وضع بُولس لهذا الإدّعاء، أول وضعه، إلاّ على لسان شخص آخر لم يكن سوى حنانيا نفسه، والذي سيخاطبُه قائلاً، في «**أعمال الرسل**»:

١٧:٩ «أيها الأخُ شاول، إنّ الربّ يسوع، الذي ظهر لك في الطريق التي جئت فيها، أرسلني إليك لكي تُبصر وتمتلئ من الروح القدس».

والروح القدس هو من قد أحبل مريم العذراء، حسب إنجيل متى [١٨:١]، والناسُ «يمتلئون» من الروح القدس، كما أنّه يوحي إليهم أحياناً، فلقد أوحى إلى الرجل البارّ سمعان بأنّه سيرى «مسيح الرب».

والروح القدس نزل على عيسى على شكل حمامة، عند تعميده. جاء في **إنجيل لوقا**:

٢٢:٣ ونزل عليه [على عيسى الوليد] بهيئة جسميةٍ مثل حمامة. وكان صوتٌ من السماء قائلاً: أنت ابني الحبيبُ، بك سُررت».

فلدينا هنا ثلاثُ ذوات أو كيانات مختلفة، منفصلة:

١ - «(الله - الآب)»، ينادي من السماء.

٢ - «الله - الروح القدس»، ينزلُ على شكل حمامةٍ.

٣ - «الله - الإبن» الطفل، في الأرض، ينتظر تعميده.

وهؤلاء الذّواتُ أحدهم هو في السماء، وثانيهم هو بين السماء والأرض، وثالثهم هو على الأرض. ورغم كونهم ثلاثة بالإسم، والكيان، والمكان، إلاّ أنهما واحد في المفهوم المسيحي. و«الله - الروح القدس» هو الذي يُعلِّمُ الناس ما يتوجّب عليهم قولُه، أمام المجامع والحُكام والسلطات. جاء في **إنجيل لوقا**:

١٢:١٢ فإنّ الروح القدس سيلقّنكم في تلك الساعة عينها ما يجبُ أن تقولوا.

والأقنومُ الثاني، قبل ارتفاعه إلى السماء، قد أوصى رُسله الذين اختارهم بالروح القدس. جاء في **«أعمال الرسل»**:

٢:١ إلى اليوم الذي ارتفع فيه، بعدما أوصى بالروح القدس الرُّسل الذي اختارهم.

فالله - الروح القدس، هنا، كان الواسطة بين «الله - الإبن» وبين رسله.

والروحُ القدس هو أيضاً واسطةُ الله لِمسحِ يسوع:

٣٨:١٠ يسوعُ الذي من الناصرة كيف مسحهُ الله بالروح القدس والقوّة.. لأنّ الله كان معه.

وهو لا يحلّ على أفراد معيّنين، بل على الأمم أيضاً:

٤٥:١٠ لأنّ موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً.

والروح القدس لا ينسكبُ في قلوب الناس فيؤمنون، وحسبُ، بل هو يأمرهم أحياناً بأوامر محددة:

٢:١٣ وبينما هم [«بعض الأنبياء والمعلمين»، حسب ١:١٣]



صائمون يتعبّدون للرّب، قال لهم الروح القدس: «خصّصوا لي برنابا وشاول لأجل العمل الذي دعوتُهما إليه».

وهو يُرسل هذين، فعلاً، إلى حيثُ يريد:

٤:١٣ وإذ أرسل الروحُ القدس برنابا وشاول، توجّها إلى ميناء سُلُوكية.

ثم هو يحلُّ بعد ذلك على شاول:

٩:١٣ أمّا شاول، وقد صار اسمه بولس، فامتلأ من الروح القدس.

والروح القدس يمنعهم أحياناً من فعل أو قول شيءٍ ما. جاء في «الأعمال»:

٦:١٦ وبعدما اجتازوا [بولس ورفقاؤه].. منعهم الروح القدس من التبشير في أسيّا.

والأدهى من ذلك كلّه أنّ «الله - الروح القدس»، استناداً لقول بولس، يتشارك الرأي مع بولس ورفقائه، في الأمور، ويقلّبانه، فيما هو أشبهُ بلجنة بحث وتبادل للآراء، فها هو بولس يبلّغُ الناس أنّ «الله - الروح القدس»، بالمشاركة مع بولس وصحبه، قد توصلوا إلى قرارهم بإلغاء الختان، حتى لا يُصيبهم عبءٌ فوق ما يتوجّبُ عليهم، فكأنّ الختان في أصله كان عبئاً ثقيلاً هو فوق ما يتحملُه البشرُ:

٢٨:١٥ **فقد رأى الروحُ القدس ونحن**، أن لا نحمّلكُم أيَّ عبءٍ فوق ما يتوجّب عليكم.

نحن نفهمُ أنّ المرء، بالإصطلاح المسيحيّ، «يمتلئُ من الروح القدس»، وهو ما قد يُفهم منه إلقاؤه ما يريد في روع من يريد. فما سرُّ مشاركة «الله - الروح القدس» لبولس وصحبه، في أمرِ الضرب صفحاً عن الختان الذي هو علامةُ العهد الأبدي مع إبراهيم وذريته وقومه؟

لا يمكنُ أن يُتصور ما ذكرهُ بولس من أنهم ارتأوا أمراً مع الروح القدس إلاّ بجلوسهم معاً، أو تبادلهم الرأي وضدّه، وذلك كلّه هو ما لا يمكنُ أن يُتصور، وتلك هي تلفيقةٌ أخرى من تلفيقات بولس التي لا يمكن لأحدٍ أن يبرّرها أو يفسّرَها.

ليت شعري! كيف قد أمكن لبولس ومن معه أن يميّزوا بين أفكارهم

الذاتية وبين رأي «الله ـ الروح القدس»، ما دام فعل الأخير هو امتلاءٌ للقلب وإلقاءٌ فيه لما يُريد، لا الرؤيةُ العيانية، أو على أقلّ تقدير المحاورة المسموعة بين «الله ـ الروح القدس» من جانبٍ، وبولس وممن معه من جانبٍ آخر، في ندوةٍ مفتوحة!

ويقول بولس: «رأى الروحُ القدس». ولكن، إذا كان الروحُ القدس هو الله نفسه، في أُقنوم له ثالث، فإنّ الله سبحانه وتعالى عما يصفون، لا يرتأي الأمر، فذلك هو شأن عباد الله المخلوقين، وإنما هو يأمر أمراً، ويُطاع، وما كلامُ بولس إلاّ في ضلال.

لقد كان السيدُ المسيحُ إنساناً، مثلما أنّ الروح القدس (جبريل) (ع) كان مَلَكاً. ولكنّ المسيحية البولسية قد جعلت من كلٍّ منهما إلهاً، فصار الأول أقنوماً ثانياً، وصار الآخر أقنوماً ثالثاً، و«الله ـ الآب» أقنومهما الأول.

إنّ الروح القدس، حسب بولس، ليس هو «يحلُّ» في الناس أو «ينسكب» في قلوبهم، بل هو أكثر من ذلك. إنه يعلنُ له، في كلِّ مدينة كان يذهب إليها أنّ السجن والمصاعب تنتظره. جاء في **«أعمال الرسل»**:

٢٢:٢٠ وأنا اليوم ذاهبٌ إلى أورُشليم، مدفوعاً بالروح، ولا أعلم ماذا ينتظرني هناك.

٢٣:٢٠ إلاّ أنّ الروح القدس كان يُعلنُ لي في كلِّ مدينة أذهبُ إليها أنّ السجن والمصاعب تنتظرني.

إنه، إذاً، هو شيءٌ فوق الإلقاء في القلب، أو «الإمتلاء». إنّه الأمرُ بعمل الشيء تارة أو الإمتناع عنه تارةً أخرى، وهو أيضاً الإعلانُ والإخبار، وهو أمرٌ من الواضح أنه يتّصل بالتواصل الكلاميّ، لا من طريق «الامتلاء» وحده.

وبولس يزعم أنه، بعد أن رجع إلى أورشليم، قد فقد وعيه، مرةً أخرى، في «غشية» a trance، وأنه رأى «الربّ» الذي تكلم معه:

١٧:٢٢ «بعد ذلك رجعتُ إلى أورشليم، وبينما كنتُ أُصلّي في الهكيل غبتُ عن الوعي I was in a trance (KJ21)، **فرأيتُ الربَّ** يقول لي: عجِّلْ واترُكْ أورشليم.

وإذ يترددُ شاول في تلبية طلب «الربّ»، ولسبب يذكره هو، فإنّ



«الربَّ» يصُرُّ على إرساله إلى أمم الأرض:

١٩:٢٢ فقلتُ: يا ربُّ، إنهم يعرفون أني كنت أبحثُ في المجامع عن المؤمنين بك لأسجنهم وأجلدهم.

٢٠:٢٢ وكنتُ حاضراً عند قتل شهيدك آستفانُوس، وكنتُ راضياً بقتله، وحارساً لثياب قاتليه.

٢١:٢٢ ولكنه قال لي: اذهب... سأرسلُك بعيداً: إلى الأمم!».

والروح القدس هو الذي يُقيم الناس أساقفةً، أي أنهم لا يصيرون كذلك إلاّ بأمرٍ منه. ولا ندري هل أنّ «الله ـ الروح القدس» يأمرُ الناس أنفسهم ليقيموهم أساقفة، أم أنه يخبر الأساقفة أنفسهم بذلك، أم الأمرين معاً.

# من هو الذي منع بولس؟؟

## هل هو الروح القدس، أم روح يسوع، أم الروح؟

## Holy Spirit = the Spirit of Jesus?= the Spirit?

يقول لوقا، صحب بولس، وكان يرافقه في إحدى جولاتهم، في «أعمال الرسل»:

٦:١٦ ومنعهم الروح القدس the Holy Spirit (NIV) من التبشير..

٧:١٦ ولكنّ روح يسوع the Spirit of Jesus (NIV) لم يسمح لهم بالدخول فيها.

أمّا نسخةُ العهد الجديد التابعة لكنيسة سانت تاكلا، فتوردُ العبارة الأخيرة هكذا:

٧:١٦ حاولوا أن يذهبوا.. فلم يدعْهم **الروح**.

ونلاحظ هنا أنّ الإشارة إلى **«الروح القدس»** تصير بعد جملةٍ أو جملين «روح يسوع»، والأخيرة سرعان ما تتحول إلى **«الروح»**، وهو تغيُّر يستجلبُ الإنتباه.

فمن هو الذي كان يوجِّهُ بولس، في تلك الحادثة، في حقيقة الأمر؟

هل هو «الله ـ الإبن»، أو «الأقنومُ الثاني»؟

أم هو «الله ـ الروح القدس»، أو «الأقنوم الثالث»؟

أم هو مجردُ روح، لا على التعيين؟

**ثالثاً ـ اتصال الملاك ببولس:**

إن الأعجب من ذلك كلِّه أنّ بولس الذي قال بأنّ «الروح القدس» قد منعهم في تلك الرحلة من التبشير، والذي عاد للكلام على عدم سماح «روح يسوع» لهم بالدخولَ إلى إحدى المدن، يعودُ للإدعاء بدعوى أخرى جديدة، وهو أنه قد رأى، في تلك الليلة، في «رؤيا»، رجلاً يتوسّلُ إليه ويقول: «أُعبُر.. وأنجدنا»:

٩:١٦ وفي تلك الليلة رأى بولس في رؤيا رجلاً من أهل مقدونية



يتوسلُ إليه ويقول: «أُعبر إلى مقدونيا وأنجدنا».

وقد أجمع مفسّرو العهد الجديد على أنّ ذلك الرجل كان **ملاكاً مُرسلاً إلى بولس**. فها هو بولس يدّعي تارةً بظهور «الله ـ الروح القدس» يوجِّهُهم، وتارة أخرى بظهور «روح يسوع» أو «الروح»، في نسخة أخرى» يوجههم كذلك، وأخرى ثالثة بظهور ملاكٍ له يدعوه. يا له من «كوكتيل» رائع قد جمع فيه بولس المجد من أطرافه، كيف وقد ظهر له الجميعُ؟

والأنكى من ذلك كلِّه، أنّ تلك الأرواح «المرشدة» لا تقوم بواجبها نحو بولس في الوقت المطلوب: إنها لا تحذّره من دخول بلدة ما حتى أن يصل إلى حدود تلك البلدة، فيرُدُّهُ روحه المرشدُ خائباً.

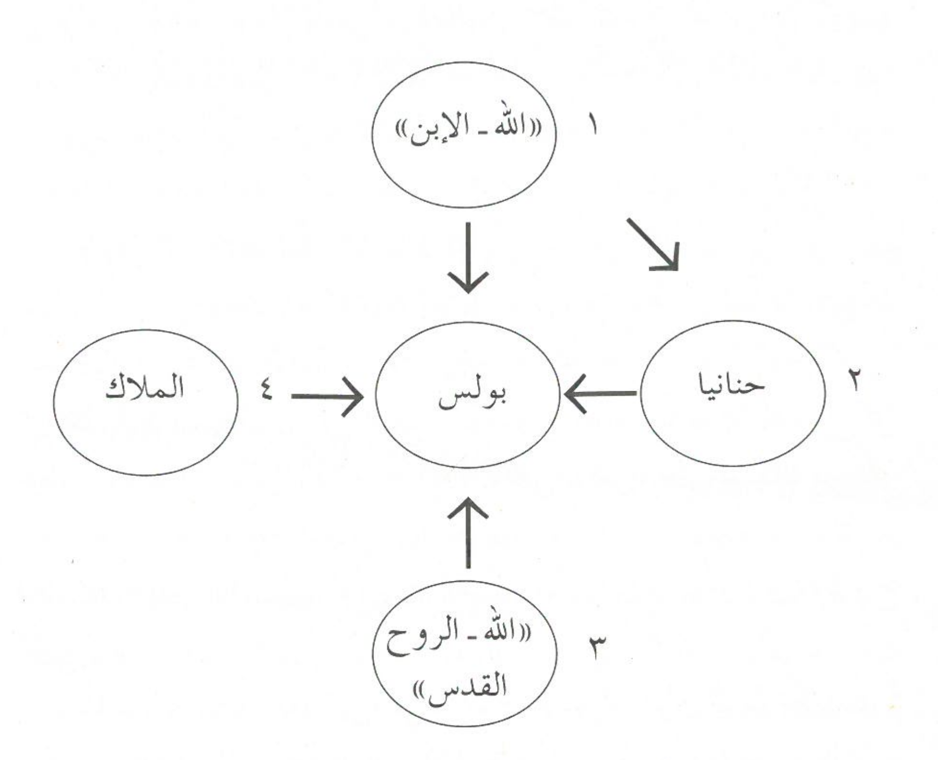
لقد رأينا كيف أنّ بولس يدعي بأنّ الروح القدس كان يوجّهه في كلِّ خطواته، ويثبّته، ولكنّ ذلك يبدو أنه لا يكفي بولس، حتى لو كان موجِّهُه ومثبّته هو «الله ـ الروح القدس» نفسُه! فها هو كثيراً ما يُعلنُ بأنّ ملاك الله the angle of God يظهر له، يثبته أيضاً، بدلاً من «الربّ»، ومن «الروح القدس».

فلنقارن بين هاتين الفقرتين، في «أعمال الرسل»، لنرى الربَّ يظهرُ تارةً لبولس ويخبره: «لا تخف»، والملاك يظهرُ له تارة أخرى ليخبره بالشيء ذاته، إضافة إلى «الله ـ الروح القدس»:

٩:١٨ وذات ليلةٍ رأى بولس **الربّ** في رؤيا يقول له: «لا تخف».

٢٣:٢٧ فقد ظهر لي هذه الليلة **ملاك من عند الله** الذي إياهُ أخدمُ، وقال لي لا تخف يا بولسُ!

## الطُّرق التي اتصل الله ببولس بها، حسب زعمه
## الله يتّصل ببولس بأربعة طرُق




١ - لا ندري ما هو السبب في حاجة بولس لاتّصال «الله - الروح القدس» به، ما دام «الله - الإبن» نفسُه قد اتّصل به و«ظهر» له.

٢ - لا ولا ندري السبب في حاجته إلى أن يتصل الملاكُ به، ما دام «الله - الروح القدس» يتصلُ به في كلِّ مكانٍ كان يذهبُ إليه، حسب قوله.

٣ - كما إنّنا لا نعلم ما هي الحكمةُ في جعل حنانيا وسيطاً بين «الله - الإبن» وبين بولس، ما دام الأخير قد اتصل ببولس مباشرةً، وفي الواقعة ذاتها (واقعة «رؤيا» بولس لـ«الله - الإبن»). إنّ اتصال «الرب»، أو «الله - الإبن» ببولس، من طريق حنانيا لهو أمرٌ بالغ الغرابة، بعد أن اتصل هو نفسُه ببولس، مباشرةً.

٤ - فها هي أربعةُ مصادر مختلفة لاتّصال «الله - الآب» ببولس، وهو شيءٌ لا يمكنُ تفسيرُه إلاّ بأنّ أمر اتصالِ الله به كان مختلَقاً من عنده.



## بولسُ قال بأنّه يهوديّ فريسي، فكذّبته أعماله
## وشهد عليه «أعمالُ الرسل»
## وصدق عليه وصفه لنفسه بأنه يلبسُ لكل قوم لبوسهم
## ليبدو لهم كأنه منهم

كانت أهمّ طوائف اليهود، على زمن السيد المسيح (ع)، اثنتين، وهما الصّدوقيّون والفريسيّون. ويخبرنا بولس نفسه، في سفر «أعمال الرسل» بالفرق بينهما:

٢٣:٨ فإنّ الصّدوقيين ينكرون القيامة والملائكة والأرواح، أمّا الفَرّيسيون فيُقرّون بها كلها.

ويقول هيم ماكبي[١]، الباحثُ البريطاني، عن ذلك:

كان للفريسيّين، يومها، سمعةٌ حسنة داخل الإمبراطورية الرومانية، لأنهم كانوا يدافعون عن المُثل الدينية ويدعون إلى التسامح وتطبيق الشريعة بالحسنى والمعروف، كما كانوا يُناصرون الفقراء حين يظلُمهم أهلُ الشرّ، ولهذا فإنّ بولس لم يزعم بأنه كان فريسيّاً إلا لتلميع صورته وتحسين سمعته. يومها لم يكن لكلمة «الفريسيّ» دلالةٌ سيئة أو معنىً مُشينٌ. كما جرى على ذلك المعنى في القرون الوسطى والحديثة.

ولطالمنا ادّعى بولسُ وأكّد أمام الناس بأنه إسرائيليٌّ فريسيّ، حتى يجذبهم إليه، وها هو يُخاطبُ اليهود بلغتهم العبرية، في دفاعه أمامهم، حسبما نقل، لوقا، في «أعمال الرسل»:

٢٢:٣ أنا رجلٌ يهوديّ، وُلدتُ في طرسوس، الواقعة في مقاطعة كيليكيَّة، ولكنّي نشأتُ في هذه المدينةوتعلمتُ عند قدمي غمالائيل[٢]

---

(١) بولس وتحريف المسيحية، هيم ماكبي، ترجمة سميرة عزمي الدين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، ط٢ (١٩٩١)، ص١٧.

(٢) حاخامُ يهودي كان يتّبعُ المذهب الفريسي. ولقد كان شاولُ شاهداً موافقاً ومشاركاً في دم «الشهيد استفانوس»، «الذي هو أحد الرجال السبعة الذين اختيروا لمساعدة الرسل»، والذي قبض عليه وجيء به إلى المجلس الذي يرأسه رئيس الكهنة (الإصحاحات ٦، ٧، ٨).

التربية الموافقة تماماً لشريعة آبائنا.

ولكنه عند مخاطبته للقائد اليونانيّ يخاطبُه باليونانية، فيتعجبُ هذا منه قائلاً:

٣٧:٢١ أتتكلم اليونانية؟

وها هو بولس يُعلن، أمام المجلس اليهودي الذي حاكمه، مستدرّاً عطف الفريسيين عليه:

٦:٢٣ «أيهاالإخوةُ، أنا فريسيّ ابنُ فريسيّ، وإنّي أُحاكمُ الآن لأني أعتقد أنّ للموتى رجاءً بالقيامة!».

٧:٢٣ وهنا دبّ الخلافُ بين الفريسيين وبين الصَّدوقيّين من أعضاء المجلس، فانقسم الحاضرون.

ويؤكد بولسُ فريّسيته أمام الملك أغريباس في قيصرية:

٤:٢٦ إنّ اليهود جميعاً يعرفون نشأتي من البداية. فقد عشتُ بين شعبي في أورُشليم منذ صغري.

٥:٢٦ وما داموا يعرفونني من البداية فلو أرادوا لشهدوا أنني كنتُ فرّيسياً، أي تابعاً للمذهب الأكثر تشدّداً في ديانتنا،

٦:٢٦ وأنا اليوم أُحاكم لأنّ لي رجاءً بأن يحقّق الله ما وعد به آباءنا.

ولكن ماذا كان شاول يفعل في القدس، قبل سفرته إلى دمشق، والتي قلبت حياته؟ يقول لوقا في «أعمال الرسل»:

٣:٨ أمّا شاول فكان يحاول إبادة الكنيسة، فيذهبُ من بيت إلى بيت ويجرّ الرجال والنساء ويلقيهم في السجن.

لا بل كان بولس نفسُه يعترف بإجرامه، وأنه كان يعمل بإمرة رؤساء الكهنة:

١٠:٢٦ وقد عملتُ على تنفيذ خطتي في أورشليم بتفويضٍ خاص من رؤساء الكهنة، فألقيتُ في السجن عدداً كبيراً من القديسين، وكنتُ أُعطي صوتي بالموافقة عندما كان المجلس يحكم بإعدامهم.

١١:٢٦ وكم عذّبتُهم في المجامع كلّها لأجبرهم على التجديف. وقد بلغ





حقدي عليهم درجةً جعلتني أُطاردُهم في المدن التي في خارج البلاد.

١٢:٢٦ وتوجّهتُ إلى مدينة دمشق بتفويض وترخيص من رؤساء الكهنة.

وذلك التفويضُ والترخيص من رؤساء الكهنة لشاول يحكي عمالةً وخِسّةً في الطبع قد بلغت من النفس مبلغاً عظيماً لا شكّ. وهكذا فلقد كان بولس يعمل بإمرة رئيس الكهنة الذي اضطهد المسيحيين اضطهاداً شديداً، وكان أداةً بيده وعميلاً من عملائه.

١:٩ أمّا شاول فكان لا يزال يفور بالتهديد والقتل على تلاميذ الرب. فذهب إلى رئيس الكهنة،

٢:٩ وطلب منه رسائل إلى مجامع اليهود في دمشق لتسهيل القبض على أتباع هذا الطريق من الرجال والنساء، حيثما يجدهم، ليسوقهم مقيدين إلى أورشليم.

ويقول قاموس الكتاب المقدس إن رؤساء الكهنة كانوا من الصدوقيين، ولقد كان رئيس الكهنة هذا الذي عمل شارل بإمرته صَدُّوقياً، يفورُ عداوُه للمسيحيين، فكيف يكون صنيعته شاول، بعد ذلك، فريسياً؟

لقد ادّعى بولس تلمذته لغمالائيل الذي كان فريسياً بنصّ الفقرة التالية، ولكنّ أعمال شاول (بولس) بقتل المسيحيين واضطهادهم كانت بالضِّدِّ من تعاليم غمالائيل، فكيف يكون بولسُ فريسياً؟

٣٤:٥ ولكنّ أحد أعضاء المجلس، واسمُه غمالائيل، وهو معلّمٌ للشريعة يتّبعُ المذهب الفرّيسي، ويحترمه جميعُ الشعب، وقف وأمر أن يُخرج الرسلُ بعض الوقت،

٣٥:٥ ثم قال للمجتمعين: يا بني إسرائيل، حِذار أن تنفّذوا ما تنوون أن تعملوه بهؤلاء الرجال.

٣٨:٥ فالآن أنصحكم أن تبتعدوا عن هؤلاء الرجال فتتركوهم وشأنهم. فإن كان هذا المبدأ وهذا العمل من عند الناس، فلا بد أن يتهدّم،

٣٩:٥ ولكن إن كان من عند الله فلن تتمكنوا أبداً من الوقوف في وجهه، وإلاّ جعلتم من أنفسكم أعداءً لله أيضاً.

فكيف يعملُ بولس وهو التلميذُ المخلص، والفرّيسيُ حسب زعمه،

بالضِّد من تعاليم أستاذه الفريسي؟ وهكذا يتضحُ لنا أنّ ادعاء بولس بتلمذته الحميمة لغمالائيل ليس إلاّ أكذوبة كبيرة. وحسب تسلسل أحداث «أعمال الرسل»، فإنّ مقتل «الشهيد استفانوس» ومشاركة شاول فيه قد حدثت في تلك الفترة التي حذّر فيها غمالائيلُ اليهود من المسّ بالمسيحيين، فكيف يصِحُّ بعد ذلك ادّعاء شاول بكونه فريسيّاً من تلاميذه؟

ولقد كان الصّدوقيون طائفة معادية للفريسيّين عداءً مُرّا، وذلك كله يدحض زعم شاول في أنه كان فريسياً. ولو كان كذلك حقاً لكان قد التزم بتعاليم من ادّعى كونه تلميذاً له، وهو الحاخام غمالائيل، وبتحذيراته الشديدة لليهود من مسّ المسيحيين بأيّ أذى، ثم كيف يكون فريسيّاً من كان يعملُ لحساب الراهب الأكبر الصّدوقيّ؟

يقول ماكبي، في الصفحة ٢٠ من كتابه:

يبدو كتاب لوقا [أعمال الرسل] وكأنّه يناقضُ بعضُه بعضاً، فكيف يُطارد بولس أتباع المسيح إذا كان فريّسياً؟ ألم يُناهض الفريسيّون مُلاحقة أتباع المسيح، ويعارضوا محاكمة بطرس، ويطالبوا بالعفو عنه؟ أيُّ فريسيٍّ كان بولس، حتى يتصرف بطريقة لا توافق الفريسيين ولا تنسجمُ مع مواقفهم؟ أليس عجيباً أن يُناقض هذا الكتاب نفسه فيزعم أنّ بولس كان عدوّاً للمسيحية انطلاقاً من قناعاته الفريسية ثم يذهب إلى القول إن الفريسيين كانوا يوادّون المسيحيين الأوائل بل كانوا يدافعون عنهم ويُنقذون حياتهم؟

وهكذا يبرهنُ هذا الباحث على أنّ بولس لم يكن حاخاماً فريسيّاً على الإطلاق، بل هو كان مُغامراً من أصل غير واضح، وكان في خدمة الصدوقيين يمارس مهمات أمنية «بوليسية» لخدمة الراهب الأكبر.

لقد عرفنا بولس من خلال رسائله ومن «أعمال الرسل» للوقا، والتي قدّمت لنا سيرةً وافيةً عن حياته. ولوقا، كاتب «أعمال الرسل» هو نفسه الذي سُميّ ثالث الأناجيل «القانونية» باسمه. ولقد كان لوقا، وكما هو معروف، من أتباع بولس الخلصاء وأنصاره، وهو لم يزعم بأنّ بولس كان فريسيّاً، إلاّ لتلميع صورته وتحسين سمعته. وإذا كان بولس فريسياً، كما زعم لوقا، فكيف كان يعمل لحساب الراهب الأكبر الصّدوقي؟ إنّ العهد



الجديد يقدّم لنا صورة متناقضة عن بولس في الحقبة التي سبقت اعتناقه للمسيحية. لقد شوه بولسُ ولوقا سيرة الأول عن عمد. يقولُ ماكبي (ص١٥):

وعلينا أن لا ننسى أنّ العهد الجديد الذي نعرفه اليوم قد تأثّر ببولس تأثراً أكبر مما يبدو للعيان. وثمة مسألة تاريخية هامة، وهي أنّ رسائل بولس ليست في الواقع إلاّ نصوص العهد الجديد الأولى، إذ إنّها كُتبت بين عامي ٥٠ و٦٠ للميلاد، بينما لم تُكتب الأناجيل إلاّ بين ٧٠ و١١٠ للميلاد، أي أنّ مؤلّفي هذه الأناجيل قد تأثروا برسائل بولس التي كُتبت قبلهم وتشرّبوا بأفكاره وتأويلاته لأعمال عيسى (ع). فبولس حاضر دائماً في العهد الجديد منذ كلمته الأولى، على الرغم من أنّ هذه الأناجيل تتحدث على أمور أو قضايا سبقت تأثير بولس. ولا شكَّ في أنّ مفاهيم بولس ونظرته قد طغت على الأناجيل طغياناً دلّ على انتصار نظرته على كلّ ما فعله المسيح على الأرض، وذلك في عقيدة الكنيسة بعد ذلك. وإذ كانت ثمةُ تفسيراتٍ مختلفة عن تفسيرات بولس، وكانت متماشية مع المسيحية الأولى، إلاّ أنّ هذه التفسيرات والآراء قد أُزيلت واتُّهمت بالكفر عندما ثبّتَتْ الكنيسةُ البولسية لائحة الكتابات التي صارت تعرف بعْد ذلك بالعهد الجديد.

وذلك كله يفسّرُ لماذا عتّمت الأناجيل الأربعة على حواريّي المسيح الإثني عشر، ولماذا جعلتهم شخصيات غامضة باهتة خائرة محدودة الذكاء، وكأنهم لم يفهموا شيئاً من رسالة المسيح (ع). لقد خفَتَت أهميّةُ هؤلاء الحواريّين وطُمس عليها.

# التحليلُ النفسيّ لشخصية بولس، قبل وبعد إعلانه عن تحوله إلى المسيحية من خلال أقواله وأفعاله في العهد الجديد

اعترف بولسُ،نفسه، مراراً، في رسائله، مثلما اعترف صاحبه ورفيقه لوقا، كاتب سفر «أعمال الرسل»، باقتراف بولس لجرائم كثيرة، ومتكررة، وبصورة منهجية، ضد المسيحيين، أو من كان يُشكّ في أنه مسيحيّ. وحتى في سفرة شاول الأخيرة من أورشليم إلى دمشق، والتي تحوّل فيها بعد رؤياه المزعومة للقول بألوهية المسيح، وبأنه ابنُ الله، فلقد ظلّ شاول يبذل وسعه، ويكيدُ كيده كلّه في إلحاق كل ما أمكنه من إيذاء، وقتل، وسجن، واضطهاد، للمسيحيين. ولقد بلغ به حقده وإجرامه أن يتتبّع أنصار المسيحية إلى خارج البلاد، وبكتُب رسمية من رؤساء الكهنة اليهود، لتصفيتهم.

وحتى نكون دقيقين ومنصفين، بأقصى ما تكون الدِّقة والإنصاف، سوف نكتفي في هذا الفصل بما جاء في العهد الجديد نفسه عن بولس، فيما رواه هو في رسائله، أو فيما رواه صاحبه لوقا، في «أعمال الرسل».

**أولاً ـ لوقا يصف بولس وموبقاته في المسيحيين:**

يتحدّثُ لوقا في صفة «الشهيد استفانوس»، وهو أحد سبعة رجال اختيروا لمساعدة «الرسل»، فيقول:

٥:٦ وهو رجلٌ مملوء من الإيمان والرّوح القدس.

ورجلٌ مثلُ هذا، قد قُبض عليه، فعذِّب، ورُجم بالحجارة، ثم استُشهد:

٥٧:٧ **فصاحوا صياحاً شديداً، وسدّوا آذانهم، وهجموا عليه هجمةً واحدة.**

٥٨:٧ **ودفعوه إلى خارج المدينة، وأخذوا يرجمونه بالحجارة.** وخلع الشهودُ ثيابهم عند قدمي شابٍّ اسمه شاول [بولس] لكي يحرسها.



ونعجُب كيف يصير الظهير على قتل «مُساعد الرسل» و«مبيدُ الكنيسة»، رسولاً:

١:٨ وكان **شاول موافقاً على قتل استفانوس.**

٣:٨ أمّا شاول فكان يحاول **إبادة الكنيسة، فيذهب من بيتٍ إلى بيت، ويجرّ الرجال والنساء ويُلقيهم في السجن.**

٢:٩ أمّا شاول فكان **لا يزال يفور بالتهديد والقتل على تلاميذ الرب.** فذهب إلى رئيس الكهنة.

وطلب منه **رسائل إلى مجامع اليهود في دمشق لتسهيل القبض على أتباع هذا الطريق من الرجال والنساء، حيثُما يجدُهم، ليسوقهم مقيدين إلى أورشليم.**

١٣:٩ فقال حنانيا [«تلميذ الرب»]: «ولكني، يا ربُّ قد سمعتُ من كثيرين بالفظائع التي ارتكبها هذا الرجل لقدّيسيك في أورشليم،

٢١:٩ وأثار كلامُه دهشة السامعين، فتساءلوا: «أليس هذا هو الذي كان يُبيد جميع الداعين بهذا الإسم في أورشليم؟ أما جاء إلى هنا ليُلقي القبض عليهم ويسوقهم مقيّدين إلى رؤساء الكهنة؟».

٢٦:٩ ولما وصل شاول إلى أورشليم، حاول أن ينضمَّ إلى التلاميذ، **فخافوا منه،** إذلم يصدّقوا أنّه صار تلميذاً للرب.

٣٩:١٥ فوقعت بينهما [بين بولس وبين برنابا] مشاجرةٌ حتى انفصل أحدُهما عن الآخر.

وها هو بولس نفسه يخطب في وسط اليهود، قائلاً:

٤:٢٢ فاضطهدتُ هذا الطريق حتى الموت، فكنتُ اعتقلُ أتباعه من الرجال والنساء، وأزجُّ بهم في السجون. ويشهدُ رئيسُ الكهنة ومجلسُ الشيوخ على صدق كلامي هذا [هذا دليل على أنّه كان أداةً للقمع الرهيب بيد السلطة]. فقد **أخذتُ منهم رسائل إلى إخوانهم في دمشق ليعاونوني في القبض على الذين هناك، لأسوقهم إلى أورشليم فينالوا عقابهم.**

١٩:٢٢ فقلتُ يا ربُّ، إنهم يعرفون أني كنتُ أبحث في المجامع عن المؤمنين بك، **لأسجنهم وأجلدَهم.**

٢٠:٢٢ وكنتُ حاضراً عند قتل شهيدك استيفانوس، وكنتُ راضياً

بقتله، وحارساً لثياب قاتليه.

وهذا ما اتهم به اليهودُ بولس، في محاكمتهم له:

٥:٢٤ وجدنا هذا المتهم **مخرباً، يثير الفتنة بين جميع اليهود في البلاد كلها.**

وها هو بولسُ، ثانية، وهو يقول عن نفسه، في دفاعه أمام الملك أغريباس:

٩:٢٦ وكنتُ أعتقد أنّ يجب أن أبذل غاية جهدي لأُقاوم اسم يسوع الناصريّ.

١٠:٢٦ فقد عملتُ على تنفيذ خطّتي في أورشليم **بتفويض خاص من رؤساء الكهنة، فألقيت في السجن عدداً كبيراً من القدّيسين. وكنتُ أُعطي صوتي بالموافقة عندما كان المجلسُ يحكم بإعدامهم.**

١١:٢٦ **وكم عذبتهم في المجامع كلّها لأُجبرهم على التجديف. وقد بلغ حقدي عليهم درجةً جعلتني أُطاردُهم في المدن خارج البلاد.**

١٢:٢٦ وتوجهتُ إلى مدينة دمشق بتفويض وترخيص من رؤساء الكهنة.

وكلّ ما ذكرناه هو ممّا نقله لوقا على لسان بولس.

**ثانياً ـ بولس يعترف في رسائله:**

ويُدهشنا أننا لا نجدُ في الأسفار المنسوبة إلى بولس، والتي **تكوّن أكثر من نصف مادّة العهد الجديد**، إلاّ مثل هاتين الجملتين عن نفسه، ولكنّها رغم إيجازها تحكي كل شيء عنه. جاء في رسالته **الأولى إلى أهل تيموثاوس:**

١٣:١ أنا الذي كنتُ قبلاً **مجدّفاً ومضطهداً ومفترياً.**

وجاء في رسالته إلى أهل **غلاطية:**

١:١١ فإنكم سمعتُم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية **أني كنتُ أضطهدُ كنيسة الله بإفراطٍ وأتلفُها.**

فبولس يعترف على نفسه، في هذه الجمل القصيرة، بثلاثة أشياء: بالكفر، واضطهاد الغير وإتلافهم، والإفتراء على الآخرين. والأخير ليس إلاّ مرادفاً لكذبه وعدم مصداقيته، وهو يخبرنا عن نفاقه، إذ هو يعترفُ في مكانٍ آخر



بأنّه كان يلبَسُ لكلِّ حالٍ لبوسها، وأنه كان يظهُر أمام كلِّ قوم بما يرضيهم، فكأنه منهم.

**بولس تنطبق عليه معايير «الإعتلال النفسي»، أو «السايكوپاثية»، بلا مِراء**

كان الإجرام Crime، عند بولس، منهج حياة سار عليه طيلة الوقت، حتى إعلانه عن تحوله إلى المسيحية. وتشير الدلائل كلها إلى أن شخصية بولس هي ما يعرف باسم «الشخصية المضادة للمجتمع» أو ما يُعرف بـ«السايكوباثية» (الشخصيةُ المُعتلّة Psychothy, Sociopathy, Antisocial Personality Disorder. ولا تزال تسميةُ «السايكوپاثي» و«السايكوپاثية» شائعةً حتى اليوم، رغم أنّ العلماء قد وضعوا لها تسميات أخرى. لقد استخدم الألمانيُّ يوليوس كوخ Julius Koch، العالِم النفسيّ، هذا الإصلاح Psychopathischen، عام ١٨٨٨. ثم استخدم الألمانيُّ الأمريكي كارل بيرنبوم Karl Birnbaum، عام ١٩٠٩، مصطلح Sociopathy، بدلاً من الإصطلاح الأول، ولكنّ الناس ظلوا عامة يستخدمون كلا المصطلحين بصورة مترادفة. ثم صيغ مصطلح «اضطرابُ الشخصية المضادُّ للمجتمع» ASPD، الذي عُرِّف عام ٢٠١٣ على أنه «عدمُ احترام شامل، ورغبةٌ في انتهاك حقوق الآخرين».

وقد قام الدكتور هيرڤي كليكلي Hervey Cleckley، بنشر كتابه الشهير «قناع السلامة العقلية» The Mask of Sanity، الذي يُشير فيه إلى قناع الشخصية الطبيعية الذي يتلبّسه المصابون بهذا الإضطراب، والذين يبذلون جهدهم للظهور به وإخفاء العيب النفسي الخطير الذي يحملونه بين جنبيهم، والذي لم يُلتفت إليه بالعناية الكافية. وقد طُبع هذا الكتاب أربع طبعات أخرى، على مدى خمسين عاماً، حيث تُعتبر طبعتُه عام ١٩٧٦ قمّة ما توصّل إليه هذا الباحث.

أدرج كليكلي بحوثه السريرية ودراساته على تلك الحالات، سواء ما وُجد منها في المجتمع أم في المؤسسات، كالسجون. ولا تزال توصيفاتُ وتحليلُ كليكلي لهذه الحالة معتمَدةً حتى اليوم، كما يقي كتابُه مرجعاً أساسيّاً في توصيف هذا الإضطراب.

ويبدو لي، شخصياً، أنّ تسمية «السايكوباث»، هي أشمل من تسمية «السوشيوباث»، والترجمةُ الحرفيةُ لمصطلح «السايكوباث»[١] هي «مريضُ النفس»، وقد جاءت تسمية أمثالُ هؤلاء في القرآن الكريم، مراراً، بأنهم الذين «في قلوبهم مرض» **﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً..﴾** [البقرة: ١٠]، ووصفُهم في أول **سورة البقرة** هو أنّهم:

١ ـ منافقون، يظهرون الإيمان، ويُبطنون الكفر، وكذلك «السايكوباث» الذي يخلفي حقيقته النفسية الخطيرة ليظهر بمظهر الشخص الطبيعي.

٢ ـ يُخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلاّ أنفسهم.

٣ ـ هم المفسدون ولكن لا يشعرون.

٤ ـ وهم في طغيانهم يعمهون:

**﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨)**
**يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩)**
**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)**
**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١)**
**أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ (١٢)**
**اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ(١٥)﴾.**

طغى: أسرف في الظلم والتعدي والمعاصي، غلا في الكفر، وتجاوز الحدَّ في العصيان.

العَمَه: التردّد في الأمر من التحيّر.

قام الدكتور كليكلي بوضع قائمة من ١٦ سِمَة من سمات هذه الحالة، للمساعدة على تشخيصها ولا تزال هذه المعايير مستخدمةً ومعتمدة حتى اليوم. ثم جاء الدكتور هير Robert Hare، وهو طبيب باحث كندي، عام ١٩٩١، واقتبس من الباحث السابق معاييره، فوضع ٢٠ معياراً معدَّلاً لتشخيص الشخصية المعتلّة هذه، وهي تُعتبر من أشهر الأدوات المستخدمة من قبل الأخصائيين لتشخيص هذه الحالة، وحتى من دون الحاجة لوجود المريض أو تعاونه مع الطبيب، ويُنظر إلى هذه القائمة على أنهادقيقة بدرجة

(١) Psycho = Psychic, Pathy = disease.



مُرضية. ويشكّل اضطرابُ الشخصية الخطير هذا نحواً من ١٪ من الذكور البالغين من غير نزلاء المؤسسات، ولكن ٢٠٪ من نزلاء السجون، ولا غرو، فالسايكوباثية، وخصوصاً في الحالات الأشدّ منها، هي مرادفةٌ للجريمة والإجرام Criminality.

وهذه ثلاثة تعاريف متقاربة، للشخص السايكوپاثيّ:

١ ـ هو شخصٌ مصاب باضطراب الشخصية المضاد للمجتمع، والذي يظهر في سلوك عدواني فاسد، منحرف، إجرامي. أو هو المتميز بالسلوك اللاأخلاقي، وانعدام الشعور بإحساسات الغير، وانعدام الشعور بالندامة وتبكيت الضمير (ضعف أو انعدام «النفس اللّوامة»).

٢ ـ هو المصاب باضطراب للشخصية يتميز بنزعة القيام بأعمال ضدَّ المجتمع، وأعمال عُنف أحياناً، مع عدم الشعور بالذنب لاقتراف مثل هذه الأعمال.

٣ ـ هو المصاب باضطراب عقلي يتجلى في السلوك اللاأخلاقي المعادي للمجتمع، وفقدان القابلية على محبة الآخرين أو تأسيس علاقات شخصية حقيقية، مع أنانية مفرطة، وفشل في التعلم من التجارب.

ويُلاحظ في هذه التعريفات جميعاً إشارتها إلى السلوك المضاد للمجتمع، وعدم القدرة على الإحساس بالعاطفة.

وما قام به شاول (بولس فيما بعد) من الأعمال الإجرامية، بحقّ المسيحية والمسيحيين، يضعه في خانة المصابين بالسايكوپاثية، بدون مُنازع، وهو استنتاجٌ لا مفرَّ منه، لا بل إنّ شاول ليتّصف بأشدِّ صفات هؤلاء قسوة وعُتُوّاً.

يتّصف المصابون باعتلال النفس هذا بخلل خطير في نفسياتهم، يتمثّل في العُدوانية المتكرّرة ضدّ الأفراد، والمجتمع، وبارتكاب الجرائم، ومخالفة القوانين والأنظمة المرعيّة، والإصطدام بمؤسّسات الدولة، وانعدام الضمير، وعدم الإحساس بشعور الآخرين ومعاناتهم، وانعدام الحسّ بالمسؤولية، وانعدام الشعور بالندامة وتأنيب الضمير على أفعال الشخص، وهو لا يحمل في قلبه حُبّاً لأقرب المُقرّبين إليه، اللهم إلاّ ظاهرياً للمُراءاة أمام الآخرين، وإعطاء الإنطباع الزائف حول نفسه، وبانعدام الصّدق والأمانة والأخلاق، وبعدم الموثوقية. إنّ هؤلاء لا مكان لمحبّة الآخرين في قُلوبهم،

ولا توجدُ لديهم أيّةُ عاطفة حتى نحو أقرب المقرّبين لديهم.

وصفةُ «الأنويّة»، أو «الأنا» (الذات) Ego، عند هؤلاء، متضخّمة جداً، وبصورة مَرضية. وقد تكون مُدهشةً في درجتها، وإذ هم قد يُمكنُ لهم أن يُخفوا هذه النزعة عندهم أحياناً، إلاّ أنّها ممّا لا سبيل إلى تغييره، فهي نزعةٌ كليّةٌ شاملة، وهم إذ قد يتصنّعون اللّطف والمحبّة للآخرين، فذلك هو لا عن شعور حقيقيّ وإنّما هو لخداع الآخرين والتلاعب بهم كأداة للحصول على ما يريدون، أو للسيطرة عليهم وتوجيههم الوجهة التي يرغبون.

وهذه السلوكيّات المميزة لهذه الحالة، والمضادة للأفراد والمجتمع، هي غيرُ مُسبَّبة، إذ ليس ثمّة من سببٍ يدعو هؤلاء لمثل تلك الأفعال، وضحيّةُ مُعتلّ النفس هذا لا ذنب لها فيما يقعُ لها، إلاّ أنها قد وقعت في براثنه.

ومعتلُّ النفس هذا هو مُشاغبٌ منذ طفولته، وهو يفتعلُ المشاكل في الصّف، ويُسبِّبُ الكثير من المشاكل لزملائه ومدرّسيه.

ومعتلُّ النّفس جسورٌ، غير هيّابٍ ولا حَيِيّ، وقد يكون مهيب الجانب، ويخشاه الآخرون. وعدم احترامه للآخرين ولحرياتهم، والاعتداء عليهم لهو سمة بارزة فيه. وهو ليس بالمتردد، وليس قليل الكلام كالشخص الخجول أو العييّ أو الأخرق أو المُحرَج، بل هو وعلى العكس من ذلك يتمتعُ بسحر وجاذبية سطحية، ويبدو عليه ظاهرياً أنه ذكيّ جداً ، وهو يُعطي انطباعاً بأنّ لديه شخصية إنسانية مرغوبة ومحبوبة. إنه يمكن أن يبدو أحياناً شخصاً مستقيماً، صريحاً، أميناً، ثم هو قد يكون لطيفاً ومُسترضياً، ليس للغرباء وحدهم، بل ولمن يعرفون كذبه وخداعه. وإذا ما اكتُشف كذبه وإخلافه لوعوده فإنه يبدو مندهشاً ومنزعجاً إذا ما شكّك أو تساءل أحد عن ذلك. إنه يكذبُ حتى يتجنّب المواقف البغيضة أو المحرجة أو حتى ينال شيئاً ما، ومهما كان ذلك الشيءُ تافهاً.

وكلُّ ذلك هو يحدث في شخصيات ليست هي مصابة بالعُصاب psychoneurosis ولا الذّهان (المرض العقلي) psychosis (mental illness).

ومعتلُّ النفس هذا، في الحالات الأشدّ، مجرمٌ. وأشدُّ الإجرام القتلُ، قتلُ الإنسان لأخيه الإنسان Homicide[1]، وجريمةُ القتل العمد Murder (عن

(١) Homi- = human; -cide = kill.



سابق تصوّر وتصميم)، والأخيرة هي مدعاةٌ في قوانين الكثير من الدول لعقوبة الموت Death Penalty, Death Sentence، Capital Punishment، ويُدعى تنفيذ الحكم إعداماً Execution، وثمة في الوقت الحاضر ٥٨ دولة توقع عقوبة الموت جزاءً على جريمة القتل العمد التي هي أول الجرائم التي تستدعي الحكم بالإعدام. ولقد تكرّر اعتراف شاول (بولس لاحقاً) بقتله للمسيحيين، وهو اليهوديّ حسب ادّعائه، وهو أمر خليق بالتفكّر العميق.

كان بولس، قبل إعلانه تحوله إلى المسيحية، يُظهر اليهودية، لا بل اليهودية كأقوى ما تكون عقيدةً والتزاماً، في زعمه، وهي ذلك الدّين الذي اختُصرت شريعته بالوصايا العشر التي جاءت في التوراة، ومنها الوصيّة الشهيرة: «لا تقتل!». ولكنّ التزام شاول الشديد بيهوديته ودفاعه عنها لم يتبدّ لنا إلاّ من خلال سلوكياته المتمثّلة بإبادة المسيحيين والكنيسة. وهو لم يكتفِ بمن قد يراه من مسيحيٍّ حتى يجرّه إلى الموت أو الإضطهاد، وإنّما هو يهجُم على بيوت الناس الآمنة ليجرّ من اتّهمه منهم، رجالاً أو نساءً، إلى السجن أو القتل. لا بل إنه ليأخذ الكتب من السلطة الدينية في أورشليم ليلاحق المسيحيين حتى خارجها، وخارج فلسطين، في دمشق، حتى يعتقلهم ويجيء بهم إلى أورشليم حيث أشدُّ العذاب! ولنا في طريقة قتل استيفانوس التي رواها العهد الجديد، مثالاً على ذلك الإجرام والقسوة المتناهية.

ومن يَحُزْ مثل تلك الوحشيّة المنقطعة النظير التي تصلُ إلى حدِّ الإبادة الجماعية، كم هو من دين الله الحقّ، يهودية كانت أم غيرها، لا بل كم له من إنسانية تجاه أخيه الإنسان؟

نخرج من ذلك بنتيجة هامّة، وهي أنّ ادّعاء شاول بيهوديته من قبل لم يكن إلاّ ادّعاءً كاذباً وخاوياً من أيِّ محتوى حقيقيّ. فلقد كان شاول أداة طيّعة، وسيفاً مُسلطاً، بيد السلطة الغاشمة التي اضطهدت المسيحيّين أشدّ اضطهاد وأبشعه، حتى يُرضي نزعاته «السايكوپاثية» الإجرامية. ومثلُ هذا، أين هو من دين وإنسانية؟ لقد كان هدفُه النفوذ والسلطة، وفرض نفسه على الآخرين بالسيطرة عليهم والتلاعب بهم والترأس عليهم.

لقد خرج بولس على اليهودية، في الحقيقة والواقع، عندما كان يتظاهر باليهودية، كما يشهد له فِعله بالخروج على شريعة التوراة، مثلما خرج عليها

إذ خلع ثوب اليهودية متلبّساً بثوب جديد. هو ثوبٌ غريب، لأنه به دخل مسيحيته المدّعاة، فإذا هو، بعد أن كان يفتك بالمسيحيين حيثما طالت يده قبل انتحاله المسيحية، إذا به يفتكُ بالمسيحية ذاتها بعد أن انتحلها.

لقد قام المحامي اليهودي البولنديّ رفائيل لمكين Raphael Lemkin، عام ١٩٤٣، بصكٍّ مصطلح «الإبادة» Genocide[1]، وإطلاقه على سياسة القتل الجماعي المنظمة، وهي تعني الإبادة المنهجية لكلٍّ - أو قسم من - جماعةٍ عنصرية أو إثنية (عرقية) أو دينية، من خلال قتل أعضاء جماعة ما، أو من خلال تسبيب الأذى الجسديّ أو العقليّ الكبير، أو غير هذين. وصارت الإبادة الجماعيّة، في القانون العالميّ، عام ١٩٤٦، وحسب قرار للمجلس العامّ للأمم المتّحدة، جريمة.

وحسب الإتفاقية التي وافقت الأُمم المتحدة عليها، بالإجماع، عام ١٩٤٨، فإن الإبادة الجماعية - وهي عادة ما تقوم بها الحكوماتُ وليس الأفراد - تعني أيّاً من الأفعال التالية، المرتكبة بقصد التدمير الكلّي أو الجزئي لجماعة قومية أو عرقية أو عنصرية أو دينية:

(أ) قتلُ أعضاء من الجماعة.

(ب) إلحاق أذى جسديّ أو نفسيّ خطير في أعضاء من الجماعة، إلخ.

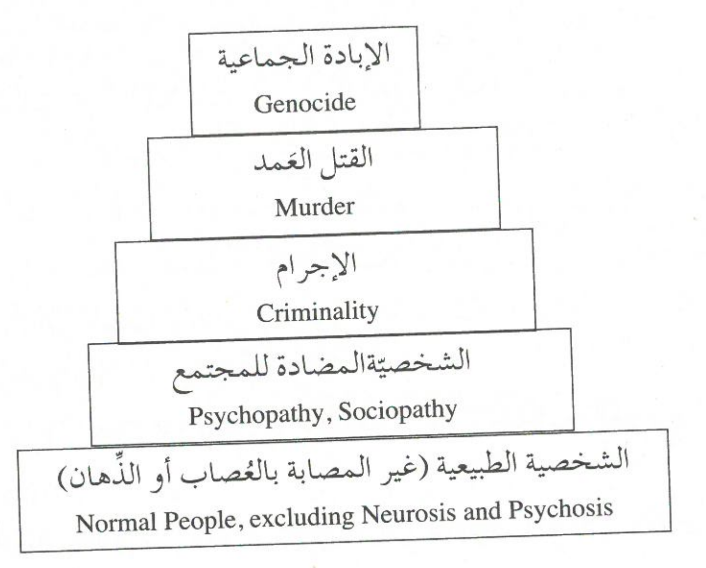
وتنطبق كلتا الفقرتين على ما قام به شاول ومن معه تجاه المسيحيين. ولقد كان دوره في ذلك عظيماً.

ويشيرُ مكتب التحقيقات الأمريكيّ الفدراليّ Federal Bureau of Investigation (FBI) إلى أنّ السلوك المضادّ للمجتمع يتساوق مع السّمات المشتركة للقتلة المسلسَلين Serial Killers، ومن تلك السّمات البحثُ عن الشعور بالإهتياج، وقلّة الشعور بالنّدامة وتأنيب الضّمير، والتّهور (الإندفاعيّة)، والحاجة إلى السيطرة على الآخرين، والسّلوك اللّصوصي. وتُعرف هذه الجرائم، كالتي قام بها شاول، بأنها تُقترف بدمٍ «بارد»، للإشارة إلى أنّها تُرتكب من دون وجود بواعث مسبّبة لها.

وهذا شكلٌ يبيّنُ التدرّج في شدّة حالة الشّخصية المُعادية للمجتمع، أو «السايكوپاثية»:

(١) قتل = cide، وعائلة أو قبيلة أو عرق = Genos.





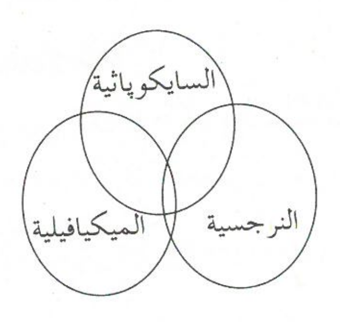

**تدرُّج الشخصية، بالنسبة للإجرام**

وثمة ثالوثٌ يُعرفُ في علم النفس المَرضيّ باسم «ثالوث الشخصيّة الأسود»، أو «ثالوث الظلام» ، وهو يقوم على ثلاثة أركان، وهي:

١ - السايكوپاثية.

٢ - النرجسية.

٣ - الميكيافيلية.




**«ثالوثُ الظلام»**

**Dark Triadic Personality**

## النرجسيّة[1] Narcissim

النرجسيّة، مثلها مثل السايكوباثية، هي مصطلحٌ يرقى إلى القرن ١٩، وهي اضطرابٌ في الشخصية يتميز بالشعور بالعظمة، وبالتعالي، وعدم الإحساس بشعور الآخرين، وتُدرج سمات هذه الحالة تحت سبعة عناوين:

١ ـ مركّب الإستعلاء، والافتخار، ومغالاة الإنسان في الإيمان بتفوّقه.

٢ ـ شعورُ الشخص بحقّه أو قوّته للسيطرة على الآخرين Superiority، وإصدار الأوامر إليهم، وجعل الآخرين في موضع الطاعة، والتسلّط على الآخرين Authority.

٣ ـ حيازة الحقّ، والتخويل، والتأهّل، على حساب الغير، والفوقيّة Entitlement.

٤ ـ الإظهارية: عرضُ ما لدى الإنسان من مقدرات أو أشياء لِلَفت أنظار وانتباه الآخرين إليه Exhibitionism، والإفتضاحية، بمعنى نزوعه إلى عرض مفاتنه أو ما خفي من جسده.

٥ ـ الخُيلاء، والزّهو، والتفاهة، والفراغ Vanity.

٦ ـ استغلالُ الآخرين Exploitativeness.

٧ ـ الغرور، والثقة الزائدة بالنفس، والشعور بالإكتفاء الذاتيّ Self-Sufficiency.

ولقد يعجبُ المرءُ، في مطالعته لرسائل بولس التي تكوّن أكثر من نصف محتويات العهد الجديد، من مدى افتخار بولس بنفسه وشعوره بالإستعلاء، وكثرة ذلك وتكرُّره في رسائله، كبقيّة هذه السِّمات التي نجدها فيه.

## الميكافيلية[2] Machiavellianism

هو مصطلح يرقى إلى القرن ١٦، والميكيافيلية حسب قاموس أوكسفورد، هي استخدام أية وسيلة للحصول على المراد من دون إعارة

(١) تزعم الأسطورة الإغريقية أنّ نرسيسوس كان شاباً افتتن بجمال صورته في الماء، فذوى جسده وتحول إلى نرجس.

(٢) نسبة إلى رجل الدولة ومنظّر السياسة الإيطالي نيكولو ماكيافيلي (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧)، الذي اشتهر كتابة «الأمير» The Prince، والذي كان موضوعه الأساسيّ استخدام الوسائل الممكنة كلها للحفاظ على السلطة، وهو ما أدانه البابا.

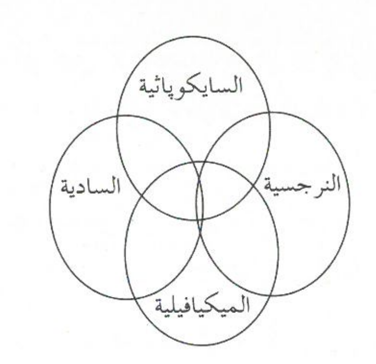


اهتمام بالأخلاقيات، أو هي توظيف المكر والإزدواجية (الخداع) في السلوك العامّ في السياسة، ويمكن تلخيصها بعبارة «الغاية تبرّر الواسطة». فالمتّصف بالميكيافيلية يُعرف بتعاملاته الشخصية المزدوجة مع الآخرين، مع سلوكيات تهكميّة Cynical ساخرة بالآخرين، وأخلاقيات ذرائعية (براغماتية) Pragmatic، كما تتميزّ بالتلاعب بالآخرين، واستغلالهم، مع ازدراء ساخرٍ بالأخلاقيات، والتركيز على إرضاء النفس والخداع.

وقريب من صاحب هذه الشخصية ما يعرف في العاميّة المصرية بـ«الفَهلوة»، ويُقال بأنّ أصل الأخيرة فارسيُّ، وتعني سعة الحيلة، والحذاقة، والغش، والفساد، كما يُطلق اسم «الفهلويّ» على من يدّعي امتهانه لأيّة مهنة وكلّ مهنة.

ثم إنّ علماء النفس أضافوا إلى السِّمات الثلاث السابق ذكرها، سمة رابعة هي: **السّاديّة Sadism**، وقد وُصفت الساديّة أولّ مرة عام ١٨٣٤، وتتميزُ بالشعور باللذة في رؤية الآخرين يتعذبون، ويعانون، ويتألمون. ويتّصف أصحاب هذا الاضطرابُ بالقساوة والشرّ والتلاعب بالآخرين والسلوك المُهين تجاههم، نسبة إلى الماركيز دي ساد Marquis De Sade (١٧٤٠ ـ ١٨١٤)، الأديب الفرنسيّ المشهور، الذي تميّزت رواياتُه، وأشهرها رواية «جوستين وجوليت» Justine and Juliette، بالإندفاع القهريّ لتحقيق اللّذة من طريق تعذيب الآخرين نفسياً أو بدنياً أو جسدياً.

وبإضافة السادية إلى «ثلاثيّ الظلام» صار لدى علماء النفس ما أسمُوه «رباعيّة الظلام» Dark Tetrad. وتتميز هذه الحالات الأربع جميعاً، منفردةً، بالسلوك القاسي التلاعبيّ Callous - Manipulative Interpersonal Style. وإذا كانت ساديّة شاول أوضح من أن تحتاج إلى تقصٍّ وبيان، فإن سلوكه لم يقتصر على الإجرام وحده، بل هو تعدّاه ليشمل العنف Violence أيضاً، وقد دلّت البحوث على وجود تناسب طرديّ بين السايكوپاثية والعنف، كما أنّ لبولس من سِمات هذا الرباعيّ ما لا يُنكر.




«رباعيُ الظلام»

## مظاهر سايكوپاثية بولس بعد انتحاله المسيحية

لئن تظاهرت عدوانية وعنف بولس، قبل تمسحّه المزعوم، على شكل ماديٍّ جسدي، بالقتل، والحبس، والتعذيب الجسدي، فلقد انتقلت بعده إلى طور جديد لا يقلّ عنها خطورةً، بل هو أخطرُ ممّا قبله، وبما لا يُقاس. ذلك لأن نفسيةبولس المعتلة قد مسّت الديانتين، اليهودية والمسيحية، في الصميم، وألحقت بهما أفدح خسارة.

لقد انقلب بولس على الديانتين معاً، بمكر ما بعده مكر، وسيطر على أحاسيس الناس بذلاقة لسانه ومكره. ولكنّ عدوانيته وطغيانه على الناس اتخذا هذه المرة طابعاً وشكلاً دينياً، وبه سيطر على الناس وتملّك أنفسهم، فتلاعب بهم مسخّراً إيّاهم لِما أراد من خداع وحَيْدٍ عن الحقّ، ومثبّتاً لنفسه سلطة ونفوذاً زادا على سلطة المسيح ونفوذه نفسه.

١ ـ لم يجئ السيد المسيح (ع) إلاّ بنفس ما جاء به رسلُ الله جميعاً، وهم كلّهم بشر. ولقد كان قوم المسيح يهوداً، واليهودية وكسائر الأديان السماوية الأخرى لم تكن إلاّ ديانة توحيدية سماوية خالصة، وكذلك كانت رسالة عيسى (ع). ولكنّ بولس انقلب على هاتين العقيدتين التوحيديتين، اليهودية والمسيحية، في آنٍ، إذ هو خرج بشيء جديد لم تعرفه الديانات السماوية التوحيدية المنزلة من قبل ومن بعدُ. لقد استبدل بولس التثليث بالمعتقد التوحيديّ لهاتين الديانتين، وقال بأنّ المسيح هو الله نفسه



متجسّداً والله الابن، في آنٍ! جاء بولس بعقيدة مشوشة هي نتاج لمزيج من الأساطير والفلسفات الوثنية مما كان معروفاً وشائعاً في المجتمعات التي عاش فيها. جاء بخليط مهلهل غريب ينبو عن القلب ويستعصي على العقل.

وإذيكفي لكلِّ موحد، في كلّ د ين سماويّ، أن يقول «لا إله إلاّ الله» ـ وفي ذلك من البلاغة منتهاها، عن محتوى الدين السماوي، أيِّ دين سماويٍّ، فلقد جاء بولس بمجموعة معقدة ومتنافرة من عقائد من مثل:

الله ـ الآب، والله ـ الابن، والله ـ الروح القدس، والله المتجسد، وابن الله، وابن الله المتجسد، والثالوث الأقدس، والآب هو الله، والإبن هو الله، والروح القدس هو الله، ولكنَّ الله ـ الآب ليس هو الله ـ الإبن، ولا الله ـ الرّوح القدس، إلخ، إلخ.

لقد طعن بولس العقيدتين اليهودية والمسيحية في الصميم، لا بل هو جاء بما لم يجئ في أيّة رسالة سماوية أخرى.

لم يكن بولس، في الحقّ، يهودياً، ولا مسيحياً، في أيّة فترة من فترات حياته. والذي يؤمن بالله ويطيعه ويخافه، كما يؤمن بوصاياه العشر في التوراة، لا يهجمُ على الناس تقتيلاً وسجناً واضطهاداً، لا لسبب إلاّ لإيمانهم برسول الله، المسيح (ع)، ذلك الرسول البشر.

٢ ـ مثلما بدّل بولس عقيدة الإيمان التوحيدية، فلقد جعل شريعة التوراة (= الناموس) وراءه ظهرياً، وكذلك شرائع رسل الله من قبلُ، جميعاً، تلك الشرائع التي قال عنها السيّد المسيح، في إنجيل متى:

١٧:٥ لا تظنوا أنّي جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء.
ما جئت لأنقض بل لأُكمّل.

وأوضح مثال لما فعله بولس من تطويح بأحكام التوراة هو إلغاؤه للختان الذي كان، حسب التوراة نفسها، علامةً للعهد الأبديّ بين الله وبين رسله، ابتداءً من إبراهيم، ومروراً بإسماعيل وإسحق ويعقوب (إسرائيل) وحتى المسيح نفسه، إضافة إلى رمي تعاليم تناول اللحم الحلال «الكوشر»، وغيرها من آداب الذبح، والطعام، عرض الحائط، متعمداً، وغيرُ ذلك كثير، وذلك كله من ناحية الإلغاء. وغيرُه، من ناحية الإضافة، إدخال الكثير من الطقوس الوثنية الغريبة التي لا صلة لها بتعاليم السماء، إلى المسيحية.

ورغم جهد بولس العظيم في تبديله للدّين الإلهيّ المنزّل من الله على رسله، عقيدة وشريعة، فإنه يُخادع الناس ويؤكّد لهم مراراً أنّه لم يحد عن شرائع الأنبياء. جاء في «**أعمال الرسل**»، والكلام هو لبولس:

١٤:٢٤ وأومن بكل ما كُتب في الشريعة وكتب الأنبياء.

٥:٢٦ فلو أرادوا لشهدوا أنني كنت فريسياً، أي تابعاً للمذهب الأكثر تشدداً في ديانتنا.

٢٢:٢٦ ولستُ أحيدُ عما تنبأ به موسى والأنبياء.

١٧:٢٨ .. دعا بولس وجهاء اليهود، وقال لهم: «أيّها الإخوة، مع أنّي لم أفعل ما يُسيء إلى الشعب، ولا إلى طقوس آبائنا.

ويذكّرنا تكرارُ بولس وتوكيده، في أنّه لم ينقُض ما جاء به الأنبياء، تكرارُه وتوكيده لاتّصال الله به، تارةً من طريق الله ـ الإبن، وتارةً من طريق الله ـ الروح القدس، وأخرى من طريق ملاكٍ، ورابعةً من طريق الرجل الصالح حنانيّا. ولِعِلَّةٍ جاء هذا التوكيد.

ولِعِلّةٍ، أيضاً، جاء ما نُسب إلى السيد المسيح من تحذير للناس متكرّر، من «الأنبياء الكذبة الكثيرين» الذين يتوجّب على من كانوا يسمعونه ألاّ يصدّقوهم (راجع رسالة يوحنا الأولى ٤: ١).

٣ ـ كذبه واختلاقه لرواية ظهور «الله ـ الإبن» له في روايات متناقضة كشفت زيف ادعاءاته، وهي قد بحثناها تواً.

٤ ـ إدعاؤه باتصال وظهور «الله ـ الإبن» له تارةً، و«الله ـ الروح القدس» تارةً أخرى، و«الملائكة» ثالثة، يرشدونه ويتباحثون معه.

بل ماذا أقول؟

إنهم، في إحدى دعاواه، يتناقشون معه، فيرتأي الإثنان الرأي نفسه. فها هو يقولُ للناس، في «أعمال الرسل»:

١٥:٢٨ فقد رأى الروح القدس ونحن، أن لا نحملكم أيَّ عبءٍ فوق ما يتوجّبُ عليكم [!].



# «الاختطاف الإلهيّ»

اصطلاح «الاختطاف الإلهي» ليس هو من عندنا، بل هو اصطلاح استخدمه بولس نفسه، والمقصودُ به أن الله قد اختطفه!

ولقد تدرّج بولس في دعاواه، وبمرور الوقت، فها هو يدّعي في **رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس**، والتي يُعتقد أنها قد كُتبت في حوالى السنة ٥٧ الميلادية، أنه قد اختطف إلى السماء الثالثة، ثم سرعان ما يدّعي بأنه قد ذُهب به إلى الفردوس، وهو لا يذكرُ شيئاً عمّا رآه أو سمعه هناك، البتّة، بل هو يقول بأنه قد سمع كلمات لا يُنطق بها، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها (لِمَ ذُهب به، إذاً، ثمّة؟)، وهو إذ يفتخرُ افتخاراً شديداً، فإنه يدّعي بأنه لا يريدُ أن يفتخر، ولكنّ رُؤى الربِّ له وإعلاناتُه (آياتُه) تُجبره على ذلك الافتخار. ثم إنه، بعد ذلك كله، ليدّعي بأنّ ذلك قد حدث قبل أربعة عشر عاماً من رسالته هذه، وهو لا يتحدث في ذلك كلِّه إلاّ على أنه قد حدث لشخص آخر، لا له:

١:١٢ إنه لا يوافقني أن أفتخر. فإني آتي إلى مناظر الرّب وإعلاناته.

٢:١٢ أعرفُ إنساناً [يُشيرُ بولس هنا إلى نفسه] في المسيح قبل أربع عشرة سنة.. **اختُطف هذا إلى السماء الثالثة**.

٣:١٢ وأعرفُ هذا الإنسان: أفي الجسد أم خارج الجسد؟ لستُ أعلم. الله يعلم [عدم معرفة بولس بذلك، على افتراض صحتها، لهي دليل على أنه لم يكن في وعيه الطبيعي، على أقلِّ تقدير].

٤:١٢ أنه **اختُطف إلى الفردوس، وسمع كلماتٍ لا يُنطقُ بها، ولا يسوغُ لإنسان أن يتكلّم بها**.

٥:١٢ من جهةِ هذا أفتخرُ. ولكن من جهة نفسي لا أفتخرُ إلاّ بضعفاتي.

٦:١٢ فإني إن أردت أن أفتخر لا أكونُ غبيّاً، لأني أقولُ الحق.

٧:١٢ ولئلا ارتفع بفرط الإعلانات، أُعطيتُ شوكة في الجسد، مَلاك الشيطان [في الترجمة الإنكليزية: «**رسول الشيطان**» **The messenger**

**of Satan**، ولا نستغربن أن يكون لرسول الشيطان يدٌ على «بولس الرسول»، لأنَّ «الإله الإبن» نفسهُ قد سبق وأن وقع في براثن الشيطان، كما تخبِّرُنا بذلك الأناجيل، كما أننا لا نعلم لِمَ كان بولس يتحدث على رسول الشيطان، وليس على الشيطان نفسه، لا ولا نعلم ما كان فعل رسول الشيطان هذا ولا كنهه] ليلطمني، لئلا أرتفع.

٨:١٢ من جهة هذا تضرّعتُ إلى الرّب ثلاث مراتٍ أن يفارقني [أي «رسول الشيطان»].

٩:١٢ فقال لي تكفيك نعمتي، لأنّ قوّتي [قوة بولس] في الضعف تكملُ.

١٠:١٢ لذا أُسَرُّ بالضعفات والشتائم والضرورات والإضطهادات والضيقات لأجل المسيح [صار واضحاً الآن أنَّ المقصود برسول الشيطان هم معارضو بولس].

١١:١٢ قد صرتُ غبياً وأنا أفتخرُ. أنتم ألزمتموني [بالافتخار] لأنه كان ينبغي أن أُمدَحَ منكم [!]، إذ لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل [!].

إنّ بولس ليجابهُ الناس، علانيةً، بأنه ليس أقلَّ من الرسل الفائقين، أي تلاميذ المسيح وحوارييه الذين رأوا المسيح وعاشوا معه، واختارَهُم المسيح بنفسه واصطفاهُم. ثم إنّ بولس إذ يُجاهرُ بأنه ليس أقلَّ شأناً منهم، وهو الذي لم يَرَ المسيح ولم يشهده، يلومُ الناس لأنهم لم يمدحوه، وهو يعتبرُ مدحه من قبلهم واجباً عليهم. ولأنهم لم يمدحوه، فلقد صار لزاماً عليه أن يمتدح نفسه، ويفتخر!

١٢:١٢ إنّ علامات الرسول صُنعت بينكم في كلِّ صبر [صبر بولس]، بآياتٍ وعجائب وقُوّات [لبولس].

١٣:١٢ لأنه ما هو الذي نقَصتُم عن سائر الكنائس؟ [يمتَنُّ عليهم بكل ما لديهم، وبأنه هو صاحب الفضل عليهم بكلِّ ما لديهم في كنائسهم].

١٦:١٢ .. لكن إذ كنتُ مُحتالا أخذتُكم بمكرٍ [وهو حتى في هذا يفتخر].

لقد احتفظ بولسُ بهذا الأمر، حسب قوله، مدّة ١٤ عاماًو لم يُخبِّر به أحداً قطُّ، لا ولا قد علمه أقربُ المقرَّبين إليه. ولا نعلمُ لِم هو أخفاه ثم هو



أبداه بعد كلِّ تلك الفترة الطويلة، اللهم إلاّ أنّه لم يجهر به إلاّ ليفتخر به، لأنّهم لم يمتدحوه، وحسب قوله هو نفسه.

وإلاّ، لماذا أخفى بولسُ أمر هذا «الاختطاف الإلهي»؟

يجيبنا على ذلك القديس يوحنا الذهبي الفم:

إنه ما كان سيتحدث عن هذا لو لم يثيروه.

ولكن ما هي تلك الإستشارةُ من قبلِ الناس التي دعت بولس إلى ذكر هذا «السرِّ»، والتفاخر به، بعد ١٤ عاماً من حدوثه؟ إنه ليخبِّرُنا هو نفسه، بالسبب في ذلك: لقد كان عليهم أن يمتدحوه، إذ هو ليس أقلَّ من غيره من «الرُّسُل الفائقين».

ولماذا اختُطف بولس؟ يجيب القدّيس الذهبي الفم، أيضاً، قائلاً:

حتى لا يشعر أنه أقلُّ من الرسل الآخرين الذين كانوا جميعاً مع المسيح على الأرض.

إنّ الأمر لا يتعلّقُ، إذاً بآيةٍ تزيدُ الناس إيماناً، وإنّما هو مداواةٌ لعنصر نقصٍ لم يفتأ يَقُضُّ مضاجع بولس ويُقلقُه أشدَّ القلق.

ويقول بولس عن نفسه، بصيغة الشخص الغائب: «اختُطِفَ هذا إلى السماء الثالثة. اختُطف إلى الفردوس». فها أنَّ بولس لم يُختطف إلى السماء الثالثة وحسب، بل هو اختُطف إلى الفردوس أيضاً. ويرى بعض الباحثين، مثل أمبروسيايتر، أنّ بولس قد اختطف مرتين، مرة إلى السماء الثالثة، وأخرى إلى الفردوس الذي انطلق إليه اللّصُّ اليمينُ في حادث الصلب. ثم ما هي تلك الكلماتُ التي لا يُنطق بها، ولا يسوغُ لإنسان أن يتفوّه بها؟ يتساءلُ القمص تادرس يعقوب ملطي، محاولاً تفسير هذه الألغاز:

هل الفردوس هو السماء الثالثة، أم أنهما مختلفان؟

هل يتحدّثُ الرسول عن اختطافين، أحدُهما إلى السماء الثالثة، والثاني إلى الفردوس؟

أم هي رؤيا واحدةٌ واختطافٌ إلى موضع واحد؟

لقد سمع الرسولُ أحاديث سماوية لكنه لم يستطع أن ينشرها، إذ لا يُمكن ترجمتها بلغة بشرية، ولا يقدرُ لسانٌ بشريٌّ أن ينطق بها.

وأما تيوُدور أسقف المصيصة فيقول عما رآه بولس المخطوف:

لقد رأى المظهر الجميل للفردوس، رقصاتِ القديسين فيه والصوت المتناغم للتسبحة.

وإذا كان «رئيس رُسل الرّبّ» يُختطفُ إلى السماء، أو الفردوس، اختطافاً، فذلك يعني، ضمن ما يعني، أنْ لم يكن قد سبق له علمٌ بما حدث له. أفهكذا يكون «الرب يسوع» ذلك الشخص الطيّب القلب جداً، فظّاً في تعامله مع رسوله، حتى أنه لا يأخذُه إلى السماء والفردوس إلاّ خطفاً؟ ثم، من هو الذي اختطف بولس؟

وأما وقد قال بولس بأنه قد رأى ذلك كلَّه، في «إعلانات إلهية» وآيات، في رحلته بل رحلتيْه الغريبتيْن، أفما كان ذلك، لو هو صحَّ، تقويةً لإيمان الناس بـ«الربِّ»، وبـ«فردوس الله» الذي أُعِدَّ للصالحين، وبصدق بولس رسولاً للرب؟ فلماذا لم يُبيِّن بولس أيَّ شيءٍ على الإطلاق، ولا حتى في جملة واحدة، عمّا رآه؟

وهل قد كان كلُّ ما سمعه هو مما لا يُنطقُ ولا يصحُّ ولا يجوزُ لأحدٍ أن ينطق به، حتى لو كان ذلك هو «رسولُ الرّب» بل و«رئيس الرسل» نفسُه؟

فلنُصَدِّق، ولو لهُنيهةٍ، بأنّ بولس لم يمكنهُ أن ينطق بما لا يجوزُ أن ينطق به ممّا قد سمعه. ولكن، ألم يَرَ شيئاً في رحلتِه أو رحلتيْه العجيبتين ممّا يستحقُّ أن يذكرَهُ؟ لماذا هو لم يذكر لنا أيَّ شيءٍ على الإطلاق عن ذلك؟

السماء الثالثة، والفردوسُ، وما أدراك ما الفردوسُ، ماذا رأى بولسُ فيهما من أعاجيب، ولماذا لم يفتح فمه البتَّة بما كان ثمّةَ؟ أو لم يكُن الأولى به أن يذكر للناس شيئاً عن أعاجيب الكون، وآياتِ الله في بديع صُنعه، في السماء، وعن الفردوس ونعيمه، حتى يزداد الناس إيماناً وتشوّقاً إلى الجنَّة؟

وأمّا ادّعاءُ بولس بالغباء، فذلك ليس إلاّ تغطيةً منه على دعاواهُ وافتخاراته التي لا أساس لها. ونلاحظُ في قوله: «إنّ علامات الرسول صُنعت بينكم في كلّ صبرٍ، بآياتٍ وعجائب وقُوّاتٍ»، أنه لا يتحدث على علامات للربِّ، بل على علاماته هو!

وبينما يدّعي بولس بأنه لا يوافقه (لا يريحه) أن يفتخر، تارةً، إذا به تارةً أخرى يقولُ بأنه يفتخرُ في جسارةٍ، وها هو يقولُ، مرّةً أخرى:



١٨:١١ بما أنّ كثيرين يفتخرون حسب الجسدِ، أفتخرُ أنا أيضاً.

وهكذا نجدُ بولسَ في تصرفه مع تلاميذ المسيح الأصيلين وهو ينحو سبيلين اثنين، أولُهما قولُه وتكرارُه بأنه ليس أقلَّ شأناً منهم، أولئك «الرسلُ الفائقون»، و ثانيهما عدمُ التأخر عن نعتِ من خالفه منهم بأبشع النعوت، وبوصف الواحد منهم بأنه «رسولُ الشيطان»، وبأنّهم «رُسُلٌ كذبة». يقول بولس في رسالته الثانية إلى كورنثوس:

١٣:١١ لأنّ مثل هؤلاء هم رسُلٌ كذبةٌ
فَعَلةٌ ماكرون
مُغَيِّرون شكلهم إلى شبه رُسُلِ المسيح.
١٤:١١ ولا عجب،
لأنّ الشيطان نفسه يغيِّرُ شكله إلى شبه ملاك نورٍ.
٢٢:١١ أهُم عبرانيون؟
فأنا أيضاً.
أهم إسرائيليون؟
فأنا أيضاً.
أهم نسلُ إبراهيم؟
فأنا أيضاً.
٢٣:١١ أهم خُدّامُ المسيح؟
أقولُ كمُختلِّ العقل:
فأنا أفضلُ،
في الأتعابِ أكثرُ،
في الضرباتِ أوفرُ،
في السجونِ أكثرُ،
في الميتاتِ مراراً كثيرة.
٢٦:١١ ... بأخطارٍ من إخوةٍ كَذَبَةٍ.

إنّ الأخطار التي كانت تحيقُ ببولس، حسب قوله، لم تكن من أولئك البعيدين عنه من غير المسيحيّين، بل هي كانت من «الإخوةِ الكذبة».

ولا يتوانى بولسُ عن أن يُفصح عمّا في دخيلته بالقول بأنّ الناس طالما لم

يمدحوه، فلقد ألزموه بالافتخار، ولم تكُن دعوى اختطافه المزعومة إلى السماء إلاّ عُكّازةً اتّكأ عليها بولس للحصول على مزيد من الفخر، ولا يمكن النظر إلى دعوى الاختطاف هذه بمعزل عن الباعث الذي حفزهُ على القول بها: «كان ينبغي أن أُمدح منكم إذ لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل»، «كان عليكم أن تقدّروني ولا تُلزموني بأن أفتخر، فخدمتي كانت بعجائب وقوّاتٍ تدل على أحقيّتي في الرسولية»، حسب تعبير القس أنطونيوس فكري.

ويتساءلُ القمصُ تادرس يعقوب ملطي، بحقٍّ:

مَن يتمتعُ بذلك ويقدرُ أن يصمت لمدة ١٤ عاماً دون أن يُشير إلى ذلك قطُّ؟

لقد اتصفَ ادِّعاءُ بولس، هنا، بعدَّةِ أشياء:

**أولاً** - لقد وصف نفسه بالغبيِّ، مرّات عديدة، وهاك ما جاء منها في **رسالة كورنثوس الثانية:**

١:١١ ليتكُم تحتملون غباوتي قليلاً.

١٦:١١ أقول أيضاً لا يظن أحد أني غبي، وإلاّ فاقبلوني ولو كغبيٍّ، لأفتخر أنا أيضاً قليلاً.

١٧:١١ الذي أتكلمُ به لستُ أتكلّمُ به بحسب الرّبِّ [ها هو يُثبتُ، دون أن يَعي ذلك، أنّه ليس رسولاً حقّاً لله]، بل كأنه في غباوةٍ، في جسارةِ الافتخار هذه.

٢١:١١ أقولُ في غباوةٍ أنا أيضاً أجترئُ فيه.

**ثانياً** - لم يُفصح عن أيِّ شيءٍ ممّا ادّعى بأنه رآهُ أو سمعَهُ.

**ثالثاً** - أخفى شخصيته، قائلاً: «أعرفُ إنساناً»، وهو يقصدُ نفسه.

**رابعاً**: جاء حديثه مفاجئاً، وبعد ١٤ عاماً من وقوع ذلك الحادث المزعوم.

**خامساً** - يؤكد بولسُ أنه ليس كاذباً، ولطالما كرّر بولسُ أنه ليس بكاذبٍ:

٣١:١١ الله أبو ربِّنا يسوعُ المسيح الذي هو مباركٌ إلى الأبد، يعلمُ إنيّ لستُ أكذبُ.

ولا نرى في ذلك كلّه إلاّ إشاراتٍ نترك أمر تقديرها وتفسيرها إلى القارئ، في مدى صدق بولس.



وما هي تلك «الشوكة في الجسد»، أو «الرسولُ الشّيطانُ»، في حديث بولس؟ يرى بعضُ المفسّرين أنها تُشيرُ إلى إهانات لحقت به ممّن دُعوا بالمعلمين الكَذَبة، «فكما أرسل يسوعُ المسيحُ بولس رسولاً للحقِّ، فكذلك أرسل الشيطان رسولاً مقاوماً للحقِّ، يبثُّ روح الكذب ويحوِّلُ كنيسة المسيح إلى مُجمَّع للشيطان». ويقولُ القدّيس يوحنا الذهبيُّ الفمِ إنّ المقصود بملاكِ الشيطان هو «كلُّ مقاومي الكلمة، الذين صارعوا وحاربوا ضدّه، فإنهم مارسوا عمل الشيطان.. كل واحد كان يقاومه». وأمّا ثيؤدورتُ أسقفُ قورش فإنه يقولُ: «ملاكُ (رسولُ) الشيطان» يعني بولسُ الشتائم والهجوم والثورات التي واجهها».

وهكذا، فإنّ كلَّ من وقف في وجه بولس أو خالفه فلقد صار في زعمه رسولاً للشيطان، وكان على رأس أولئك جميعاً، وكما تُخبِّرُنا أسفارُ العهد الجديد، حواريو المسيح أنفسُهم.

ثم يقولُ بولس: «تضرّعتُ إلى الربِّ ثلاث مرّاتٍ أن يفارقني [رسولُ الشيطان»]. لقد طلب من المسيح، في زعمه، ثلاث مرّات، أن ينزع عنه تلك التجربة، بإبعاد أولئك الشياطين عنه، من غير استجابةٍ من المسيح، وهو في طلباته الثلاثة تلك يتشبّهُ بـ«الربِّ»، إذ يقول إنجيلُ متى [٢٦: ٣٩-٤٤] إنّ المسيح قد طلب ثلاث مرّات من الله «إن أمكن أن تعبُر عنه الكأسُ».

# الرأيُ اليهوديُ في بولس[1]

تصفُ الموسوعةُ اليهوديّةُ بولس (شاؤول الطرسوسي) بأنه المؤسّسُ الفعليّ للكنيسة المسيحية في مقابل اليهودية، وهي تسجّلُ عليه الملاحظات التالية:

لقد فُقدت السجلاتُ التي تحوي آراء وأفكار معارضي بولس والبولسية، ولم يَعُدْ لها من وجودٍ. إنّ تاريخ الكنيسة المبكرة قد لوّنه كُتّابُ القرن ٢، الذين كانوا مهتمّين بإخفاء آثار خلافات الفترة السابقة أو التخفيف منها. وكما يتبيّن من سفر أعمال الرسل، وأيضاً كما قد برهن عليه النّقاد الحديثون، فإنّ الرسائل التي تُعزى إلى بولس هي ما بين المزيفة (غلاطية، أفسس، ١ و٢ تيموثي، تيطس، وغيرها) والمدسوسة المولّدة، والأسرار أو الطقوس mysteries or sacraments التي وردت في كلام بولس (رومية ١٦:٢٥، كولوسي ١:٢٦، ٢:٢، ٤:٣، أفسس ١:٩، ٣:٤، ٤:١٩) إنما هي اصطلاحاتٌ اقترضها بولس كليّةً من الطقوس الوثنية.

إنّ في كتابات بولس كلّها عنصراً غير عقلانيٍّ أو مَرَضياً لم يكن له إلاّ أن يُنفِّر الأحبار عنه. لقد تكلم بولسُ على شوكة في الجسد، وعلى رسول للشيطان كان يؤذيه، ويؤكدُ بعض الباحثين، وكما يُشير كرينكل Krenkel، أنه كان مُصاباً بالصَّرع، والذي كثيراً ما كان يجعله في حالة ذهول أو بُحرانٍ، وهو أمرٌ إذا كان قد أثار بعض سامعيه من الأمميين، فإنه لم يكن له إلا أن يُخيف وينفّر اليهود عنه.

لقد كانت العقيدةُ الجديدةُ التي نصفُها وثنيٌّ ونصفُها يهوديٌّ، وكما بشّر بها بولسُ، وما نشأ عنها، أمراً غريباً تماماً على الحياة والفكر اليهوديّين. وليس اليهودُ وحدهم من اعتبره مرتدّاً عن الشريعة apostat of the Law، بل واليهودُ المتنصّرون أيضاً.

ادعى بولسُ بأنه كان يهودياً فريسياً متحمساً، وأنه كان متحمساً لشريعة

(١)المصدر: الموسوعة اليهودية Jewish Encyclopedia (1906), Saul of Tarsus.



الآباء، وهذا زعمٌ لم يكن ليصدُر إلاّ في وقتٍ لم يعُد فيه معروفاً بأنه قد كان ثمة فرقٌ شاسع بين كبار الكهنة من الصدوقيين الذين كان لديهم اهتمامٌ شديد بالقضاء على الحركة المسيحية، وبين الفريسيين الذين لم يكن لديهم من سبب للحكم على ستيفانوس بالموت. وفي الحقيقة فإنّ هذه المقولة قد جاءت من رسالة بولس إلى أهل **غلاطية**:

١٣:١ فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية أني كنت أضطهدُ كنيسة الله بإفراط وأتلفها.

١٤:١ وكنتُ أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي، إذ كنتُ أوفر غيرةً في تقليدات آبائي.

وهي مقولةٌ قد بيّن زيفها كلٌّ من برونو بور Bruno Baur، وستيك Steck، وبصورة هي الأكثر إقناعاً من قبل فريدريك ميهلس Friedrich Meahliss[1].

وبسبب الخلافات والإنشقاقات التي يُحتملُ أنها كانت أخطرَبكثير ممّا أُشير إليه في أعمال الرسل (١٥: ٣٦ - ٣٩) أو غلاطية (٢:١٣)، فلقد افترق برنابا Barnabas عن بولس.

إنّ بولس، الذي أُسمي بـ«رسول الأمم»، قد توجّه إلى الأمميين (الوثنيين) من غير اليهود، خارج فلسطين. لقد كان بولس «هيلينياً»، أي إغريقيَّ الثقافة والرأي والهوى، وهو قد توجّه بدعوته أساساً إلى المجتمعات التي كانت قد تأثرت أو عاشت في الأجواء الهيلينية. وغنيّ عن القول إنّ الأناجيل القانونية الأربعة قد أُلّفت بعد كتابة رسائل بولس بزمن ليس بالقصير، وهكذا فإنّ أفكار ومعتقدات بولس التي تجلّت في رسائله قد تركت بصمةً وأثراً لا يُمحى في الأناجيل الأربعة، بل إنها صبغتها جميعاً بصبغتها العقائدية، حتى لقد قالت الموسوعة اليهودية بحقٍّ إنّ النصوص التي احتوت على أفكار وعقائد مناهضة لتلك التي جاء بها بولسُ قد فُقدت، أو بالأحرى، أُبيدت، جميعاً.

(١) Die Unechtheit des Galater briefs, 1891.

استناداً إلى أعمال الرسل (١٣، ١٤، ١٧ ـ ١٨)، فلقد ابتدأ بولس عمله حسب الخطّ اليهودي التقليدي بين اليهود، وهو لم يتجه إلى الأمميين في دعوته إلا بعد أن فشل في استمالة اليهود إلى وجهة نظره، حيث واجه معارضة عنيفة واضطهاداً منهم. ولكن عرض أعمال بولس هذا لا ينسجم مع موقفه تجاه اليهود والشريعة الذي اتخذه في رسائله، لا ولا ثمة قيمة تاريخية لما جاء في غلاطية (٢: ١ ـ ١٠) من أن اتفاقية ما سُمّي بـ«أعمدة الكنيسة» قد قسّمت العمل بين بطرس وبين بولس، حيث أُعطي «إنجيل الختان» إلى الأول، و«إنجيل عدم الختان» إلى الثاني، إذ إن الهجمات المرّة والضارية ضد كل من اليهود ورُسُل الكنيسة المسيحية ـ اليهودية (حيث هو دعاهم في رسالته إلى أهل فيلبي ٣: ٢ بـ«الكلاب»).

٣: ٢ أنظروا الكلاب انظروا فعلة الشرّ انظروا القَطْعَ [أصحاب الختان]،

أي أنّ الختان هو شرّ. ولمزُ أصحاب الختان هذا بالشرّ لهو تصرف بعيد عن اللياقة الأخلاقية تماماً. وأية غرابة في أن يصف بولس اليهود بالكلاب، ما دام ربه [«الإله الإبن»] قد وصف غير اليهود، حسب ادعاء الأناجيل، بالكلاب؟ وهو شيء يستحيل أن يجري على لسان نبي أو رسول.

إن تلك الهجمات لهي غير ضرورية، ومما لا يمكن العفو عنه أو اغتفاره. وفي الحقّ، فإنّ بولس لم يكن يمتلك من الرسالة بالتشارك مع رسل المسيح (تلاميذه) الفعليين إلاّ اسمها. لقد انصبَّ حقل عمله وبصورة رئيسية، إن لم تكُن حصريةً، بالأمميين، حيث هو طمح في أرضٍ بكرٍ ليبذر فيها عقيدته، وهو ما نجح فيه في كنائس اليونان، ومقدونيا، وآسيا الصغرى، حيث لم يكن ثمة لا يهود ولا أُمميون، ولكن مسيحيّين يُخاطِبُ أحدهُم الآخر بـ«الإخوة» أو «القدّيسين». وأمّا بالنسبة إلى تسلسل الأحداث التاريخيّ، فلا يُمكنُ وضعُ اعتمادٍ كبير على غلاطية (١: ١٧، ٢: ٣)، ولا على أعمال الرسل ببياناتها المتناقضة.

أفلح بولس في كورنثوس Corinth وأفسس Ephesis، باعتبارهما حقلاً



تبشيرياً كبيراً له، وهما كانتا مركزين عظيمين للتجارة، ويسكنهما مزيجٌ متدافع من سكّان غير أخلاقيين، ويتمتعان بالحماية الرومانية، وتوجّه باهتمامه ليس إلى أثينا ولكن إلى روما.

## تأثر بولس بـ«الأسرار» (الطقوس) Mysteries الإغريقية

يبدو أن بولس الهيليني، بمعرفة منه أو دون معرفة، قد أخذ الطقوس الوثنية Heathen cult associations أنموذجاً له عندما قام بإدخال مظاهر جديدة إلى المسيحية (آنرِك Anrich، ١٨٩٤). وبالنسبة إلى بولس، فإن المعمودية baptism لـم تعد طقساً رمزياً يشير إلى التطهير أو التجديد والانبعاث، كما هو الحال في اليهودية والمسيحية اليهودية، ولكن صارت طقساً سرياً mystic rite يحدث فيه، لمن يدخل الماء ويخرج منه، تحوّلٌ transformation فعليّ، فيموت مع المسيح إلى عالم الجسد والخطيئة، ويقوم معه إلى عالم الروح، في القيامة الجديدة resurrection (رومية ٦: ١ ـ ١٠).

والأكبر من ذلك هو المشاركة في تناول الخبز والنبيذ في الوجبة التي تُسمى «عشاء الرّب» Lord's Supper والتي تُعطي اتّحاداً سريّاً مع المسيح، «مشاركةً في دمه وجسده»، بالضبط مثلما كانت الوجبةُ المثرائية The mithraic meal مشاركةً حقيقية في دم وجسد مثرا (أنظر Cumont). واعتقد بولسُ بأنّ الكنيسة تكوِّن «جسد المسيح» ليس من وجهة نظر رمزية، وإنما من خلال الواقع السريِّ نفسه الذي يصير من خلاله المشاركون في الأديان الوثنية، من خلال أسرارهم أو طقوسهم جزءاً من آلهتهم. وهذا ما يعبر عنه بولس عندما هو يبيّن تباين «مائدة المسيح» عن «مائدة الشياطين» (١ كورنثوس ١٠: ٢٠ ـ ٢١). إنّ ما يؤدي إلى الخلاص ليس هو الصّلاحُ ولا حتى الإيمان ـ من وجهة النظر اليهودية بالله المحبِّ والتواب على الجميع ـ وإنما هو الإيمان بقوة المغفرة الناتجة عن موت المسيح، والتي بطريقة سريّة أو شرعية تبرّر غير المستحقين.

ومثلما كان مفهوم الكنيسة باعتبارها ضامنة لاتحاد سرّيٍّ مع الإله بوساطة الطقوس السرية وثنياً، فكذلك كان مفهومُ بولس عن صلب المسيح وثنياً. وبينما هو يتقبّلُ الفكرة المسيحية اليهودية في القوة الكامنة في موت

المسيح والتي تجلبُ الخلاص، باعتباره المسيح المعذّب (رومية ٣:٢٥، ٨:٣)، فإنّ صلب يسوع باعتباره ابن الله يتخذُ بالنسبة له، ومنذ البداية الأولى، صفة سرٍّ يُكشف له. جاء في رسالته **الأولى إلى أهل كورنثوس**:

١:٢٣ ولكننا نحن نكرزُ بالمسيح مصلوباً: لليهود عثرة، ولليونانيين جهالة!

A stumbling block to the Jews and folly to the Greeks.

٢:٢ لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلاّ يسوع المسيح، وإياه مصلوباً.

٢:٧ الحكمة المكتومة، التي سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا.

٢:٨ التي لم يعلمها أحدٌ من عظماء هذا الدهر، لأن لو عرفوا لما صلبوا ربَّ المجد.

إنها بالنسبة لبولس فعل كوني ، والذي بوساطته يصير الله مسترضياً أو مُنهياً النزاع مع نفسه بأن يُرسل الله ابنه في شبه جسدَ الخطيّة حتى يُسكِّن غضبه، أي غضب الله، بموت ابنه:

رومية ٨:٣ لأنه ما كان الناموس [الشريعة، أو قانون موسى «التوراة»] عاجزاً عنه، في ما كان ضعيفاً بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية، دان الخطيّة في الجسد.

وأنه لم يُنجِّ ابنه ولكنه خلّصه، حتى يمكن بدمه لكلِّ الناس أن يخلصوا:

رومية ٥:٨ ولكن الله بيّن محبته لنا، لأنه ونحن بعدُ خطاة مات المسيح لأجلنا.

وبالنسبة إلى العقل اليهودي المدرّب ببراعة الأحبار، فذلك ليس فكراً توحيدياً خالصاً، وإنما هو تفكير خرافي. إن عقيدة «الإله ـ الإنسان» أو «الإله الثاني»، صانع العالم، و«ابن الله»، لا يمكنُ أن تكون إلاّ فكرة وثنية (كما في فكرة أفلاطون عن «هرمز ـ توت» Hermes-Tot[1]، التي شرحها

(١) «هرمز» هو إلهٌ أولمبيّ في الديانة الإغريقية، وهو ابنُ الإله زيوس، ورسول الآلهة في الأساطير =



رايزنشتاين Reizenstein، أو في فكرة ملك للنور ينزلُ إلى الإله هاديس Hades، كما في الأدب البابليّ ـ المندائيّ Mandaean - Babylonian literature[1]). وينزل إلى جدب الحياة الأرضية حتى يصير مخلِّصاً للجنس البشري (١كورنثوس ١٥:٢٨). وفقط من الغنوسطية الإسكندرية، أو كما أثبت رايزنشتاين من فكرة وحدة الوجود الوثنية، يمكن لبولس استقاء فكرة الإمتلاء («the fullness») Pieroma لله الآب الذي يسكن في المسيح باعتباره رئيساً للإمرة والقوة جميعاً، باعتباره الذي هو قَبل كلِّ الأشياء، والذي به تتألفُ كل الأشياء (١ كورنثوس ١: ١٥ـ ١٩، ٢:٩).

وثمة كتابات زائفة كُتبت بعد بولس ونُسبت إليه، كتبتها الكنيسة باسمه بعد أن انتشرت الكنيسةُ، وقد جاء بعضُها لتكوين علاقات أفضل مع المجتمعات والحكومات[2].

وبينما حذّر بولس أعضاء الكنيسة من التحاكم أمام «الظلمة»، والتي عنى بها الأُممين (١كورنثوس ٦:١)، فإنّ قوى روما الوثنية ذاتها يُثنى عليها في مكان آخر، باعتبارها ممثلة لله، والمنتقمة بأخذ الثأر من الشريرين (رومية ١٣:١ ـ ٧).

وبينما يسمح بولس (في ١كورنثوس ١١:٥) للنساء بالتبشير والصلاة بصوتٍ عالٍ في الكنيسة، بشرط أن تكون **رؤوسهن مغطّاةً**، إذا به فيما بعدُ، في فصل قادم، يقول: «دعوا نساءكم يصمتن في الكنائس (١٤:٣٤)، وهي من الواضح إضافة مقحمة على النص. وإذ يعلن بولسُ بأن العزوبة والتبتل هما **المفضّلان**، ويسمح بالزواج فقط بغرض منع الزنا، فإنه يُعلنُ في مكان آخر بأنّ الزواج **مأمورٌ به**، وأنه طقس تعبدي سريّ يرمز إلى علاقة الكنيسة بالمسيح، كمثل علاقة العروس بالعريس.

= الإغريقية. وأمّا «توت» فهو إله مصريٌّ مُماثل للإله الإغريقي هرمز، وقد أطلق الإفلاطيون الجُدُدُ اسم هرمز على الإله المصريِّ «توت».

(١) Brandet, “Die Mandaische Religion”, 1889, pp. 151 - 156، وتلك الفكرة الوثنية قد تكون هي التي أوحت لبولس بفكرة الإله الذي يتخلى عن كنوز ألوهيته.

(٢) تُعزى ١٤ رسالة يحتويها العهد الجديد إلى بولس. لكن Cambridge Encyclopaedia تقول تحت عنوان «الرسائل البولسية» Pauline letters، إنّ العلماء المعاصرين واثقون من نسبة سبعة منها فقط إليه، وهي رومية، و١ و٢ كورنثوس، وغلاطية، وأهل فيلبي، وأهل تسالونيكي، وفلمون، بينما هم يُجادلون في أصالة بقية هذه الرسائل.

## عقيدة الإيمان عند بولس

لقد اتخذ بولس، منذ بداياته الأولى، موقف الصراع العنيف مع العقيدة اليهودية:

١ ـ فلقد أحلَّ محل إيمان الإنسان الفطري الطفولي بالله، باعتباره هو المعين الموجود أبداً عند كل نائبة؛ وكما يتمثل في كل مكان من العهد القديم؛ إيماناً أعمى مُصطنعاً وُصف وفُرض من خارج الإنسان، والذي يُنظر إليه على أنه فعلٌ يستحقُ المكافأة.

٢ ـ ولقد حَرَم بولس الحياة البشرية من حوافزها الصحية، وحرم الروح البشرية من إيمانها بقواها الانبعاثية التجديدية، ومن إيمانها بنفسها وبنزعاتها الذاتية للخير، بإعلانه أنّ الخطيئة sin، ومنذ زمن آدم، هي القوة القاهرة المسببة لكل الشرور المحفورة في الجسد، ولهلاكٍ أبديٍّ مستمر، ونفثٍ للشيطان مُميت، أمير العالم، والذي لم ينجُ من قبضته إلاّ يسوع، ذلك المسيحُ الذي قام، وكان قادراً على خلاص الإنسان.

٣ ـ وفي جهدٍ منه لتحرير الإنسان من نير الشريعة كما ادّعى، فلقد انساق إلى أن يُحلَّ محلَّ الآراء والآمال التي كان يقول بها الكُتّاب الرؤيويون apocalyptic، العقيدة المسيحية بأهوال للّعنة والجحيم لغير المؤمن، ومن دون إعطاء أي أمل على الإطلاق لمن لا يقبَلُ المسيح مُخلِّصاً a saviour، ومقسّماً الجنس البشري بين المُخلَّصين وبين المفقودين.

٤ ـ ومن خلال إعلانه أنَّ الشريعة تؤدي إلى الخطيئة واللعنة، ووضعه اللطف أو الإيمان محلها، فلقد أهمل بولسُ الحقيقة الكبيرة في أنّ الواجب أو «الأمر الإلهي» هو وحده الذي يجعلُ الحياة مقدّسة، وأنّ الفرد أو المجتمع يستقرُّ على قانون صلاح كلَّ الأخلاقيات.

٥ ـ وبلعنه، فوق ذلك، الحكمة الإنسانية جميعاً، والمنطق، والعقل، باعتبارها حُمقاً وغباوة «folly»، وباحتكامه إلى الإيمان، و«الرؤيا» وحدهما، فلقد فتح بولس الباب واسعاً لكلِّ أنواع المذاهب السرية والخرافات.



٦ ـ وبالإضافة إلى ذلك، وبدلاً من المحبة التي مجدّها كثيراً بالمديح والإطراء في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، في الإصحاح ١٣ منها ـ وهو إصحاح محشور بصورة غريبة بين الإصحاحين ١٢ و ١٤ ـ فلقد غرس بولس، بكلماته عن لعن اليهود باعتبارهم «أوعية للغضب مُعدة للتدمير vessels of wrath fitted for destruction، سُمَّ الكراهية الذي جعل الأرض مكاناً لا يُحتمل لرجال دين الله. وقد لا يكون بولس مسؤولاً عن نوبات التعصب والكراهية هذه، ولكنّ البولسية مسؤولة عن ذلك فعلاً، ولقد أدّت هذه، في آخر المطاف، إلى جملة افتراءات وتجديف على العهد القديم وإلهه من قبل مارسيون وأتباعه، وهو ما انتهى إلى غنوسطية منحرفة وصادمة جداً، وإلى درجة أحدثت معها ردة فعل في الكنيسة التي صارت إلى تفضيل العهد القديم على مناقضات بولس. وأحيت البروتستانتيةُ آراء ومقولات بولس، ومع ذلك فكرٌ منحاز عن اليهودية وشريعتها استولى على الكُتّاب المسيحيين ولا زال سائداً حتى الآن، حيث تُقدَّمُ اليهودية طيلة الوقت على أنها متزمتةٌ أو ملتزمةٌ حرفياً بالشريعة «Nomismus».

### العشاء الربانيّ (العشاء الأخير)، في الموسوعة اليهودية[1]

هذا الإسمُ جاء من رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (١١ : ٢٠)، وهو يُطلق في العالم المسيحي على الطقس المعروف بالأفخارستيا Eucharist، وهو المشاركة في كأس النبيذ والخبز المقدمين في ذكرى موت يسوع، وهو يُستجلبُ بخصوص رواية وجبته الأخيرة التي يُقال إنّه تناولها مع تلاميذه عشيّة صلبه. وحسب الأناجيل المتوافقة (متى ٢٦:٢٦ ـ ٢٩)، مرقس ١٤:٢٣ ـ ٣٥، لوقا ٢٢:١٥ ـ ١٨، ١٩):

لوقا ٢٢:١٥ وقال لهم: «اشتهيتُ بشوق أن آكل هذا **الفصح** معكم قبل أن أتألم».

22:15 And He said unto them,"with desire I have desired to eat this **Passover** with you before I suffer".

(١) Jewish Encyclopedia, Lords Supper.

فإن يسوع كان يُشارك تلاميذه في «وجبة العبور»، في ١٤ من نيسان، قبل إلقاء القبض عليه من قبل ضباط الكاهن الأكبر[1]. ولكنّ إنجيل يوحنا لا يعلمُ شيئاً البتّة عن هذا التكريس، وهو يحدد تاريخ الصلب بـ ١٤ من نيسان، و هو اليوم نفسه الذي يُضحّي فيه اليهود بخروف العيد (خروف العبور)، ولكنه لا يذكرُ شيئاً عن عشاء ربانيٍّ للمسيح في هذا اليوم. ويدلُّ هذا التعارض بين الأناجيل على أنّ تشبيه المسيح المصلوب بخروف الله (يوحنا ٢٩:١ هو ذا حمل الله الذي يرفع خطيّة العالم! Lamb of God which taketh away the sin of the world) قد أدى تدريجياً إلى تسمية المسيح بأنه حمل العبور (الحَمَل: الخروف الصغير).

ولقد أدت، بعد ذلك، تناولات طعام المحبة الطقسية لعابدي الإله مثرا ، والذين كانوا أيضاً يكسرون الخبز ويتناولون الجسد ـ النبيذ soma - wine في ذكرى عشاء مثرا الأخير، أدّت بولائم المحبة عند المسيحيين الأوائل في أن يُحتفل بها إحياء للعشاء الأخير الذي تناوله يسوع[2]، وهكذا فقد أُقحمت قطعة خاصّة (١ كورنثوس ٢٣:١١ ـ ٢٨)[3] قاطعةً النّص ومُناقضة لـ(١ كورنثوس ٤:١٠ «**وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً**، لأنهم كانوا **يشربون من صخرة روحية تابعتهم**، والصخرة كانت المسيح»)، والتي يعلن فيها بولس بصورة غريبة إلى حدٍّ ما بأنه قد استلم وحياً من يسوع فيه بيانٌ لتكريس الأفخارستيا في ليلة خيانته وتسليمه إلى الصّلب، وذِكرٌ لوصف الخبز

(١) عيدُ العبور هو العيد اليهوديّ الذي يحتفل فيه اليهود بعبورهم البحر وتنجيتهم من فرعون وجيشه، وهو يُعرف بعيد الفصح (اليهوديّ) . فالمسيح قد تناول طعام عيد الفصح اليهودي مع تلاميذه، عشيّة صلبه، وكان ذلك في تلك السنة، حسب الأناجيل نفسها، في ١٤ من نيسان.

(٢) T. Comunt, "Die Mysterien des Mithra' pp.99 - 101, 118 - 119, Leipsic, 1903.

(٣) ٢٣:١١ لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً: إن الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها، أخذ خبزاً.
٢٤:١١ وشكر فكسر، وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. إصنعوا هذا لذكري.
٢٥:١١ كذلك، الكأس أيضاً بعدما تعشوا، قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري.
٢٦:١١ فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء.



والكأس المتناولين، وهو ما يظهرُ مع بعض الإختلافات في كلٍّ من الأناجيل الثلاثة المتوافقة.

ولكن ما يتناقضُ مع القصّة برُمّتها، هو حقيقةُ أنّ «الديداكي»[1] Didache المسيحيّ يُعطي صيغ الأفخارستيا للكأس والنبيذ المستخدمين في الدوائر المسيحية من دون أية إشارة إلى الصلب أو إلى العشاء الأخير Last Supper. وهذا يجعل من المحتمل أنّ هذ التكريس قد نشأ من وجبات التناول الإسّينية Essene Communion - Meals، وأنه في تاريخ لاحق فقط صار يُشير إلى يسوع. ولقد اقترضت فكرةُ وجبات التناول الإسينية هذه من الپارسية Parseeism(الزرادشتية).

إنّ قصة الاحتفال بالعبور من قبل يسوع، عشيّة صلبه، نشأت في الدوائر التي لم يَعُد التعرّفُ على القانون اليهوديّ فيها موجوداً، ولكن قد قيل بأنّ شعيرة القُدّاس The Mass أو التناول Communion قد اقتُبست من خدمة عشيّة العُبور The Passover Eve Service.

(١) «الديداكي»، أو تعاليم الرّسل الإثني عشر، هو العنوان الذي يُطلق على أقدم كتيّب للكنيسة، وقد كُتب في القرن الثاني (قاموس وبستر).

# بولس لم يترك أيَّ مجالٍ لليهود حتى يعتنقوا المسيحيّة الحقّة

مثلما طوّح بولس بعقيدة التوحيد التي جاءت بها اليهودية، وجاء بها رُسُل الله جميعاً، فلقد طوّح كذلك بالشريعة (= الناموس) اليهودية.

بل الأمرُ، عند بولس، لا يقتصر على ما قد عرفنا، من تثليثٍ، ومن تجسُّد لله، بل وبُنوّة للمسيح لله، وهو ما يجعل من الله إنساناً، ومن الإنسان إلهاً، بل هو يتعدّاه إلى ما هو أكثر من ذلك، إذ هو يجعلُ الإنسان المسيحيَّ وقد اتحدّ مع الله نفسه، في شخص المسيح، وأنّه ـ أي المسيحيُّ ـ قد مات وقام من الموت ثانية، بالمسيح.

وتقول موسوعة ويكيبيديا الإنكليزية إنّ الفكر الأساسيّ في «تأمليّة بولس[1]» Pauline Mysticism هو مقولةُ «سِرّ المسيح»، و«أنا في المسيح»، وأنّ المُعتقِد بهذا قد حُرِّر عن خطيئته، ومن القانون، وأنّه صار يملك روح المسيح The Spirit of Christ، وهو بذلك صار متأكّداً من قيامته.

وبولس لا يفتأُ يؤكِّدُ أنه قد استلم «إنجيله» هو من «الربّ» مباشرة، وهو يقصدُ بذلك العقيدة التي دعا إليها في أنَّ «يسوع» (المسيح ـ الإله) قد مات من أجل خطايا البشر على الصليب، وهو قد كتب بأنّ ذلك كان هو العامل الحاسم والوحيد في خلاص اليهود والأمميّين على حدٍّ سواء، وذلك هو ما عجّل بانفصال أتباع المسيحية البولسية هذه عن التيار اليهودي، والذي صار، من ثم، أمراً محتّماً وثابتاً. إنّ بولس لم يترك لليهود، في معتقده الجديد، مجالاً لأن يحافظوا على معتقدهم القديم ولا شريعتهم، بل كان المطلوب منهم، في الشِّرعة البولسية الجديدة، أمراً مختلفاً تماماً عن ذلك، وهو ما لم يرضَه اليهودُ ولن يرضوه.

---

(١) تأمليّةُ بولس: لم نجد أفضل من هذه الترجمة لمصطلح Pauline Mysticism، والأخيرُ تعريفه حسب معجم Webster هو مُعتقَد أنّ معرفة الحقيقة الإلهيّة و اتّحاد الرّوح مع الإله يمكن الحصول عليه من خلال البصيرة الرّوحيّة أو التأمّل الروحيّ من دون توسُّط الحواسِّ أو العقل.



# بولس والشّريعة

لطالما صرّح بولس وأكّد بأنّه لم يجئ لينقض ما جاء به رُسُل الله من قبلُ، ولكنَّ قوله ذاك لم يكن إلاّ نفاقاً وذرّاً للرّماد في العيون.

**التوراة تؤكّد على ضرورة الإلتزام بأحكام الشّريعة، وتتوعّدُ المخالفين**

جاء في سفر التّثنية، وهو أوّلُ أسفار الشّريعة في التّوراة:

٤: ١ فالآن يا إسرائيلُ اسمع الفرائض والأحكام الّتي أُعلّمكم لتعملوها.

٤: ٢ لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أُوصيكم به ولا تُنقصوا منه، لكي تحفظوا وصايا الرّبِّ إلهكم التي أنا أُوصيكم بها.

٢٨: ١٥ ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياهُ وفرائضه التي أنا أُوصيك بها اليوم، تأتي عليك جميعُ هذه اللّعنات.

٢٨: ٥٨ إن لم تحرص لتعمل بجميع كلمات هذا الناموس المكتوبة في هذا السِّفر، لتهاب هذاالإسم الجليل المرهوب، الرّبَّ إلهك،

٢٨: ٥٩ يجعلُ الرَّبُّ ضرباتك وضربات نسلك عجيبةً. ضرباتٍ عظيمة راسخة، وأمراضاً رديَّةً ثابتةً.

٢٨: ٦٢ .. لأنّك لم تسمع لصوت الرّبِّ إلهك.

٢٨: ٦٤ ويبدّدك الرّب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها، و تعبدُ هناك آلهةً أخرى.

**الناموس** كلمة الناموس هي مرادفةٌ لكلمة الشريعة، وقد استُبدلت كلمةُ الشريعة بكلمة الناموس في «الترجمة العربية الحديثة للكتاب المقدس».
وقد جاء في سفر **التثنية** تحذيرُ الله الشديدُ إلى اليهود من عدم العمل بشريعة موسى، أو ناموسه، وتوعَّدَهُم بالعذاب الأليم إن لم يعملوا بها:

٢٦:٢٧ ملعونٌ من لا يُتمّ كلمات هذا الناموس ليعمل بها. ويقول جميعُ الشعب آمين.

وفي الترجمة الحديثة المشار إليها:

٢٦:٢٧ ملعونٌ كل من لا يطيع كلمات هذه الشريعة ولا يعمل بها، فيقولُ جميع الشعب: آمين.

ويقول قاموس الكتاب المقدس، في تعريف الناموس:

هو إسمٌ يونانيّ الأصل، معنا، «شريعةٌ أو قانون». وناموسُ موسى هو الشريعةُ التي وضعها موسى، بوحي من الله، في الحقول المدنية والاجتماعية والأدبية والطقسية. وسُميت شريعة موسى ناموساً. أي أنها مجموعةُ قوانين للسلوك. إنّ لفظة الناموس، لوحدها، تعني في بعض الأحيان العهد القديم كلّه، إلاّ أنها ترمز إلى ناموس موسى في معظم الأحيان. وهي ليست شريعة موسى إلا بالاسم، لأنهامن عند الله، ومن وضع الله. وفي الحقل الأدبي تُختصر شريعة موسى في الوصايا العشر.

ويقول في تعريف الشريعة:

تُستخدم كلمة الشريعة ترجمةً للكلمة العبرية «توراة» ومعناها «تعليم»، أمّا الكلمة في اليونانية فهي «نوموس»، ومعناها «عادة راسخة». وكلٌّ من الكلمتين تدلّ على القاعدة أو القانون المفروض على الإنسان.

وتعريفُ التوراة ذاتها أدَقُّ، إنها الوصايا والفرائض والأحكام التي أمر الربّ بها:

١:٦ وهذه هي الوصايا والفرائض والأحكام التي أمر الربّ إلهكم أن أُعلمكم.

ولكن ما هي أوّل تلك الوصايا؟ إنها عبادةُ الله تعالى، وحده، أي التوحيد:



٧:٥ لا يكن لك آلهةٌ أخرى أمامي.

٣٩:٤ فاعلم اليوم وردِّدْ في قلبك أنّ الربَّ هو الإلهُ في السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفلُ، ليس سواه.

٤:٦ إسمع يا إسرائيل: الربُّ إلهنا ربٌّ واحد.

لكنّ بولس قضى على عقيدة التوحيد ونسفها نسفاً، من خلال فكرة الأقانيم الثلاثة، وقام بتقديم صورةٍ وثنية شائهة للإله الذي ينزلُ من السماء حتى يفتدي الناس بدمه، ولم يكتف بذلك، بل هو صار يقول بأنّ عيسى هو ابن الله، مثلما أنّه الله المتجسّد نفسه! وهكذا فلقد نسف أساس الديانتين اليهودية والمسيحية على حدٍّ سواء، مثلما هو نسف أساس كلّ معتقد دينيٍّ سماوي.

ثم إنّ بولس، مثلما هو هدم أساس العقيدة التوحيدية، فلقد هدم الشريعة التي جاء بها موسى (ع)، والتي هي ذاتُها الشريعة التي جاء بها المسيح (ع)، أساساً[1]، كيف وأنّ رسالات الله تعالى، من خلال رسله البشر، كلُّها، واحدة؟

أولم ينقُل إنجيل **متى**، عن السيد المسيح، قوله:

١٧:٥ لا تظنوا أنّي جئتُ لأنقض الناموس، أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأُكمِّلَ.

١٨:٥ فإنّي الحقَّ أقولُ لكم: إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد ولانقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكلّ.

وكذلك جاء عنه، في إنجيل **لوقا**:

١٧:١٦ ولكنَّ زوال السماء والأرض أيسرُ من أن تسقط نقطةٌ واحدة من الناموس.

وهذا كله حقٌّ وكلّه صدق. ولكن ما بالُهم قد جعلوا دين الله عضينا[2]؟

(١) نقول «أساساً»، لأنّ ثمة فروقاتَ طفيفة في فروع الشريعة، الثانوية، يستدعيها التطور الزماني والاختلاف المكاني. وأما العقائد فهي، في جميع الأديان السماوية، واحدةٌ لا تتبدل أبداً.

(٢) العِضين: المفرَّق، والمجزّأ. قال تعالى: ﴿**الذين جعلوا القرآن عضين**﴾ [الحجر:٩١]. وقد قيل في معنى «عضين» ما قال تعالى: ﴿..**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض**..﴾ [البقرة:٨٥].

فهذا **إنجيل يوحنا** يجعلُ النعمة والحقَّ محصورين بيسوع («المسيح الإله»)، ويجعلُ ناموس موسى خالياً محروماً من كليهما؟

١٧:١ لأنّ الناموس بموسى أُعطي،

أمّا النعمةُ والحقُّ فبيسوع المسيح صارا[!].

فكأنّ لا نعمة ولا حقّ من قَبل المسيح! هذه هي الديانةُ البولسية التي يصّرُ مُنشؤها، بولسُ، على أنه لم يحد عن الناموس، وبأنه مؤمن بكل ما هو مكتوب في الناموس والأنبياء.

وبولسُ يدّعي تارةً بأنه ملتزم بالناموس كليّة، وتارةً أخرى يعودُ لهدمه والإنتقاص من شأنه. وهذا مثالٌ من النوع الأول، في رسالته إلى أهل غلاطية:

١٠:٣ لأنّ جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنةٍ، لأنه مكتوب: «ملعونٌ كلٌّ من لا يثبُتُ في جميع ما هو مكتوبٌ في كتاب الناموس ليعمل به».

## بولس يقول بأن شريعة موسى كلها تعجز عن أن تهب الشخص البرّ

إلاّ أنّ أقوال بولس في مناسبات أخرى، وأعماله، قد ناقضت تلك الإدعاءات، فها هو، في مثال من النوع الثاني، يعودُ ليتنقّص من الناموس، مُدعياً أنّ الناموس ليس قادراً على أن يهَب البرّ للناس، وإنّما ذلك يتمُّ، في قوله، بالإعتقاد بألوهية المسيح وحده. لقد ضرب بولس رسالتي موسى وعيسى (ع) في الصميم، بفكرةٍ خطيرة ابتدعها، فهو قد طوّح بالتوراة وما فيها، من جانب، معلناً أنها تعجزُ عن أن تهب البرّ إلى الإنسان، وأنّ كلّ ما في الديانة اليهودية لا يكفي لخلاص الإنسان، وإنما من جانب آخر يكون الخلاصُ بغفران الخطايا فقط عبر الإيمان بـ«يسوع»، إلهاً متجسّداً، وابناً للإله، في آنٍ، شرطاً لا بدّ منه لخلاص المرء، وبعكس ذلك فلا خلاص له، وادّعى بأنّ شريعة موسى (التوراة) قد عجزت عن تبرير الإنسان، فها هو يُنذِرُ الناس:



«فاعلموا، أيّها الإخوة،
أنّه بيسوع، تُبشّرون بغفران الخطايا،
وأنّه به يتبرّرُ [يبرأُ من الخطيئة] كلُّ من يؤمنُ
من كلِّ ما عجزت شريعة موسى أن تُبرّره منه»
أعمال الرّسل: ١٣:٣٨ و٣٩

فمهما تعمل، يا ابن آدم، ومهما عملت أيّها اليهوديُّ، من التزام بأحكام التوراة ووصاياها، فإنها ليست نافعتُك في شيء، ما دمت لم تتّخذ عيسى إلهاً متجسّدا وابن إلهٍ. وعندها وعندها فقط، تُغتفرُ ذنوبك جميعاً. وهكذا فلقد قلب بولسُ أساس الرسالتين اليهودية والمسيحية رأساً على عقب، وشوّهها أشدّ تشويه.

ويا لها من جرأة على الله وعلى رُسُله! فهذا رجلٌ لم يعرف المسيح ولم يشهده، وعادى كل مسيحيٍّ حتى الموت، ليجيء بعد ذلك بادّعاءٍ عجيب، بأنه رسولٌ من عند الربّ، فوق كلِّ حوارِيّي المسيح، أو «رسله» بالإصطلاح المسيحي، ثم هو يجيءُ بعقيدةٍ غريبة هي خليطٌ من الأساطير الوثنية والغنوسطية والفلسفات اليونانية القديمة، تنسفُ العقيدة التوحيدية من أساسها وتحيلها قاعاً صفصفاً، مثلما هو يبدِّل شرعة الله التي أنزلها للناس «الناموس»، والتي أكّد المسيحُ على أنها باقية لا يمكن أن تُغيّر، ولا حتى حرف ولانقطة واحدة منها، حتى أن تزول السماء والأرض! وليس من برهانٍ لدى بولس على زعمه إلاّ ادّعاؤه وحدُه! أصبح «التبريرُ»، بالإصطلاح المسيحيّ، أي البراءة من محاسبة الله على خطايا الإنسان، ليس هو في ناموس الأنبياء الذي نادى به موسى وعيسى، بل هو من خلال الإيمان بعيسى إلهاً متجسداً وابن إله! جاء في رسالة بولس إلى **أهل غلاطية**، أيضاً:

١٦:٢ إذ نعلم أنّ الإنسان لا يتبرّر[1] بأعمال الناموس، بل بإيمان

(١) تقول المصادر المسيحية عن «التبرير»:
- هو فعلُ نعمة الله المجانية الذي به يغفرُ خطايانا جميعها ويقبلُنا كأبرار أمامه، وذلك لمجرّد برّ المسيح الذي يُحسب لنا، والذي نقبلُه بواسطة الإيمان فقط.
=

يسوع المسيح.. لأنّه بأعمال الناموس لا يتبرّر جسدٌ ما[!].

وادّعاءُ بولس هذا يعني أنّ كلّ من قد كان من قبل مجيء عيسى (ع) لم يحُز البِرّ، رغم التزامه بناموس موسى، ومهما كانت درجةُ ذلك الإلتزام قوّة، والذي ليس هو إلاّ ناموس رسل الله جميعاً. ويزيد بولسُ من لجاجته، فلا يتردَّدُ في أن يقول، في السِّفر ذاته:

٢١:٢ .. إن كان بالناموس برٌّ، فالمسيحُ إذاً مات بلا سبب!

لا بل إنّه ليعلِنُ، من دون مواربة أو خجل، بأنّ الناموس قد مات، في رسالته إلى أهل رومية:

٦:٧ وأمّا الآن فقد تحرّرنا من الناموس، إذ مات الذي كُنّا مُمسكين فيه.

وها هو، مرّةً أخرى، سادراً في غيّه، في ادّعاء جديد، مفادُه أنّ الناموس لم يُوضع إلاّ للأشرار، فكأنّه «قانونُ عقوبات»، ليس غيرُ، فيقولُ في رسالته **الأولى إلى أهل تيموثاوس**، وبكلّ جرأة:

٩:١ إنّ الناموس لم يُوضع للبار، بل للأثمة والمتمردين، للفُجّار والخُطاة، للدنسين والمستبيحين، لقاتلي الآباء وقاتلي الأمهات، لقاتلي الناس.

وعجيبٌ قول بولس هذا. أفلم ينقُل لنا إنجيل متّى، عن السيد المسيح قوله إنّ الحقّ والرحمة والإيمان هي أثقلُ ما في الناموس؟ فكيف يكونُ الناموسُ للأشرار وحدهم. أهو «قانون عقوبات»، وحسبُ؟

---

= - إنّ الله يعتبرُهم أبراراً ويقبلهم، لا لأمرٍ فعلوه، أو لما فُعل بهم، بل لأجل المسيح فقط. إنّه رفعُ مطالب الشريعة وقصاصِها من الخاطئ باعتباره بارّاً بسبب برِّ غيره [أي بر المسيح، من طريق صلبه] الذي حسبه، فبه تُرفع الدينونة أو القصاص، وبموجبه ينقذُ الله الخاطئ من حكم الشريعة ويصرح بأنّه بارّ.
- إنّ الشريعة لا تعود تحكم على الخاطئ، لأنّها قد استوفت حقها من غيره [بصلب المسيح] ولا يصح أن تأخذ حقهامرتين. فأساس إنقاذ الخاطئ من حكم الشريعة ليس أمراً في نفس الخاطئ، ولا عملاً عمله هو، إنّما هو عمل المسيح الذي حمل الدينونة عوضاً عن المؤمن.
- إنه الإجراء القضائي لله الذي يعفو عن كل آثام أولئك الذين يؤمنون بالمسيح، والحسابات، ويقبل، ويعاملهم معاملة الصالحين كما في نظر القانون. إن «عقيدة التبرير بالإيمان» هذه تُعرف باسم «سولافايدي» Sola Fide، أي «الإيمان فقط».



٢٣:٢٣ وتركتُم [كلام المسيح إلى اليهود] أثقل الناموس: الحقّ والرّحمة والإيمان.

وها هو بولس يؤكد، مرّة أخرى، في رسالته إلى أهل **رومية**، أنّ ناموس موسى، ورسل الله جميعاً، لم يعد هو أداة الفلاح والخلاص، وإنّما هو الإيمانُ بعيسى، إلهاً متجسّداً وابن إله:

٢٧:٣ أبناموس الأعمال؟ كلاّ. بل بناموس الإيمان.

ثم هو يعودُ، مجدّداً، وفي السفر ذاته، للضحك على ذقون الناس، بالإدعاء بأنّه لا يُبطل الناموس:

٣١:٣ أفنُبطِلُ الناموس، بالإيمان؟ حاشا! بل نُثبت الناموس.

**استهانةُ بولس بشرائع التوراة والتصرّفُ فيها على هواه:**

لقد رأينا كيف أن المسيح (ع)، وكما كان عليه الحالُ مع موسى (ع) بالضبط، وكبقيّة رُسل الله، كيف أنّهم لطالما أكّدوا وكرّروا على أنّ الناموس باقٍ، لا تتغيرُ منه كلمة واحدة ولا حتى حرفٌ واحد، ما دامت السماوات والأرض، وكيف أنّ الله، من خلال الوحي، قد أنذر أولئك المخالفين لشرعته بالعذاب الشديد. ولكنّ بولس غضَّ الطرف عن كلِّ ذلك، وتلاعب بأحكام التوراة التي أكّد عليها المسيح (ع)، كيف يشاءُ.

ومقولةُ بولس أنّ الخلاص هو بالإيمان بيسوع الإله، وليس بطاعة الشريعة، لهي خطيرةٌ جداً، فهي تجعل من كلّ فردٍ قبالة تهديد خطير، وهو أنه رغم كلّ التزام له بشرائع التوراة - وأوّلها الوصيةُ الأولى من الوصايا العشر: «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي» [الخروج ٣:٢٠؛ التثنية ٧:٥] - فإنه ليس له أن يحلُم مجرّد حلم بالخلاص من عقاب الله الأبديّ له، ما دام لم يؤمن بتلك الفكرة البولسية المبتدعة: المسيحُ ابنُ الله!

# أمثلة على تغيير بولس لشريعة الله
# إلغاءُ الختان
# الذي جاءت به الأديان السماوية كلها

لقد جاءتِ الأديان السّماوية كلّها بالأمر بختان الذكور، وتذكرُ لنا التوراةُ، مراراً وتكراراً، أنّ الختان هو علامةُ وعهد الله لإبراهيم ومن بعده. وفيها توعُّدٌ غليظٌ لمن لا يحافظ على الختان، فها هو أولُ سفر من أسفار التوراة، وهو سفر **التكوين**، يقصُّ علينا الرواية العبرية لعهد الله مع رسوله إبراهيم، وهي بالحقّ روايةٌ مذهلةٌ فعلاً:

١٧:٩ وقال الله لإبراهيم: «وأمّا أنت فتحفظُ عهدي، أنت ونسلُك من بعدك في أجيالهم.

١٧:١٠ هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم، وبين نسلك من بعدك. يُختن منكم كلّ ذكر.

١٧:١٢ ابن ثمانية أيّام يُختن منكم كلّ ذكر في أجيالكم.

١٧:١٣ يُختن ختاناً وليدُ بيتك والمبتاعُ بفضّتك، فيكونُ عهدي في لحمكم عهداً أبدياً.

١٧:١٤ وأمّا الذكر الأغلف الذي لا يُختن في لحم غُرلته فتُقطع تلك النفسُ من شعبها. إنه قد نكث عهدي.

١٧:٢٣ فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه، وجميع ولدان بيته، وجميع المبتاعين بفضّته، كلّ ذكرٍ من أهل بيت إبراهيم، وختن لحم غُرلتهم في ذلك العام عينه كما كلّمه الله.

١٧:٢٤ وكان إبراهيمُ ابن تسعٍ وتسعين سنةٍ حين خُتِن في لحم غُرلته.

٢٥١٧ وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين خُتن في لحم غُرلته.

١٧:٢٦ في ذلك اليوم عينه خُتن إبراهيم وإسماعيل ابنُه.



١٧:٢٧ وكلُّ رجال بيته ولدان البيت والمبتاعين بالفضة من ابن الغريب خُتنوا معه.

٢١:٤ وخَتَن إبراهيمُ إسحاق ابنه وهو ابنُ ثمانية أيام كما أمره الله.

**سفر الخروج:**

١٢:٤٨ وإذا نزل عندك نزيلٌ وصنع فصحاً للربّ، فليُختن منه كلُّ ذكر.. وأمّا كلُّ أغلفَ فلا يُؤكل منه.

**سفر اللاويين:**

١٢:٣ وفي اليوم الثامن يُختن لحم غُرلته.

لا بل إن الرّب ليأمرُ يشوع أن يختن بني إسرائيل ثانية، جاء في سفر **يشوع**:

٥:٢ في ذلك الوقت قال الرب ليشوع: «اصنع لنفسك سكاكين من صوّانٍ، وعُد فاختِن بني إسرائيل ثانية.

ويتبيّن من هذه النصوص ما يأتي:

١ - عهدٌ من الله غليظٌ لإبراهيم،

٢ - ولنسله، ولأجيالهم من بعدهم، جميعاً، ومن دون استثناء،

٣ - وميثاقٌ أبديٌّ،

٤ - وعلامة هذا العهد الغليظ هي ختانُ كلّ ذكر منهم.

٥ - وكلّ من لا يُختن منهم فقد نكث العهد مع الله.

٦ - وإنّ جزاءَهُ هو أن يُقطع عن شعبه.

وهذا النصُّ واضحٌ في شمول إبراهيم ونسله جميعاً، ومن دون أيّ استثناء لذلك العهد. وإنه عهدٌ أبديّ، ولا يجوزُ لأحد منهم أو من ذراريهم أن ينكُث به، ولا ينقطعُ بحال. فمن نكث به «تُقطع نفسه من شعبها».

ولكنّ بولس، مُنشئ المسيحية البولسية السائدة اليوم، الحقيقيّ، قد ألغى الختان.

جاء في تفسير العهد القديم، للقسّ أنطونيوس فكري، لقوله «فتُقطعُ تلك النفسُ»:

تُفرزُ ولا تُعتبر من المؤمنين، ولا يكون له أيُّ حقٍّ من حقوق الشعب، ولا يُدافعون عنه.

إذا كان من لا يُختتن لا يُعتبر مؤمناً، في كلام القسّ فكري، فكيف يكون المسيحيون، وهو منهم، وهم لا يُختتنون، مؤمنين؟

**ختان الرّوح**

أمّا القس تادرس يعقوب، فيقول في تفسير هذه الفقرات:

كان للختان أهمية كبرى، فهو الذي يميّز أولاد إبراهيم أصحاب العهد من الأمم. وتظهرُ أهميّةُ الختان أيضاً في العهد القديم أنّه في كلِّ مرّةٍ يقدِّم الشعبُ توبةً يُعلنُ هذا الرجوع إلى الله خلال ثلاثة أُمور: ختانُ كلّ ذكرٍ لم يسبق ختانُه، إلخ.

وكان موضوع الختان يشغلُ ذهن اليهود بصفةٍ قويّة، حتى كانوا يُدعون «أهل الختان»، وعندما قَبلوا الإيمان بالسيّد المسيح رأى بعضهم ضرورة اختتان الأمم قبل دخولهم في العضوية الكنسية، الأمرُ الذي لأجله أفرَدُ الرّسولُ بولسُ الكثير من الإصحاحات في رسائله مؤكّداً أنه في المسيح يسوع لا حاجة لختان الجسّد بل ختان الروح،

وإنّ الختان يتحقّق خلال المعموديّة بخلع الإنسان القديم والتّمتّع بالإنسان الجديد الذي على صورة خالقه، كما في رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي:

٣:٩ ـ ١١ إذ خلعتُم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستُم الجديد الذي يتجدّد للمعرفة حسب صورة خالقه. حيثُ ليس يونانيٌّ ويهوديٌّ، ختانٌ وغُرلةٌ.. بل المسيحُ الكلُّ وفي الكلِّ.



وصار القدّيسُ مُقاريوس الكبير، مثلاً، يقول:

في خُطّة إله الناموس أن يكون الختانُ للقلب لا للجسد، بالرّوح لا بالحرف. أرأيت كيف يقلب بولسُ، وأشياعُه من بعده، الأمر الإلهيَّ بختان الذّكور، واستبدال «ختان الرّوح» به؟

**عهدُ الله الأبديُّ في الختان**

لقد تحدّثنا على عهد الله إلى رسوله إبراهيم، عهداً أبدياً، بختان كلِّ ذكرٍ. وهكذا فلقد خُتِن ذرّية إبراهيم من بعده. وتتوالى في التوراة أوامرُ الله لأنبيائه إبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، وموسى، وهارون، بوجوب ختان الذّكور.

**ختانُ الأنبياء جميعاً، بما فيهم المسيح**

وإذ اختُتِن نبيُّ الله يحيى (يوحنا في الأناجيل)، وعيسى المسيح فلقد استمرّ أمرُ الختان هذا حتى ما بعد ولادة السيّد المسيح بنحو من خمسين عاماً، حيثُ نقرأ في **إنجيل لوقا**، مثلاً، أنّ المسيح قد اختُتِن، وكما هي عليه العادة اليهوديّة في ذلك، في اليوم الثّامن من ولادته:

٢:٢١ ولمّا تمّت ثمانية أيّام ليُختن الطّفل، سُمّي يسوع.

وكذلك هو ختان يحيى بن زكريّا (يوحنّا المعمّدان):

١:٥٩ وفي اليوم الثامن حضروا ليختنوا الولد، وكادوا يسمّونه زكريا على اسم أبيه.

١:٦٠ ولكنّ أمّه قالت: «لا، بل يُسمّى يوحنّا!».

وها هو لوقا، صاحب بولس، يذكر في «أعمال الرّسل»، على لسان «الشّهيد استفانوس»، المملوء بالإيمان والرّوح القُدس حسب تعبير لوقا، والذي رجمه اليهود بالحجارة حتّى مات، وبولس معهم يُساعدُهم، هاهو يقول عن الختان:

٧:٨ وطلب الله إلى إبراهيم أن يختن الذّكور في عائلته علامةً على العهد الذي أبرمه له.

فختن إبراهيم إسحاق في اليوم الثّامن من عمره. وختن إسحاق ابنه يعقوب، وختن يعقوب أولاده الإثني عشر، الذين هم الآباء الأوّلون.

ويشهد بولسُ نفسه، في رسالته إلى أهل رومية، بأنّ إبراهيم، نبيَّ الله، قد اتّخذه علامةً، أي مهراً وتسجيلاً لبرّ الإيمان الذي كان في الغُرلة، ونلاحظ هنا مغالطته الغريبة، في كون تطييب الله إبراهيم إنّما هو بسبب الغُرلة، لا في الختان!

٩:٤ أفهذا التّطويب هو على الختان فقط، أم على الغُرلة أيضاً؟ لأنّنا نقول إنّه حُسب لإبراهيم الإيمانُ برّا.

١٠:٤ فكيف حُسب؟ أوَ هو في الختان أم في الغُرلة؟ ليس في الختان، بل في الغرلة!

١١:٤ وأخذ علامة الختان ختماً لبرّ الإيمان الذي كان في الغُرلة، ليكون أباً لجميع الّذين يؤمنون وهم في الغُرلة، كي يُحسَبَ لهم أيضاً البِرُّ.

١٢:٤ وأباً للختان للذين ليسوا من الختان فقط، بل أيضاً يسلكون في خُطُوات إيمان أبينا إبراهيم الذي كان وهو في الغُرلة.

> إذاً إن كان الأغْرَلُ يحفظُ أحكام الناموس،
>
> أفما تُحسَبُ غُرْلَتُهُ ختاناً؟
>
> رسالةُ بولس إلى أهل رومية ٢٦:٢

فههُنا بيتُ القصيد. لقد تبيَّن قصد بولس من تلك المُغالطات الطويلة ولكن المفضوحة، أنّها ليست إلاّ مُداراةً ومُداورةً لإلغاء الختان. ونلاحظ هنا أنّ بولس، في رسائله، يكتب الرسائل الطوال، المرّة بعد المرّة، في هذا الموضوع ، وكلّها مغالطاتٌ لا تصمد في وجه الحقيقة الناصعة. كلُّ ذلك حتى يخلُص إلى أنَّ الأغرل (الذي لم يُختن)، ما دام حافظاً للناموس، فإنّه يُحسب مختوناً، هذا في حين أنّ الختان هو من أحكام الناموس، وعهد الله الأبديّ!



## مغالطاتُ بولس

لننظر إلى الفقرات التالية من رسالة بولس إلى أهل رومية، في نسخة أخرى من نُسخ العهد الجديد العربيّة، ليس بهدف تبيّن رأيه الذي خرج به في الختان وحده، ضارباً بذلك تعاليم التّوراة عرض الحائط، وإنّما بهدف تبيان طريقته في المغالطة والضّحك على ذقون الناس أيضاً. فهو يُدخل في عقولهم أنّ من لا يعمل [برّاً]، ولكن يؤمن بالذي يبرّرُ الفاجر «يسوع»، فإيمانه يُحسب له برّاً. وأنّه لما كان إبراهيم قد آمن قبل أن يُختن، فما على المؤمنين، ألاّ يُختنوا من حرجٍ، متناسياً أنّ إبراهيم قد اختُتِن أيضاً، في سُنّة إلهية لكلِّ من عاصره أو جاء بعده، سُنّة ذكرت التوراةُ أنّها تتمّ في اليوم الثامن من ميلاد المولود الذّكر:

٧:٤ «هنيئاً للذين غُفرت آثامُهم وسُترت خطاياهم.

٨:٤ هنيئاً للإنسان الذي لا يحسُبُ الرّبُّ خطيّتَه».

٩:٤ فهل تنطبقُ هذه التهنئة على المختونين أيضاً؟

إنّها تنطبق على غير المختونين أيضاً.

فقد سبق أن قُلنا: «آمن إبراهيم بالله، فاعتبر الله إيمانه برًا له».

١٠:٤ فمتى اعتبر الله إبراهيم باراً بناءً على إيمانه؟

فهل كان ذلك وهو مختونٌ أم قبل ختانه؟ بل قبل ختانه.

١١:٤ وقد قَبِلَ إبراهيمُ الختان كعلامة وختم للبرّ الذي قام بناءً على إيمانه، قبل أن يُختن.

فهو إذاً أبٌ لكلِّ الذين يؤمنون وهم غير مختونين، ويحسبُ الله البرَّ لهم أيضاً.

١٢:٤ وهو أيضاً أبٌ لجميع المختونين الذين يتّبعون خُطى أبينا إبراهيم في الإيمان الذي أظهره قبل أن يُختن.

إلخ.. إلخ.

أرأيت كيف قد صار الإيمان بالمسيح إلهاً، مُغنياً عن شريعة الله؟ وأنّ الأوّل هو والده مخلِّصُ المرءِ ومُنجيه، لا الثانية؟ وهكذا تكشّف لنا

ديماغوغية[1] بولس، المرّة بعد المرّة، من خلال مطالعة خُطبه. إنّه يمتدحُ الختان في جملة، ليعود في الجملة التي بعدها ليقول مامعناه إنّه غير ضروريّ. وهكذا هو يُفرغ أقواله من معناها. واعترافُه بالختان ومدحه له إنّما هو لترضية من يعتقدُ بضرورة إرضائه من اليهود، ولكنّه يعود ليُفرغ قوله من معناه بالقول بأنّ المطلوب هو شيءٌ أشبه بالختان المعنويّ، حتى يُرضي غير اليهود من الوثنيين من جانب آخر، حتى يكسبهم إلى جانبه، حتى لو كان ثمن ذلك هو معتقده نفسه، والدِّين نفسه!

وإلى ذلك هو يُشيرُ بقوله: «صرتُ لليهود يهودياً، إلخ..».

ولا يزالُ بولُس ينسجُ على نفس المنوال، في رسائله، فها هو يقولُ في رسالته إلى أهل أفسس:

٢: ١١ لذلك «اذكروا أنّكم أنتم الأممُ في الجسد المدعوّيين غُرلةً من المدعوّ خِتاناً مصنوعاً باليد في الجسد.

المدعوّين غرلة: أي غير اليهود، من ذوي الغُرلة. من المدعوّ خِتاناً: أي اليهود.

ويقول القسّ أنطونيوس فكري في تفسيرها:

كان اليهودُ يفتخرون بالختان مع أنه مصنوعٌ باليد، وبولسُ المسيحيّ يرى الآن أنّها مجرّدُ علامةٍ جسديّة تُصنعُ باليد في مقابل الختان بالرّوح وهو المعموديّةُ وحلولُ الرّوح القُدس. وشتّان بين ما يصنعُه الله وبين ما يُصنع باليد.

## كيف أبطل بطرسُ وبولس، الختان، بعد رفع المسيح؟

ضرب بولسُ، ومن معه، **حسب ما نقله «أعمال الرسل»**، بناموس الله وعهده الأبدي لرسله وللناس، بوجوب اختتان كل ذكر، عَرضَ الحائط. وكان ذلك استجلاباً منهم لغير اليهود الذين يُطمع في استمالتهم إلى الديانة

(١) الديماغوغية Demagogue هي تهييجُ مشاعر الناس وإثارتهم، من غير التزامٍ بالمبدأ.



البولسية الجديدة، فصار «ثقلاً»، بل و«نيراً»[1] على عنق الناس لم يستطع حتى تلاميذ المسيح وحواريوه، ولا آباؤهم أن يحملوه [!]، وذلك كلُّه في نصٍّ مكذوب لا شكَّ، يعزوه «أعمالُ الرسل» إلى بطرس.

ووا عجباً كيف يُختَنُ السيدُ المسيح، في اليوم الثامن من عمره، وهو يبشّر بأنه جاء لا ليبدل الشريعة اليهودية بل ليؤكدها، ثم يُصار إلى ادّعاء أنّ إبطال الختان وإباحة الطعام المحرّم قد جاء في رؤيا لبطرس، جاءه بها «الربّ» لهذا الغرض. فليت شعري لِم لَم يَفُه المسيح بمثل هذين الأمرين المهمّين وأمثالهما، حتى يكِلَ الأمرُ إلى بطرس، بعد رفعه إلى السماء لإبلاغ الناس بإلغاء هذين! ومن الواضح أنّ هذه الدعوى، أي دعوى ظهور الربِّ اليتيمة هذه لبطرس لم تجئ إلاّ لتبرير الفعل الشنيع بإلغاء شريعة الله في هذين الأمرين وغيرهما، إذ ليس ثمة من وسيلةٍ لإسكاتِ المعترضين على ذلك إلاّ بأن يُعزى الأمر إلى رؤيا من الرّب نفسه. لقد اعترض الناس على بطرس في دعاواه، ولكنّه إذ ادّعى حسب الرواية، بأنّ ذلك إنما هو بحسب رؤيا له للربّ يأمرُه بذلك، فلقد سكت المعترضون، مرغمين، وذلك هو ما يعترفُ به لوقا في **«أعمال الرسل»**:

١١: ٢ فما إن عاد بطرسُ إلى أورشليم حتى جادله دعاةُ الختان، وعارضوه قائلين: «كيف دخلت بيت رجالٍ غير مختونين، وأكلت معهم؟».

إنّ التحلل من الختان، وإباحة اللحوم المحرمة، قد تمّ حسب هذه الرواية، بسبب من رؤيا بطرس لـ«الرّب». ومما يدعو إلى الرثاء أن يكون ذلك بدعوى رؤيا للرّب، أي «الإله ـ الإبن»، بينما يقولُ أصحاب مجمّع أورشليم، في الرسالة التي بعثوا بها مع بولس وبرنابا، في **«أعمال الرسل»**، بأنّ الأمر قد جاء نتيجة لجماع رأي «الله ـ الروح القدس» وأصحاب المجمع:

(١) النّير: هو الخشبة المعترضة في عنقي الثّورين بأداتها. شُبّه الختانُ بالنير الذي يوضع على أعناق الثيران فيحبسها، وأنه أي الختان لم يستطع لا هو ولا جماعته ولا آباؤهم عمله.

١٥: ٢٨ فقد رأى الروحُ القدسُ ونحن، أن لا نحمّلكم أيَّ عبءٍ فوق ما يتوجّب عليكم.

وإنك لتجد هذه القصة، كاملة، في «أعمال الرسل»، فارجع إلى مظانّها في السفر ١٥ً منه، حتى تجد العجب العُجاب من التحايل والمداورة. ومغزى ذلك الصريحُ هو أنّ تكليف الناس بختان الذكور، والإمتناع عن اللحوم المحرّمة، قد كانا عبئاً فوق كاهل الناس هو فوق ما يمكن لهم أن يتحملوه، أي أنّ الله قد أخطأ في أمره لإبراهيم وذريته، وموسى وكلِّ رسل الله بالختان، وأنه قد تراجع كليًا عن «العهد الأبدي»، لا بل أنه قد أخطأ في تعريض ابنه «الله ـ الإبن» للختان، فذلك هو عبءٌ لا ضرورة له ولا لزوم، وكذلك فإنّه يدلُّ على جهل «الله ـ الإبن» الذي لم يمنع خاتنيه من نفسه إذ هم ختنوه في اليوم الثامن من عمره. ولكنَّ بولس ومن معه كانوا أبعد نظراً من ذلك كله، وأكثر حكمةً من «الله ـ الآب»، إذ هُم قد رأوا، مؤخّراً، بالإشتراك مع «الله ـ الروح القدس»، أن لا يُحمِّلوا الناس أيَّ عبءٍ فوق ما هو يتوجّبُ عليهم! ومن المستحيل تصديقُ هذه الدعوى، لأنّ التصديق بها هو تجهيلٌ وتخطيئٌ لله تعالى ورسله.

ويقومُ بطرس، حسب **«أعمال الرسل»**، فيخطبُ في الناس، قائلاً:

١٥: ١٠ فالآن لماذا تجرّبون الله بوضع نيرٍ على عنق التلاميذ

لم يستطع آباؤُنا

ولا نحنُ [!]

أن نحمله.

١٥: ١١ فنحنُ نؤمن بأننا نخلُص، كما يَخلُصون هم،

بنعمة الربِّ يسوع.

فالخلاصُ إذاً، حسب هذه العقيدة، هو بالاعتقاد بالمسيح إلهاً وابناً للإله، وأمّا الشريعةُ فهي عبءٌ لم يستطع السابقون، ولا «رُسُل» المسيح نفسه، أن يتحمّلوها، فلتذهب إلى الجحيم!



وَيْ! إنّ مجمَّع أورشليم هذا لهو أشبهُ بمؤتمر يجلسُ فيه «الله ـ الروح القدس» مع هؤلاء، فيتشاورون جميعاً، وهم يرون مثلما يرى «الله ـ الروح القدس» رأيَهُم في إبطال الختان!

فيا لها من داهيةٍ دهياء أن يُنسب هذا الأمرُ إلى الأُقنوم الإلهي الثالث، في مناقضةٍ صريحة لعهد الله الأبديّ مع إبراهيم ونسله، بالختان!

لكن أن يُعزى أمرُ إلغاء الختان إلى ثقله على الوثنيين الداخلين أو الذين يُطمع في دخولهم إلى الديانة الجديدة، وحدِه، لهو أمرٌ معيبٌ جدّاً، وهو مفضوحٌ في مخالفته للناموس ولعهد الله. فما العمل؟

ها هو بولس يُشمِّر عن ذراعيه مرّةً أخرى، ويخرجُ بدعوى جديدة مفادُها أنّ الختان يستلزمُ الإلتزام بممارساتٍ مقرّرةٍ في الشريعة، وأنّ هذه هي ممارساتٌ ثقيلة. فيا للبراعة المذهلة في المغالطة! فما دام الناسُ لا يحتملون القيام بتبعات الأمر الإلهيّ، فليلغَ ذلك الأمر نفسُه، وليُلغ معه الإلتزام بالشريعة ذاتها، حتى لا يُقال عنهم إنهم لم يلتزموا بها، ومن أجل عيون بولس، لا من أجل الله.



كان أمرُ «الختان»، وكما هو واضح، موضوعاً خطيراً شغل بال الناس جميعاً، اليهود منهم وغير اليهود، على حدٍّ سواءٍ، وحاز على اهتمامهم ومناقشاتهم ومجادلاتهم، فاضطرب الناسُ لذلك اضطراباً كبيراً، ويشهدُ لذلك الإصحاحاتُ العديدة التي بحث فيها لوقا، كاتبُ «أعمال الرسل» موضوع الختان، وما جرى فيه من افتئاتٍ على الشريعة الإلهية والعهد الإلهي لرسله وللناس. ومنها الإصحاحات ١٣ً و ١٥ً و ١٦ً و ٢١ً التي تنضُح بالمناقشات المستفيضة حول هذا الموضوع. وليس هو «أعمال الرسل» وحدُه، بل هي كذلك رسائلُ بولس، كرسالته إلى أهل رومية (الإصحاحات ٢ً، ٥ً و ٦ً)، وإلى أهل أفسس (الإصحاح ٢ً)، وإلى أهل فيلبي (الإصحاح ٣ً)، وأهل كولوسي (الإصحاحات ٢ً و ٣ً و ٤ً) وإلى تيطس (الإصحاح ١ً)، أي أنّ سبعة من أصل ١٤ رسالة تُعزى إلى بولس قد تطرّق فيها إلى موضوع الختان، وبهذه المغالطات المكشوفة.

إنّ ٩ أسفار من ٢٧ سفراً تكوّنُ العهد الجديد، أي ثلث أسفاره، تتحدثُ

على أمر الختان، وأكثرها، هو ما جاء على لسان بولس في تبرير إلغائه، مراراً وتكراراً، وهو ما يُشيرُ إلى أهميّة هذ الموضوع البالغة، كيف وأنّه كان موضوع العهد الأبديّ لله مع الرّسل والناس، حسب التوراة؟

## قطعةٌ للوقا، في «أعمال الرسل» تفضح نفاق بولس

**بولس يداري مخالفته للناموس، وإبطال الختان، بخداع اليهود والظهور لهم بمظهر الملتزم بالشريعة**

يحكي لوقا أنّه وبولس قد وصلا إلى أورشليم، فتلقّى اليهود بولس مُعاتبين إيّاه على ما بلغهم من دعوتهم «للارتداد عن موسى»، ووصيته إليهم «بألاّ يختتنوا أولادهم، ولا يتّبعوا العادات المتوارثة». فاقترح شيوخُ اليهود عليه أن يقوم بعمليةٍ تظاهريّة، تُزيل ما علق في نفوسهم من مخالفته للشريعة، وهي أن يأخذ أربعة رجال عليهم نَذرٌ، فيتطهّر في الهيكل معهم أمام الناس، ويدفعَ نفقة حلق رؤوسهم:

١٧:٢١ ولدى وصولنا [والكلام للوقا، متحدثاً عن نفسه وعن بولس] إلى أورشليم رحّبَ بنا الإخوةُ فرحين.

١٨:٢١ وكان الشيوخ كلهم مجتمعون عنده.

١٩:٢١ فسلّم بولُس عليهم وأخذ يخبرهم على التوالي بكل ما فعله الله بين غير اليهود بواسطة خدمته.

٢٠:٢١ فلما سمعوا أخباره مجّدوا الله، وقالوا له: «أنت ترى أيها الأخ أنّ الذين آمنوا بالربِّ من اليهود يُعدّون بالآلاف، وهم متحمّسون للشريعة.

٢١:٢١ وقد سمعوا بأنك تدعو اليهود الذين يسكنون بين الأجانب إلى الارتداد عن موسى، وتُوصيهم بألاّ يختِنوا أولادهم، ولا يتّبعوا العادات المتوارثة.

٢٢:٢١ فما العملُ إذن، لأنهم لا بد أن يسمعوا بقدومك؟

ويوصونه بمجاراة الناس، وفعل ما يفعلون من أعمال الشريعة في التّطهّر، حتى يُزيل ما عَلِق بنفوسهم منه، وهكذا فلقد أخذ بُولس أربعة رجالٍ عليهم نذرٌ، وتطهَّر معهم:

٢٣:٢١ فاعمل ما نقولُه لك



عندنا أربعةُ رجالٍ عليهم نذرٌ

٢٤:٢١ فخذهم إلى الهيكل وتطهّر معهم،
وادفع نفقة حَلقِ رؤوسهم،
فيعرفُ الجميع أنّ ما سمعوه عنك غيرُ صحيحٍ
وأنك تسلُكُ مثلهم طريق العمل بالشريعة.

٢٦:٢١ وهكذا كان.

ففي اليوم التالي أخذ بولسُ الرجال الأربعة؛
وبعدما تطهّر معهم، دخل الهيكل.

وهكذا تتّضح لنا، مرّة أخرى، أساليب بولس في خداع الناس، إذ هو يبدو أمام اليهود يهودياً ملتزماً بالشريعة اليهودية، وما هو كذلك.

### صرتُ لليهود كيهوديٍّ:

وما ذكرناهُ، آنفاً، من أمثلةٍ يسيرة، يُفسّر لنا معنى ما قاله بولس عن نفسه، في رسالته **الأولى إلى أهل كورنثوس:**

٢٠:٩ فصرتُ لليهود كيهوديٍّ لأربح اليهود.
وللذين تحت الناموس كأنّي تحت الناموس
لأربح الذين تحت الناموس.

٢١:٩ وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس - مع أني لست بلا ناموس لله، بل تحت ناموس للمسيح - لأربح الذين بلا ناموس.

٢٢:٩ .. صرتُ للكلّ كلَّ شيءٍ، لأخلص على كل حالٍ قوما.

### إمتحنوا الأرواح

ولأمرٍ ما، جاء عن المسيح (ع) قوله عن «الأنبياء الكذبة»، في رسالة **يوحنا الأولى:**

١:٤ أيّها الأحباءُ، لا تصدِّقوا كلَّ روح،
بل امتحنوا الأرواح: هل هي من الله؟
لأنَّ أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم.

فكأنّ السيد المسيح كان يحذر ممّا حدث بعد رفعه، بسنين معدودات، على يد الأنبياء والرسل الكذبة.

# بولس والحواريّين

## بولس يتحدث على علاقاته بتلاميذ المسيح ويكيلُ الإتهامات والإنتقادات لهم بالجملة

يتحدثُ بولسُ، في رسالته إلى أهل غلاطية، قائلاً إنّه قد ذهب إلى أورشليم مع برنابا، وتيطس أيضاً. والأخيرُ يونانيٌّ، ويخبّرنا بولسُ أنّ تيطس هذا لم يُضطرّ، رغم تنصّره، إلى أن يُختن (والفضلُ في ذلك يعود إلى بولس الذي أمر بإلغاء الختان). ويتحدث القمص تادرس يعقوب ملطي، في مقدمة تفسيره لرسالة بولس هذه إلى **غلاطية**، فيقول:

تكشف الرسالة إلى أهل غلاطية عن قلب الرسول بولس النادي، حيث يُعلن أنّ الله قد أفرزه من بطن أمّه لهذا العمل الفائق [!].

٢: ١ ثم بعد أربع عشرة سنةً صعدتُ [الكلام لبولس] أيضاً إلى أورشليم مع برنابا، آخذاً معي تيطس.

قام بولسُ بالذهاب إلى ما عُرف بـ«مجمّع أورشليم» لمشاورة «الرّسل» (حواريي المسيح) في أمرٍ خطير، وهو قضيةُ ضرورة الإلتزام بالناموس من عدمه. لقد صار الإيمانُ بالمسيح إلهاً وابن إلهٍ، وحدُهُ، شرطاً للخلاص، وليس أعمالُ الناموس:

٢: ٢ وإنّما صعدتُ بموجب إعلان [أي أمر من الروح القدس]، وعرضتُ عليهم الإنجيل الذي أكرّزُ به بين الأمم [إنجيله هو، وليس إنجيل المسيح!]، ولكن بالإنفراد على المعتبرين [في نسخة أخرى: القادة البارزين، أي رؤوس المسيحية الكبار]، لئلا أكون أسعى أو قد سعيتُ باطلاً.

ادعى بولس بأنّ مجيئه إلى الرّسل، في أورشليم، مُتحدّياً لهم، بتطويحه بالناموس، ليس هو إلاّ دعوةً إلهيةً من الروح القدس له في أن يذهب إليهم، عارضاً عليهم تعاليمه المهرطقة.

٢: ٣ لكن لم يضطرّ ولا تيطسُ الذي كان معي، وهو يونانيٌّ، أن يُختتن.

٢: ٤ ولكن بسبب الإخوة الكذبة المُدخلين خفيةً، الذين دخلوا



اختلاساً ليتجسّسوا حرّيتنا التي لنا في المسيح كي يستعبدونا.

ويعلّقُ القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم، تعليقاً على موضوع «الإخوة الكذبة»:

هنا يبرزُ سؤالٌ في غاية الأهمية: مَن كان هؤلاء الإخوة الكذبة؟ إن كان الرسلُ قد سمحوا بالختان في أورشليم، فلماذا يُدعى الذين يشتركون معهم ويتفقون معهم في الحكم الرسولي «إخوةً كذبة»؟

ولكنْ من هم أولئك الإخوة الكذبة، والجواسيس، الذين يريدون استعباد الناس؟ إنهم ليسوا إلاّ «الرسُل» أنفسُهم، رُسُلُ المسيح الذين اختارهم بنفسه، فصاروا «جواسيس» على بولس الذي ألغى الناموس والختان، وأثاروا الدنيا ضدّه، كهادمٍ للناموس ومُخالفٍ لشريعة موسى. لا بل أنّ بولس يُريدُ أن يُترك سائباً حرًّا، في دعوته المحرّفة بين الأمميّين المتنصّرين حتى أنه ليدعو العودة إلى الناموس استعباداً، وهو لا يُريدُ أن يهتِك سرّه أحدٌ، بل هو كان أراد أن يبقى سِرّاً مخفيّاً، وسرُّ غضب بولس الشديد هنا هو افتضاحُ أمره أمام تلاميذ المسيح، وهو ما أراه غضباً مفتعلاً منه للتغطية على كذبه.

٢: ٥ الذي لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعةً، ليبقى عندكم حقُّ الإنجيل.

لقد أصرّ بولسُ على عدم الخضوع لتلاميذ المسيح وحواريّيه، وبحجّةٍ مردودةٍ عليه، لأنّ الإنجيل الحقَّ لم يتنزّل إلاّ شِرعةً لله، لا شِرعةً لبولس. لقد ألحّوا عليه بالخضوع للناموس، وكما هو واضحٌ من النصّ، ولكنه ظلّ مُعانداً.

٢: ٦ وأمّا المعتبَرون أنهم شيءٌ - مهما كانوا، لا فرق عندي، الله لا يأخذُ بوجه إنسان - فإنّ هؤلاء المُعتبرين لم يُشيروا علي بشيء [أي أنّ آراءهم ليست بشيء عنده].

يقول القمصُ تادرس يعقوب ملطي، في تفسير هذه الفقرة:

هنا ليس فقط لا يُدافع [بولسُ] عن الرّسل، وإنّما أيضاً يُهاجم القدّيسين. لم يكن هذا اللّقاء مع صفا [بطرس] وحده، بل مع المعتبرين أيضاً؛ تحقّق هذا اللقاء لا بطريقة عامّةٍ بل انفراديّاً؛ لماذا؟ لو أنه انتهك

[طقس] الناموس أو منع الختان لاستاء كلُّ من في أورشليم؛ كما يقول يعقوبُ [أخُ المسيح]: «أنت ترى أيها الأخ كم يوجد ربوةٌ [كثرة] من اليهود الذين آمنوا وهم جميعاً غيّورون للناموس، وقد أُخبروا عنك أنك تُعلِّم... ألاّ يسلكوا حسب الناموس (أعمال الرسل ٢٠:٢١]. إذا كانوا (اليهود المتعصبون)، يقاومونه، لهذا لم يطرح أمر تعليمه على الجماهير، لكنه تشاور بالإفراد مع المعتبرين.

٧:٢ بل بالعكس، إذ رأوا أني أؤتمنتُ على إنجيل الغُرلة [أي بشارة الخلاص لمن هم في غُرلتهم، أي بلا ختانٍ] كما بطرسُ على إنجيل الختان [أي بشارة الخلاص لليهود الذين اختتنوا وهم صغار، وكان ختانُ الذكور يتم في اليوم الثامن].

٨:٢ فإنّ الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عَمَلَ فيَّ أيضاً للأمم [«كما بطرسُ كما أنا»]. [وكيف يأمر الله الناس من خلال بطرس بالختان، ويأمرهم من خلال بولس بعدمه؟].

٩:٢ فإذ عَلِمَ بالنعمة المعطاة لي يعقوبُ وصفا ويوحنا، المعتبرون أنّهم أعمدةٌ، أعطوني وبرنابا يمين الشَّرِكَة لنكون نحنُ للأمم، وأمّا هم فللختان.

أي قد قُسّم الأمر، فبولُس لدعوة الأمميين، خارج فلسطين (وهي مُبطِلَةٌ للختان)، وأمّا يعقوبُ (أخُ المسيح)، وصفا (بطرسُ، أكبرُ «رسل» المسيح وخليفتُه على الكنيسة)، ويوحنّا (حواريُّ المسيح)، فهم للدعوة بين اليهود (وهي دعوة تؤكدُ على المحافظة على الختان). اعترف بولسُ هنا، بصورةٍ صريحةٍ، في رسالةٍ كتبها بنفسه، أنه قد اختلف مع حواريّي المسيح «المعتبرين أنّهم أعمدة»، في موضوع الختان.

وثمة سؤالٌ جوهريٌّ ومهمٌّ جداً، يتبادرُ إلى الذهن وهو:

هل كان ذلك الإختلاف المريرُ، إلى حدِّ رمي بولس لهم بالكذب، هل كان ذلك منصبّاً على موضوع مخالفة الشريعة في أمر الختان وحده، أم هو كان منصبّاً على تطبيق الشريعة، ككلّ، وأول وصيّة فيها هي «لا يَكُن لك آلهةٌ أخرى أمامي»؟

إنّ الدلائل تُشير إلى الأمر الثاني، كما أنها تُشير إلى أنّ لوقا، صاحبَ



بولس الحميمَ، قد لعب أكبر دور في التغطية على حقيقة ما جرى بعد ذهاب المسيح، وأنّ ثمة حركة ادّعت بألوهية المسيح، وقد تزعمها، أو ركب موجتها فصار زعيماً لها، بولس. بولس الذي هو نفسه شاول عدوّ المسيحية والإنسانية الأول بعد رفع السيد المسيح، وأمّا الأناجيل الثلاثة الأخرى «الأناجيل القانونية» فإنها لم تُكتب إلاّ بعد كتابة بولس لرسائله بزمن ليس بالقصير، وقد عكست انتصار البولسيّة على المسيحية الأصيلة التي رفع لواءها تلاميذ المسيح الحقيقيّون، وحواريّوه، والتي وكما هو واضح حاولوا كلَّ جهودهم للدفاع عنها من دون جدوى.

ولا نرى السبب في انتصار المسيحية المحرّفة، التي لم تعُد تَمُتُّ إلى المسيحية الأصيلة إلاّ بأوهى صلةٍ، إلاّ ركوب بولس موجة الأُمم الوثنية التي كانت بعيدةً عن الديانات السماوية المنزّلة في الشرق، بقدر قربها، بل واحتوائها على تلك «الديانات» الوثنية - وما هي بالديانات في حقيقة الأمر - والتي كانت مزيجاً من الأساطير القديمة والفلسفات والمذاهب الوثنية المختلفة التي كانت شائعةً آنذاك في تلك الأماكن. ولئن ساعدت ذلاقة لسان بولس وذكاؤه على ذلك، فلقد كان لنفاقه، وتلبُّسِه لكلِّ حالٍ لبوسها، الأثرُ الأكبرُ. ولم يكن إبطالُ بولس للختان، وقوانين الطعام، وغيرها اعتباطاً منه، بل كان ذلك عن سبق نظر وتفكير لاستجلاب الأمميين، بأسهل وأوكد طريقة تحت عباءته، وبترؤسه لهم - وكم قد كان ذلك مهماً لبولس، إذ يعترفُ «أعمال الرّسل» للوقا بما سمّاه بـ«العبأ الذي لا يُحتملُ»، في إشارة إلى تلك الوصايا، حتى قال بولسُ قولته الشّهيرة «ليس يونانيٌ ويهوديّ، ختانٌ وغُرلةٌ.. بل المسيح الكلُّ في الكلّ».

وأمّا ما عزاهُ «أعمال الرسل» إلى بطرس من رؤيا له لـ«الربِّ» تُبيحُ مُحرَّمات التوراة، فلا أراها بعدَ ما بيّناهُ، في أغلب الظنّ، إلاّ فريةً على بطرس، الذي خفت ضوءه وغاب منذئذٍ، وصار نسياً منسيًا، في «**أعمال الرسل**»، فكأنّه مات معنوياً ولم يَعُد له أيُّ أثرٍ، وهو رأسُ الكنيسة الأولُ بعد المسيح حسب توصية المسيح نفسه، قبل رفعه.

وها هو بولسُ يوجّهُ سهام تعنيفه الشديد إلى بطرس:

١١:٢ ولكن لمّا أتى بطرسُ إلى أنطاكية قاومتُه مُواجهةً، لأنّه كان مَلوماً.

I Withstood him to the face, because he was to be blamed

لقد اختلف يعقوب «أخو الربّ!» والحواريّان بطرسُ وبرنابا، مع بولس، حسب هذه النصوص، اختلافاتٍ عقائدية، جوهريةً، رغم أنّ بولس حاول أن يُغطيَّ على طبيعة تلك الخلافات بتجريحاتٍ شخصيةٍ لهم، من قبيل اتهامهم، علانيةً، بالرِّياء:

١٣:٢ وراءى معه [مع بطرس] باقي اليهود أيضاً [المقصود باليهود هنا هو اليهود المتنصرين، بالطبع. فالأكثرُ أهميّةً من رفض بطرس، ويعقوب، ويوحنا، وأمثالُهم، لتحريفات بولس، هو رفض اليهود المتنصرين له. وههنا يصير الأمرُ واضحاً كالتالي: كان بولسُ، إذ هو يدعو دعوته بين الأمميين (الوثنيين) خارج فلسطين، فإنّ نصارى فلسطين، وهم اليهود المتنصرون والملتفّون حول تلاميذ المسيح كانوا كلُهم، وبنصِّ كلام بولس في هذه الفقرة، مُناهضين أشدّاء لطُروحات بولس التحريفية]، حتى أنّ برنابا [وهو الآخر من حواريي السيد المسيح المقربين] أيضاً انقاد إلى ريائهم.

ليت شعري! هل يُعقل أنّ أخا المسيح، يعقوب Jacob، وبطرس أكبرُ حواريّي المسيح، وخليفتُه الموصى به من بعده، والحواريّ الآخر برنابا، يخالفون رسالة المسيح الأصيلة، وهم أقربُ الناس إليه، مثلما هم أحبّهم له وأعزّهم عليه وآثَرُهم عنده؟ بل الأصحّ أن يُقال إنّ ذلك اليهوديّ الموتور، شاول، وإلى حدِّ الإجرام وسفك دماء الأبرياء من المسيحيين، هو الذي خالف، أو بالأحرى استمر على مخالفة رسالة المسيح، روحاً وشكلاً. لقد صار شاولُ، دونهم، هو المدافع الحقيقيّ عن الإنجيل، حسب زعمه!

١٤:٢ لكن لمّا رأيتُ أنّهم لا يسلكون باستقامةٍ حَسَبَ حقّ الإنجيل،
But when I saw that they walked not uprightly according to the truth of the gospel.

قلتُ لبطرس قُدّامَ الجميع:

«إنْ كنتَ وأنتَ يهوديٌّ تعيشُ أمميّاً لا يهودياً، لماذا تُلزمُ الأممَ أن يتهودوا؟!».

يقولُ القمص تادرس يعقوب ملطي في تفسير هذه الفقرات:



قام بولس بالتوبيخ وخضع بطرسُ.

لا أظن بطرس خليفة المسيح، وحواريّه الأثير، يرضى لنفسه أن يخضع لتحريفات بولس مختاراً، بل هو الإضطرارُ الأكيدُ، إنْ صحّ الخضوعُ منه.

وأمّا ماثيو هنري Matthew Henry، فيقول حول تعنيف بولس لبطرس:

من التقرير الذي أعطانا إياه بولسُ، عمّا حدث بينه وبين الرّسل الآخرين في أورشليم، فإنّ سفر غلاطية قد يُرينا زَيف ما ناوأهُ به أعداؤُه، وحماقتهم وضعفهم بابتعادهم عن الإنجيل الذي بشَّرَهم به [إنجيل بولس].

لقد وجد بولس نفسه مضطرّاً لمعارضة بطرس، لأنّ الأخير كان هو المَلوم، وهي دلالةٌ واضحة على أنّه لم يكن أقلَّ من بطرسَ، وبالتالي على ضعف مزاعم البابا في سيادته وعصمته، باعتباره خليفة لبطرس[1].
The weakness of the pop's pretence to supremacy and infallibility, as a successor of Peter.

وبارنابا نفسُه «هل يُمكنُك أن تتخيّل ذلك»، الذي هو أحدُ الرّسل إلى الأمميين، والذي كان له الدورُ الأساس في إنشاء وإرواء الكنائس الأممية، كيف هو انجرف مع ريائهم. لاحظ هنا (١) ضعف وعدم ثبات أحسن الرجال، عندما هم يُتركون لأنفسهم [لا لبولس!]، وكيف أنهم عُرضةٌ لأن يترنّحوا في واجبهم تجاه الله، من خلال اهتمامهم الزائد بإرضاء الناس، و(٢) القوة الهائلة للقدوات السيئة، وخصوصاً تلك التي يمتلكها العظماء من الرجال والصالحون منهم، ممّن لديهم سمعةٌ مشهورة بالحكمة والشرف.

ويعترف ماثيو هنري بأنّ الأمر يتعدى موضوع الختان أو الأطعمة المحرّمة. إنّه أكبرُ من ذلك. إنّ بولس قد بشّر بـ«إنجيل» جديد مفاده بأنّه بموت المسيح فلقد انهار الجدار الحاجز بين اليهود [المتنصّرين] وبين الأمميين، وأنّ الإلتزام بشريعة موسى لم يَعُد قائماً:

عندما لاحظ بولُس أنّ أولئك الرسل لم يكونوا مستقيمين، حسب

(١) يعتبر البابا، وفق العقائد الكاثوليكية، خليفة القديس بطرس، وهو معصوم عند شرحه للعقيدة. ونظراً لكونه خليفة للقديس بطرس، فإنه يرأس ما يُعرف بالكرسي الرسولي Sancta Sedes.

الحقيقة الإنجيلية في أنهم لم يلتزموا بذلك المبدأ الذي علّم به الإنجيل، والذي قد اعترفوا على أنفسهم بحيازته والإلتزام به، وهو أنه بموت المسيح قد انهار الجدارُ العالي بين اليهود [المتنصّرين] وبين الأمميين، وأنّ الالتزام بشريعة موسى لم يَعُد قائماً. عندما لاحظ ذلك، ولمّا كان جُرم بطرس علنياً، فلقد وبّخه علنياً، أمام كل الناس.

ويجهَرُ بولسُ، ولا زلنا في رسالته إلى أهل **غلاطية**، بأن لا قيمة للأعمال:

١٦:٢ إذ نعلم أنّ الإنسان لا يتبرّر بأعمال الناموس،
بل بإيمان يسوع المسيح.

لا بل إنّه أكثرُ من ذلك، إنه ينفي أن يكون ثمّة أيُّ برٍّ في الناموس، إذ لو كان وُجد، فإن المسيح سيكون قد مات [لاحظ كلمة «مات»] بدون سبب. ويقصدُ بولسُ في ذلك أنَّ المسيح إنما مات حتى نحصل على البرّ، ولو كان هناك في الناموس (الشريعة) برٌّ، لما اضطُرّ المسيح إلى الموت على الصليب!

٢١:٢ لستُ أبطِلُ نعمة الله [«بإرسال الله ابنهِ إلى الناس»].
لأنه إن كان بالناموس برٌّ،
فالمسيح إذاً مات بلا سبب [!].

لقد ذهب بولسُ ومعه تيطسُ، ذلك اليونانيّ الذي لم يُختتن، ودخل أورشليم على الرسل الإثني عشر، تحدّياً منه لهم، فهل قد أقنعهم؟ ذلك ماتريد الكنيسةُ أن تقنعنا به، ولكنَّ الأمر لم يكن كذلك البتّة، كيف وقد تكلم بولسُ، «رسول الأمم» ـ وهذا اللّقبُ قد أسبغه بولسُ على نفسه ـ على الإخوة الكذبة، الجواسيس، المستعبِدين، ووبّخ بطرسَ الذي يُعتبرُ أبا الكنيسة المسيحية أشدَّ توبيخ؟ هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإنّ بولس ليُصرّح بأنّ الأمر قد تُرك لبطرس ومن معه من «الرسل»، باعتبارهم دعاة الإلتزام بالناموس بين اليهود، وهو أمرٌ غير معقول، وأنّ الأمر قد تُرك له، أي لبولس، حتى يسرح ويمرح بين الوثنيين المتنصّرين، مبشراً بعقيدةٍ جديدة، وضارباً الناموس وما عليه حواريّو المسيح عرضَ الحائط.

وبولسُ يُصِرُّ على أنّهُ ليس رسولاً من الناس، ولا هو أخذ عن تلاميذ «رُسُل» المسيح الإثني عشر، بل أنه أخذه عن المسيح «الرّب» والله ـ



الآب. يقولُ بولسُ في رسالته إلى أهل **غلاطية**، عن نفسه:

١:١ بولسُ رسولٌ لا من الناس، ولا بإنسانٍ، بل بيسوع المسيح والله الآب.

وهكذا يبتدئ الإصحاح الأولُ من رسالة بولس إلى أهل غلاطية، وفي أولِّ سطر منه، بالتأكيد على أنه ليس إلاّ رسولاً من «الأقنومين» الثاني والأول، مباشرةً، ولا حتى بوساطة «رسل» المسيح نفسه.

١١:١ وأعرّفُكم أيها الإخوةُ الإنجيل الذي بشّرتُ به، أنّه ليس بحسب إنسان.

١٢:١ لأنّي لم أقبله من عند إنسان ولا عُلّمتُه. بل بإعلان يسوع المسيح.

١٣:١ فإنكم سمعتُم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية، أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراطٍ وأتلفها.

١٥:١ ولكن لما سَرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمّي، ودعاني بنعمته.

١٦:١ أن يُعلِنَ ابنَهَ فيَّ لأُبَشِّرَ به بين الأمم، للوقت [حتى الآن] لم أستشِر لحماً ودماً.

١٧:١ ولا صعِدتُ إلى أورشليم، إلى الرسل الذين قبلي [كلها مقدماتٌ غير منطقيةٍ لتحوله إلى ما ابتدعه من الدين الجديد].

٢٠:١١ والذي أكتبُ به إليكم هو ذا قُدّام الله أني لستُ أكذبُ فيه.

إنّ بولس ليصر على أنّه لم يأخذ معتقده من إنسانٍ، ولو كان ذلك الإنسان حوارياً للسيد المسيح، وعلى أنّ الله قد اختاره وهو في بطن أمه، حتى يُعلن فيه «ابنه» بين الأمم! ولكن، مهلاً، فإنّ استطرادات بولس تكشفُ عن كذبه:

إذا كان الله قد اختاره، منذ أن كان في بطن أمه، لتلك المهمة المدّعاة، فإنه ليعترفُ، في الوقت ذاته، بأنه كان يضطهد الكنيسة ويُبيدُ المسيحيين، قبل أن يدعوه الله ليعلن فيه ابنه المزعوم.

إذا كان الله قد اختاره وهو في بطن أمّه، لتلك المهمّة، فكيف هو صار إلى إبادة المسيحية؟ أيُّ كَذِبٍ هذا؟!

ولطالما نفى بولسُ عن نفسه الكذب. ولِلطبِّ النفسيِّ في ذلك

ملاحظةٌ، فالذي يكرّرُ نفيه لكذبه لهو مشكوكٌ فيه، فعلاً.

**بولس يعترف بالكذب:**

نُسب للسيّد المسيح تحذيره للناس، في ثلاثة مواضع من الأناجيل الأربعة، من الأنبياء الكذبة وها هو بولس، نفسه، يعترف أنه يكذب من أجل «مجد الله»، في رسالته إلى أهل رومية:

٣:٧ **فإنه إن كان صِدْقُ الله قد ازداد بكذبي لمجده، فلماذا أُدانُ أنا بعدُ كخاطئٍ؟**

وها هو كَذِبه يتضحُ بعد قليلٍ، بالادعاء بأنّ الختان وعدمُ الختانِ سواءٌ:

٣:٣٠ لأنّ الله واحدٌ، هو الذي سيبرّرُ الختان بالإيمان والغُرلة بالإيمان [أي سيجعلُ الله الإنسان برّاً، سواءً أكان مختوناً أم غير مختونٍ].

وانظرْ إلى هاتين الفقرتين:

٢:٢٥ فإنَّ الختان ينفعُ إن عملت بالناموس، ولكن إن كنتَ متعدّياً بالناموس، فقد صار ختانك غُرلة!

٢:٢٦ إذاً إن كان الأغْرَلُ يحفظ أحكام الناموس، أفما تُحسب غُرلته ختاناً؟

تَرَ مغالطة بولس، فالختانُ إنّما هو من الناموس (كما أنّه عهدٌ **أبديّ** من الله مع الناس، بنصِّ التوراة)، وإلغاؤه هو ضِدُّ الناموس نفسه. وإنّك إذ تُطالعُ كتابات بولس تَرى ما لا حصر له من أمثل هذه المغالطات. إنّه الخداعُ أو «البَلْف» Bluff.

فبعد أن يُريد بولس أن يُقنع الناس أنّ الختان ليس بكافٍ وحدَهُ، في الفقرة الأولى، يصيرُ، في الفقرة التالية، إلى ادّعاء أنّ حفظ الناموس مقبولٌ، مع عدم الختان.

ويُلقي بولس اتّهاماته يميناً وشمالاً، فهو يتّهمُ من وقف بوجهه في تغيير شرعة موسى وعيسى، بأنّهم قد دعوا الناس إلى إنجيل آخر، ويصفُ نفسه بأنّه «الذي دعا الناس بنعمة المسيح»، لكنه سرعان ما يستدركُ بالقول إنّه ليس إنجيلاً آخر، ولكنّه يصفُ تلاميذ المسيح الذين وقفوا في وجه



انحرافاته، بأنهم مزعجون ويريدون أن يُغيّروا إنجيل المسيح، فهو ينطبقُ عليه المثل الذي يقول «رَمَتني بدائها وانسَلّت». يقولُ في رسالته إلى **غلاطية:**

١:٦ إنّي أتعجبُ أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر! [ليس قولُ بولس: «إنجيل آخر»، لوصف ما جاء به، إلاّ تعبيراً عمّا جاء به من أمور ما أنزل الله بها من سلطان ولا جاءت في إنجيل المسيح (ع). فلينتبه إلى هذا من يبرئ بولس من التحريف!].

١:٧ ليس هو آخر، غير أنه يوجد قومٌ يزعجونكم ويريدون أن يحوّلوا إنجيل المسيح [صار من يعارض بولس، من تلامذة المسيح، هم الذين يريدون أن يحولوا إنجيل المسيح. إنّ الأمر لا يتعلّق بأمر ختان أو عدم ختان، ولا أطعمةٍ حلالٍ أو حرام، على أهميتهما، ولكنه يتعلّق بأصل الدين وأساسه!].

ومثلما افتتح بولس رسالته إلى أهل غلاطية، بالادعاء أنّه رسولٌ من الله، ومن دون واسطةٍ، ولا حتى «رسل» الله، فإنّه لا ينسى أن يختتم رسالته تلك بتفاخره الفارغ في أنّ الناس ليمجدون الله، ولكن كيف؟ وفي شخص من؟ إنهم يمجّدونه في شخص بولس، ليس غيرُ!

١:٢٤ فكانوا يُمجّدون الله فيَّ.

يقول القس أنطونيوس فكري، في مقدمته لتفسير رسالة غلاطية:

ورد لبولس أنّ كنائس غلاطية وقعت فريسةً لبعض اليهود المتنصرين المتعصبين للناموس، وهؤلاء ينادون بضرورة الختان والإلتزام بالناموس بالنسبة للمسيحيين، وأنه لا خلاص بدون حفظ الناموس والختان، وأسماهم بولسُ بالإخوة الكذبة، فهم إخوةٌ لأنهم متنصّرون، وهم كذبةٌ لأنهم رفعوا موسى فوق المسيح [يقصد أطاعوا شِرعة موسى دون المسيح ممثَّلاً في بولس!]، هم تنصّروا ولكن بقي فيهم الفكر اليهودي. وأسماهم أيضاً بالمزعجين إذ تابعوه وأثاروا الكنائس ضده في كلِّ مكان.

ولقد كان المتوقع، والأولى ببولس، وهو الضّالُ الذي ما فتأ يسومُ

المسيحية والمسيحيين سوء العذاب، إن هو وَجَدَ طريقَهُ إلى الهداية حقاً، أن يستنير بتعاليم المسيح التي كرّز بها تلاميذُه وحواريّوه، من بعده. وأمّا أن يدّعي لنفسه رسالةً من المسيح «الرّب» مُهمِلاً ومتجاهلاً ما عليه «رسلُ» المسيح الإثنا عشر، وأن يجاهرَ، مراراً، بـ«إنجيل جديد»، فهو لعمري تجاوزٌ لكلِّ حدود المعقول!

قولُ بولس بـ«الإنجيل الآخر»، والدّين الذي لم يأخذه من إنسان، ولا حتى تلاميذ المسيح أنفسهم، لهو ممّا يكشفُ عما في مكنون سريرته، وإن أراد أن يخفيه. ويستمر القس فكري، في تفسيره لرسالة بولس، قائلاً:

وهاجم هؤلاء الإخوةُ الكذبةُ بولس الرسول وتهجموا على رسوليته قائلين إنّ الرسل الحقيقيين هم فقط الإثني عشر، لذا دافع بولسُ عن إرساليته من أول آية في الرسالة [غلاطية ١:١].

ولأنّ هؤلاء المتهوّدين شكّكوا في صدق إرساليته لذا اضطُرّ بولسُ أن يكتب عن نفسه وعن صدق وحقِّ إرسالية المسيح له، بل تكلم عن نفسه قبل إرساليته واعترف باضطهاده للمسيحيين في جهالةٍ قبل أن يؤمن.

وهذه الرسالة هي دفاعٌ ضد بدعة التهوّد، وفيها يشرحُ بولسُ أنّ التبرير [أن يصير الإنسان بارّاً] يكون **بالإيمان بدون ناموس** [صار الإيمان بعيسى إلهاً وابن إلهٍ كافياً وحده للحصول على التبرير، ومن دون حاجةٍ للناموس. إنّ بولس لم يُلغِ الختانَ وحده، والأطعمة الحرام، وإنما هو يُجاهر بإلغاء الناموس كله]، فالنعمةُ [من خلال الإيمان بالمسيح إلهاً] تُحلُّ تماماً محل أعمال الناموس [هيّا أيها الوثنيُّ المتنصِّر، بل أيها الناسُ جميعاً، وافعلوا ما شئتم من الموبقات، تنالوا البرّ، ما دمتم آمنتم بالمسيح كما قد أراد وزعم بولس في «إنجيله»]. فالمؤمنُ يُولد من الروح القدس في المسيح **فيُحسب ابناً حرّاً لله غير خاضعٍ للناموس** [رغم أنّ بولس لطالما تشدّق بالتزامه بالناموس].

ولأنّ هؤلاء المتهوّدين قالوا إنّ **ما يُعلّم به بولسُ ضد ما يُعلّم به الإثنا عشر الذين يسمحون بالختان وبحفظ السبت وغيره،** اضطُر بولس أن يُشير لأنّ الله اختاره من بطن أمه وأنّ إرساليته هي من المسيح مباشرةً، وليس



من الإثني عشر. لذلك فهو غير مخطئٍ في تعاليمه لأنها من السماء رأساً. ثم يورد قصة الأزمة التي حدثت بينه وبين بطرس ليكشف عن عدم استقامةِ ما فعله بطرسُ، إذ كان يفرّق بين مسيحيّي الأمم ومسيحيّي الختان (الذين من أصل يهودي - غلاطية ٢:١١ - ١٤). وبولسُ قصد إبراز هذه القصة ليبرز فيها خطأ الأخذ بضرورة الختان، لأنّ بطرس معروفٌ عنه أنه بَشّر بيتَ كرنيليوس الأمميَّ وعمّدهم (دون أن يختتنوا) وهو صاحبُ قرار مجمع أورشليم الذي أقرّ فيه رسمياً أنّه من غير الواجب أن يضاف على كاهل الأمم من الداخلين للمسيحية شيءٌ من أعمال الناموس. وبطرسُ فعل هذا (التفريق بين الأمم واليهود) ليس عن عقيدةٍ إنما مجاملةً لليهود.

وكان التلاميذُ يخشون المجاهرة بعدم ضرورة حفظ الناموس أمام مسيحيّي الختان الذين تربّوا على الإلتزام بالناموس حتى لا يتشككوا في المسيحية، بل إنّ **يعقوب** [أخُ المسيح، وهم يدعونه «أخا الرّب»] **أقنع بولس أن يتظاهر بحفظه للناموس أمام هؤلاء القوم** (أعمال الرسل ٢١:١٧ - ٢٧) حتى لا يتشككوا مع عدم اقتناع يعقوب نفسه ولا التلاميذ بضرورة ذلك.

ومن هنا نرى أنّ التهوّد (أي أن يلتزم الأمميُّ الذي يدخل المسيحية بناموس موسى) كان مشكلةً كبيرة جداً في بداية المسيحية، بل كان يمكنه هدم المسيحية لولا صلابة دفاع بولس الرسول ورفضه لمبدأ التهوّد [وإنّ بولس قد هدمها فعلاً].

ويسألُ هنا القس أنطونيوس فكري، سؤالاً خطيراً:

كيف يختلف بولسُ وبطرسُ في الرأي، وكلاهما مملوءٌ من الروح القدس؟!

والإجابة ببساطة إنّ الإمتلاء من الروح القدس لا يُعطِّلُ حرية الآراء، وطالما نحن في الجسد، سيكون لنا إرادةٌ قد تختلفُ مع إرادة الله وقد تتّفقُ معه، وهذا تفسيرُ قول الرسل: «رأى الروحُ القدس ونحن أن..» (أعمال الرسل ١٥:٢٨).

وهذه مغالطة مفضوحةٌ، فأن يكون بولس وبطرس رسولين من الله، في

زعمهم، هو لا يعني إلاّ أن يبلّغا رسالة الله، كما هي، ومن دون أيِّ تغيير أو تحوير فيها، وإلاّ فأيُّ رسولٍ هو مُرسَلٌ من الله ثم هو لا يؤدّيها مثلما هو مطلوبٌ منه؟ هل الله، سبحانه، «غشيم»، حتى يجعل أمثال هؤلاء رُسُلاً؟ إنّ صفة «رسول» الله، أو حتى صفة الامتلاء من الروح القدس، تصيرُ حينئذٍ فارغة من معناها.

ويستطردُ أنطونيوس قائلاً:

عموماً وجودُ موقفيْن مختلفين كموقف بطرس وموقف بولس استفادت منه المسيحية في بدايتها [وليذهب دينُ الله الحقُّ إلى الجحيم!]. فالختان (اليهود المتنصرين) ما كانوا يستقبلون غير موقف بطرس وإلاّ تركوا المسيحية [وكفى الله المسيحيين، والمسيحية شرَّ القتال!]. والله سمح بوجود بطرس بموقفه ليحتضن الختان وبولس بموقفه ليحتضن الأمم.

ويستمرُ القسُّ أنطونيوس فكري، في تفسيره لرسالة بولس إلى غلاطية، قائلاً:

وفي رسالة غلاطية نرى بولس يُهاجم الختان ويُثبتُ عدم نفعه للخلاص (٥:١ - ٤) [!] ويهاجمُ باقي أركان الناموس الطقسية (٤:٩، ١١) [!]. ووصف من يفعل ذلك ويلتزم بالناموس بالغباء (٣:١، ٣)، ويُحرِّم من يعمل بهذا (١:٩). وبولسُ رسولُ الأمم نراه في (أفسس ٣:٢ - ٩) يتحدثُ عن السّرّ الذي أعلنه له الله وهو أنّ الأمم سيُخلّصون بالنعمة وليس بأعمال الناموس [هذا السرّ الرّهيب قد أُعلن له وحده].

وكان بولس صلباً في صراعه ضد هؤلاء المتهوّدين ليحفظ حق الإنجيل وهو الخلاص بالنعمة (غلاطية ٢:٤، ٥) لا بالناموس. وأنّ الخلاص هو مجاناً وليس بأعمال الناموس [!] [المؤلف: أرخص حتى من «شهادات الغفران» التي صارت الكنيسةُ تبيعها فيما بعد، مقابل الخلاص].. وإنها لخسارة فادحة أن يترك المؤمن كلَّ هذا ليتبّع رأي المتهودين واليهود ناموس موسى (غلاطية ٣:٣، ١٠) [!].

نلاحظ غضب بولس الرسول من أهل غلاطية في أسلوبه في هذه



الرسالة فلا أشواق ولا بركات ولا تحيات ولا كلمة مديح بل أسماهُم أغبياء.

هذه الرسالةُ [رسالة بولس إلى أهل غلاطية] هي الأساسُ الذي بُنيت عليه رسالة رومية، إذ لهما نفس الأفكار، ولكنّ رسالة رومية أوسع في أفكارها، أمّا غلاطية فهي الأسبق. ونلاحظ أنّ الذين بُشّروا في رومية كانوا من مسيحيي الختان (اليهود المتنصرين).

ويخلص القسيس أنطونيوس فكري إلى أنّ القول بضرورة الختان لهو خطأ لم يسمح له أن ينتشر و:

مع أنه خطأٌ بسيطٌ إلاّ أنه حاربه بصلابة ولم يسمح بأيِّ تعديل ما مهما كان بسيطاً في الإيمان المُسلَّم مرَّةً للقدّيسين (رسالة يهوذا ٣). وهكذا استُشهد آباؤنا حتى لا يتمَّ أيُّ تعديل في إيمان الكنيسة، فمن يسمح بتعديلٍ صغير سيدخلُ من هذا الباب تغييراً أكبر وأكبر إلى أن يفسد الإيمانَ [هذا الكلام يناقض الواقع]، ولنحذرْ من الثعالب الصغيرة.

وأقول: أفَبَعد إلغاء الناموس من تغييرٍ عظيم في أصل الدين؟ لقد صار عملُ بولس في إلغاء الناموس وتشويه الدّين عملاً عظيماً.

والناموسُ، في قول القسّيس فكري، يحكمُ على الجميع بالموت، ولذا فقد توجّب تركُه، وأمّا المسيحُ فقد أعطانا حياته نحيا بها:

إذاً الخلاصُ عند اليهود هو مجموعةٌ من الوصايا [وأوّلها: لا يكن لك آلهةٌ أخرى أمامي]، من يفعلها يحيا بها. وهذه لم يستطع أحدٌ أن يفعلها بالكامل. وبهذا صار الناموسُ يحكمُ بالموت على الكلّ.

حسناً! إنه ليعترفُ بأنّ **الخلاص هو بالوصايا «الناموس»**. **ولكنْ لمّا قد عجز الجميع عن الإتيان بها كلّها** [إنها كلها أمور أساسية، وكلها «لاءات»: لا تعبد غير الله. لا تقتل. لا تسرق. لا تزنِ. فلِم هي يُعسُرُ الإلتزام بها؟] **فلنطّرحها كلّها أرضاً!**

أمّا الخلاص في المسيحية، فإنّ المسيح يُعطيني حياته أحيا بها. والروحُ القدس يغرس فيَّ طبيعةً جديدة. بل صرنا مسكناً للثالوث.

فمرحى لمسيحية بولس التي أحالت التوحيد أثراً بعد عينٍ إذ هي طوّحت به وتحولت إلى الثالوث.

## أيُّها الغلاطِيُّون الأغبياء، إن المسيح قد صار لعنة لأجلنا!

جاء في رسالة بولس إلى أهل **غلاطية:**

١:٣ أيها الغلاطيون الأغبياءُ.

٣:٣ أهكذا أنتم أغبياء!

١٣:٣ المسيحُ افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنةً لأجلنا، لأنّه مكتوبٌ:

«ملعونٌ كلُّ من عُلِّقَ على خشبةٍ»

٢٣:٣ ولكن قبلما جاء الإيمانُ كنا محروسين تحت الناموس، مُغلقاً علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعلن.

٢٤:٣ إذاً قد كان الناموسُ مؤدِّبنا إلى المسيح، لكي نتبرّر بالإيمان.

٢٥:٣ ولكن بعدما جاء الإيمان [بالمسيح إلهاً]، لسنا تحت مؤدِّبٍ.

ويا لها من شطحات تجعلُ من ناموس [شريعة] موسى مجرّد مؤدِّب مرحليّ إلى المسيح، فأما وقد جاء المسيح، فلقد انتفت الحاجةُ - حسب بولس - إلى ذلك المؤدِّب، وصار يتوجّبُ أن يُرمى بناموس موسى عرض الحائط.

وها هو بولسُ، في فقرتين متتاليتين، يُفصحُ عمّا في نفسه، في رسالته الخامسة إلى أهل غلاطية. إنّه يوجّه الفقرة الأولى إلى اليهود المتنصّرين ليرضيهم، وويوجّهُ الثّانية إلى الأمميّين، ليرضيهم:

٢:٥ ها أنا بولسُ أقول لكم: إنّه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً!

٣:٥ لكن أشهدُ أيضاً لكل إنسان مختتن أنه ملتزمٌ أن يعمل بكل الناموس.

ولعمري، لقد صدق بولس، إذ يقول في **رسالته الأولى إلى كورنثوس:**

٢٠:٩ صرت لليهود كيهودي لكي أربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس.

٢١:٩ وللذين بلا ناموسٍ كأني بلا ناموس، رغم أنني لستُ بلا شريعةٍ. وهدفي هو أن أربح الذين تحت الشريعة.

٢٢:٩ صرتُ كلَّ شيءٍ لكلِّ إنسان، لكي أربح بعض الناس بكل وسيلةٍ ممكنة.



٢٣:٩ وأنا مستعدٌّ أن أفعل كل شيءٍ من أجلِ بشارة المسيح.

وننظرُ ملياً في قول بولس: «ها أنا بولسُ أقول لكم!»، فنرى في أسلوبه هذا تكبّره وعجرفته، ومن المستحيل أن نجد شيئاً كهذا، في الأناجيل الأربعة، يُعزى إلى السّيد المسيح (ع)، كيف وأنه كان أبا التواضع؟

ويقولُ القدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم:

مَن يُختتن إنّما يُختتنُ لأجل خوفه من الناموس،

ومن يخاف الناموس لا يثقُ في قوة النعمة،

ومن لا يثقُ لا يمكنه أن يتلقى نفعاً ممّا لا يثقُ فيه..

وهكذا فلقد صار أقصى ما أمكن لذلك «القديس» هو أن يُعادل الإختتان بالخوف من الناموس، ومن يَخف من الناموس لا يثق في قوة النعمة «الله»! ثم يَخلُصُ يوحنا ذهبيُّ الفم، إلى أنّ الإنسان يتوجبُ عليه أن يحفظ الناموس ككلٍّ أو لا يحفظه، أي أن يطّرِحَه جميعاً.

وثمة شَطحةٌ أخرى تُضاف إلى شطحات بولس السابقة، فإنّه ليضعُ قاعدةً جديدة تنسف ما ادّعاه سابقاً، إذ هو يتجرّأ على **القول بأنّ من يُختتنون هم لا يحفظون الناموس!** وأنّ من يريدُ الإختتان إنّما هو يريد أن يفتخر في جسده. يقول بولس في رسالته إلى **غلاطية:**

١٣:٦ لأنّ الذين يختتنون هم لا يحفظون الناموس،

بل يريدون أن تختتنوا أنتم لكي يفتخروا في جسدكم.

ولم أفهم مغزى كلام بولس على افتخارِ الرجل بجسد غيره، إذ ما معنى أن يفتخر امرئٌ بجسد غيره، مختتناً كان أم غير مختتن؟!

ولكنَّ بولس يستعيضُ، عن الإختتان الذي أرّقَهُ، بشيءٍ آخر جديد، هذه المرّة، فلقد صار البديلُ الآن هو الصّليبُ:

١٤:٦ وأمّا من جهتي، فحاشا لي أن أفتخرَ إلاّ بصليب ربّنا يسوع المسيح..

ولِمَ؟ لقد خُلق الإنسانُ خلقاً جديداً، في زعمه، بمجيء المسيح، فصار الإختتانُ أو عدمُ الإختتان سيّان عنده:

١٥:٦ لأنّه في المسيح يسوع ليس الختانُ ينفع شيئاً ولا الغُرلة، بل الخليقةُ الجديدة.

ويقول القسّ أنطونيوس فكري، في ذلك:

فالختان لن يخلّص اليهود، والغرلة لن تخلّص الأمم.

إنّه مُجرّدُ تحايلٍ على الناس. وفي نهاية المطاف فإنّ تحليل الكلام أعلاهُ لا يعني أنّ الختان وعدم الختان هما سواءٌ عند الله، فالثاني هو نقضٌ وخرق للشّرع.

**الله اختار بولس قبل تأسيس العالم**

ويتبيّن لنا، في سِفر **أفسس**، ومن الفقرة الأولى منه، الألقابُ والأوصاف التي كان يحلو لبولس أن يُطلقها على نفسه، وإذ هو ذكر من قبل بأنّه قد اختاره الله منذ أن كان في بطن أمّه، فإنّه هذه المرّة يُصعّد من ادّعاءاته فيركب مركباً خشناً، إذ هو يدّعي بأنّ الله قد اختاره [اختار بولس!] قبل تأسيس العالم، ليكون قدّيساً، وأنّه قد سبق تعيينُه للتّبني [تبنّي الله للمسيح «ابن الله»!]:

١:١ بولسُ، رسولُ يسوع المسيح بمشيئة الله.

٢:١ نعمةٌ لكم وسلامٌ من الله أبينا والربِّ يسوع المسيح.

٣:١ مباركٌ الله أبو ربِّنا يسوع المسيح.

٤:١ كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قدّيسين وبلا لومٍ قُدامه في المحبّة.

٥:١ إذ سبق فعيّننا للتّبني بيسوع المسيح نفسَه، حسب مسرّة مشيئته.

**السر المكتوم منذ الدهور لم يُظهر إلاّ على يد بولس**

وها هو يصف نفسه، مرّةً أخرى، في رسالته إلى **كولوسي**، بأنّه «رسولُ يسوع المسيح بمشيئة الله»، ذلك المسيح الذي خلق كلَّ شيء:

٣:١ نشكر الله وأبا ربّنا يسوع المسيح في كلِّ حين.

١٥:١ الذي هو صورة الله غير المنظور، بِكرُ كل خليقةٍ.

١٦:١ فإنّه فيه خلق الكُلّ: ما في السماوات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى الكلُّ به وله قد خُلق.

٢٤:١ الذي الآن أفرحُ في آلامي لأجلكم، وأكمّل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده، الذي هو الكنيسة.



٢٥:١ التي [الكنيسة] صرتُ أنا خادماً لها، حسب تدبير الله المعطى لي لأجلكم، لتتميم كلمة الله.

٢٦:١ السّرُّ المكتومُ منذ الدهور ومنذ الأجيال، لكنه الآن قد أُظهر لقدّيسيه،

٢٧:١ الذين أراد الله أن يُعرّفهم..

٢٨:١ الذي ننادي به مُنذرين به كل إنسان، ومعلّمين كل إنسان، بكل حكمة، لكي نُحضرَ كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع.

٢٩:١ الأمرُ الذي لأجله أتعبُ أيضاً مجاهداً، بحسبِ عمله الذي يعملُ فيَّ بقوةٍ.

١:٢ فإني أريد أن تعلموا أيَّ جهادٍ لي لأجلكم.

**لقد صار المسيحُ، الرّبُ حَسَب زعم بولس، السِّرَّ المكتومَ أبدَ الدّهر، ولكنّه قد أُظهر الآن لبولس الذي صار خادماً للكنيسة بحسب تدبير الله المُعطى له، لتتميم كلمة الله. ذلك السرُّ الذي ظلَّ مكتوماً ومحروماً منه الناسُ، كلُّ الناس، منذ الخليقة، وحتى «رؤيا» بولس المزعومة.**

ولا يعجزُ بولس من تكرار أنّه قد جاء من الله «بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم»، بإعلان الله له عن السِّرِّ الذي «في أجيال أُخَرَ لم يُعَرَّف به بنو البشر»، كما قد أُعلن الآن له، والذي هو «أصغر جميع القديسين» الذي أُعطيت له نعمة تبشير الأمم بذلك.

يا لله!

ها هو بولسُ، مرّةً أخرى، يجاهرُ بأمرٍ خطير قد يكون فات على الكثير من المسيحيين إدراكُ خطورته. إنه يدّعي أنّ الله قد اختاره بنعمةٍ، وهي أنّه قد أعلن له عن سرٍّ رهيبٍ وهو أنّ المسيح هو ابنُ الله، وأنّه قد اختاره للتبشير بين الأمم جميعاً بذلك!

١ ـ إذا كان الأمر كذلك، فلِمَ لم يخبِّر به المسيحُ نفسُه، بأنه «ابن الله»؟!

٢ ـ جاء في إنجيل لوقا [١٩:٢٢] عن السيد المسيح قوله:

من فمك أُدينك أيّها العبدُ الشّرّير.

ولقد فضح بولس نفسه بادّعائه، فصحَّ ما نُسب إلى السيّد المسيح أعلاه، على بولس. إنّ توكيد بولس على استخدام كلمة «السّر» الذي أُعلن

له وحده، ولم يُعلن من قبل، قد دلّ على كذبه.

إذ أنّ كون أمر بنّوّةِ المسيح لله سرّاً كَشَفَهُ الله لبولس معناه أنّ هذه المقولة لم يقل بها لا المسيحُ نفسه [!]، ولا واحد من رسله الإثني عشر، ولا سمع بها أحدٌ ولا خطرت على قلب بشرٍ من قبلُ!

وهذا ما ورد على لسان بولس، في رسالته إلى أهل أفسس:

١:٣ بسبب هذا أنا بولُسُ، أسيرُ المسيح يسوع لأجلكم أيّها الأممُ،

٢:٣ إن كنتم سمعتُم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم.

٣:٣ أنه بإعلانٍ عرّفني بالسّرّ.

كما سبقتُ فكتبتُ بالإيجاز.

٤:٣ الذي بحسبه حينما تقرأونه، تقدرون أن تفهموا درايتي بسرِّ المسيح.

**٥:٣ الذي في أجيال أُخَرَ**

**لم يُعرَّف به بنو البشر،**

كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح [أي أعلنه بولس لهم!]:

٧:٣ الذي صرتُ أنا خادماً له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي حسب فعل قوّته.

٨:٣ لي أنا أصغر القدّيسين، أُعطيت هذه النعمةُ،

أن أبشِّرَ بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى،

٩:٣ وأُنير الجميع في ما هو شركةُ السرّ المكتوم منذ الدهور.

في الله خالق الجميع بيسوع المسيح [أي أنّ المسيح هو خالق كل شيء].

ثمّ لا ينسى بولسُ، بالطبع، أن يكيل المدح لنفسه، فهو «رسولُ يسوع المسيح بمشيئة الله»، وهو مُكمِّلُ شدائد المسيح في جسمه، أي أنّ كلّ ما لم يتعرض له المسيح من العذابات والآلام قد أكملها بولس، حتى لو كان ذلك هو الصّلب والقتل المزعوم،وهو خادم الكنيسة حسب تدبير الله



لتتميم كلمته، فكلمة الله لم تتم ولا حتى بالمسيح نفسه، وإنّما فقط ببولس، وأنّ السّرّ المكتوم أبد الدهر قد ظهر على يديه هو، وأنّه مُنذرُ كلِّ إنسان ومعلِّمُ كلِّ إنسان، والمتّصفُ بالحكمة كلّها، والذي يتعب لأجل المسيح مجاهداً، بحسب عمل المسيح القويِّ فيه!

ثمّ قوله «المسيح هو بِكرُ كلِّ خليقة»!

وهل يدلُّ ذلك إلاّ على أنّه مخلوقٌ؟

ثم ما معنى كلمة «البكر» إلا أن تكون له بدايةٌ - بينا أنّ الله سبحانه أزليٌّ أبديٌّ، لا بداية له ولا نهاية - وأنّ له أبناءً آخرين؟ ولا يجدُ البابا اثناسيوسُ الرسوليّ، في تفسيره لوصف بولس للمسيح بأنّه بِكرُ كلِّ خليقة إلاّ أن يقول:

أمّا قولُه «بِكرُ كلِّ خليقةٍ» فهي تسميةٌ تختصُّ بتنازله وتفضّله من أجل الخليقة.

وهو تفسيرٌ لهذه الشّطحة البولسيّة لا نراهُ يُقنع أحداً، بالطبع.

«فإنّه فيه خُلق الكلّ.. والكُل به وله قد خُلق». ولِمَ لا؟ أوَلَم يصفه بولسُ في رسالته إلى العبرانيّين بأنّ الله قد جعل ابنه:

٢:١ وارثاً لكلِّ شيءٍ، الذي به أيضاً عمل العالمين.

٣:١ وحامل كلِّ الأشياء بكلمة قدرته.

أوَ لم يقُل **إنجيلُ يوحنّا** عن المسيح:

٣:١ كلُّ شيءٍ به كان، وبغيره لم يكن شيءٌ مما كان؟

وأنّه قد عمل العالمين THE WORLDS، خالق الخليقة السمائية والأرضية، المنظور وغير المنظور، الزمنيّ والأبديّ [إنتبه! هذا الوصفُ هو كلُّه لـ«الله الإبن»، لا «الله - الآب»، حسب قول القسّ أنطونيوس فكري، الذي يقول أيضاً:

المسيحُ ضابطُ الكلِّ، لا يفلت منه شيءٌ، هو خلَق العالم، وما زال يضبطه ويتحكّم فيه.. إنّ الإبن هو الخالقُ، المسيحُ هو الله الخالقُ الذي يخلق من البدء].

إذا كان المسيح هو الخالق، فكيف يكون ابن الله البِكر؟؟

ليت شعري، ماذا بقي لـ«الله - الآب»، من عملٍ يعملُه، غير أن يلد ابنه،

«الله ـ الابن»، الذي قام من ثُمَّ بكلِّ شيءٍ؟

ولا يزال بولسُ، في كلِّ رسائله، يذكر موضوع الختان، المرّة بعد المرّة. ولِمَ لا يكِلُّ ولا يملّ من تذكير الأمميّين الوثنيّين من غير اليهود، متقرّباً إليهم بإنكار ضرورة الختان؟ إنّه لا يفتأ يذكّرهم بذلك الأمر المحبّب إليهم، وبفضله عليهم في ذلك، فيقولُ لهم، في رسالته إلى أهل **كولوسي:**

١١:٢ وبه [بالمسيح] أيضاً خُتنتم ختاناً غير مصنوعٍ بيد [أي أنه «ختان معنوي»، أو بالأصحّ تخيّليّ وهميّ] بخلعِ جسم خطايا البشرية، بختان المسيح.

إنه مجرد «ختان روحي»، كما يقول القمص تادرس يعقوب ملطي. وبم يتحقق عنده؟ إنّه يتحقّقُ بـ«المعمودية»!، ولِمَ؟ «لننال البنوّة للآب»!

وأمّا القدّيس أمبروسيوس، فيقول عن هذه المعمودية الغريبة التي تحِلّ محلّ الختان، بقوله:

كما أنّ الختان علامةُ عهدٍ للختان غير البدنيّ (الرّوحيّ) الذي بها يتشبّهون بالمسيح إذ يشركونه ختانه ومعموديّة موته مدفونين ومشتركين أيضاً في قيامته.

يا لها من أفكار وبيلة يُراد بها فكُّ ألغاز (أو قُل التغطيةُ) على شطحات بولس، فإذا بها تجيءُ ضغثاً على إبّالة!

وهذا ما يقوله القدّيس كيرلس الكبير عن ذلك:

**صرنا مملوئين فيه [في المسيح]، نتمتّع بالختان الروحيّ، أي العماد،** فنخلع الإنسان القديم ونلبس الإنسان الجديد الذي على صورة خالقه.

في هذا الختان لا تُنزع غُرلة الجسد الظاهرة، بل غُرلة القلب التي تتعارض مع مشيئة الله والطاعة لوصاياه.

في الختان الجسدي الحرفيّ يُنزع جزء من اللّحم، أمّا في ختان المسيح فيُنزع طبع الخطيّة فلا يعود الجسدُ يكونُ هيكلاً لها، بل يصيرُ هيكلاً للرّب. هذا الاستئصال لا يتمّ بسكّين مادّيّة، بل بيدٍ غير بشرية.

كان موته من أجلنا، وهكذا أيضاً كانت قيامته، وكان ختانه.

أرأيت كيف يستبدلون «الختان الروحيّ» بالختان الفعلي؟ ثم هم



يخطون خطوةً أخرى للقول بأنّ «الختانَ الروحيَّ» إنّما هو المعموديةُ بذاتها؟

لقد أدرك بولس، ومن معه، ممّن استجاب لدعوته، أنّ في إبطال الختان لجاذبيّةً عظيمةً لأولئك الذين لم يعرفوه ولم تتعوّد مجتمعاتُهم عليه، فصار هو ومن معه لا يفتأون يُكرِّرون الكلام على فائدة إبطال الختان، وفي ذلك ما فيه من جاذبية ظاهرة وخفيّةٍ لعواطف الناس، من غير أن يُلقي بالاً، البتّة، إلى أنه أمرٌ إلهيٌّ لا يجوزُ ولا يُمكن بأيّة حال من الأحوال التلاعب به، ولكن كلُّ شيءٍ عند بولس جائزٌ، ما دام هو «رسولُ الله» إلى الأمم، المترأس على الناس، يتكلم فيسمعون، ويأمر فيأتمرون بأمره، وهو يتلاعب بهم بمعسول كلامه تارة، وبتهديداته لهم تارة أخرى. وقد نسج من جاء بعده من «القديسين» على منواله، في التطبيل لهذا الأمر. فرغم أهميّة ختان الذكور في الدّين، فلقد تم التركيز عليه المرة بعد الأخرى، وبطريقة غير متناسبة وغير اعتيادية. حيث أنّ معظم رسائل بولس قد كرّست الصفحات العديدة في لوم أهل الختان أو بالإدعاء بأن الغُرلة ليست هي ما يهمّ، سواءً أُوجدت أم قُطعت، وكذلك خَصَّصَ «القديسون» الصفحات الطوال، وعلى نفس المنوال.

فهذا القدّيسُ يوحنّا الدلياتي، يقولُ:

إسألِ السلامَ لعفّتِكَ بحسب عملي. حتى متى تُسمى عبداً؟ متى ستُصبح إنساناً حرّاً؟ متى تُصبح سيّداً على الشّعوب النجسة المحيطة بك؟ متى تقتل وتبيد هل الغُرلة الذين هم في مدينتك [بالختان «الروحي»]؟ متى تَختِنُ بالختان التي لم تصنعها الأيدي كلَّ سكان بيتك، بالختان الذي هو في الرّوح؟

وهكذا فلقد صار «الختانُ الروحي» قُدسَ أقداس الرّسالة البولسيّة، لا لشيءٍ إلاّ لجذب الناس إلى الدِّيانة البولسيّة الجديدة، ولو بالخداع والتمويه. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ ذلك الدِّفاع المستميت عن إبطال الختان يشهد لمقاومة تلاميذ المسيح والناس الشّديدة لأمرٍ هو واضحُ البُطلان، ومثلما هو فيه إنكارٌ صريح لشريعة الله، فإنّه وبالدرجة ذاتها إنكار للعهد الإلهيّ الّذي طالما تكرّرُ في التوراة، وطالما توعّد الله به

من يخرج عليه، فلا غُرو ولا عجب أن يثور ذلك النّزاع المرير الذي استغرق الصّفحات الطّوال من العهد الجديد، مثلما استغرق الأمرُ بالختان والتحذير من عدم إجرائه الصفحات الطوال من التّوراة.

**«المسيح يُبيد الختان ويفنيه تماماً»**

ويقول القدّيس يوحنّا الذهبي الفم عن ذلك:

«الذي نجّانا من سلطان الظُّلمة، وصالحنا نحن الّذين كنّا قبلاً غرباء» حتى نصبح «قدّيسين وبلا عيب»، ولم نعُد بحاجةٍ إلى الختان بنصل السّكّين، بل في المسيح نفسه، لأنه ما من يدٍ بشريةٍ تهب هذا الختان أبداً بل الرّوح القدس، وهو لا يختن جزءاً بعينه بل الختان في واحدٍ جسدانيٍّ وفي آخر روحانيٍّ، لكن ليس كاليهود، لأنكم لم تخلعوا الجسّد بل الخطايا، متى وأين؟ في المعمودية، وبماذا يُسمّي الختان؟ يسمّيه دفناً.

إنه [المسيحُ] يتكلمُ عن شيءٍ أعظم من الختان، إذ إنه لا يطرحُ فقط ما اختتنوا لأجله بل يُبيدُه ويُفنيه تماماً.

صار ختانُ اليهود سُبّةً وعاراً، جاء المسيح حتى «يبيده ويفنيه تماماً»، ونسي أولئك كلُّهم أنّ كلامهم هذا لا يعني إلاّ شيئاً واحداً، وهو أنّ الله تعالى منزّل الشريعة على موسى وبقية الرسل أجمعين قد كان مخطئاً، وأنّ خطأه قد أصاب «ابنه» نفسه [المسيح]، إذ هو اختُتن في اليوم الثامن من ولادته، لكنَّ بولس بعبقريته قد ألغى ذلك الأمر التعسفي، الذي لا معنى له، بختانٍ من نوع جديد.

ويستطردُ بولس، في رسالته إلى أهل **كولوسي**، قائلاً:

١٢:٢ مدفونين معه [مع المسيح] في المعمودية،
التي فيها أقمتم أيضاً معه
بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات.

وكيف يتحقّقُ هذا الختانُ حسب تفسير القمص تادرس يعقوب ملطي لهذه الفقرة؟

يتحققُ هذا الختانُ بسكّين الرّوح بواسطة المعموديّة، حيث يُدفن



المؤمن مع المسيح ليقوم معه في جِدَّةِ الحياة المُقامة.

يؤكّد الرّسولُ [بولس] أنّ المعمودية ليست رمزاً، بل هي عملٌ حيث يتمُّ الدّفنُ مع المسيح والقيامُ معه. ومع هذا فإنّ الجسد غيرَ المختون أفضلُ من القلب غير المختون [يا له من تعبيرٍ إنشائيٍّ رائع!].

ويقول القسّ جيروم عن ذلك:

دُفِنّا مع المسيح بالمعمودية، وقمنا ثانية بالإيمان بعمل الله الذي أقامه من الموت.

«فليكن قلبك نظيفاً»، فذلك أفضل من الختان!

وأمّا القدّيس كيرلس الأورشليميّ، فيقول:

يتبع إيمانُنا قبولنا الختمَ الرّوحيَّ، إذ نُختَتنُ بالرّوح القدُس خلال المعموديّة [صار الختان هذه المرة بوساطة الروح القدس]، ليس في غُرلة الجسد، بل في القلب كقول إرميا: «اختتنوا للرب في غرلة قلوبكم». وقول الرسول [بولس]:

«بختان المسيح مدفونين معه في المعمودية».

ولا يعرف إنسان كيف يُدفن الإنسان الميّتُ مع المسيح، أفلم يقم من الأموات، في زعمهم، ثم هو يُرفعُ إلى السماء، وإلاّ فأين هو جسدُ المسيح الميّت؟

أمّا القدّيسُ امبروسيوس، فيقول عن ذلك:

قد مات [المسيح] حقّاً مرّة، لكنه يموت عن كل شخص قد اعتمد بموت المسيح، حتى نُدفن مجتمعين معه ونقدم به ونسلك في جِدة حياته.

أو كما يقول:

التصقُ بك فأرتفعُ فوق حرف الناموس.
لا أطلبُ ختان الجسد،
بل أحملُ بروحك ختم ختان الرّوح!

ويا لها من فكرةٍ، أو بالأحرى سكرةٍ عميقة يسكُرها المرءُ، إذ ما دام الله هو المنزِّلُ على موسى، وهو، أي الله، نفسه «المسيحُ»، فلِمَ هو أنزلَ الشّريعتين بالأمرِ بختان الجسّد، ولم ينزّل ختان الروح؟

ويشيرُ القس أنطونيوس فكري إلى تحذير بولس:

> مما يُعَلِّمُ به المتهوِّدون من ضرورة الإلتزام بحرف الناموس والإرتداد لطقوس الناموس التي كانت رمزاً للمسيح، فإذا جاء المرموزُ إليه بطل الرّمزُ.

أرأيت إلى الإفتئات على الحقيقة الواضحة وليِّ عنقها بأيِّ سبيل؟ لقد صار الآن الناموسُ، وبكلِّ ما فيه من شعائر، مُجرَّد رمزٍ إلى المسيح، فإذا جاء المسيح، فقد بطل الرمز! ثم هو يخبِّرنا الآن بمفاجأةٍ أخرى، وهي أنّ الختان الجسديّ فيه موتٌ لجزءٍ من الجِّسم ليحيا الإنسانُ، فإذا ما نالت الأمم الختان الرُّوحيّ من المسيح، فهذا يعني الموت والقيامة مع المسيح!

> المتهوّدون كانوا يُلزمون المؤمنين أن يختتنوا كشرط للخلاص وبذا ضلّلوا أهل كولوسي. وهنا فالرسولُ [بولس] يقول إنّ الأمم إذا اعتمدوا نالوا الختان الرّوحي من المسيح، وهذا يعني الموت والقيامة مع المسيح، كما أنّ الختان الجسدي فيه موتٌ لجزءٍ من الجسم ليحيا الإنسان.

لا بل إنّه يدّعي بأنّ الختان اليهوديّ هو أقلّ من ختان الروح في المعمودية:

> ومن نال ختان القلب الروحيّ لا حاجة له لختان الجسد. بل إنّ الختان اليهودي أقلّ كثيراً من ختان الرّوح في المعموديّة، فالختانُ اليهوديّ مصنوعٌ بيد إنسانٍ، أمّا الختان الروحيّ فهو بعمل إلهيٍّ = غير مصنوع بيد، لأنّ المعمودية لها عملٌ روحيّ فهي موتٌ مع المسيح وقيامةٌ معه مُتّحدين به.

ليت شعري، إذا كان الختان رمزاً، وهو فوق الرّمز، أفليست المعموديّةُ مجرّد رمز؟ ثم هو يقول:

> ونجد هنا مقابلة بين الختان الذي هو قطع قطعة صغيرة من اللحم وتركها لتموت، وبين المعمودية التي هي عَمل روحي عظيم الأهمية الذي جرى فينا حين وُلدنا من الله في المعمودية، وبه نلنا الحياة الجديدة. وكان الختان يُميِّزُ شعب اليهود عن سائر الأمم [وفي ذلك مغالطة]، وبه يصيرون منتسبين لله، وبالمعمودية نصيرُ أولاداً له إذ



> اتّحدنا بابنه.

والحقُّ أنّ اليهودَ لم يتميّزوا وحدهم بالختان، فإبراهيم، أبو الأنبياء، هو صاحب العهد والأمر من الله به، وإبراهيمُ لم يكن يهودياً، ومثلما اتّبع إسحاقُ وذرّيتُه سُنَّة أبيهم إبراهيم، فكذلك كان هو الحالُ مع إسماعيل، ابنِ إبراهيم الأكبر، وهو جدُّ العرب، وهم كانوا يختتنون قبل الإسلام وبعده.

> ٢:١٢ مدفونين معه في المعموديّة [كولوسي].

> ولذلك تقومُ الكنيسة الأرثوذكسية بتغطيس المعمَّد ليحصل الدفن، وقوله مدفونين يشير حسب اعتقادهم لاستمرار الموت مع المسيح. وتسألُ: كيف نموتُ مع المسيح؟ ويأتيك الجوابُ: بإماتةِ أنفسنا أمام الخطيّة!

## اليهود: المعمودية ليست مكافئة للختان

تمثّلُ المعموديةُ، في المعتقد المسيحي، دخول الإنسان الحياة المسيحية، وهي تُعطيه صفته كمسيحيٍّ، ولكنّ اليهود يُجادلون بأنّ المعمودية ليست مكافئةً للختان، فالإنسان لا يأخذ صفته كمسيحيٍّ إلاّ بعد أن يُعمّد، ولكنّ اليهوديَّ هو يهوديٌّ كاملٌ منذ أن يولد، والختان عند اليهود لا بدّ أن يُجرى، كلّما أمكن ذلك، في اليوم الثالث من ولادة الطفل، حتى ولو وقع ذلك في يوم السّبت المقدَّس عندهم.

## تعميدُ يحيى وعيسى لم يُلغِ الحاجة إلى الختان

إنّ تعميد كلٍّ من النبيّ يحيى وعيسى (ع)، الذي نقلتْه الأناجيلُ، وكتعميد من تعمّد على يدي يحيى، لم يُلغِ الحاجة إلى الختان، ولو كانت المعمودية بمُغنيةٍ عن ختانٍ، وإذاً لما اختُتِن يحيى وعيسى، ولما استمرَّ اختتانُ اليهود على زمن المسيح، ومن بعده، إذ ظلَّ المتنصرون من يهودٍ وغيرهم، جميعاً، مُداومين على الختان، حتى جاء بولسُ ببدعته الشهيرة بإلغاء الختان، وهي دعوةٌ كانت موجهةً بالأساس، وكما قد رأينا، إلى الأمميين، أي الوثنيين، خارج فلسطين، ثم هي انتشرت وسادت في العالم المسيحي كله. إنها بدعةٌ بولسيةٌ قد وجدت الجواب عليها من خلال ختان

المسيح نفسه[1].

**المعمودية تدّعي الخلاص من «الخطيئة الأبدية»، التي لا وجود لها**

يُمثّلُ العِمادُ، حسب المعتقد المسيحيّ البولسيّ، موت المسيح وقيامته، والطفلُ المعمّد يُخلَّصُ حسب هذا المعتقد، من «الخطيئة الأصلية» التي هي خطيئة آدم وحوّاء، والتي توارثها بنو آدم جميعاً فبقيت لاصقة بهم ومحيطة بهم، وهكذا فإنّ هذا الإنسان المعمّد يدخل الحياة مرّة أخرى كإنسان جديد.

والأساس الذي يقوم عليه هذا المعتقد خاطئ بالطبع، وهو يأباه العقل. فالله سبحانه عادل، ولا يُحمِّلُ كلَّ نفس إلاّ ما عملت، وقد تكرر في القرآن الكريم ذكر ذلك كثيراً، ومنه قوله تعالى: ﴿..**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**..﴾ [الأنعام: ١٦٤].

**هل «الله المتجسّدُ» يحتاجُ إلى «الختان الرّوحيّ»؟**

إن كانت حاجة الإنسان، بحسب زعم بولس، هي إلى «ختان روحيّ»، لا إلى الختان الجسدي، فأيّةُ حاجة هي للسيّد المسيح (ع) في «الختان الروحيّ»، والمعمودية؟ أوليس هو ابنَ الله، بل الله المتجسّد نفسه، في زعمهم؟ فأيّةُ حاجةً له، إذاً، إلى من يغسلُ له خطيئة بختان روحيّ؟

ولو كانت المعموديةُ تُغني عن ختانٍ، لما اختُتن عيسى ويحيى (ع)، وهما قد تعمّدا كلاهُما بقول العهد الجديد، ولما اختُتن أنبياءُ الله جميعاً وأتباعُهم.

---

(١) أبطل بولسُ الختانَ من خلال القول بأنه لا حاجة له، ولكنه لم يجرؤ على حظره. وتتبينُ لنا هذه الحقيقة في أنّ الكنيستين القبطية الأرثوذكسية المصرية، والإثيوبية الأرثوذكسية ـ وهما اثنتان من أقدم أشكال المسيحية المعروفة ـ تحافظان على كثير من مظاهر المسيحية المبكرة، ومنها الختان، وتفرضانه على أتباعها. أمّا في أمريكا فقد لعب التفسير الحرفي للتوراة عند الأصوليين المسيحيين دوراً هاماً في تثبيت ختان الذكور، حيث تبلغ نسبة الختان في ذكور الولايات المتحدة ٧٥٪ وفي كندا ٣٠٪، كما تبلغ النسبة ٦٠٪ في أستراليا، وهو شائع أيضاً في الفلبين (الدولة الآسيوية الوحيدة ذات الأكثرية المسيحية) وكورياالجنوبية، وفي دول أفريقية عديدة ذات أغلبية مسيحية، مثل كينيا، وأنغولا، والكونغو، وغانا، وغينيا الاستوائية، والكاميرون، وسوازيلاند، وغيرها.



**«الجسدُ المختون»، و«القلب المختون» و«الختان الجسدي»، و«الختان الروحي»**

هذه الإصطلاحاتُ كلها أمورٌ مبتدعة، يصحُ أن نُطلق عليها الإصطلاح المسيحيّ «الهرطقة»، أو «البدعة» Heresy، لأنها لم تجئ لا على لسان السيد المسيح ولا عرفها الناسُ قبل أن يجيء بها بولسُ ومن تبعه. يقول بولسُ في رسالته إلى أهل **كولوسي**:

١٣:٢ وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغَلَفِ جسدكم، أحياكم معه، مُسامِحاً لكم بجميع الخطايا.

وما هي تلك الخطايا وغلف الجسد التي تسببتْ في أن يكون الناسُ كلهم في حُكم الموتى؟ إنها في قول بولس، وحسب تفسير القس أنطونيوس فكري، هي الخطيئةُ الأصليةُ، خطيئةُ أبينا آدم، والقلبُ غير المختون، وأنّ المسيح قد رَفَع عنّا كلَّ خطايانا السابقة، وبمجردِ أن صدَّقْنا بولس في كونه الإله المتجسّدَ وابن الإله، في آنٍ!

إنه عالمُ «اللامعقول».

**«لم يَعُد للناموس أيُّ مطلبٍ علينا»!**

يقول بولس، في رسالته إلى أهل كولوسي:

١٤:٢ إذ محا [المسيحُ] الصَّكَّ الذي علينا في الفرائض، الذي كان ضِدّاً لنا،

وقد رفعه من الوسط مُسمِّراً إيّاه بالصّليب.

ويقول القس أنطونيوس فكري، في تفسير هذه الفقرة:

الناموسُ طالب الإنسان بما لا يستطيع أن يعمله، وحكَمَ بالموت على من يخالف، لذلك كان الناموس ضدّاً لنا [!] وبالصّليب محا اللهُ الصّكَّ الذي علينا مُعلناً براءة الإنسان من حكم الموت إذ اتحد المسيحُ بالجسد البشري ومات بالنيابة عنّا.

أي لم يَعُدْ للناموس أيُّ مطلبٍ علينا.

فقد تمّمَ المسيحُ بموته كلَّ فرائض الناموس، وأكملَ بموته كل ما كان يشتكي به الناموس علينا، فيحسب كل من هو ثابتٌ عليه [على

المسيح] كاملاً.

لقد صار القومُ، بادّعائهم، بإيمانهم بالمسيح إلهاً، في حِلٍّ من كل فرائض الناموس، وصاروا بذلك كاملين، وامّحَت خطيئاتُهم جميعاً.
وهكذا تحلّلَ بولسُ والمتنصّرون البولسيّون ومن تبعهم من الناموس كلّه!

لا بل إنّ المسيح لم يُوَفِّ الدَّين الذي على الناس، وحسب، بل هو ذهب إلى عقر دار الأشرار، في الجحيم، وأنقذ الذين ماتوا [!] على الرّجاء، فاتحاً لهم الفردوس:

فالمسيحُ وفّى الدَّين الذي علينا.

بل ذهب لعقر دارهم، أي الجحيم، وأنقذ الذين ماتوا على الرجاء، فاتحاً لهم الفردوس. وكل من هو ثابت في المسيح يكون له سلطانٌ على إبليس. نحن الآن نحارب شيطاناً مهزوماً لا سلطان له علينا [إذاً، فلِمَ الداعي إلى محاربته أصلاً؟].

**«الختانُ الروحي»، لماذا لم يُعمل به على زمن المسيح؟**

استمرّ أتباعُ السّيد المسيح، على زمنه، بل وبعده، وحتى دعوةِ بولس، على الختان، حيث ظهرت لنا بدعةٌ جديدةٌ يصحُّ تماماً أن نُطلق عليها المصطلح المسيحيَّ الذي ابتكرته الكنيسةُ لوصف كل من يخرجُ على عقائدها، وهو «الهرطقة».

إذا كان الختانُ إنما هو «الختانُ الروحي»، أو «ختانُ القلب»، كما وصفوه، فلِمَ قد شقَّ الله على عباده، مِن قَبلِ بولس، بشِرعةِ الختانِ الجسديّ؟



# بين المعمودية وبين الختان

تبيَّن لنا مما سبق أنَّ المسيحية البولسية قالت بما أسمتهُ «الختان الروحي»، بدل الختان الجسديّ، وإنّ الختان الروحي هذا يتمُّ من طريق المعمودية Baptism، فما هي المعمودية؟ يقول قاموس المنجد، للأب لويس معلوف اليسوعي، في تعريفها، بأنها «أوّلُ أسرارِ الدين المسيحي وبابُ النصرانية. وهي **غَسلُ** الصبيِّ وغيره **بالماء** باسم الآب والابن والروح القدس. واللفظة سريانية في الأصل أو مولّدةٌ مأخوذةٌ من العَمَد أي البلل».
فلنستكشف حقيقة هذه المعمودية التي جُعلت بديلاً للختان، حتى نعرف كُنهها وأصلها.

جاء في إنجيل **لوقا** عن النبي يحيى ابن زكريا (ع)، وهو يردُ في الأناجيل باسم يوحنا المعمدان، أنّ كلمة الله قد حلّت عليه، في منطقة اليهودية، حول نهر الأردن:

٣:٣ فانطلق إلى جميع النواحي المحيطة بنهر الأُردُن ينادي بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا،

٧:٣ فقد كان يقول للجموع الذين خرجوا إليه ليتعمّدوا على يده: «يا أولاد الأفاعي، من أنذركم لتهرُبوا من الغضب الآتي؟

٨:٣ فأثمروا أثماراً تليق بالتوبة،
ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم: لنا إبراهيمُ أباً!
فإنّي قول لكم إن الله قادرٌ أن يُطلع من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم.

٩:٣ وها إنّ الفأس أيضاً قد وضعت على أصل الشجر:
فكل شجرة لا تُثمرُ ثمراً جيداً تُقطع وتُطرح في النار»[1].

وما قاله يحيى (ع) لا يمكنُ أن يدُلَّ إلاّ على مَقدم رسولٍ لله تعالى، من ذرّيّة إبراهيم (ع)، من غير اليهود، أي من غير ذرّيّة إسحاق (ع). ولا ينطبقُ ذلك إلاّ على حالةٍ واحدة، وهي رسولُ الله محمد (ﷺ) حفيد إسماعيل بن إبراهيم (ع).

١٥:٣ وإذ كان الشعب منتظرين (المسيح) والجميعُ يُسائلون أنفسهم عن يوحنّا، «هل هو المسيحُ؟».

(١) حملت أليصاباتُ، زوجُ زكريّا، بيوحنّا المعمّدان، حسب إنجيل متّى، قبل حمل مريم لعيسى (ع) بستّة أشهر.

٣:١٦ أجاب يوحنّا الجميع قائلاً:

«أنا أُعمّدكم بالماء،

ولكن سيأتي من هو أقدرُ منّي،

من لا أستحق أن أَحُلَّ رباط حذائه:

هو سيعمدّكم بالرّوح القدس، وبالنّار.

يتّضحُ لنا، حسب هذا النصّ، أنَّ يوحنّا المعمدان، النبيّ، الذي كان يُعمّد الناس بالماء، قد وعدهم بمن يجيء بعده[1]، فيعمّدُهم، ولكن ليس بالماء!

ولقد تعمد عيسى (ع)، حسب هذه النصوص، وبالماء:

٣:٢١ ولما تعمّد الشّعبُ جميعاً، تعمّد يسوعُ.

**مناقشة:**

تشيرُ نصوص إنجيل لوقا إلى أنّ النبي، يوحنا المعمدان، كان يُعمّد الناس بـ«معمودية التوبة» لِـ«غفران خطاياهم». ولكن ثمة نقاط أساسيّة خطيرة تثور في هذا الصّدد، وهي:

١ ـ لقد قال يوحنا، حسب النص المذكور، أنّ من سيجيء بعده، **لن يُعمّد الناس بالماء**، بل بالرُّوح القدس، وبالنار! ونترك تفسير التعميد بالأخيرَيْن إلى الكنيسة نفسها، فهو تفسيرٌ لن يكون سهلاً أبداً!

ولكن هذه المقولة الصريحة المنسوبة إلى يوحنا المعمدان، والمثبتة في العهد الجديد، تُلقي ظلالاً كثيفة من الشّك على المعمودية المسيحية التي يقوم بها المسيحون، والتي رغم ما فيها من اختلافات طقسية وعقائدية كبيرة بين الطوائف المسيحية المختلفة، فإنها تلتقي في نقطة واحدة، وهي التعميد بالماء، ولا غير الماء، قل أو كثر!

هذا، وتَنسِبُ الدّيانةُ الصابئيّة المِندائية ـ وتدعى هذه الطائفة في العراق «الصُّبّة» ـ نفسها إلى النبيّ يحيى، ويلعب الإغتسال بالماء فيها دوراً عبادياً أساسيّاً، من خلال الغطس في الماء الجاري، لغرض التّطهُّر.

إنّ التعميد المسيحي، بالماء، استناداً إلى هذا النصّ، يبدو من غير أساس، وأنه مختلق. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإننا لا نصدّق أن نبياً لله، وهو يحيى (ع)، يقول عن عيسى (ع) بأنه يعمد الناس بالروح القدس (الله ـ الروح القدس!)، أو بالنار.



٢ ـ يقول المسيحيون عن التعميد، أو المعمودية، إنه غسل من الخطايا، وتطهّر من الذنوب، لكنهم يقولون في الوقت نفسه إنّ المسيح قد وُلد بلا خطيّة ولا ذنبٍ، فما حاجته، وهو الإله في زعمهم، إلى أن يتطهر من تلك الخطايا والذنوب؟

٣ ـ وثمة نقطة أخرى خطيرة تطوّح بعقيدة المعمودية المسيحية، وتجعلنا لا نشكّ في أنها عقيدة مبتدعة لا أساس لها على الإطلاق في المسيحية، وأنّها ما أُضيفت إلاّ للتغطية على موضوع إلغاء الختان، حيث قد أشارت النصوص المسيحية إلى أنّ المعمودية قد حلت محل الختان، فألغتاه.

وهكذا فلقد حاول آباء الكنيسة جُهدهم كلّه للتغطية على أمر العهد الإلهيّ بالختان والأمر المُغلَظ به. فهُم زعموا بأنّ «الختان الجسديّ» قد أُلغي وحلّ محلّه «الختـانُ الروحيّ» من خلال الإيمان بالمسيح إلهاً متجسّداً، وابناً للإله، مخلِّصاً. ثم ما عتموا أن أدركوا أن هذا الإدعاء ليس بكاف وحده لإلغاء الختان، فصاروا إلى إضافة «المعمودية» باعتبارها قد حلت محل الختان!

وآية ما تقول هو ما ذكرناه من أنّ جميع أنبياء الله، ابتداءً من إبراهيم فنازلاً، قد اختُتنوا، وكذلك اختُتن يحيى بن زكريّا الذي وُلد قبل السيّد المسيح بستّة أشهر، في عمر الثمانية أيام، وأخيراً وليس آخراً فلقد اختُتن المسيحُ نفسُه، وبنصّ الأناجيل، في اليوم الثامن من ولادته، أيضاً. جاء في إنجيل **لوقا**:

١:٥٩ وفي اليوم الثّامن حضروا ليَختِنوا الوَلَد [يوحنا المعمدان].

٢:٢١ ولما تمّت ثمانية أيام ليُختن الطفل، سُمّي يسوع.

والسؤالُ الخطير الذي يتبادر إلى الأذهان هو: إذا كان الإله («المسيح») قد قرّر إلغاء الختان الجسدي، واستخدام المعمودية عوضاً عنه، فلِمَ هو عرّض نفسه للختان؟ ولِمَ هو لم يجهرُ بالأمرِ حتى يقلِّدَه متابعوه فيما يقولُ ويفعل، وترك الأمر إلى بولس وصحبه؟ إنّه لشيءٌ عُجابٌ يصعُب تصديقه.

تقول النصوص المسيحية إنّ يوحنّا المعمّدان قد تعمّد في ماء نهر الأردنّ الجاري، بتغطيس جسده وغمره كلّه بالماء، وإنّ المسيح قد فعل الشيء نفسه.

ويقول قاموس سميث للكتاب المقدس، في مادة عمّد، إنّ معنى المعموديّة الحرفيّ والصحيح هو التغطيسُ، ومن هنا فقد أُطلق على يوحنّا بأنّه «يوحنّا المُغطِّس». كما يقول المرجع الفرنسي المشهور لاروس القرن العشرين، باريس (١٩٢٨): «اعتمد المسيحيون الأوائل بالتغطيس، حيثما وُجد ماءٌ».

وتقول دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة إنّ من الواضح أنّ المعمودية في الكنيسة الباكرة كانت تجري بالتغطيس، ولذلك فإنّ المعموديّة الكاملة التي تطهِّر صاحبها من الذنوب والآثام هي **بالتغطيس الكامل، وأيُّ جزءٍ لم يمسَّهُ الماءُ فإنّ هذا الجزء يبقى مصدر عذابٍ لصاحبه لأنه لم يتطهّر.**

لقد كانت المعمودية تُجرى بطريقة واحدة، وهي من طريق رمس كامل الجسَد بالماء، ولكنْ لم يمضِ زمنٌ عليها حتى صارت ثمّة معموديّاتٌ تُمارس بطُرُق مُغايرةٍ لِما هو موجودٌ في العهد الجديد. كان يوحنا المعمدان يعمد الناس في النهر بأن يغطِّسهم فيه، بكامل الجسد، وجاء عيسى وتلاميذه ففعلوا الشيء نفسه، إذ ليس هناك أية إشارة إلى أنّ التعميد قد حصل في أحواضٍ أو آنيةٍ أو أجرانٍ. ثم صارت الكنيسة إلى إجراء المعموديّة في ما يُعرف بـ«بيوت المعمودية» أو الأجران التي تُقام في بناء كلِّ كنيسة، بدلاً من مياه الأنهر والينابيع الجاريّة، ثم تم الانتقال إلى التعميد الجزئي بالتغطيس الجزئي ثم بمجرد سكب الماء على الرأس أو رشّه بالماء، وهكذا صارت الأحواض تصير أصغر فأصغر.

ونحن نشير إلى هذه التفاصيل في إجراء المعموديّة، نظراً لأهميتها البالغة في المسيحية، فهي أهمُّ طقسٍ مسيحيٍّ على الإطلاق، وهذا بعضُ مما تقوله الكنيسة عنها:

ـ المعموديّةُ هي الباب الوحيد الذي ندخل منه إلى الإيمان بالمسيح، وهي شرطٌ أساسيٌّ للحصول على الخلاص، والمعموديّة هي ختانٌ في العهد الجديد [رسالة بولس إلى كولوسي ٢:١٢].

ـ المعموديّةُ هي عبور من الموت إلى الحياة، والمعمودية بالتغطيس كاشتراك في موت المسيح ودفنه.

ـ إنها عمليةُ موتٍ مع المسيح،ودفنٍ مع المسيح، وهي ولادةٌ ثانية، فالولادة هي خروجُ جسم من جسم، وهي تظهر في المعمودية بخروج جسم الإنسان من جَرْنِ المعمودية.

ـ وتختلف الطوائف المسيحيّة في إجراء المعموديّة اختلافاً عظيماً، رغم أنّ «سرّ المعموديّة» هو أحدُ الأسرار السبعة المقدّسة في الكنيستيْن الكاثوليكية والأرثوذكسيّة، وأحدُ السِّرَّين المقدّسين في البروتستانتيّة.

فالطوائف المسيحية الشرقية (الأرثوذكسية) تعتبر أنّ المعموديّة لا تصح إلاّ بتغطيس الإنسان كاملاً تحت الماء، لأنها تشير إلى أن المتعمّد، بحسب



تقاليدهم، قد دُفن مع المسيح ومات معه. قال بولس في رسالته إلى **أهل رومية:**

٦:٣ أم تجهلون أننا كُلَّ مَن اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته،

٦:٤ فدُفِنّا معه بالمعمودية للموت، حتّى كما أُقيم المسيحُ من الأموات، بمجد الربِّ، هكذا نسلُكُ نحن أيضاً في جدَّة الحياة؟

فالكنيسة الأرثوذكسية تعتبر أنّ المعمودية يُنال بها الخلاص، والتطهير، والتبرير، والتجديد، والميلاد الثاني، و«العضوية» في جسد المسيح ، بينما تعتبر البروتستانتية أن ذلك يُنال بالإيمان.

وأمّا في الكنيسة الكاثوليكية، فلقد تحولت المعمودية من التغطيس الكلّي في الماء الجاري، وبالتدريج، إلى التعميد الجزئي بسكب الماء على الرأس أو الوجه، وهو ما صار مقبولاً في وقت مبكر من تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، وصار هناك مَيلٌ منذ المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥) إلى التعميد بالتغطيس الجزئيّ في الماء، ومعظمُ الكاثوليك الآن يُعمَّدون برشِّ قطراتٍ من الماء على رؤوسهم في طفولتهم، في إشارةٍ إلى «غسل الرّوح القُدُس»، باعتبارها غسلاً من الخطايا.

وأمّا البروتسانتُ فهم يُجرونها بالرَّشّ، وهم لا يؤمنون بمعموديّة الأطفال.

**تضارب الأناجيل في المعمودية**

١ - **إنجيل متّى** - انفرد إنجيل متّى بالقول بالتعميد بالثالوث، وهو ما لم يجئ له ذكر في تعميد يوحنا المعمدان بعد ولادته، ولا حتى المسيح نفسه، كما لم تجئ به الأناجيل الأخرى:

٢٨:١٩ فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم.

وعمدوهم

باسم الآب والإبن والروح القُدُس.

وانفراد إنجيل متى بذكر «الثالوث» عند التعميد يشي بعدم صحة هذه الرواية. ولقد أكد الباحثون أن فقرة «بسم الآب والإبن والرّوح القدس»ليست من النَّصّ الأصليّ، وأنّها إضافةٌ لاحقة. ففي مخطوطة شيم توف لإنجيل متّى، والتي عُثر عليها قبل أعوام، لم يرد أيُّ ذكرٍ للثالوث، على الإطلاق، فهي جاءت هكذا:

٢٨:١٩ إذهبوا وتلمذوا الأُمم وعمِّدوهم باسم المسيح.

كما يقول تفسير العهد الجديد لتيندال، في الجزء الأوّل منه، الصفحة ٢٧٥ «إنّ من المؤكّد أنّ الكلمات (باسم الآب والإبن والروح القدس)

ليست هي النصّ الحرفي لما قاله عيسى، وإنّما هي إضافةٌ لاحقة.

هذا وإن **إنجيل متى** العبري لا يحتوي على عبارة «الثالوث» السالفة، وكذلك هو لا يحوي عبارة «جميع الأمم».

٢ ـ وأما **إنجيل مرقس**، فهو لم يشر إطلاقاً إلى الثالوث، بل هو أورد فقرةً مُغايرةً جدّاً، فقال:

١٥:١٦ وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلِّها.

١٦:١٦ من آمن واعتمد خَلَصَ، ومن لم يؤمن يُدَنْ.

٣ ـ وأمّا **إنجيلُ لوقا**، فهو لم يتطرّق إلى الثالوث إطلاقاً، لا بل إنّ ما يُعتبر فيه إشارةً إلى التعميد قد جاء بالصيغة التي لا تدلُّ عليه، أصلاً:

٤٧:٢٤ وأنْ يُبشَّر باسمه بالتوبة وغفران الخطايا في جميع الأمم انطلاقاً من أورشليم.

٤ ـ والأدهى من ذلك كله أنّ الإنجيل الرابع، إنجيل **يوحنا**، لم يُشِر إلى الثالوث ولا إلى التعميد والمعمودية، على الإطلاق، وأهملَ ذكرهما كلية، وهو أمرٌ له معناه ومغزاه في أصالة المعمودية نفسها، في المسيحية.

وإنّ هذا التضارب والإختلاف المُريع بين الأناجيل الأربعة، بل وفي داخل الإنجيل الواحد نفسه، وإلى ما يصلُ إلى حدِّ التناقض، كما قد رأينا في الإنجيل المنسوب إلى متى، في أمرِ المعمودية التي يعتبرها أهلُ المسيحية المدخل للإيمان المسيحي، والتي تصلُ في أهميتها عندهم إلى أهمية شهادة أن «لا إله إلاّ الله» في الإسلام، لهو ينطقُ ببُطلان هذه العقيدة، وأنّ المسيح (ع) لم يجئ بالمعمودية إطلاقاً، وإنّما هي خصيصةٌ اختّص بها النبيَّ يحيى (ع) وقومه.

وثمة تناقضٌ داخليٌّ آخر خطيرٌ، في إنجيل متى. إذ بينما ينسبُ هذا الإنجيلُ إلى السيد المسيح أمره لتلاميذه أن يَقْصُروا دعوتهم على «خِراف بيت إسرائيل الضالة»، إذا به ينسِبُ له أمرهُ لهم بدعوة وتعميد الأمم جميعاً.

٥:١٠ إلى طريق أُممٍ لا تمضوا،
وإلى مدينةٍ للسامريين لا تدخلوا،

٦:١٠ بل اذهبوا بالحريِّ إلى خِراف بيت إسرائيل الضالة.

١٩:٢٨ فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والرّوح القدس.



# الطعام والشراب في الأديان الثلاثة

ثمّة في الإسلام واليهودية تشابهٌ عظيم في وجود ماهو «حلالٌ» أو «مباح» من الطعام أو الشراب، أو ما هو «حرامٌ»، ولكنّ المسيحية البولسيّة، بالذت قد جعلت كلَّ ما قد يتناولُه الإنسانُ، وعلى الإطلاقِ، مُباحاً، استناداً إلى ما ورد عن بولس في رسائله، كما سيتبيّنُ لنا، وهو أمرٌ غريب. وباختصارٍ شديد، فإنّ موقف الأديان الثلاثة من هذا الموضوع نجده في الجدول التّالي:

١ ـ اليهودية ـ إباحة الحيوانات الطاهرة وتحريم النجسة:

فتميزون بين البهائم الطاهرة والنجسة، وبين الطيور النجسة والطاهرة، فلا تدنسوا نفوسكم بالبهائم والطيور، ولا بكل ما يَدبّ على الأرض مما ميّزته لكم ليكون نجساً.

لاويين ٢٥:٢٠

٢ ـ المسيحية ـ وهي تعاليم بولسيّةٌ بحتة ـ كلُّ الطعام والشراب جائز.

فلا يحكم عليكم أحدٌ في أكلٍ أو شربٍ.

رسالة بولس إلى كولوسي ١٦:٢

٣ ـ الإسلام ـ إحلالُ الطيّبات وتحريمُ الخبائث:

﴿..وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ..﴾

سورة الأعراف:١٥٧

جدولٌ مختصر بالأطعمة والأشربة في الأديان الثلاثة

## أولاً ـ الطعام في اليهودية

مما يستجلبُ الانتباه أنّ التوراة قد أولت عنايةً عظيمة، وخصَّصت جزءاً كبيراً منها، للحديث مفصّلاً، حول الممنوعات والمُباحات من الطعام، وأحكام الطّهارة والنّجاسة. فمن بين أسفار التّوراة الخمسة خصَّصت

السِّفر الثالث منها، وهو سفر اللاّويّين، كلّه، لتبيان أحكام الأضاحي المقدّمة لله، ثم مسّ النجاسات، وذكرت قائمةً مفصَّلةً بالمباحات والمحظورات من الطعام. ثم عادت التّوراة، مجدّداً في السِّفر الخامس منها، وهو سِفر التّثنية، لتعداد ذلك كلّه مرّةً أخرى، في قائمةٍ مفصلة بأسماء لحوم الحيوانات المباح تناولها وغير المباح.

**سفر اللاويين**

خُصِّصَ الإصحاحُ ١١ كلُّه، من سفر اللاويين، للبحث فيما يُسمحُ بأكله وما يُحظرُ منه، في ٤٧ فقرة:

١١:١ كلّم الرّبُ موسى وهارون قائلاً لهما.

١١:٢ كلّما بني إسرائيل قائلين هذه هي الحيواناتُ التي تأكلونها من جميع البهائم التي على الأرض.

وبعد أن يعدّد هذا الإصحاح الحيوانات كلّها (الفقرات ٣ - ١٩)، ومنها الخنزيرُ، بقوله:

١١:٧ والخنزيرُ.. فهو نجس لكم.

يتوعّدُهم باللعنة إن لم يسمعوا له:

١١:٢٨ واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الربّ إلهكم (سفر التثنية).

٢٠:٢٥ فتميّزون بين البهائم الطاهرة والنجسة، وبين الطيور النجسة والطاهرة، فلا تدنّسوا نفوسكم بالبهائم والطيور، ولا بكلّ ما يدبّ على الأرض مما ميّزتُه لكم ليكون نجساً.

وقد خُصّصت الإصحاحاتُ ١ - ٧ من سفر اللاويين للبحث في الأضاحي المقدّمة لله. كما بحث الإصحاحُ السابعُ في أمر الممنوعات من الطعام، وقدّمَ قوائم شاملةً بذلك، ومنها:

٧:٢٢ وكلّم الربُّ موسى قائلاً.

٧:٢٣ كلّمْ بني إسرائيل قائلاً. كلّ شحم ثورٍ أو كبشٍ أو ماعزٍ لا تأكلوا.

٧:٢٤ وأمّا شحمُ الميتة وشحم المفترسة فيُستعمل لكلّ عملٍ لكن أكلاً لا تأكلوه.

٧:٢٦ وكلُّ دمٍ لا تأكلوا في جميع مساكنكم من الطير ومن البهائم.



٧:٢٧ كلُّ نفسٍ تأكلُ شيئاً من الدم تُقطع تلك النفسُ من شعبها[1].

وحذّرت التوراةُ من مقاربة الخمرِ والمُسكر في محلات العبادة أو عند الإعتزال للقيام بنذرٍ ما، بالموت:

١٠:٨ وكلّمَ الربُّ هارون قائلاً:

١٠:٩ خمراً ومسكراً لا تشربُ أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الإجتماع[2] لكي لا تموتوا. فرضاً دهرياً في أجيالكم.

١٠:١٠ وللتمييز بين المقدّس والمحلّل وبين النجس والطاهر،

١٠:١١ ولتعليم بني إسرائيل جميع الفرائض التي كلمهم الرب بها بيد موسى..

كما خُصّص الإصحاح ٥ كلُّه، من سفر اللاّويين، للبحث في أمور الطهارة والنجاسة، واعتبر من يمسّ النجس من جثة لوحش أو بهيمة أو دبيب نجسٍ نجساً ومذنباً.

**سِفر التثنية:**

توّعد سِفرُ التثنية باللعنة لمن لا يسمعُ وصايا الله:

١١:٢٨ واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم.

ولقد سرد هذا السّفرُ مُباحات الطعام ومحرّماته بالتفصيل الدقيق، واللحوم منها بوجهٍ خاصٍّ، ما دَبَّ منها على الأرض، أو طار في الجو، أو عاش في الماء:

١٤:٣ لا تأكل رجساً ما..

١٤:٤ هذه هي البهائمُ التي تأكلونها: البقرُ والضأنُ والمعز.

١٤:٥ والإيل والظبي واليحمور والوعل والرئم والثيتل والمهاة.

١٤:٦ وكلُّ بهيمةٍ تشق ظلفاً وتقسمه ظلفتين وتجترُّ فإياها تأكلون.

---

(١) ويؤكدُ السفر نفسه [١٧:١٠] المقولة ذاتها، فيقول «وكل إنسان من بيت إسرائيل ومن الغرباء النازلين في وسطكم يأكلُ دماً أجعلُ وجهي ضد النفس الآكلة الدّمَ وأقطعُها من شعبها».

(٢) وجاء في سفر العدد [٦:٢ و٣] «إذا اعتزل رجلٌ أو امرأة ليَنْذُرَ نذراً فليبتعد عن الخمر والمُسكر. وفي سفر الأمثال [٢٣:٢٠ «لا تكن من شِرّيبي الخمر، بين المُتلفين أجسادهم». لكنَّ سفر يشوع بن سيراخ [٣١:٣٢] يقول «الخمرُ حياةُ للإنسان، إذا اقتصدت في شربها».

١٤: ٧ إلاّ هذه فلا تأكلوها، مما يجترّ ومما يشقّ الظّلف المنقسم: الجمل والأرنب والوبر، لأنّها مجترّ لكنها لا تشقّ ظلفاً، فهي نجسة لكم.

١٤: ٨ والخنزير، لأنه يشقّ الظلف لكنّه لا يجترّ فهو نجسٌ لكم. فمن لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا.

١٤: ٩ وهذا تأكلونه من كل ما في المياه: كلُّ ما لَهُ زعانفُ وحرشفٌ تأكلونه.

١٤: ١٠ لكن ما ليس له زعانف وحراشف لاتأكلوهُ. إنه نجسٌ لكم.

١٤: ١١ كلُّ طيرٍ طاهرٍ تأكلون.

١٤: ١٢ وهذا ما لا تأكلون منه: النسر والأنوق والعقاب.

١٤: ١٣ والحدأة والباشق والشاهين على أجناسه.

١٤: ١٤ وكل غراب على أجناسه.

١٤: ١٥ والنعامة والظليم والسأف والباز على أجناسه.

١٤: ١٦ والبوم والكركي والبجع.

١٤: ١٧ والقوق والرخم والغواص.

١٤: ١٨ واللقلق والببغاء على أجناسه، والهدهد والخفاش.

١٤: ١٩ وكل دبيب الطير نجسٌ لكم. لا يُؤكل.

١٤: ٢٠ كل طيرٍ طاهرٍ تأكلون.

١٤: ٢١ لا تأكلوا جثّة ما [الميتة].

١٥: ٢٣ وأمّا دمه [دم الذبيحة] فلا تأكله. على الأرض تسفكُه كالماء.

### ثانياً ـ الطعام في المسيحية

قلنا إنّ التفسيرات المسيحية التقليدية تُجمع على أنه لم يَعُد ثمة من داعٍ لوجود أطعمةٍ محلّلةٍ «طاهرة» أو أخرى محرّمة «نجسةٍ»، لأنّ كل شعوب العالم ـ حسب التعبير المسيحي ذاته ـ أصبحت طاهرة من خلال الإيمان بالمسيح إلهاً وابناً للإله. ونلاحظُ هنا أنّ المسيحية لا تستخدمُ كلمتي «الحلال» و«الحرام» عند كلامها على الأطعمة، بل هي تستخدمُ كلمتي «الطاهرة» و«النجسة»، وكأنّ الأمر يتعلق بطهارتها أو نجاستهاوحده، لا



بأنها حلال أو حرام، ولا بيان أنها «طيبةٌ» أو «خبيثة»، مفيدةٌ أو ضارة، وفي ذلك تضليلٌ للمرء وصرفٌ لنظره عن منعِ الشريعة أو إباحتها للشيء. وكذلك قال المسيحيون بأن للحيوانات المختلفة صفات رمزية وبأنه لم يعد أحد في حاجة إلى تلك الصفات.

اعتمدت المسيحيةُ البولسية في تحليل ما حرّمته التوراةُ، بل وتحليل تناول أيِّ شيءٍ على الإطلاق، على دليلين اثنين، يتعلّق أوّلهما بالمسيح، وثانيهما ببطرس (سِمعان).

**الدليل الأول:** وقد نصَّ عليه إنجيل متى. لقد جاء كتبةٌ وفريسيون إلى المسيح قائلين: لماذا يتعدّى تلاميذك تقليد الشيوخ، إذ هم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون الخبز، فأجابهم: «فإنكم لا تُكرمونهم بل تقولون ما نكرم به والدينا قد جعلناه قُرباناً لله عوضاً عن ذلك، فقد أبطلتُم وصيّةَ الله بسبب تقليدكم. إسمعوا وافهموا، ليس ما يدخلُ الفمَ ينجّس الإنسان بل ما يخرجُ منه». يقول القسّ أنطونيوس فكري، في تفسير ذلك:

> إنّ الفريسيين وكلَّ اليهود إن لم يغسلوا أيديهم باعتناءٍ لا يأكلون، متمسّكين بتقليد الشيوخ. ومن السوق إن لم يغتسلوا لا يأكلون، وأشياء أخرى كثيرة تسلّموها للتمسُّك بها من غسل كؤوسٍ وأباريق وآنيةِ نحاسٍ وأسرة. ثم سأله الفريسيون والكتبة لماذا لا يسلك تلاميذك حسبَ تقليد الشيوخ بل يأكلون خبزاً بأيدٍ غير مغسولة. فأجاب وقال لهم باطلاً يعبدونني وهم يعلّمون تعاليم هي وصايا الناس لأنكم تركتُمْ وصيةَ الله وتتمسكون بتقليد الناس غسلَ الأباريق والكؤوس وأموراً أخرى كثيرةٍ مثل هذه تفعلون. إسمعوا مني كلكم وافهموا «ليس شيءٌ من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجّسه لكنّ الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجّس الإنسان». انتهز السيدُ [المسيح] فرصة سؤال الكتبة والفريسين عن عدم غسل التلاميذ أيديهم حينما يأكلون خبزاً، ليوبخ اليهود على عبادتهم الزائفة إستناداً إلى سُنَنٍ باطلةٍ، وكان السيد يريد هنا التركيز على الطهارة الداخلية وليس الخارجية. ولقد تعوّد اليهود على غسل كل ما تمتد إليه أيديهم كما يشرح معلمنا مرقس حتى لا يكون ما يمسكون به دنساً (في نظرهم أن الشيء يتدنس مثلاً لو

لمسه أممي وثني). وغسلُ الأيادي والأباريق هي عادة من التقليد وليس من الناموس، وقد وضعها الفريسيون زيادة على أمر الناموس. وهذا التقليد تمسك به اليهودُ جداً، حتى أنّ الرابي [الحاخام] أكيبا إذ سُجن ولم يكن له أن يحصل إلاّ على قليل من الماء لا يكفي غسل يديه فضَّلَ الموت جوعاً وعطشاً من أن يأكل دون أن يغسل يديه. ويُسمّون الأيدي غير المغسولة أيدي دنسة [مرقص ٢:٧]. لقد تركت الأمُة اليهودية عبادة الله بالقلب والحقّ وأهملت الوصايا الأساسية، ودققت واهتمت بالتقاليد البشرية المسلمة من الشيوخ كغسيل الأيدي والأباريق. كانت الغسلات للأدوات تتم بالغمر في الماء وللأسرة بالرش. والغسلُ ليس للناحية الصحية بل لإزالة النجاسة الطقسية. لذلك كان اليهود يستعملون كميات كبيرة من الماء.

جاء في إنجيل **متى:**

١:١٥ حينئذٍ جاء إلى يسوع كتبة وفريسيون الذين من أورشليم قائلين:

٢:١٥ «لماذا يتعدّى تلاميذُك تقليد الشيوخ، فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزاً؟».

٣:١٥ فأجاب وقال لهم: «وأنتم أيضاً، لماذا تتعدّون وصيةَ الله بسبب تقليدكم؟

٤:١٥ فإنَّ الله أوصى قائلاً: أكرِم أباك وأمك، ومن يشتم أباً أو أمّاً فليمت موتاً.

٥:١٥ وأمّا أنتم فتقولون: من قال لأبيه أو أمه: قربانٌ هو الذي تنتفع به مني. فلا يُكرِمُ أباه أو أمه.

٦:١٥ فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم!»

١٠:١٥ ثم دعا الجمع وقال لهم: «اسمعوا وافهموا.

١١:١٥ ليس ما يدخل الفمَ ينجّسُ الإنسان، بل ما يخرجُ من الفم هذا ينجّسُ الإنسان.

١٧:١٥ ألا تفهمون بَعدُ أنّ كل ما يدخلُ الفم يمضي إلى الجوف ويندفع إلى المخرج؟

١٨:١٥ وأما ما يخرج من الفم فمن القلب يَصدُرُ، وذلك ينجّس



الإنسان؟

١٩:١٥ لأن من القلب تخرج أفكار شريرة: قتلٌ، زنى، فسقٌ، سرقة، شهادة زور، تجديف.

٢٠:١٥ هذه هي التي تنجس الإنسان، وأمّا الأكلُ بأيدٍ غير مغسولةٍ فلا ينجّسُ الإنسان».

يتضح من ذلك أنّ قادة اليهود كانوا يهتمون بغسل الأيدي قبل الطعام، حتى لا يتنجسوا، وهو أمرٌ يرجع إلى التقليد، لا إلى الناموس، وحسب شُروحات الكنيسة ذاتها. لقد **أخذ الفريسيون على تلاميذ المسيح أنّهم لا يغسلون أيديهم قبل الأكل، وهم لم يتعرّضوا لا من قريب ولا من بعيد إلى المحرّمات من الطعام،** لأنّ التلاميذ كانوا يهوداً خاضعين للشريعة عاملين بها، ولكنّ غسل اليدين لم يكن من الشريعة في شيءٍ، بل هو تقليدٌ لسلوكِ شيوخ اليهودية.

ويتبينُ من هذا النصِّ المنسوبِ للمسيح أنه لا يتعلّقُ بتحليل ما حرّمته الشريعةُ من طعام، بل هو بصدد توضيح حكم عدم غسل اليدين قبل الأكل، وبأنّ الطهارة المادية لا تُغني وحدها عن الطهارة الروحية، وهي استعارةٌ تمثيليةٌ بارعة من السيد المسيح في أنّ ما كان ينقص أولئك القوم هو الطهارة الروحية. لكنّ المسيحية البولسية قدجعلت مما نُسب للسيد المسيح «ليس ما يدخل الفم ينجّس الإنسان»، أنه يُشيرُ إلى تحليل كل ما يمكن أن يتناوله الإنسانُ من طعام وشراب، فليس ثمة داعٍ للقول بأطعمة محلّلةٍ وأخرى محرمةٍ، ما دام الكل قد أصبحوا طاهرين بإيمانهم بالمسيح إلهاً وابن إلهٍ. وهذا الزعمُ لو كان صحيحاً، أي الزعمُ بأنّ المسيح قد حلل تناول أيّ طعامٍ، وإذاً لكان من باب أولى أن يعترض اليهودُ، والفريسيون منهم على وجه الخصوص، اعتراضاً شديداً، لأنه تطويحٌ بالناموس اليهوديّ التوراتيِّ مفضوحٌ ، مما لا يمكن أن يتقبله أيّ يهودي، ولكنّ القوم لم يعترضوا بين يدي المسيح على أمر جَلَلٍ كذاك، ولكنّ اعتراضهم انصبّ على شيءٍ ليس هو من الناموس (الشريعة) في شيءٍ، بل هو انصب على تقليد غسل الأيادي بعد الأكل.

**الدليل الثاني:** ودليل المسيحية البولسية الثاني في تحليل كل ما حرّمته

التوراةُ من طعام وشراب، طرّاً، هو ما نسبه «**أعمال الرسل**» إلى بطرس (سمعان)، من رؤيا غريبة رآها، وقد ذكر هذا السفرُ هذه الرؤيا المزعومة في موضعين اثنين منه، وهذا أولهما:

١١:٤ فشرح لهم بطرسُ ما حدث على التوالي، قال:

١١:٥ «كنت أصلّي في مدينة يافا، فوقعت عليَّ غيبوبةٌ،

فرأيت في رؤيا

وعاءً يُشبه قطعةً كبيرة من القماش مربوطةٍ بأطرافها الأربعة،

وقد تدلى إلي من السماء.

١١:٦ وعندما تأملته ملياً وجدتُ فيه أنواع الحيوانات الدّابة على الأرض والوحوش والزواحف وطيور السماء جميعاً،

١١:٧ وسمعتُ صوتاً يقول لي: يا بطرس،

**قُمْ اذبح** [اقتُلْ، في النسخ الإنكليزية] **وكُلْ!** Rise, Peter, Kill and eat

١١:٨ **فأجبتُ: كلا يا ربّ** [تفسير مسيحي: ليس هذا اعتراضاً على الله بل تعجباً، لأنه يخالف الشريعة الموسوية التي تقسم الحيوانات إلى طاهرة وغير طاهرة، وتأمر بعدم أكل الأخيرة، أمّا في العهد الجديد فكل شيء طاهر للطاهرين].

**فلم يدخل فمي قطُّ شيء مُحرّمٌ أو نَجِسٌ.**

١١:٩ فقال لي الصوتُ السماوي أيضاً:

ما طهّرَهُ الله لا تَحسَبْهُ أنت نَجِساً [تفسير مسيحي: هذا تأكيدٌ بأنّ كل الحيواناتِ طاهرةٌ لأنها خليقةُ الله وبالأحرى كلُّ البشر. إنّ الله قد طهّر العالم كله، ولم يَعُد هناك أكلٌ نجس].

١١:١٠ ثم سُحب الوعاءُ بما فيه إلى السماء.

ويعلّقُ القديس إكليمنضس السكندري على ذلك بالقول: «ليس هناك اعتبارٌ لما نستخدمه من هذه الأشياء (الأطعمة)، إذ تتساوى كلها «لأنه ليس ما يدخل الفم ينجّسُ الإنسان..»

ويقول القمص تادرس يعقوب ملطي في تفسيره:

طُلب من القدّيس بطرس أن يذبح ويأكل دون تمييز بين طاهرٍ ونجسٍ في



نظر الناموس، إذ يصير الكلُّ شركاءَ في المسيح في الصليب، يشتهون أن يُذبحوا معه [وما العلاقةُ بين ذبحك للحيوان، يومياً، تأكلُه، وبين «ذبح» المسيح على الصليب؟].

ويقول ماثيو هنري Matthew Henry، في تعليقه على هذه الفقرات (ترجمة المؤلف عن الإنكليزية):

لقد أعلَمَ الله، في نداء ثانٍ من السماء، إبطال الشريعة The Law في هذه الحالة.«ما طهّره الله لا تحسبه أنت نجساً». والذي صنع الشريعة قد يبدلها مثلما يروق له، ويُعيد الأمر إلى ما كان عليه. لقد منع الله اليهود، لأسباب تتعلق بالعهد القديم، من أكل كذا وكذا من اللحوم، ما دام ذلك الأمر سارياً، وكان اليهود مجبرين في ضمائرهم على أن يخضعوا له، ولكن لأسبابٍ تتعلقُ بإعفاءٍ مع العهد الجديد، قد سُحب ذلك المنع، وصار الناس أحراراً في ذلك ـ لقد طهُر ما كان دنُس من قبلُ.

**الكتاب المقدس يناقض نفسه: بطرس «رسول المسيح» يناقضُ المسيح**

يتبيّن مما سبق:

١ ـ إنّ المسيحيين يعتبرون ما نُسب إلى السيّد المسيح (ع) في إنجيل متّى [١٥:١١] «ليس ما يدخل الفم يُنجّس الإنسان»، قد دلّ على أنّ كلَّ الأطعمة والأشربة هي «طاهرة»، لا بل هي صارت طاهرةً بالإيمان بالمسيح إلهاً، وأن ليس ثمّة من ممنوعٍ في طعامٍ أو شراب، فكلُّ شيءٍ مباحٌ وامرئٌ وما آختار.

٢ ـ ينسب سِفرُ «أعمال الرُسل»، في موضعين منه، إلى بطرس، «رسول المسيح» الأوّل، وأقرب أصحابه إليه، ورأس الكنيسة بعد المسيح الذي عيّنه المسيحُ مسؤولاً عن «الحَلّ والعَقد»، ينسِبُ إليه رؤيا يأمُرُهُ الله فيها بقوله «قم اذبح وكُل»، وإذ يُجيبُ: «كلاّ يا ربُّ! فلم يدخل فمي قطُّ شيءٌ محرّمٌ أو نجسٌ»، يجيبُه الصّوتُ السّماويُّ الإلهي: «ما طهّره الله لا تحسبه أنت نَجِساً!، ثلاث مرّاتٍ.

حَسَنٌ! يريدأصحاب المسيحية أن يقولوا بأنّ كلا المقولتين تقولان بالشيء نفسه، وهو أنّ كل طعام وشراب هو مسموحٌ وكيفما شاء الإنسان.

ولكنّ شيئاً من إمعان النظر في هاتين المقولتين يكشف لنا أمراً عجباً!

يقول الله، في زعمهم: «قُمْ اذبح وكُلْ!».

فيعجبُ بطرسُ «الرسولُ» أشدَّ العجبِ، بل هو يستنكرُ ذلك، قائلاً: كلاّ يا ربُّ! فلم يدخل فمي قطُّ شيءٌ محرّمٌ أو نجسٌ»! كيف وأنّ الله يدعوه، من خلال تلك المُلاءة التي لم تخلُ من الحيوانات جميعاً، إلى أن يذبح ويأكل من أنواعها ما يشاءُ».

ولكنّ الصوت السماوي يُعاجله بالجواب القاطع الذي يمحو كل شَوبٍ من ريبٍ في نفسه، ويكرّرُ ثلاث مرّات: «ما طهّرهُ الله لا تحسبه أنت نجساً!».

لا يدل تعجبُ بطرس واستنكاره للأمر «الإلهي» إلاّ على عدم مقبوليته له، وأنه شيء جديد عليه مغاير لما قد عرفه من قبل.

ولكن! أفإن كان السيدُ المسيح قد أفتى بحِلِّيةِ أيِّ شيءٍ يدخلُ جوف الإنسان من طعام أو شراب، فلِمَ هو استغرابُ بُطرس الشّديد هذا، وهو المؤتمنُ الأوّلُ على الكنيسة، وصاحبُ الحَلّ والعَقد فيها؟

إنّ استغراب بطرُس الشّديد وعجبَهُ لا يدلُّ إلاّ على أنّ ما قيل عنه بأنّه صوتُ الله يأمره بأمرٍ جديد، هو على عكس ما كان عليه بطرس من حال، كيف وأنه ليجابه الله قائلاً: «كلا يا رب! فلم يدخل فمي قط شيء محرم أو نجس»، وتلك المُلاءة التي حوت كل حيوان لهي تحتوي، ضمن ما تحتوي، على قائمة طويلة من محرّمات الشريعة التوراتية.

ونخرج من ذلك باستنتاج أكيد مفاده أنّ اليهود المتنصرين، وحتى ساعة تلك الرؤيا، قد ظلوا متبعين شريعة تقول بالحلال والحرام، أو الطاهر والنجس - بالتعبير اليهودي والمسيحي - في الطعام والشراب.

وذلك كله يعني أنّ تفسير ما نُسب إلى السيد المسيح من قولٍ: «ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان» لم يعنِ به، بتاتاً، القولَ بحلّية كلِّ طعام وشراب، وأنّ الطعام والشراب، عند أولئك المتنصرين، كان ينقسم إلى ما هو محرّم أو نجس، وآخر محلل أو طاهر.

وذلك يعني، أيضاً، ضمن ما يعني، أنّ دعوى تحليل كل ما يتناوله المرء من طعام أو شراب لم يجئ على لسان المسيح، ولا عرفه المسيحيون على



عهده، وإنما هو أمرٌ استُحدث استحداثاً بعد رفعه. وإنّ من المستبعد جداً أن يقسم المسيحُ الطعام والشراب إلى محظور أو مباح، ثم سرعان ما يجيء خليفتُه على كنيسته (كما هو الوصف الذي يُطلق على بطرس)، بعد سنين قلائل، حتى يستلم وحياً إلهياً [من المسيح نفسه!] بعكس ذلك كله.

ولكنّ بطرُسَ، وهو من هو، بَيْنَ تلاميذ السيّد المسيح (ع) وحواريّيه، لا يُتصوّرُ بحالٍ - وهو قد قال، حسب النص السابق، بأنه لم يسبق له أن وضع في فمه شيئاً محرّماً أو نجساً، قطُّ - أن يعود ليكذب في شيء كهذا. وتذكرُ المصادر التاريخية أنّ بطرس قد تُوفي قتلاً عام ٦٤ للميلاد، أي قبل تاريخ كتابة «أعمال الرسل» الذي نَسَبَ إليه ما نسبه، إذ إنه لم يكن موجوداً ليردُ على هذه الأقوال المنسوبة إليه، والتي تُشير الدلائلُ إلى عدم صدورها عنه فعلاً.

ولئن حرّمت التوراةُ، وبأشدِّ العبارات، تناول لحم الخنزير، واعتبرت حتى مسَّ الإنسان له منجّساً، وكرّرت ذلك، وكذلك القرآنُ الكريم، فإنّ المسيحيّة قد أباحتها، مثلما أباحت تناول أيِّ شيءٍ آخر.

ولطالما صرّح بولسُ في رسائله أن ليس ثمّة ما يدخل فم الإنسان ما يمكن أن يكون محظوراً، وعلى الإطلاق، وهذا هو مذهب المسيحية السائد الآن.

ولكن مهلاً، فهذا مجمع أورشليم الذي حضره «الرّسل» والشيوخ، إذ رأى رفض الناس للتطويح بالناموس التوراتي، قد أرسل قراره إلى أهل أنطاكية مع بولس وبرنابا، استرضاءً لهم، بأنه لا يزالُ ثمة التزامٌ بوصايا التوراة، فذكر من الممنوعات من الطعام الذبائح المقدّمة للأوثان، وتناول الدم، ولحوم الحيوانات المخنوقة، حتى لا يدور في بالهم أنّ الديانة الجديدة قد ضربت عرض الحائط بكلٍّ وصايا الله وأحكامه وفرائضه. وجاء قرارُ مجمع أورشليم هذا في «**أعمال الرسل**»:

١٥: ٢٣ «من الرسل والشيوخ والإخوة، إلى الإخوة المؤمنين من غير اليهود في مقاطعات أنطاكية وسوريّة وكيليكيّة: سلام!

١٥: ٢٤ عَلِمنا أنّ بعض الأشخاص ذهبوا من عندنا إليكم، - دون تفويضٍ منا - فأثاروا بكلامهم الاضطراب بينكم وأقلقوا أفكاركم.

٢٨:١٥ فقد رأى الرّوحُ القدُسُ ونحنُ،
أن لا نحمّلكم أيَّ عبءٍ فوق ما يتوجّبُ عليكم.

٢٩:١٥ إنما عليكم أن تمتنعوا عن الأكلِ من الذبائح المقرّبة للأصنام،
وعن تناول الدّم
ولحوم الحيوانات المخنوقة،
وعن ارتكاب الزّنى

وأمّا بولس، فمن خلال كلماتٍ له شهيرةٍ، مثل «كلُّ الأشياء طاهرةٌ» [رومية ١٢:٢٠]، و«فلا يحكم عليكم أحدٌ في أكلٍ أو شُرب» [كولوسي ١٦:٢]، فهو لم يطوِّح بأحكام التوراة وحدها، وإنما حتى بقرار مجمّع أورشليم المتواضع جدّاً، والذي اتفق عليه «رسل المسيح».

وكنتيجة لذلك، فإنّ المسيحيين في أقطار الأرض، لا يعتبرون ما جاء في قرار مجمع أورشليم هذا شيئاً مذكوراً، وقد لا يكونُ أكثرهم سمع به، كيف وأنّ مقولات بولس وتحريفاته صارت هي الطاغية، وصار الحبلُ مرخيّاً على الآخر، في كلِّ ما يريد امرئٌ أن يُدخلَهُ جوفه؟

### ثالثاً ـ الطعام والشراب في الإسلام

(أ) **تحليل الطيبات:** لقد تكرّر في كتاب الله كثيراً ذِكرُ أنّ العلّة في تحليل الطعام إنما هو لطيبه، وأن تحريمه لخبثه، وأنّ الله تعالى لا يريد لنا إلاّ الطيبات:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ..﴾ [المائدة:٤].
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ..﴾ [المؤمنون:٥١].
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ..﴾ [البقرة:١٧٢].

فما قد أحلَّ الله تعالى إلاّ الطيبات، وحدها.
وما قد حرّم إلاّ ما هو خبيثٌ مُؤذٍ.
وما كلُّ شيءٍ في هذه الحياة، بِطَيِّبٍ، ولا كلُّ شيءٍ منها هو غيرُ خبيثٍ،
وهذه هي سُنَّةُ الحياة.

(ب) **تحريم الخبائث:**

﴿.. وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ..﴾ [الأعراف:١٥٧].



﴿قُلْ لاَ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ..﴾ [المائدة:١٠٠].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة:١٦٨].

**الحلال من اللحوم:**

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ..﴾ [الأنعام:١٤٣].
﴿وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ..﴾ [الأنعام:١٤٤].
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ..﴾ [المائدة:٩٥].
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة:٣].

﴿..فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].
﴿وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ..﴾ [الأنعام:١٢١].
﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨].
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٩٠].
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧].

### رابعاً ـ طعام وشراب أهل الكتاب في كتاب الله

(أ) **وضع اليهود قبل التوراة:**

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

لم يكنْ، قبل نزول التوراة على موسى (ع)، ثمة نصٌّ مكتوبٌ بالمحرّمات من الطعام، ولكنّ اليهود كانوا يتابعونه ويقلدونه فيما حرّم على نفسه من طعامٍ، ولا يعني النصُّ القرآني أن لم يكن ثمة محرماتٌ من الطعام، بل أننا نفهمُ من ذلك أنها كانت شريعةً شفوية للنبي يعقوب (إسرائيل). ويُعتقَدُ أنّ يعقوب (ع) عاش في القرن ١٩ق.م.، وموسى (ع) في القرن ١٣ق.م، تقريباً.

**(ب) وضعُ اليهود بعد نزول التوراة:**

**﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً﴾** [النساء: ١٦٠].

بيّن المولى سبحانه لليهود المحرَّمات من الطعام عليهم. والله تعالى لا يُحِلُّ لنا إلاّ الطيّبات ولا يحرّم علينا إلاّ الخبائث، فطيبُ الطعام أو خبثُه هو الذي يحدّد حِلّه من حُرْمَتِهِ **﴿..وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ..﴾** [الأعراف: ١٥٧]. لكنّ الله تعالى حرّم على اليهود بعض الطيبات بسبب ظلمهم وصدِّهم عن سبيل الله كثيراً.

**(ج) وضعُهم بعد مجيء المسيح (ع):**

لقد أنبأنا المولى سبحانه عن تنزيله الإنجيل على عيسى (ع)، كتنزيله التوراة على موسى (ع)، ولكنّ ذلك الإنجيل قد اختفى اختفاءاً تامّاً، ولم يَعُد له من وجود، ولا يكادُ حتى يُذكَرُ في الكتابات المسيحية. كما أنبأنا المولى أنّه قد أرسل المسيح (ع) مُصدِّقاً لما بين يديه من التوراة ومُحِلاً لليهود بعض ما حُرِّم عليهم، بأمر الله تعالى:

**﴿وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ..﴾** [آل عمران: ٥٠].

فالمسيح (ع) لم يجئ إلا بما جاءت به التوراة، وكلُّ رُسلِ الله ما كانت رسالتهُم من الله الواحد إلاّ واحدةً، لكنه قد أحلَّ على يديه بعض ما كان قد حرّم على اليهود بسبب ظلمهم.

**﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾** [الأنعام: ١٤٦].



## ذبحُ الحيوان والذابحُ ـ شروطٌ لا بُدّ من توفّرها في الإسلام واليهودية

### الخنزير والدم في الديانات الثلاث

مثلما أغلظ كتابُ الله في تحريم تناول أيِّ جزءٍ من ذبيحة الخنزير، فلقد جاءت التوراةُ بالشيء نفسه. ومثلما تكرّر في كتابِ الله تحريمُ تناولِ دماء الحيوانات، فكذلك قالت التوراة، إذ هي حرّمته أيضاً تحريماً مُغلظاً.

ومثلما أنْ لا بُدَّ من التذكية، أو «الذبح الحلال»، في الإسلام، أي ذبح الحيوان بطريقة شرعيةٍ مخصوصة، فلا بُدّ من الشيء نفسِه في اليهودية، ويُدعى في الأخيرة «الكوشر» Kosher.

لكنَّ المسيحية تخلو من ذلك كلِّه، حتى أننا لا نزالُ نجدُ في كلامهم على الحيوانات التي تُذبحُ وتُؤكلُ لحومُها، تعبير «قتل الحيوان» Killing the animal، وليس ذبحُه slaughter. ففي المسيحية لا يُبالي المرءُ كيف انتهى الحيوان، أكانَ ذلك ذبحاً، أم قتلاً، أم ضرباً على أُمِّ رأسه، أم كهربةً له وموتاً من قبل ذبحه. إنّ الذبح في المسيحية اعتباطيٌّ، وليس ثمة من قواعد محدّدةٍ لإنهاء حياة الحيوان أو ذبحه، وهو لا يُلبّي شروط الذّبح اليهودية والإسلامية.

وشروطُ الذبح لا تتعلّقُ بالحيوان وحده، بل ثمة شروطٌ ضروريةٌ يتوجّبُ توافُرها في الذابح، وفي توجيه الذبيحة عند المسلمين إلى القِبلة، إضافةً إلى شرطٍ مهمٍّ جداً، وهو ذِكرُ اسم الله تعالى على الذبيحة، وهذه كلّها لا وجود لها في المسيحية، إذ ليس بينك وبين أكل لحم الحيوان إلاّ قتلُه.

### الـدّم

وبينما يهتمُّ المسلمون واليهود بتجنب تناول الدم، وحتى البقايا القليلة منه في لحوم الذبيحة، من خلال التأكّد من تفريغ الذبيحة كليّاً من الدم من طريق ذبحها بالطريقة الشرعية المعروفة، فإنّ المسيحيين لا يجدون أيَ غضاضةٍ، حتى اليوم، في تناول اللحوم التي لم يُصَرْ إلى التأكد من تفريغها مما فيها من الدم. لا بل ماذا أقول؟ إنهم لا يجدون أيّ غضاضة في تناول دماء الحيوانات ـ أي لوحدها، ومن غير لحم ـ باعتبارها نوعاً من أنواع الأطعمة، وهم يتفنّنون في استهلاكها.

فقد يُؤكلُ دَمُ الحيوان الصِّرف على شكل سَجَق «مَقانق» blood sausage مصنوعة من الدم، أو أن الدّم يُستخدمُ من أجل تثخين الصَّلصات (المَرَق) sauces، أو على شكل مُمَلَّح cured salted form، أو في حساءِ الدّم blood soup، أو على شكل فطائر مُحلاّةٍ pancakes، أو يخنَة (وهي الدّم المطهيّ بالغلي البطيء) stews، أو أنّ الدّم يُصارُ إلى تصليبه solidified، إمّا بالسماح له بالتخثّر قبل استخدامه، أو بطبخه لتسريع هذه العملية، وقد يُؤخذُ الدّمُ من الخنزير المذبوح فيُقلى مع البصل ويُقدَّم كفطور. كما أنّ الدم قد يُستهلكُ كمادّةٍ خام من دون أيِّ تحضيرٍ إضافي، أو قد تقوم مصانعُ الأغذية باستخدام الدم لتصنيع منتجاتٍ غذائية أخرى كالحلوى وغيرها. إذهب إلى موقع «ويكيبيديا» مثلاً، وابحث في موضوع استخدام الدم كغذاءٍ، عند هؤلاء وغيرهم، تَرَ العجَب العُجاب من سعة انتشار تناول الدم، في الغرب المسيحيّ، كغذاء.

**اليهود: تحريمٌ مغلظٌ، ونفورٌ من تناول الدماء، عظيمٌ**

ونفورُ اليهود من تناول الدم عظيمٌ، وتؤكد التوراة على غلاظة تحريم تناولها، فسِفرُ اللاويين Leviticus يربطُ الدم بالحياة، ولكنّ طقس الكفّارة Atonement المسيحيّ، أي آلام المسيح عند صلبه المزعوم تكفيراً عن خطايا البشر، والتضحية به من أجل ذلك، لهو أشبَهُ، حسبما تقول المصادر المسيحية، بالتضحية بالحيوان. ويجعلُ سفر **التثنية** Deuteronomy الأمر واضحاً: إنّ الدم هو الحياة نفسُها، لا تتناوله! وإذا ما نظرنا إلى سِفر اللاويين هذا مرّةً ثانية لاستجلبت انتباهنا الألفاظ المتكرّرةُ فيه: كفّارة، أرواح، دم، وحياة:

١٠:١٧ وكلُّ إنسانٍ من بيت إسرائيل ومن الغرباء النازلين في وسطكم يأكلُ دماً، أجعلُ وجهي ضد النفس الآكلة الدم وأقطعها من شعبها،

١١:١٧ لأنّ نفسَ الجسد هي في الدم..

١٢:١٧ لا تأكل نفسٌ منكم دماً، ولا يأكلْ الغريبُ النازل في وسطكم دماً.

٢٣:١٢ لكن احترز أن لا تأكل الدم، لأن الدم هو النفسُ، فلا تأكل



النفس مع اللحم.

٢٤:١٢ لا تأكله، على الأرض تسفكه كالماء.

هذا بينما تعتقدُ الكنائس الكاثوليكية، وكذلك الكنائس الأرثوذكسية الشرقية Eastern Orthodox، والأرثوذكسية في بلاد المشرق Oriental Orthodox، واللوثرية، وبعضُ الكنائس الأنغليكانية أنّ المشاركين في طقس القُربان الإلهي (الأفخارستيا) إنّما هم يتناولون، بالمعنى الحرفيّ للكلمة، دم وجسد المسيح.

إنه ليس من المنطقيّ، ولا المعقول، ليهوديّ عاش في القرن الأوّل الميلادي، أن يقترح، حتى ولو بصورةٍ رمزيةٍ وحسب، أن يُشرب دمُه ويُؤكل جسدُه. لقد كان هذا المُحرّمُ شيئاً خطيراً. وكلماتُ «التكريس» Institution التي تُقال أثناء القربان الإلهي، والتي تُعزى إلى المسيح: «هذا جسدي، كُلوا منه؛ وهذا دمي اشربوه!» على أنه قالها في عشائه الأخير Last Supper لهي، حَسَبَ وصفِ موسوعةِ ويكيبيديا (الإنكليزية) شيءٌ عُجابٌ بل ومقلقٌ، لمن يحضرون القُدّاس The Mass الذي يُجرى فيه هذا الطقسُ، خاصّةً وأنّ العشاء الأخير كان احتفالاً بالفصح اليهودي Passover seder.

والأنكى من ذلك كلّه أنّ العهد الجديد قد حرّم تناول الدم، من خلال «أمرٍ رساليّ» Apostolic Decree، جاء ذكرُه في سفر أعمال الرسل [٢٩:١٥].

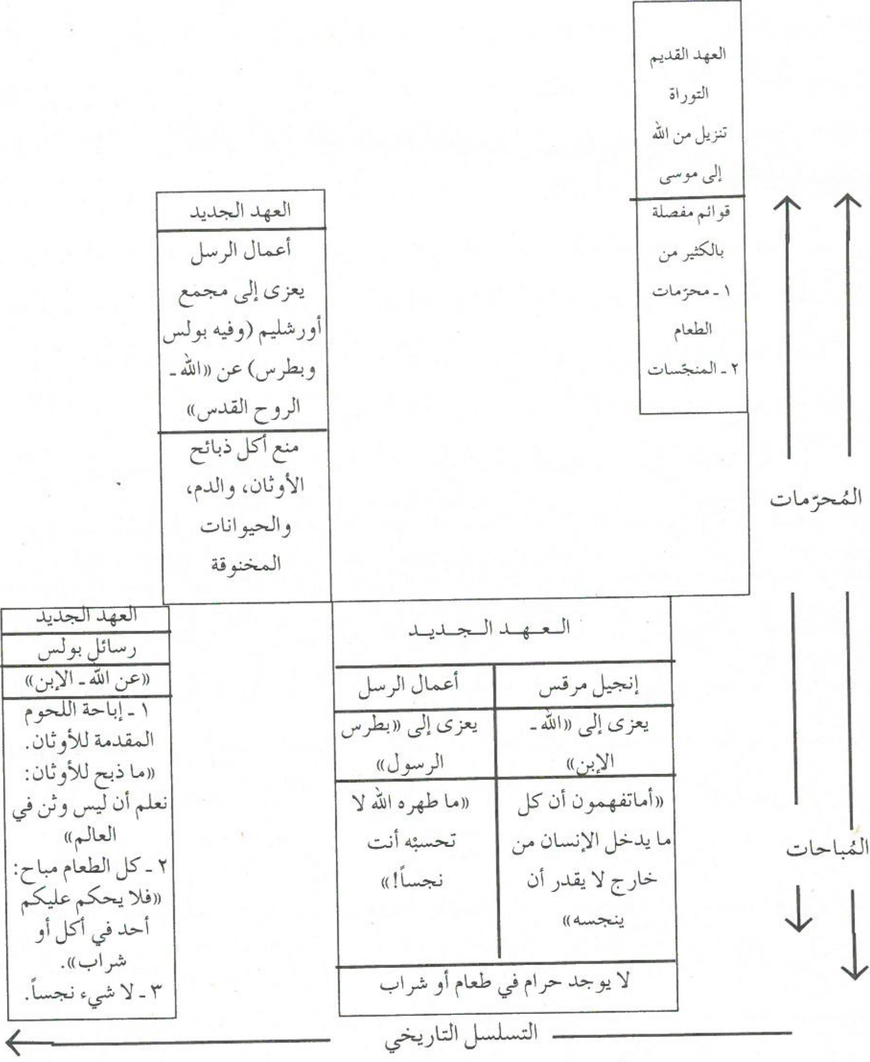
ويزيدُ المتأمل مرارةً وهو يُلاحظ أنّ ذلك الأمر الرّساليّ الذي صدر عن مجمع أورشليم لم يحملهُ إلى أهل أنطاكية إلاّ بولُسُ نفسُه، وبصحبته برنابا [٢٢:١٥]! وانظرْ إلى المرجع الذي ذكرناهُ آنفاً، تَرَ أنه يذكرُ أمثلةً على البلدان التي يشيع فيها تناولُ الدم كوجبةٍ غذائية، ومنها بريطانيا، إيرلندا، السويد، فنلندا، لاتفيا، إستونيا، بولندا، ألمانيا، النمسا، هنغاريا، إسبانيا، كرواتيا، سلوڤاكيا، رومانيا، سلوڤينيا، أوكرانيا، فرنسا، الفيليبين (وهي الدولة المسيحية الوحيدة في آسيا)، المكسيك، ودول أمريكا الجنوبية.

ويقول أحد المحلّلين إنّ مناقضة بولس لقرار مجمّع أورشليم الذي جاء في سفر «أعمال الرسل» لهو سببٌ آخرُ يدعونا للقول بأنّ الأناجيل هي مجرّدُ أكاذيب. لقد كان الأمرُ من الخطورة إلى حدٍّ دعا خليفة المسيح، بطرس، إلى أن ينفصل عن بولس، وبحسب قوانين الطهارة الموجودة في

الشريعة.

## مُسلسل التّحريم والتحليل
## من موسى إلى بولس

لقد تأرجح الناسُ، بين المُحرَّمات والمُباحات، منذ نزول التوراة على موسى (ع)، وحتّى بولس الذي انقلب على الشّريعة وجاهر بإبطالها. وبين هذا وذاك نجدُ، في رسم بيانيٍّ، الصُّعود والنُّزول في أمر تلك الأحكام، وهو أمرٌ مضحكٌ ومُبكٍ في آنٍ. ويُمثِّلُ الخطُّ الأُفقيُّ في الرّسم الفاصلَ بين المُحرَّمات، في الجهة العليا من الرسم، وبين المُباحات، في الجهَّة السُّفلى



**مسلسل التحريم والتحليل، من موسى إلى بولس**



منه.

## المسيحيُّ: أيُّها يختارُ؟

«الكتابُ المقدس» ، وبجزئيه (العهد القديم والعهد الجديد)، وبكل أسفاره، هو مقدّسٌ عند كلّ المسحيين سواءً بسواءٍ، والمسيحيُّ ينظر إليه كله بنظرةِ تقديسٍ واحدةٍ. فالعهدُ القديم، أو «التوراة[1]»، كما تؤكّدُ الكنيسة، هو ليس أقلَّ تقديساً عند المسيحيين من العهد الجديد.

ولكنَّ المسيحيَّ لهو يقعُ في حَيرَةٍ عظيمة، إن هو أراد أن ينظرُ في أسفار كتابه المقدس، ليرى أيُّها هو يتخذُه دليلاً له في أحكام الطعام، والشراب، والذّبح، والذّبائح:

١ - هل هو يتّبعُ ما يجدُه في «**التوراة**»، والتوراةُ الأصيلةُ قد أُنزلت على موسى (ع)، وفيها من محرَّمات الطّعام والشّراب الشيءُ الكثير، وكذلك أحكام الذّبح، والذّبائح، والقرابين، ثم، ومع ذلك كلّه، قواعدُ مفصَّلةٌ للطَّهارة والنّجاسة؟

٢ - أم، إذ هو يستمر في قراءته للكتاب المقدس، يتبع ما عزي إلى المسيح (ع) «الله - الإبن» في **الأناجيل**، ثم ما عزي إلى «بطرس الرسول» في سفر «**أعمال الرسل**»، والذي فُسِّرَ على إنه إباحة لكل ما قد يدخل فم الإنسان من طعام أو شراب؟

٣ - أم هو، إذ يستمر في قراءته لسفر «أعمال الرسل»، يعود ليجد أن **بطرس نفسه، ومعه بولس، في «مجمع أورشليم» يبلّغون الناس بقرار ارتأوه مع الروح القدس** [!] بثلاثة محرمات فقط من الطعام، وهي ذبائح الأصنام، والدم، والحيوانات المخنوقة، وبهذه الصيغة:

٢٨:١٥ فقد رأى الروحُ القدس ونحن، أن لا نحملكم أيَّ عبءٍ فوق ما يتوجّبُ عليكم.

٤ - أم هو ، بعد أن ينتهي من قراءة «أعمال الرسل»، وقد تحيّرُ فكرُه، يبتدئ بقراءة **رسائل بولس**، ليكتشف تغييراً آخر جديداً، بقول بولس أنّ كلَّ

(١) التوراة هي أول خمسة أسفار من العهد القديم، لكنّ اسم التوراة كثيراً ما يطلق على العهد القديم كلّه. و«العهد القديم» هو اسمٌ مسيحي لهذه النصوص اليهودية المقدسة، لكنّ اليهود لا يعرفونها بهذه الإسم، بل هي تسمى عندهم «التاناخ» Tanach.

شيءٍ في أكلٍ أو شربٍ هو مباحٌ؟

وتسألني عن حال المسيحيّين اليوم، فأقول إنهم ملتزمون بشرعة بولس **الأخيرة**، وهم لا يبالون أن يعصوا تعاليم مجمّع أورشليم التي لم تصدُر إلاّ بعد مداولةٍ مفصَّلةٍ بين تلاميذ المسيح وشيوخ المسيحيّة وبين آخر لم يكن إلاّ «الله - الرّوح القُدُسَ» نفسه! فهم لا يبالون بتناول لحم الحيوان، مهما كان، وكيفما أنهيت حياته، مثلما هم لا يبالون بتناول الدم، في طعام أو شراب.

## ملاحظاتٌ حول الرسم التخطيطي لأحكام المباحات والممنوعات في المسيحية

١ - جاء في العهد الجديد، عن السيد المسيح (ع)، قولُه إنّه ما جاء لينقض الناموس (الشريعة)، بل ليكمّلَهُ.

إذا كان المسيحُ هو الله نفسه متجسداً، حسب ما يعتقد المسيحيون، فكيف هو ينقضُ الناموس الذي جاء به، بأن يخبّر بطرسَ، في زعمهم، بأنّ كل شيء هو طاهر ومباح؟

٢ - أوليس بطرس، فيما نَسَبَتْهُ الأناجيل إلى المسيح، هو الصخرة التي بنى المسيح كنيسته عليها، وهو قد وكل إليه أُمور الحَلّ والرَّبط، وأوكلت إليه مفاتيح ملكوت السّماء؟ إنّ شخصاً كهذا، كيف يجيئُه الرَّبُّ، في «رؤيا» يخبّره بأنّ كلّ شيءٍ هو طاهرٌ وحلال، فيفزع ويدهش من ذلك، ويجيب مستنكراً، في **«أعمال الرسل»**:

١١: ٧ يا بطرس، قم آذبح وكُلْ!

١١: ٨ فأجبت: كلا يا ربّ،

فلم يدخل فمي قطُّ شيءٌ مُحرَّمٌ أو نجس [!].

وهذا لا يعني إلا شيئاً واحداً، وهو أنّ بطرس، «سيّد الرسل» قد كان عالِماً بأمرِ تحريمٍ لأطعمةٍ على زمن المسيح، وأنه قد ظلّ على التزامه بذلك الأمر، أشدَّ التزامٍ، حتى أن جاءه «الصوتُ السّماويّ» الذي نُسب إلى الله نفسه، يأمرُهُ بترك التعاليم والأحكام المسيحية وراءه ظهرياً، والصيرورة إلى حُكم واحدٍ جديدٍ، حكم بسيط وقصير جداً، وهو أن ليس ثمة من أحكامٍ في طعامٍ أو شرابٍ، منذ تلك الرؤيا المزعومة والمشؤومة!

٣- إذا كان «الربُّ» قد أخبر بطرس بأمرِ تحليل كلِّ شيءٍ، فكيف يعودُ «الله - الروح القدس»، بالتشاور [!] هذه المرّة مع شيوخ وكهنة مجمع



أورشليم، ومعهم بولسُ وبطرسُ، وكما يخبرُنا سِفر «أعمال الرسل» [١٥: ٦ - ٢٩]، لتحريم «الأكل من الذبائح المقربة للأصنام، وتناول الدم، ولحوم الحيوانات المخنوقة»، ومناقضة ما أخبر به بولسُ عن «الرب»؟

٤ - والأدهى من ذلك أنّ سفر أعمال الرسل نفسه ينسبُ إلى بطرس أمراً عجباً، فهو ينسبُ إليه شيئين متناقضيْن، فهو ينسب إليه، من خلال رؤياهُ لـ«الرَّبّ» حِلِّيَّةَ كلّ شيءٍ، ثم هو يعودُ لينسب إليه التحريمات الثّلاث عند حضوره لمجمع أورشليم، استناداً إلى رأي «الله - الروح القدس».

لا يَسَعُ المرء أمام هذه التناقضات إلاّ الإذعان للرأي القائل بأنّ رؤى أولئك كلّهم لم تكن إلاّ أضغاث أحلامٍ، هذا إذا لم تكُن رؤىً شيطانيّةً لا علاقة لها بالوحي الإلهيّ.

والبديلُ الآخرُ الوحيدُ لهذا الرأي هو أن نُسلّم بكذب ما نُسب إلى بطرس الذي أخبرتنا أسفارُ العهد الجديد نفسُها أنه كان من أشدّ المدافعين عن الناموس اليهودي.

٥ - وأمّا ما جاء من أحكامٍ متناقضة، عن بولس، فهو يشهدُ لصدق بولس في دعواه بأنه كان يتقمّصُ دورَ اليهودي مع اليهود، والأمميّ مع الأمميّين.

٦ - ثم ماهذا التناقضُ بين «الله - الابن» الذي يُبيح كلّ شيءٍ، وبين «الله - الروح القدس» الذي يؤكد على ثلاثةٍ من محرّمات الطعام والشراب؟

٧ - أوليس توكيدُ «الله - الروح القدس» على تلك المحرّمات شاهداً على كَذِبِ إدعاءِ بولس بقوله «لا يحكُم عليكم أحدٌ في أكلٍ أو شربٍ»؟ أوليست مقولةُ بولس هذه، بقوله «لا يحكم»، كَسْراً لإرادة «الله - الروح القدس»؟

٨ - لا يعلمُ أحدٌ لم يكونُ الأمرُ، فيما يخصّ الطعام والشراب، إلى الناس، تارةً من طريق «الله - الابن»، وتارةً أخرى من طريق «الله - الروح القدس»، فهو شيءٌ غيرُ مفهوم.

٩ - الله يأمرُ، في التوراة، في أمورِ الطعام والشراب بشيءٍ (قواعد صارمة).

وتارةً يأمرُ «الله - الابنُ»، في العهد الجديد، بأمرٍ مُناقضٍ تماماً (لا قواعد إطلاقاً؛ قاعدةٌ أن لا قاعدة، أو قانونُ أن لا قانون!).

وثالثةُ الأثافيِّ أن يجيء «الله - الرّوح القدس» بأمرٍ ثالثٍ مختلف. ما

هذا؟

١٠ ـ وَدَعك عن الحلال والحرام، فما هي حقيقةُ أن يكون ثمّة شيءٌ نَجِسٌ؟

لطالما أخبرتنا التوراةُ، وحذّرتنا بأوامر ومَناهٍ مُغلظةٍ، عن النّجاسات، ولطالما أفاضت في الكلام عليها، والتحذير من مقاربتها.

ولكنَّ بولس جاء بشيء جديد: «لا شيء نجساً»، وقد جاء ذلك في رسائله. إذ ليس هناك في الوجود، حسب ادّعاء بولس، أيُّ شيء يمكنُ أن نُطلِقَ عليه صفةَ النجاسة. ولكنّك إذ تُنهي قراءة رسائل بولس جميعاً، وإذ تصلُ إلى آخر سِفرٍ يحتويه كوكتيلُ العهد الجديد، تَرَ أنَّ يوحنّا اللاهوتيَّ، في سِفر «رؤيا يوحنّا»، وهو السّفرُ ٢٧ من العهد الجديد، يعترف بوجود النّجاسات:



٢:١٨ طيورٌ نجسةٌ وممقوتةٌ.

**بولسُ يُطَوِّحُ بأحكامِ التّوراة، في الطعام، جميعاً**

**إلغاءُ الأضاحي المقدمة لله، لأنّ الذبيحة «المسيح» قد أغنى الناس عن ذلك**

لطالما كرّرتِ التوراةُ، في أسفارٍ عديدة منها، موضوع الأطعمة والأشربة، المُباح منها والممنوع، وذكرت ذلك بالتفاصيل الدقيقة، إضافة إلى شروط تفصيلية في ذبائح الحيوانات[1] المُعدَّة للتناول البشريّ، وذبائح القرابين المقدّمة لله. وسنتناولُ الأخيرَيْن فيما بعدُ، ونكتفي هنا بالإشارة إلى أنّ المسيحية قد ألغت الأضاحي أو القرابين المقدّمة لله، جميعاً، باعتبار أنّ المسيح ـ وهو الإلهُ، في قولهم ـ كان الذبيحة المقدّمة إلى الله التي أغنت البشرية عن تقديم أيّة أُضحية إلى الله، أبد الدهر!

وكذلك هو الأمر بالنسبة لكلّ ما قد يدخلُ جوفَ المرء من طعام وشراب. إنّ بولس لم يستبعد الناموس في أمر الختان وحده، بل هو استبعده أيضاً في أمر الأطعمة جميعاً، ومن دون استثناءٍ، وقد لخّصها بولس نفسُه، في جملة واحدة طوّحَ بها بأحكام التوراة، في الطّعام والشّراب، جميعاً:

> كلُّ الأشياءِ طاهرةٌ
>
> رسالةُ بولسَ إلى أهل رومية ١٤:٢٠

وفي تعابير بولس، عن الأطعمة، كما هو أعلاهُ، مُخادَعةٌ. إنّه لا يقصدُ الطهارة (أو القذارة، النجاسة) بالمعنى الحرفيّ للكلمة، وكما قد يتبادر للذهن أول وهلة، وإنّما هو يقصدُ حِلِّيَّة الأطعمة أو حرامَها. فهو بدلاً من أن

(١) تشترطُ اليهودية، كما يتبدّى ذلك من التوراة، شروطاً تفصيلية دقيقة وواجبةً في لحوم الحيوانات المتناولة، والتي تُدعى في اليهوديّة «الكوشر» Kosher. وكذلك يُوجب الإسلامُ شروطاً قريبةً جدًّا من الشّروط اليهوديّة، واللّحوم، التي تتمتع بهذه الشروط تُعرف باللّحوم «الحلال». وأمّا في المسيحيّة، فليس ثمّة أيّةُ شروطٍ على الإطلاق. إنّهم يستخدمون كلمة «القتل»، قتل الحيوان Killing the animal، ولا يستخدمون كلمة الذبح Slaughter. روت امرأة عجوز إنكليزية، في ريف إنكلترا، للمؤلف، عام ١٩٧٨، كيف أن سيارتهم قد دعست غزالاً فأردته قتيلاً. ولحم هذا الحيوان في الإسلام واليهودية هو بحكم المحرم، لكنهم أخذوا الغزال وقطعوه ثم تناولوا لحمه. وقد وصف القرآن الكريم المقتولة بالضرب بـ«الموقوذة»، وهي محرّمة الأكل.

يقول: «كلُّ الطعام هو حلالٌ، ولا شيءَ ممنوعٌ من طعام أو شراب»، والذي هو قَصْدُهُ الحقيقيُّ من مقولته تلك، تراهُ مُوارِباً في كلامه، فكأنَّ الأمر لا يتعدّى كون الحيوان طاهراً أو نجساً.

ونجدُ ملخَّصاً لموقف المسيحيّة الحاضرة، من الطعام، وهو موقفٌ بولسيٌّ، فيما جاء في موقع «رهبانيّة الديريْن» المسيحيّ:

المعروفُ أنّ شريعة العهد القديم كانت تُقيِّدُ الناس بقوانين معيَّنةٍ، وتفرضُ عليهم شرائع مختلفةً، لها علاقةٌ بالأكل والشرب واللّبس والتعامل في الحياة اليوميّة والأعياد. وقد ظلَّ الناسُ في العهد القديم يمارسون تلك العادات ويأكلون المحلَّلاتِ، ويمتنعون عن المحرَّماتِ إلى مجيء المسيح الذي أبطل هذه العادات، وحلّلَ الناسَ أن يأكلوا ما يشاؤون [هذه مغالطةٌ، فالسّيّد المسيح (ع)، واستناداً إلى «الأناجيل القانونيّة» الأربعة نفسها، لم يفعل ذلك، وهو ما لم يَرْوِهِ عنهُ أحدٌ قطّ، وإنّما هي بدعة ابتدعها بولسُ فيما رواه عنه «أعمال الرسل»، وفي رسائل بولس المتضمَّنة في العهد الجديد،وعُزيت ـ جزئياً، كما سوف نرى ـ إلى بطرس، وهو ما نشكِّكُ في حدوثه].

إنّ المسيح لم يربط إيمان الإنسان بما يأكلُه من لحوم أو غيرها [لا نرى في ذلك، إلاّ دليلاً على أنّ قد كان إنجيلٌ للمسيح احتوى كلَّ ما يحتاجه الإنسان، وقد حلل فيه ـ كما قد أخبرنا كتابُ الله ـ بعض ما كان حُرِّم على اليهود، من طعامٍ، وإلاّ أين هي تعاليمه في الطعام والشّراب].

بما أنّ المسيح جاء ليحررنا من الناموس ومن قيود العهد القديم، فإنه لم يحلل أو يحرِّم أيَّ نوعٍ من اللّحوم باعتبار أنّ كل إنسان يأكل ما يطيبُ له، ولا يأكل ما لا يستطيع أكله وباعتبار أنّ «ليس ما يدخل الفم يُنجِّس الإنسان، بل ما يخرجُ من الفم هذا ينجِّسُ الإنسان» [متى ١١:١٥]، وعلى هذا الأساس يستطيع المسيحي أن يأكل ما يطيبُ له من اللحوم [وبذلك انعدمت أيّة صلةٍ بين الشريعة، أو أوامر السّماء، وبين كلِّ ما قد يتناوله الإنسانُ من طعامٍ أو شراب] لأنّ النجاسة ليست بالأكل والشّرب، بل بعمل الخطيَّة وعدم إطاعة شريعة الله [وكأنّ أحكام التوراة في الطعام، والذَّبح، والأضاحي، ليست من الشريعة في شيء]،



وأيضاً «ما طهّرهُ الله لا تدنِّسْه أنت» [أعمال ٩:١١].

وما جاء هنا هو موقفُ المسيحيين جميعاً من قضية الطّعام والشرّاب، أن لا محظور فيهما، وهو نقضٌ آخرُ للشريعة، أو الناموس، التي جاء بها رسل الله من قبل مجيء المسيح (ع).

وبينما أنّ «الكتاب المقدّس» مُقَدّسٌ كله، مثلما تؤكد المصادر المسيحية، أي أن قداسة العهد القديم لا تقِلُّ عندهم عن قداسة العهد الجديد، وبينما يُنسبُ إلى السيد المسيح، في إنجيل متى، قولُه:

١٧:٥ لا تظنوا أنّي جئت لأنقضَ الناموس أو الأنبياء. ما جئتُ لأنقضَ بل لأكمِّلَ،

فإنَّ المسيحية الحاضرة تُناقض نفسها مناقضة صارخة، فهي تدّعي تقديسها لما جاء في العهد القديم، من جانب، وتطوِّحُ بما جاء فيه من شريعة واضحة تطويحاً كاملاً من جانب آخر.

إذ كيف يمكن للمسيحيّ، أيّ مسيحي، أن يُصدِّق بما جاء في العهد الجديد ودعاة المسيحية البولسية، مِن أن لا طعام ولا شراب يتوجّبُ الإمتناعُ عنه، وهو مُؤمِنٌ بما جاء في سِفر التثنية من التوراة من مُحرَّمات الطّعام، وبأدقّ التفصيل؟

يدّعي المسيحيّون أنّ المسيح قد أبطل ما جاءت به التوراةُ من تحريم في طعامٍ أو شراب. وهذا الكلام غيرُ صحيح، وهاك الدليل القاطع على ذلك.

إنّ العهد الجديد نفسُه يخبِّرنا بالكيفية والزمان اللّذين حُلِّلَ فيه كلُّ الطّعام. لقد كان ذلك، حسب «أعمال الرّسل»، على يد بطرس، في رؤيا ادُّعِي وقوعُها له، وهذا هو الكلامُ الذي نُسب إلى بطرس في «أعمال الرسل»:

٤:١١ فشرح لهم بطرسُ ما حدث على التوالي، فقال:

٥:١١ كنتُ أُصلّي في مدينة يافا، فوقعت عليّ غيبوبة، فرأيت في رؤيا وعاءً يُشبه قطعةً كبيرة من القماش مربوطةٍ بأطرافها الأربعة، وقد تدلّى إليّ من السماء.

٦:١١ وعندماتأمّلتُه مَليّاً وجدتُ فيه **أنواع الحيوانات الدّابّة على الأرض والوحوش والزّواحف وطيور السّماء جميعاً**.

٧:١١ وسمعتُ صوتاً يقول لي: يا بطرسُ، قُم آذبَح وكُلْ!

٨:١١ فأجبتُ كلاّ يا ربُّ، فلم يدخل فمي قطُّ شيءٌ مُحرَّمٌ أو نجس.

١١:٩ فقال لي الصوت السّماويّ أيضاً: ما طهّره الله لا تحسبه أنت نجساً.
١١:١٠ وتكرّر هذا ثلاث مرّات، ثم سُحب الوعاء بما فيه إلى السّماء.
لقد صار كلُّ الطّعام مُطهَّراً من الله، أيها المسيحيّ البولسيّ، ولتذهب شريعة الله إلى الجحيم! فكلْ ما طاب لك من اللّحوم، واشرب ما شئتَ من الشّراب، لأنّ النجاسة لم تَعُدْ في أكلٍ ولا شرب!

**أحكام الشريعة رموزٌ انتهت مهمتها بمجيء المسيح**

وها هو بولس يقول، في رسالته إلى أهل **كولوسي**:
٢:١٦ فلا يحكم عليكم أحدٌ في أكل أو شرب،
أو من جهة عيدٍ أو هلالٍ
أو سبتٍ [هكذا طوح بولس بكل هذه الأشياء، ومنها السبت].
ويقول القمص تادرس يعقوب ملطي، في تفسيرها:
الطقوس اليهودية من أكل وشرب وأعياد معينة وهلال وسبت، هذه جميعها رموز تُشير إلى عمل السّيّد المسيح الخلاصيّ. وإذ أكمل السيّد هذه الرموز، انتهت مهمتها. جاء النور فزالت الظّلال، إذ صار المسيح هو جوهرُ خلاصنا وكفايتنا، وهو محرّرُنا من عبودية الحرف.
هكذا إذاً، لقد كان الناس، إذ هم يطبّقون الشريعة، عبيداً للحرف، ولم تكن تلك إلاّ رموزاً انتهت مهمّتها، فهي ظِلالٌ أزالها نور المسيح، فبه وحده خلاص الناس وكفايتهم وتحرّرُهم من بعد عبوديّتهم للشّريعة!
أمّا القسّ أنطونيوس فكري، فيقولُ إنّ من الحماقة الإرتداد إلى الشريعة اليهودية ومن يُرد الخلاص فإنماهو بالصّليب، ومن أراد أن يمكث تحت الناموس فلقد رفض الإنجيل!! وهو يؤكّدُ على أنّ «الرسول بطرس» قد طلب من المؤمنين رفضَ ذلك كله:
إذا كان المسيحُ قد هزم كلّ الأعداء الروحيين، فإنّ من الحماقةُ أن نرتدّ لفلسفات العالم أو أركان اليهود الضعيفة للخلاص،
فالخلاصُ تمّ بالصليب، ولا خلاص لنا سوى بالموت مع المسيح وبالقيامة معه، وهذا يتمُ بالمعمودية. وهنا يردُ على المتهودين الذي يُصرّون على منعِ مأكولاتٍ معينةٍ كطريقٍ للخلاص حسب الناموس [هذه مغالطةٌ تشبه مغالطة الختان. إنّ الإلتزام بالإمتناع عن تناول



أطعمةٍ معينة، أو الالتزام بالختان، ليس معناهُ اعتمادُ هذه الأشياء **وحدها** طريقاً للخلاص، ولكنها جزءٌ لا يتجزأ من أوامر الله ومناهيه، في شريعةٍ]. وهؤلاء المتهودون رفضوا الإنجيل إذ أرادوا أن يمكثوا تحت الناموس، وطالبوا بتطبيق الشرائع حرفياً بكونها واهبة الخلاص، وهم أرادوا إرغام الأمم [الوثنيين المتنصرين] على ذلك، والرسولُ [بولس] يطلب من المؤمنين رفض كل ذلك.
ولماذا حرّمت شريعةُ العهد القديم بعض الأطعمة؟ ويُجيبُ القسّ فكري بأنه:
لتُجَسّمَ للإنسان فِعل النجاسة التي بالخطيّة!
فكُلُّ شيءٍ حرّمه الله أو أحلّه، إنّما هو في دعواهم رمزٌ، لا أكثر من ذلك، بينما قد أعلمنا المولى سبحانه أنه ما أحلّ لنا إلاّ الطيبات، وما حرّم علينا إلاّ الخبائث.
﴿..**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**..﴾ [الأعراف:١٥٧].
وهذا سرٌّ عظيم قد غفل عنه الكثيرون.
فالله تعالى لم يحرّم علينا شيئاً إلاّ لأنه خبيثٌ ضارٌ،
وما حلّل لنا إلاّ كلَّ طيّب مفيد. والله سبحانه أجَلُّ وأعظم من أن يحرّم طعاماً ما لمجرد أنّ في ذلك رمزاً، كأن يحرّم الخنزير إشارةً لارتداد التائب لخطيئته ثانية، كارتداده للقاذورات مهما نظفوه، مثلما قال المسيحيون.
ويقولُ القس فكري أيضاً:
ليس المطلوبُ من الجسد هو الإمتناعُ عن أكلٍ وشربٍ، بل أن يُمجّد المسيح. فالكنيسةُ لا تمنعُ أكلاً لأنّه نجسٌ [هذه مغالطةٌ، فالشريعة تحرّمُ الطعام لا لنجاسته وحدها، بل لخباثته أساساً] بدليل أنه بعد انتهاء فترة الصيام نأكُل كلَّ شيءٍ. واليهودُ احتفلوا بهذه الأيام [الأعياد والسبت] بطريقةٍ خاطئة حرفيةٍ. أمّا الختانُ فصار رمزاً للمعمودية.
والذبائحُ صارت رمزاً للصليب،
أمّا الأعيادُ اليهوديةُ فكانت مجرّد رمزٍ للمسيحية.
أرأيت كيف قلبت المسيحيةُ البولسية كلَّ ما في شريعة موسى من وصايا وأحكام، وأوامر ونواهٍ، إلى مجرّدِ رموزٍ، وأفرغتها من كلِّ معانيها؟!
ويؤكدُ القمصُ تادرس يعقوب ملطي هذا التفسير المسيحي البولسي الرمزي لأوامر الشريعة:

من جهة الأطعمة فقد حرّمت الشريعة [اليهودية] بعض الأطعمة بكونها نجسةً، ليس في مادّتها، وإنما في رموزها.

وليس ثمة أيُّ افتئاتٍ على المسيحية البولسية بالقول أن لا شيء فيها يُعرّفُ بأنّه «نجسٌ»، أو «حرامٌ». فالحقيقة، رغم أنّ كلمة «الحرام» قد وردت في العهد القديم إحدى عشر مرّةً، فإنها لم تَرِد بتاتاً في العهد الجديد كلّه. ويقول القديس أيريناوس، في ذلك:

أوصى الرسول [بولس] ألاّ يحكمنَّ علينا أحدٌ في مأكلٍ أو مشربٍ أو في عيدٍ أو أهلّةٍ أو سُبوتٍ.

ولعمري ليس ذلك هو إلاّ الفلتانُ والإنعتاقُ من كلّ شريعةٍ أو دينٍ.

وتؤكد موسوعة «ويكيبيديا»، تحت عنوان «خنزير»، ما يلي:

الديانة المسيحية لا تحرّمُ أيَّ نوعٍ من المأكولات أو المشروبات.

وليست الشريعةُ اليهودية وحدها التي تحرّم الخنزير، وغيرَه من كثير من المأكولات، وأكثرُها أنواعٌ مختلفةٌ من لحومِ الحيوانات، فالإسلامُ يفصّل كذلك المحرّمات من الطعام: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ**..﴾ [المائدة:٣].

الموقوذة: المضروبة حتى تموت، المتردّية: التي تسقط من عُلوٍّ فتموت، النّطيحة: التي تنطحها أخرى فتموت من النّطاح، إلاّ ما ذكّيتم: استثناءٌ من التحريم، أي إلاّ ماأدركتم فيه بقيّة حياة فأتممتُم تذكيته، أي إتمامُ فري الأوداج وإنهارُ الدم. وما ذُبح على النُّصُب: النصب هي الأحجار المنصوبة التي كانوا يذبحون عليها ويعظّمونها ويلطخونها بالدماء. تستقسموا بالأزلام: تطلبوا عِلم ما قُسمَ لكم بواسطة الأزلام، وتسمى القِداح، وهي سهامٌ كانت لديهم في الجاهلية تُشير إلى قسمتهم فيما يظنون.

وفي الذبح الشرعيّ الإسلاميّ، فإنّ أولَ ما يُطلب في الذبيحة أن يُذكر اسمُ الله عليها، وما لم يُذكر اسم الله عليه فهو حرامٌ تناولُه، وبنصّ كتاب الله.

ومثل «الطعام الحلال» في الإسلام، فكذلك هو ما عند اليهود، ويسمى الطعامُ المسموحُ بتناوله «الكوشير»، ومعنى هذه الكلمة هو الطعام المباحُ أكلُه. فثمة مجموعةُ قوانين خاصّة بالأطعمة وطريقة إعدادها وطريقة الذبح



الشرعي عند اليهود. وتحرّمُ القوانينُ اليهودية على اليهوديّ أكلَ أنواعٍ معيّنة من الطعام، وتُبيح له تناول أنواعٍ أخرى، وهذه المحرّمات تتعلقُ أساساً بلحوم الحيوانات. ويُحرّمُ على اليهودي أن يتناول لحم الحيوان إن لم يكن قد ذبحه ذابحٌ شرعيّ «شوحيط»، وبالطريقة الشرعية بعد تلاوة صلاح الذبح «الذبح الشرعي».

ويقول موقع «منتديات الكنيسة»:

المسيحية لا تحلّلُ أكل الخنزير فقط بل تحلّل أكلَ أيِّ طعامٍ طالما أُكل بالشكر [!]، فلم تأتِ المسيحيةُ لتهتمَّ بمثل هذه الأشياء لأنها أقلُّ من أن يُهتمَّ بها في عهد النعمة مبدئياً [لا يوجدُ في المسيحية شيءٌ اسمه حرامٌ أو حلالٌ، في طعام أو شراب].

وتكاد طريقة ذبح الحيوان في الشريعتين الإسلامية واليهودية أن تكون واحدةً، فهما تُجمعان على وجوب ذِكْرِ اسم الله على الذبيحة، عند الذبح، وذبح الحيوان بطريقةٍ تضمنُ تسبيبَ أقلّ إيلام له، وبحيثُ يخرج الدم من اللحم، لأنّ أكل اللحم وفيه الدمُ هو نجاسةٌ وأذىً[1]، ومن أجل ذلك يتوجّبُ أن يُعهد هذا إلى أشخاص مدرّبين بذبح الحيوان، وللتأكّد من سلامة الحيوان من الأمراض. ومثلما أنّ لحم الخنزير محرّمٌ وممقوتٌ، فكذلك هي الميتة.

إنّ ما سبق أن وصفتُهُ من ذبح لحيوان مات إثر دهسه ليس هو ذبحاً بالمعنى الشرعي في اليهودية والإسلام، حيث هو يذبح بطريقة مخصوصة ورحيمة ويُستنزفُ دمُه، وهذا في المسيحية، أي تناولُ لحم الحيوان المقتول، أمرٌ عاديٌّ تماماً، كيف وأنه لا حرام في طعامٍ لديهم، مهما كان نوعُ ذلك الطعام، ومهما كان مصدرُه أو وسيلةُ إنهاء حياة الحيوان المسكين.

---

(١) يعلم الأطباءُ، جيّداً، أنّ الدم هو وسطٌ صالحٌ جداً لنموّ الجراثيم، فما بقي من دم في الذبيحة لهو مصدرٌ للتلوث الجرثوميّ الكبير، فوق كراهة النفس له. وللتدليل على صحّة ما نقول نذكر بأنّ رجال المختبرات يقومون بزرع النماذج المختلفة من الجسم (كالبول، والبصاق، والغائط) أو من غيره، لغرض معرفة إن كان ثمة تلوثٌ جرثوميٌّ فيها. يقوم الفاحصُ بوضع القليل من النموذج المطلوب فحصه على صحن صغير، يُعرف بصحن بتري Petri dish، يحتوي على دمٍ مأخوذ من اللبائن (الشياه أو الحصن، عادة) ويدعى Blood agar plate (BAP)، بتركيز ٥ ـ ١٠٪. إنّ الدم في هذا الوسط هو أفضل محفّزٍ لتكاثر الجراثيم التي سوف يسهل اكتشافها وفحصها تحت المجهر.

## فضيحةٌ أخرى لبولس: «مجمع أورشليم» يحظر تناول لحوم الذبائح المقدمة للأوثان، وبولس يُبيحها

رأينا فيما سبق كيف أنّ مجمع أورشليم قد حظر تناول الذبائح المقرّبة للأنعام، ولكن ها هو بولسُ يُجيزُ ذلك، في تجاوزٍ له جديد لقرار لمجمع أورشليم لم يكد أن يجفَّ حبرُه.

ويظهر، في **رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس**، تقلّبُهُ ونفاقه، فها هو يُجيز تناول لحوم الحيوانات المذبوحة للأوثان، وهو يسلك في ذلك سلوكاً عجيباً، فهو يُخطِّأُ من لا يقولون بذلك باعتبارهم مُدّعي عِلم بينما هم لا يعرفون شيئاً كما يجب أن يُعرف. وبعد أن يصدِمَ منتقديه بهذه العبارات المُجفلة، ليشُلَّ أيَّ مقاومةٍ أو اعتراضٍ ممكن لهم، يخلُصُ للقول بأنه لا وجود حقيقياً للأوثان «نعلمُ أن ليس ثمة وثنٌ في العالم»[1]، وأن ليس إلهٌ آخرُ، إلاّ واحداً، وهي حسب تفسير القس أنطونيوس فكري:

هذه اللحومُ المقدّمة للأوثان، لم تُقدّم لإلهٍ آخر، فلا يوجدُ إلهٌ آخر، بل هي مجرّدُ لحومٍ، وبالتالي ماذا يمنع أن آكل [!].

ويتكلم بولس على المحبّة، قاصداً بذلك أنه من محبّةٍ يُراعي مشاعر الآخرين بالسكوت على تناول تلك اللحوم. وأمّا أولئك العارفون بالشريعة التي تحرّمُ تلك اللحوم فإنه يصفهم بأنّهم منفوخون كبرياءً وغروراً، فكأنهم مملوؤن هواءً، ومن قد علم بالشريعة وفتح لسانه بالإعتراض فإنّ التهمة جاهزةٌ له بأنه جاهلٌ، وهو «إنه لم يعرف شيئاً بعدُ كما يجبُ أن يعرف».

١:٨ وأما من جهة ما ذُبح للأوثان: فنعلمُ أن لجميعنا علماً والعلم ينفخ، ولكنّ المحبة تبني [«التنازلات الحبيّة»، حسبما تصفها الكنيسة].

(١) نلاحظُ هنا أسلوب بولس الخداعيّ في تمرير ألاعيبه. إنّ الوثن ليس بإله، بالطبع. فنحن لا ننظرُ إلى الوثن على أنّه إلهٌ، ولكننا لا يمكن أن نتجاهل توجُّه بعض الناس لعبادة الأوثان، فنعتبرُ هذا التوجه غير موجودٍ، لأنّ الأوثان ليست بآلهةٍ!



٢:٨ فإن كان أحدٌ يظنُّ أنه يعرف شيئاً، فإنه لم يعرف شيئاً بعدُ كما يجب أن يعرف [بولس هو وحدُهُ العارفُ بكلِّ شيء، وغيرهُ لا يعرفُ شيئاً].

٤:٨ فمن جهة أكل ما ذُبح للأوثان: نعلم أن ليس وثنٌ في العالم، وأن ليس إلهٌ آخرُ إلاّ واحداً.

٥:٨ لأنه وإن وُجد ما يُسمّى آلهةٌ، سواء كان في السماء أو على الأرض، كما يوجد آلهةٌ كثيرون وأربابٌ كثيرون.

٦:٨ لكن لنا إلهٌ واحدٌ: الآبُ الذي منه جميعُ الأشياء، ونحنُ له. وربٌّ واحد: يسوع المسيح، الذي به جميع الأشياء، ونحن به.

٨:٨ ولكنَّ الطعام لا يقدِّمُنا إلى الله، لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقصُ.

إنه يُصرِّحُ، بصراحةٍ ما فوقها صراحةٌ، بأنّ تناول تلك اللحوم المذبوحة للأوثان ليس فيه شيءٌ يلام عليه. وليس السبب، في قوله، إلاّ أنه ليس ثمّةُ وجودٍ حقيقيّ لوثنٍ! إنه لعبٌ على الحبال بمهارة البهلوان، فيا شرائع السماء غيبي جميعاً أمام شرعة بولس الجديدة، أو بالأحرى هواه وألاعيبه. وكالعادة، وحتى يغطّي على موافقته تلك بتناول تلك اللحوم المحرّمة، فهو ينصح الناس أن لا يتناولوها أمام من هو إيمانُه ضعيفٌ!

٩:٨ ولكن انظروا لئلا يصير سلطانكم هذا معثرةً للضعفاء.

١٠:٨ لأنه إن رآك أحدٌ يا من له علمٌ، متكئاً في هيكل وثنٍ، أفلا يتقوّى ضميره إذ هو ضعيفٌ حتى يأكل ما ذُبح للأوثان.

فإن وُجدت، أيُّها المسيحيّ، المتبعُ لرسولك بولس، في هيكل وثنٍ، وتناولت من لحم حيوان قد ذُبح للأوثان، فلا تثريب عليك، شريطة أن لا يراك من هو إيمانُه ضعيفٌ، فيهتزَّ!

ويقول القمص تادرس يعقوب ملاطي، في ذلك:

«ليس ثمة من وثنٍ في العالم»، إذ لا يستطيعُ الوثنُ أن يفعل شيئاً في

العالم ليس فيه لاهوتٌ، فهو أشبهُ بالعدم، لا كيان حقيقياً له، يدعوه العهد القديم كذباً وباطلاً. الأوثانُ هي آلهةٌ وهميةٌ، ليس لها أيّةُ قوّةٍ، عاجزةٌ عن أن تدنّس أولاد الله وخُدّامه.

من جهة الطعام، فإنّ كلَّ خليقة الله [الأطعمة] صالحةٌ إن أُخذت بشكرٍ (رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٤: ٤).

والذي يأكلُ من هذه اللحوم المقدمة للأوثان هو، في رأي بولس، ذو ضميرٍ قويٍّ، وأمّا من لا يأكلون فإنهم ذو ضمائر ضعيفة!

ويقول القديسُ غريغوريوس أُسقف نيصص، في ذلك:

كلُّ شيء [طعامٍ] صالحٌ، وليس شيءٌ مرذولٌ إن أُخذ بشكرٍ.

هكذا إذاً، كل ما شئت، حيث إنّها قاعدةٌ عامةٌ مطلقة في المسيحية البولسية، أو قُل هو قانونُ اللاّقانون، أو قانونُ تركِ الحبل على الغارب، لا شيء اسمُه طعامٌ حرامٌ في المسيحية البتة، مثلما أنّ كلمة «الحرام»، أو «حرام»، لا توجد في العهد الجديد كلّه، على عكس العهد القديم الذي لطالما وردت فيه هذه الكلمةُ.

ويقسّمُ القمص تادرس يعقوب ملطي، في تفسيره للإصحاح الثامن من رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس، والتي نحن بصددها، يقسّمُ المؤمنين إلى فريقين:

**فريقٌ صاحبُ ضميرٍ قويٍّ**: أغلبهم من أصلٍ أممي لم يمتنعوا عن أكل ما ذُبح للأوثان، حاسبين أنه لا توجدُ آلهةٌ أو أوثان. وأنّ الأوثان عاجزةٌ عن تقديس الذبيحة أو تدنيسها لأنها غير موجودة بالمرة [!]. وأنّ ما ذُبح هي خليقةُ الله التي أوجدها ليأكلها الإنسانُ. ويرونَ أنه من حقهم شراءُ أيةِ لحومٍ من الملحمة بغض النظر عن مصدرها أو مآل ثمنها. فالمؤمنُ يستطيع أن يأكل دون أن يسأل عما إذا كانت هذه اللحومُ من ذبائح وثنية أم لا.

**الفريق الثاني ضعيفو النفوس**، وكان أغلبهم من أصل يهودي. فقد تنجّس ضميرُهم بسبب تصرفات الفريق الأول، فالّذين من أصلٍ



يهوديّ يرفضون هذا الطعام لأنه مرتبط بعبادة آلهةٍ باطلة، ولأنّ الحيوانات لم تُذبح حسب الشريعة.

في رأي الرسول بولس أنّ المؤمن يجبُ أن يكون ضميرُه قوياً، يأكلُ بدون فحصٍ [وهل ثمة ما هو أسهلُ من ذلك للأمميين المتنصرين، بل للناس جميعاً؟ ثم أيُّ فرقٍ لهؤلاء عمّن لا التزام له بالدين أو عمّن لا دين له أصلاً؟].

لعمري، لقد اشتطَّ هؤلاء في كذبهم على الله وعلى الناس، إذ لو كان الأمرُ كذلك، فلِمَ قد حرَّم الله في شريعته المنزلة على رسوله موسى، في التوراة، ما حرَّمَ، ومنها اللحومُ المذبوحة تقدمةً إلى الأوثان؟ هل أنّ إله العهد القديم جاهلٌ، وإله العهد الجديد عالم؟ أم تُراه قد نسي وصاياه وأحكامه، أم هو متقلِّبُ الهوى فيما يتطلّبُ من عباده؟ فهكذا، إذاً، أيّها المتنصِّرُ، كُل ما شئت! - حَسَب شرعة بولس - ومن دون أن تسأل، حتى يكون ضميرُك قويّاً!

ويتضحُ لنا من كلِّ ذلك أنّ ما سُمي برسالة مجمّع أورشليم التي أُرسلت بيد بولس وبرنابا إلى الأمميين، بتحريم «لحوم الحيوانات المقدّمة للأوثان، والمخنوقة، والدم، وتحريم الزنى» قد كان ذراً للرماد في العيون، للتغطية على مخالفة ناموس موسى وإبطاله، مما سبق ذكرُه، بإلغاء الختان، وإلغاء التحريمات التوراتية للطعام غير الشرعيّ، والتي أسهبت التوراةُ في تفصيلها مثلما هي شدّدت النكير على من لا يلتزمُ بها.

ويا ليت بولس قد عزى هذه المقولات إلى نفسه، وإلى رأيٍ ارتآه هو، وإذَن لهان الخطبُ، بترك الأمر إلى الناس يعقلون من أوامر الشريعة ما يعقلون فيتّبعونه، ولكنّه عزى كلَّ ذلك إلى الله. ولا يسعُنا هنا إلاّ أن نتذكر، مرةً أخرى، مقولة بولس، وهي لا نملك إزاء أفعاله إلاّ أن نصدِّقَهُ فيها، وهي أنّه كان يسلك مع اليهود وكأنه يهوديّ، ومع غير المؤمنين وكأنه منهم، وكذلك فعلُهُ مع من قد آمن بالشريعة واتّبعها أو من قد جحدها وأنكرها.

فلا جرَم، من ثُمَّ، ولا غرابة البتّة، في أن يُجبَرَ بطرسُ، حامي حمى

المسيحية والكنيسة من بعد المسيح، على أن يصير إلى الظلّ، وغياهب النسيان، وأن تكال له التُهم التي سجلتها الأناجيل والرسائل، في ظلّ غياب له ولمناصريه دُفعوا إليه، أو في غياهب التشويه المتعمّد، والمستمر.

ويجاهرُ بولس، في **رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس**، فيقول:

١٢:٦ «كلّ الأشياء تحل لي»، لكن ليس كلُّ الأشياء توافقُ.

١٣:٦ الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة، والله سيُبيد هذا وتلك.

ولا يزيدُ معنى قول بولس «لكن ليس كلُّ الأشياءِ تُوافق»، إلاّ أنه قد أبلغ الناس بأنّ أمر تقرير موافقة الطعام والشراب من عدمه إنما هو متروكٌ لهم، وأنّ الشريعة قد استُبعدت من ذلك تماماً.

يقول القسيس أنطونيوس فكري، في تفسير رسالة بولس إلى أهل **رومية**:

هنا في رسالة رومية نرى بولس غير مهتمٍّ بأن يلتزم المؤمن بيوم أو بنوع من الأطعمة أو لا يلتزم. ولكنّه في رسالة كولوسي:

٨:٢ أُنظروا أن لا يكونُ أحد يسبيكم، بالفلسفة وبغرور باطلٍ، حسب تقليد الناس، حسب أركان العالم، وليس حسب المسيح.

١٦:٢ فلن يحكم عليكم أحَدٌ في أكلٍ أو شربٍ، أو من جهة عيد أو هلال أو سبت[1]. قد مَنَعَ نهائياً هذا التحكّم اليهوديَّ، وهكذا فَعَل في غلاطية.

والغريبُ أنّ بولس قد نَبَزَ الرافضين لما جاء به من إجازة تناول أيِّ طعام كان بأنهم ضعفاء «يتشككون بسبب طول ممارستهم للشريعة الموسوية ويصعُبُ عليهم التخلّصُ منها»، ولكنّه هاجم «الأقوياء» الذين يزدرون بإخوتهم الضعفاء. والمقصودُ بالضعفاء هنا، حسب تفسير القديس ذهبيّ الفم أنهم ضعفاءُ الإيمان، وأمّا الأقوياء الذين يتناولون من الطعام ما يشاؤون فهمُ الأقوياءُ، أي أقوياءُ الإيمان! فصار أمرُ شريعة موسى مع هؤلاء معكوساً،

(١) لقد عقد بولس عزمه على أن يجتذب إليه عموم الأمميين الوثنيين بطرح متطلبات الشريعة وراءهم ظهرياً، وجعلهم أحراراً فيما يريدون. إنه الإنعتاقُ عن شريعة السماء، وما أسهله على النفس البشرية والهوى، فنجح فيما أراده نجاحاً كبيراً، ولكن على حساب تعاليم السماء.



فمن يلتزم بناموس موسى فيما يأكُل وما لا يأكلُ صار ضعيف الإيمان، ومن لم يلتزم بها صارَ قويَّ الإيمان.

**بولس: رضا الإنسان، لا رضا الله!**

وأنت يا «قويَّ الإيمان»، يا من لا تُحَرِّمُ شيئاً أن تأكله، إذا ما تركت طعاماً لأجل أخيك ضعيف الإيمان فلن تخسر شيئاً، لأنّ الروح القدس سيهبُك البِرَّ والسلام والفرح بذلك. فلاحظ كيف أنّ إرضاءك العبد، بمخالفة الناموس الإلهيّ، قد صار عند بولس إرضاءً لله. يقول بولس في رسالته إلى أهل **رومية**:

١:١٤ ومن هو ضعيفُ الإيمان [أي يتّبعُ ناموس موسى، في الطعام خصوصاً] فاقبلوه.

٢:١٤ واحدٌ يؤمنُ أن يأكل كلّ شيءٍ [فذلك هو المؤمن قويُّ الإيمان]، وأمّا الضعيفُ [ضعيفُ الإيمان] فيأكلُ بقولاً [يُلزم نفسه بتناول الأطعمة المحللة].

٣:١٤ لا يزدر من يأكلُ بمن لا يأكُل، ولا يَدِن من لا يأكُل من يأكُل، لأنّ الله قبلَهُ.

١٤:١٤ إني عالمٌ ومتيقنٌ في الرب يسوع أن ليس شيءٌ نجساً بذاته، إلاّ من يحسبُ شيئاً نجساً، فله هو نجسٌ [ويا له من قانون فريد وغريب هذا الذي سنّة بولس].

١٥:١٤ فإن كان أخوك بسبب طعامك يحزَنُ، فلست تسلُكُ بعدُ حسب المحبة.

لا تهلك بطعامك ذلك الذي مات المسيح لأجله [أي أن «المسيح الإله» قد مات لأجل أن تُرضي أخاك، فأرضِ المسيح بإرضاء أخيك وعدم إحزانه في طعامه [فصار رضا الإنسان مُقدّماً على رضا الله!].

٢٠:١٤ لاتنقض لأجل الطعام عمل الله.

**كلُّ الأشياء طاهرةٌ** [وهذا هو بيت القصيد، في تحليل بولس لكل ما حرّمته التوراة].

وهكذا فإنّ بولس لا يعترف بوجود شيءٍ اسمه «نجس»، بل هو يعتقدُ بأنّ كلَّ شيءٍ هو طاهرٌ.

ومن المهم هنا أن نُشير، مرّة أخرى إلى أن التحريم ليس هو بسبب النجاسة بالضرورة، فعلَّةُ تحريم الطعام في القرآن الكريم هي كونُه خبيثاً، مؤذياً، وما كلُّ غير نجس هو بحلالٍ، وعِلَّةُ تحليل الطعام هي كونُه طيّباً ﴿..**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**..﴾ [الأعراف:١٥٧].

والبِدعَةُ التي جاء بها بولسُ، في عدم اعترافه بوجودِ أيِّ نجسٍ أو غير مقبول في الطعام، يردُّها ما جاء في رؤيا يوحنا اللاهوتي، إذ هو يعترفُ بوجود المنجِّسات، وبكون بعض الطيور نجسةً:

٢:١٨ .. ومحرساً لكلِّ طائر نجسٍ وممقوتٍ.

فليس ثمة أيّةُ غرابة في أن لا يحتوي العهد الجديد كله على كلمة «حرام»، بينما هي جاءت في العهد القديم إثنتا عشرة مرّةً.

ولقد قلنا بأن الأناجيل قد كُتبت بعد رسائل بولس بفترة ليست بالقصيرة، فلقد تأثّرت الأناجيلُ الأربعة بها، أو بالأحرى لم تكن لتملك أن تحيد عمّا جاء في رسائل بولس من عقائد وأحكامٍ منحرفةٍ. فها هي الأناجيلُ المعتمدةُ تخالفُ شريعة موسى أشدَّ مخالفةٍ، وهي تنسِبُ للسيد المسيح (ع) ما معناه تحليلُ كلِّ طعام وشراب، وأن لا شيء محظوراً منهما في الكنيسة، وهي تشيرُ إلى الممنوعات بكلمة «التنجيس»، والأصحُّ في وصفها هو وصفُ القرآن الكريم لها بالخبائث، وعكسُها الطيّبات.

**وفي إنجيل متى:**

١١:١٥ ليس ما يدخل الفم ينجّسُ الإنسان، بل ما يخرج من الفم هذا ينجّس الإنسان.

**وفي إنجيل مرقس:**

١٥:٧ ليس شيءٌ من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدرُ أن ينجّسه، لكنّ الأشياء التي تخرجُ منه هي التي تنجّس الإنسان.



١٨:٧ فقال لهم: «أفأنتم أيضاً هكذا غيرُ فاهمين؟ أما تفهمون أنّ كلّ ما يدخُلُ الإنسان من خارج لا يقدِرُ أن ينجّسه؟».

ويكفي لدحض صحّة هذا الكلام المنسوب للسيد المسيح أنّه يُناقِضُ ما تنسبُهُ التوراةُ لموسى (ع)، عن الله ربِّ العالمين. فأمّا أن يكون موسى وعيسى (ع) كاذبيْن، وهذا مُحال، وهما في العقيدة الإسلامية معصومان، وأمّا أن تكون التوراةُ أو الأناجيلُ كاذبةً.

لكنَّ شريعة موسى (ع) قد ظلّت عهداً طويلاً على زمن موسى ومن بعده معروفاً أمرها، شائعةً أحكامها، مرضيّةً محترمةً سارية، لم ينكرها موسى ولا من جاء بعده من أنبياء ورُسُل، وبذلك يتّضحُ أنّ ما نُسب إلى المسيح من إلغاء أحكام الشريعة في الأطعمة والأشربة إنما هو محضُ افتراءٍ، وهو ليس إلاّ انعكاساً لآراء بولس التي قام بنشرها والتبشير بها حيثُما ذهب في رحلاته المتعددة.

# فلسفة الذبح والذبائح في المسيحية

**أولاً ـ لا توجد أيّةُ قواعدَ، في المسيحية، لذبح الحيوان**

**ثانياً ـ ليس ثمة، في المسيحية، من قرابين تُقدّم لله**

## أولاً ـ لا توجد أيّةُ قواعد، في المسيحية، لذبح الحيوان

إذا نحنُ ذكرنا أيّة قواعد لذبح الحيوانات، من أجل تناول لحومها، في المسيحية ـ وهي بولسيّة كما قد رأينا ـ فإننا نكونُ قد جانَبنا الحقيقة، إذ ليس ثمة في المسيحية من قواعد لإنهاء حياة الحيوان، على الإطلاق. والتعبيرُ الأصحُّ في وصف ما يجري للحيوان هنا هو القتلُ Killing، وليس الذَّبحُ Slaughter، والمسيحيون في الغرب هم عادةً ما يستعملون التعبير الأول، لا الثاني، على ما يقومون به. فضَربُ الحيوان على رأسه بآلةٍ غليظة أو إطلاقةٍ تنفُذُ في رأسه لهو قتلٌ غير رحيم، إذ وبدلاً من إمرار السّكّين الحادّة على رقبة الحيوان وقطع الأوداج الأربعة فيه، مما يتسبَّبُ في تفريغ فوريٍّ للدّم من دماغه وجسده، فيفقدُ شعوره فوراً، فإنّه ومن طريق الضّربِ على رأسه أو إطلاق إطلاقة تنفُذُ فيه، يشعُرُ بالألم الشّديد، ثم هو يموتُ غالباً من دون خروج أيِّ دمٍ منه[1].

إنّ كتب الفقه الإسلامية، واليهودية كذلك، لهي تطفحُ بالشروط الدقيقة لعملية الذبح، ومن دون توفّرها لا يُعدُّ لحمُ الحيوان صالحاً شرعاً للإستهلاك. وأمّا المسيحية فإنها تخلو من ذلك تماماً، وسيّان أقُتل الحيوان أم ذُبح. وإذا ما أردنا أن نذكر أية قواعد لذبح الحيوان، في المسيحية، فإننا نكون قد جانبنا الصواب، إذ لا يوجد في الحقيقة أيةُ قواعد على الإطلاق!

## ثانياً ـ ليس ثمة، في المسيحية، من قرابين تُقدّم لله

لا يُذبح الحيوانُ الصالح لتناول لحمه إلاّ بهدف أكله. لقد أنعم الله سبحانه على الإنسان بما لا يُحصى من نعمه ﴿..**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا**

(1) يفقدُ الحيوان إحساسه، كليّة، حال فري أوداجه، وأمّا التقلّصاتُ التي تُصيبُ جسد الحيوان بعد ذلك فهي سببها انعدامُ تجهيز الدماغ بالدم، وهو ما يتزامنُ مع الذّبح نفسه، فهو وبسبب فقدان الإحساس الكامل، لا يشعر بأيِّ ألم على الإطلاق.



**تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾ [إبراهيم:٣٤]، فالأرضُ تُخرج من نباتها، والحيوانات تقتاتُ على الأخيرة، والإنسان يقتات على الإثنين معاً. والمؤمن يذبح الذبيحة أو القربان أو الأُضحية لوجه الله تعالى تقرّباً إليه، لا بهدف الذبح بحدِّ ذاته وإنّما بقصد الإنتفاع من لحومها. فالذبيحةُ لا يأكلها واحد، وإنما هي يتشارك فيها، في العادة، العديد من الناس، وخصوصاً الفقراءُ والمحتاجون منهم، وفي ذلك لا ريب عملُ خير يُوجرُه الله عليه بإطعام المحتاج. يذبحُ المؤمن ذبيحته، راحمالَها، ذاكراً وشاكراً لأنعُم الله عليه، في فريضة الحجّ أو في غيرها: ﴿**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ**[2] **الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ**﴾ [الحج:٢٨].

إنّ ذبح الأنعام، قُربةً لله تعالى، انتفاعاً بها، وذكراً لله تعالى وشكراً له أيضاً، لهو شعيرةٌ قديمةٌ قِدمَ وجود الإنسان على وجه الإرض، وكذلك فعل إبراهيم، أبو الأنبياء، وذريته من بعده، وقد فصّلت التوراة أحكامها، فلِم قد أبطلت المسيحيةُ الذبائح لله؟ إنّ الأديان السماوية جميعاً تعرفُ هذه الشّعيرة، فلِم خرَجَ المسيحيّ، وهو مُتّبعٌ بدعةً لبولس كما قد رأينا، على هذه الشعيرة الرّبانية؟ هاك فهماً، بل تفسيراً، آخر غريباً للأمر، على لسان العلاّمة الشهيرة ترتليان:

لسنا نكسرُ الناموس، ولا حتى في طقوسه.

**فالذبائحُ** على سبيل المثال قد تحقّقت في **ذبيحة المسيح الذاتيّة** الفريدة المقدمة لحساب كل المؤمنين [أي أن المسيح قد صار «ذبيحةً» بـ«صلبه»].

**والختانُ** تحقّق روحياً بطريقةٍ كاملةٍ في **المعمودية**.

ولم تَمَّ إلغاءُ السبت؟

**والسبتُ** يَحفَظُ روحياً كلَّ أيامنا كسبتٍ (راحةٍ) في **المسيح**.

أرأيت كيف يُلوى عُنقُ الحقيقة، وكيف يُبرَّرُ الخروجُ على الشريعة؟

(2) وانظر إلى بهيمة الأنعام، إذ هي تُسلِمُ نفسها للذبح وهي أشبه ما تكون في الليل البهيم، لا تكاد أن تخشى أو تتوقع ذبحاً، وقد جعلها المولى هكذا رحمةً بها.

# الروحُ القدسُ يقوم بثورةٍ داخليةٍ

هذا العنوانُ هو ليس من عندنا، وإليك التفصيل.

قلنا إن الدلائل كلها تنفي أن يكون بطرسُ قد وافق على إلغاء الناموس والختان. وهنا نوردُ دلالةً أخرى بالغة الغرابة. يقول القمص تادرس يعقوب ملطي، في تعليقه على ما نُسب إلى بطرس، في مجمع أورشليم، من أنه قد دعا الحاضرين إلى عدم التفرقة بين الأمميّين (غير اليهود) وبين اليهود المتنصّرين، من ناحيةِ الختان، من قوله (أي قول بطرس): «ولم يميّز [الله] بيننا وبينهم بشيء إذ طهّر بالإيمان قلوبهم»، يقول القمص ملطي بأنّ تصرّف بطرس هذا قد كان:

> أشبه **بثورةٍ داخليةٍ يقومُ بها الروحُ القدسُ** نفسُه [!] لتقديم مفهوم عميقٍ للخلاص. لقد انعقد المجمعُ بخصوص الأمم المتنصرين وموقفهم من الناموس الموسويّ، وهو ذا القديسُ بطرسُ يكشف عن التحرّرِ من حَرفِ الناموس. إن كانوا لم يختتنوا ولم يُتمّموا ناموس موسى حرفياً إلاّ أنّ الله أظهر أنّ حفظ هذه العادات ليس بالأمر الضروريِّ [صار الأمرُ الإلهيُّ المُغْلَظُ مجرّدَ «عاداتٍ» غير ضرورية] لقبول الإنسان لدى الله، متمتعاً بالشركة معه [صار الإنسان هذه المرة نِدّاً وشريكاً لله، فكيف يخضعُ لأوامره؟!].

لقد كان الأمرُ خطيراً، فبعد خطابِ بطرسَ في مجمع أورشليم تكلم برنابا وبولسُ، ثم أتبعه يعقوب الذي ينسِبُ إليه سِفرُ **«أعمال الرّسل»** قولَهُ:

> ١٥:١٩ **لذلك أرى أن لا نضع عبئاً** على المهتدين إلى الله من غير اليهودِ،
>
> ١٥:٢٠ بل نكتبُ إليهم رسالةً نوصيهم فيها بأن يمتنعوا عن الأكل من الذبائح النجسة المقرّبة للأصنام، وعن ارتكابِ الزنى، وعن تناولِ لحوم الحيوانات المخنوقة، وعن الدم.
>
> ١٥:٢١ فإنّ لموسى، مُنذ القِدَم، أتباعاً في كلِّ مدينةٍ، يقرأون شريعته ويبشِّرون بها في المجامع كلَّ سبتٍ.



هكذا إذاً: إنها موازنةٌ صُمّمت لتُرضي الطرفين، دون أن تُرضي الله! فقولُه: «لا نضَعُ عبئاً على المهتدين من غير اليهود» هو مُوَجَّهٌ إلى أولئك، وأمّا قوله: «فإنّ لموسى أتباعاً» يُشيرُ في الوقت ذاته إلى إرضاء اليهود الذين يوجدون في كلِّ مدينةٍ ويقرأون شريعة موسى ويبشّرون بها.

ولكن ما هي تلك التوصياتُ التي أُسميت بـ«الأمر الرسوليّ» Apostolic Decree؟ ولِمَ هي هذه التوصياتُ بالذات؟

إنّها، وكما قلنا، قد صُمّمت بطريقةٍ خادعةٍ، فهي إذ توصي بتجنّب الذبائح المقدمة للأصنام - والتي يصفُها بالنجسة - والزنى، وتناول لحوم الحيوانات المخنوقة، والدم، فإنها تُوحي لمتلقيها بالتزام الموصي بها بناموس موسى، بينما هي في الحقيقة تُفَرِّغُهُ من محتواه، فهي ليست إلاّ تغطيةً على إلغاء الختان وباقي ما في الناموس. وهكذا فلقد أرسل المجمعُ بولس وبرنابا مع رجلَيْن آخرَيْن برسالةٍ إلى أهلِ أنطاكية، وهذا نصُّ بعضِ ما جاء فيها، حسب **«أعمال الرسل»**:

> ١٥:٢٣ من الرسل والشيوخ والإخوة، إلى الإخوة المؤمنين من غير اليهود في مقاطعات أنطاكية وسورية وكيليكِيَّة: سلامٌ!
>
> ١٥:٢٤ عَلِمنا أنّ بعض الأشخاص ذهبوا من عندنا إليكم - دون تفويضٍ منا - فأثاروا بكلامهم الإضطراب بينكم وأقلقوا أفكاركم.
>
> ١٥:٢٨ فقد رأى الروحُ القدسُ [!]
>
> ونحنُ [!]،
>
> أن لا نحمّلكم
>
> أيَّ عبءٍ فوق ما يتوجّبُ عليكم.
>
> ١٥:٢٩ إنما عليكم أن تمتنعوا عن الأكلِ
>
> من الذبائح المقرّبةِ للأصنام،
>
> و عن تناول الدم
>
> ولحوم الحيوانات المخنوقة،
>
> وعن ارتكاب الزنى.
>
> وتُحسنون عملاً إن حفظتُم أنفسكم من هذه الأمور. عافاكم الله.

ونرى هنا عجباً. فبعد الخطبة المنسوبة إلى بطرس تكلمَّ برنابا وبولسُ،

وتكلّم يعقوبُ «أخُ الرّب» أخيراً، فأعرب عن رأيه في الأمر قائلاً: لذلك أرى أن لا نضع عبئاً، وصيغةُ كلامه تدلّ على أنّ ما قاله رأيٌ ارتآه هو، وكذلك كان بقيةُ الموجودين. ولكنّ الغرابة هي في نصّ المجمع الذي جاء بهذا الشكل الغريب: «فقد رأى الروحُ القدسُ ونحنُ، أن لا نحمّلكم، إلخ». إذا كان الروحُ القدس قد قرّر ذلك، فإنّه يعني ضمن ما يعني:

١ ـ أنّ الله قد بدّل رأيه، فهو بَعد أن أوحى إلى موسى بشريعة التوراة، قد قرّر إلغاء ذلك الناموس في وحي جديد، حسب ما ادّعاهُ شيوخ مجموع أورشليم، وهو أمرٌ غيرُ معقول. إننا لا يمكنُ أن نكذّب بناموس موسى، طبعاً، فليس ثمّة مجالٍ للمؤمن إلاّ أن يكذّب ادّعاء أصحاب هذا المجمع، والذي سيطر عليه بولسُ بذلاقة لسانه، بل وبتهجّمه وإسكاته المُذِلِ لرأسِ الكنيسة، بطرس.

٢ ـ إذا كان الروحُ القدس قد قرّر قراره ذاك، بإلغاء الناموس المنزّل على موسى، فما هو الداعي إلى اجتماع هؤلاء، وتداولهم معه، ومشاجرتهم العنيفة، واختلافهم، وتوجيههم التهم المتبادلة إلى بعضهم البعض، حيث وصف بولسُ من معه من تلاميذ المسيح والشيوخ بأنهم «كَذَبةٌ» و«جواسيسُ» و«مُراؤون»؟ لو كان الأمرُ يتعلّقُ بإيحاءٍ من الروح القدس إليهم، لما كان ثمة من داعٍ إلى تبادل التهم والتعنيف والتوبيخ، ولا يعني ذلك إلاّ أنّ الإدعاء بأن الروح القدس قد أوحى إليهم بما قالوه هو مُجرّدُ افتراءٍ.

٣ ـ ثم ما معنى القول: «رأى الروحُ القدسُ ونحنُ»؟ هل كان ثمة اجتماعٌ للروح القدس معهم؟ ثم كيف ميّز كلٌّ من هؤلاء بين رأيه الشخصيّ هو، وبين رأي الروح القدس؟ هل ظهر الروحُ القدس لهم رأي العين؟ وبأيّ شكل؟ هل قد تجسّم فظهر على شكل حمامة، مثلما رُوِيَ حُدوثُه عند تعميد المسيح؟ لقد كان «الله ـ الروح القدس» يتّصل بالناس، دائماً، في قولهم، من طريق «الإمتلاء من الروح القدس»، أو قُلْ هو الإلقاءُ في القلب. فما دام الأمر كذلك، فكيف قد ميَّزَ كلٌ من أولئك بين رأيه الذي ارتآه، بعد إعمال الفكر، وبين «الإمتلاء من الروح القدس»؟ إنّ هذا التمييز لهوُ أمرٌ مستحيلٌ، وبقدرِ استحالته يستحيلُ أن يكون ما نقلَهُ «أعمال الرسل»



صحيحاً. إنها فبركةٌ قام بها بولسُ ومن معه. ومن عجبٍ أنّ بطرس الذي يصِحُ أن نصفَه بأنّه خليفةُ المسيح في المسيحيين من بعده قد اختفى من دائرة الفعل، ولم يعُد يُشار إليه البتّة، لا في «أعمال الرسل» ولا في رسائل بولس، بعد ذلك الحادث، باستثناء رسالة بولس إلى أهل غلاطية.

لقد ورد اسمُ بطرس، في الأناجيل الأربعة، ٩٦ مرة، وورد في «أعمال الرسل»، وهو يليها مباشرةً في تراتبيّة كُتب العهد الجديد، ٥٨ مرة، وكانت آخرُ مرّةٍ ورد فيها اسمُه الحادثةُ المشهورةُ عندما عنّفَ بولسُ بطرسَ ووبّخَهُ توبيخاً عنيفاً، إذ لم يجيء هذا السفرُ على ذكره بعد ذلك. ففي النصف الأول من هذا السفر ورد اسمه، وكما ذكرنا، ٥٨ مرة، ولكنّ اسمه انعدم ذكره في النصف الثاني من هذا السفر، وبعد حدوث تلك الواقعة، لا بل إنّ العهد الجديد وبأسفاره الكثيرة لم يجئ على ذكره مرة أخرى، إلاّ في رسالة بولس إلى أهل غلاطية، حيث ورد اسمهُ ٥ مراتٍ، وكانت بصدد التعريض والنَّيل من بطرس، لا غير. لقد هَزَمَ بولسُ بطرس رأس الكنيسة، وموسّسها، وخليفة المسيح.

هذا وتحفلُ الأناجيل الأربعة، وهي تمّت كتابتُها بعد زمن كتابة «أعمال الرسل»، كما هو معلومٌ، بصورةٍ تدعو للرّيب الشديد، من خلال تصوير المسيح منتقداً بطرس مراراً انتقاداً مُخجلاً، وهو ما يدعونا لأن نَشُكَّ بأنّ هذا الإنتقاص من بطرس على لسان المسيح هو روايةٌ مكذوبةٌ أُدخلت في الأناجيل الأربعة مثلما هي أُدخلت في «أعمال الرسل» قبل ذلك، لتشويه صورة بطرس.

# مشكلتان في أنطاكية

ظلّت مقاومةُ اليهود المتنصرين لبولس، ومعارضتهم له، في ما أُسمي بجهوده في «تحرير الأمم من حرفيّة الناموس»، عنيفةً، وظلّ هؤلاء يشكّلون جبهةً قويةً في مقاومته. وتعترف المصادرُ المسيحيةُ بأنّ هذه الجبهة قد بقيت عنيفةً إلى آخر لحظات عمرِ بولس. ففي اخر رسالةٍ له قال له تلاميذُ المسيح، في **«أعمال الرسل»**:

٢١:٢٠ أنت ترى أيها الأخ كم يوجد ربوة (عشرة آلاف) من اليهود الذين آمنوا وهم غيورون للناموس.

وظهرت الإنقساماتُ في كنيسة كورنثوس، فصار بعضُهم يتبعُ صفا (بطرس)، وبعضهم يتبعُ بولس. وعلّلَ المتمسكون بالختان والطقوس الموسوية موقفهم بالآتي:

١ - إنها فرائضُ إلهيةٌ لا يمكنُ تغييرها.

٢ - إنّ السيّد المسيح جاء ليكمل الناموس لا لينقضَه.

وأمّا مخالفوهم من أتباع بولس فلقد رأوا أنّ هاتين الحقيقتين لا تتعارضان مع ما أسموه بالختان الرّوحي:

**١ - اليهود المتنصرون يعترضون على إلغاء الختان**

**٢ - منازعةٌ بين بولس وبرنابا، غيرُ مفهومةٌ، وافتراقُهما إلى الأبد**

يقول القمص تادرس يعقوب ملطي إنه قد حدث، قبل بدءِ بولس رحلته الثانية من أنطاكية، «أمران محزنان»:

١ - لقد كانت ثمةُ مطالبةٌ قويةٌ من المتنصرين، سواء أكانوا يهوداً أم وثنيين أم غيرهم، في أن يحفظوا الناموس اليهودي، بينما كان بولسُ يريد جلب أولئك بالقول بأنه يكفي ممارسةُ قوانين العبادة بالمفهوم الروحيّ دون الحاجة إلى الحرفية، والأخيرُ هو نفس ما ذهب إليه فيلونُ اليهوديّ السكندريّ، تخلصاً من تبعات الشريعة الموسوية، وقد قاوم



بولسَ القدّيس بطرس علانيةً، وتفاقمت هذه المشكلة حتى صارت هناك ضرورةٌ لعقد أوّل مجمعٍ كنسي رسولي، عام ٤٧م، في أورشليم، للنظر في قضية اتّباع الناموس اليهودي من عدمه.

٢ - حدثت مشاجرةٌ بين بولس وبين برنابا تلميذ المسيح، افترق بعدها الرجلان إلى الأبد، ولم يرَ أحدُهما الآخر بعد ذلك قطُّ. والسبب الذي يذكره «أعمال الرسل» تافِهٌ، وهو أنّ برنابا أصرَّ على أن يأخذ «مرقس الرسول» معه، ولا شك أنّ ثمة سبباً أو أسباباً جوهرية لاختلاف برنابا مع بولس. جاء في **«أعمال الرسل»**:

١٥:٣٩ فحصل بينهما مشاجرةٌ، حتى فارق أحدهما الآخر، وبرنابا أخذ مرقس، وسافر في البحر إلى قبرص.

وهذا ما قاله لوقا، صاحبُ بولس، في «أعمال الرسل»، عن المشكلة الأولى:

١٥:١ وانحدرَ قومٌ من اليهودية،

وجعلوا يعلّمون الإخوة أنه إن لم تختنوا حسب عادة موسى لا يُمكنكُم أن تخلصوا.

ولقد تسبّبَ ذلك في انشقاقٍ خطيرٍ داخل المسيحية، وشعرت القياداتُ الكنسية بلا شكٍّ بحرجٍ شديدٍ، بين سماحهم بإبطال الناموس وبين خشيتهم من إغضاب اليهود المتنصرين.

١٥:٥ ولكن قام أُناسٌ من الذين كانوا آمنوا من الفريسيين وقالوا إنّه ينبغي أن يختتنوا

ويُوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى

وهكذا اجتمع «الرسل» مع الكهنة (المشايخ) Presbyters، لبحث هذا الأمر الخطير، فيما عُرف بأولّ مجمعٍ كنسي في تاريخ الكنيسة. ولا يخبرُنا «أعمال الرسل» عمّا جرى في مجمع أورشليم هذا بالضبط، والذي وقف فيه بطرس متحدثاً. ويتكلمُ القمص تادرس يعقوب ملطي عن بطرس في هذا الموقف، قائلاً:

وقف القديسُ بطرس الذي من جانبٍ يمثّلُ كنيسة الختان، وقد عُرِف

بحفظه للناموس حتى حسبهُ البعضُ كمن يقفُ في مقابل القديس بولس رسول الأمم. بدأ المجمعُ بالمباحثات الكثيرة دون الإشارة إلى أسماء المتكلمين، ولا قدَّم لنا الإنجيلي تفاصيل الحوار [ثمة علامات استفهام كثيرة حول ما حدث فعلاً في هذا المجمع]. إنّ كثيراً من المسيحيين من أصلٍ يهوديٍّ يتطلعون إليه كرجلٍ محافظٍ على الناموس، لأنه رسولُ الختان، فكان لديهم استعدادٌ أن يسمعوا له في هذا الشأن. إنه لم يُتَّهم قطُّ مِثلَ الرسول بولس أنه متحرّرٌ من جهة حفظ الناموس حرفياً.



# من هو بطرسُ؟

### إسمُه وألقابه

هو أحد تلاميذ (حواريّي) السيد المسيح. إسمُه الأصليّ سِمعان Shimon، وبالإنكليزية الحديثة Simon، وهو بالإغريقية في العهد الجديد بطرسُ Petros، وقد اشتُقّت الأخيرةُ من كلمة Petra، وتعني «الصخرة»، واسمُها بالتذكير، في الترجمة اللاّتينية للكتاب المقدس هو Petrus، وبالآرامية «صفا» Kêpâ، و«صفا» هي كلمةٌ عربية، وتعني «الصخرة» أيضاً، وبالإغريقية Cephas، وبالإنكليزية Peter.

### مكانته بين تلاميذ المسيح

يحتلّ بطرسُ مكانةً بارزةً بين تلاميذ المسيح الإثني عشر، في أناجيل العهد الجديد وسفر أعمال الرسل، وهو إذ يُعتبر «أميرَ الرُسُل»، وباب الكنيسة الأول، ومؤسّس الكنيسة التي أرسى دعائمها بقوّةٍ. إنّ بطرس هو أحدُ الثلاثة الذين شكّلوا الحلقة الداخلية حول المسيح، واسمُه هو أحد الأسماء الأكثر انتشاراً عند المسيحيين العرب.

وتُعتبرُ قضيّةُ أوّليةُ بطرس والسلطةُ الممنوحةُ له من قبل المسيح، وأفضليتُه على تلاميذ المسيح الإثني عشر الآخرين بناءً أساسياً في الكنيسة الكاثوليكية والصَّرح البابوبي. وتستندُ الكنيسة الكاثوليكية في نظرتها هذه إلى عدّة مواقف ومقاطع كتابية من العهد الجديد. فمن المعروف أنّ المسيح قد اختار تلاميذه الإثني عشر من بين حلقةٍ أوسع كانت تتبعُه. وكان من بين الإثنا عشر حلقةٌ أضيقُ تتكوّنُ من تلاميذه المقرّبين، وتشملُ **بطرس**، وأخاه **يعقوب** الذي يُعرف باسم يعقوب البارّ[1] James the Just، وهو يلقب أيضاً بـ«أخ الرّب» (أخ السيد المسيح)، كما جاء في رسالة بولس إلى غلاطية [١٩:١] «James the brother of the Lord»، وكان الثالثُ هو يوحنا بن زبدي "John the Apostle "Yohanon Ben Zavdai. وتتعدّد المواضعُ التي يُذكر فيها انفرادُ المسيح بهؤلاء الثلاثة الكبار.

والأمرُ هو ذاته مع قوائم أسماءِ تلاميذ المسيح، أو «رُسُله». فثمّة أربعُ

(١) يعقوب Ya'akov، هو اسم عبريٌّ، وهو يُعرف بالإنكليزية المأخوذة عن الإغريقية باسم جاكوب Jacob.

قوائمَ في الأناجيل المتوافقة وأعمال الرسل، وبينما تختلفُ هذه في ترتيب أسماء هؤلاء، فإنّها تتّفقُ جميعاً في وضعها اسم بطرس على الرأس منهم، إذ إنّ التقليد القديم الذي تستندُ إليه هذه الأناجيلُ «المتوافقة» لا يجهلُ البتّة أنّ بطرس كان يحتلُّ مكانةً رفيعة بين التلاميذ، ويقولُ اللاّهوتيُّ البروتستانتي أوسكار كولمان «إنّ هذا الوضع الخاص يثبّتُه كلٌّ من لوقا ومرقس ومتّى، ولا يُمكن إنكارُه أو الحدُّ من أبعاده إلاّ بدافع حكم مُسبق طائفيّ».

لقد كان بطرسُ هو المتحدّث باسم الجماعة المسيحيّة الأولى، والقدوة للمسيحيين جميعاً، ويُعتقد إنّه قد كتب سفرين من أسفار العهد الجديد، وهما رسالتا بطرسُ الأولى والثانية، وثمّة أناجيلُ عديدة تنسب إليه، ولكنّ الكنيسة حكمت عليها بأنها مُلفَّقة. وحسب العهد الجديد، فلقد اختصّ المسيحُ بطرُس مع يعقوب أخاه ويوحنّا بن زبدي بمعاينتهم لأحداث عظيمة ترويها الأناجيل، كحادثة التَجلّي Transfiguration of Jesus، أي تجلي المسيح لهم بعد أن صير إلى صلبه وقتله بحسب المعتقد المسيحيّ.

وتُظهر معظمُ اللّوحات التي رُسمت لبطرس، تُظهرُه حاملاً لمفاتيح ملكوت السّماوات حسبما وصفه المسيح به، ورمزاً لقيادته للكنيسة، إذ خاطبه باسم الصّخرة «بطرس»، وبأنّه عليه سيبني الكنيسة المسيحيّة. فخلال تواجد المسيح وتلاميذه في قيصريّة فيلبس أعلن لهم أنّ سمعان بن يونا هو «صخرٌ»، والتي تعني باليونانية «بطرس»، وقال لهم قولته المشهورة، في نصٍّ من إنجيل متى عُرف في الكنيسة الكاثوليكية باسم «إنجيل الكنيسة»، وهو نصٌّ، بالحقّ، لم نجد له مثيلاً فيما نسبته الأناجيل إلى السّيّد المسيح مخاطباً بطرُس:

> «وأنا أقولُ لك أيضاً: أنت بطرسُ [صخرة]،
> وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي،
> وأبوابُ الجحيم لن تقوى عليها.
> وأعطيك مفاتيح ملكوت السّماوات،
> فكلُّ ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات.
> وكلُّ ما تحلُّه على الأرض يكونُ محلولاً في السّماوات.
> إنجيل متى ١٦:١٨ و١٩



إن عبارة «الحل والربط»، القادمة من التراث اليهودي والتقليد الرّابي، تعني التحليل والتحريم، فصار بطرس صاحب السلطة والقول الأول والأخير في الكنيسة. وتتبنى الكنيسة الكاثوليكية التعريف التالي: «لقد نصّب المسيحُ القدّيس بطرس على رأس كل الرسل».

وإذ جَعَلَ المسيحُ من بطرس، حسب هذا النّصّ، صاحب الحَلِّ والعقد في أُمور المسيحيّة، فلقد أعطاه ما هو أكبر من ذلك، وهو ما عُرف به بطرسُ، وأعني به «مفاتيح ملكوت السماوات»، يُدخل إليها من يشاء، ويمنع عنها من يُريد!

لكنّ بطرس هذا قد صَغُرَ حجمُه جدًا، حتى لم يَعُد على حدِّ وصفِ بولس له بأكثر من رسول للختان: إنّه ليس أكثر من رسول إلى يهود فلسطين، يدعوهم إلى الختان. وأمّا الأممُ جميعاً، بالرسالة البولسية الجديدة، فهي ليست إلاّ لبولس وحده (حتى برنابا الذي كان مع الأخير خاصمه خصاماً مُرّاً، وفارقه، بعد أن اتّهمه بولسُ بأنّه قد انساق مع المُرائين). وبولسُ لا يرضى أن يُسمّي الثّلاثة الكبار، بطرس ويعقوب ويوحنّا، بأنهم أعمدة، بل هو يقول عنهم بأنهم **المعتبرون** أنّهم أعمدة، فكأنّهم ليسوا بأعمدةٍ حقّاً، وأنّهم ليسوا إلاّ للختان، وأنّ ما عمله الله فيهم، أي من تكليفهم بالرّسالة، قد عمله فيه هو أيضاً. يقول بولسُ في رسالته إلى أهل **غلاطية**:

٢:٨ فإنّ الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل فيَّ أيضاً للأُمم.

٢:٩ فإذ عَلِمَ بالنعمة المُعطاة لي يعقوبُ وصفا [بطرس] ويوحنّا، المعتبرون أنّهم أعمدةً، أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحنُ للأمم، وأمّا هم فللختان.

ولننتبه، مرّةً أخرى، إلى ما نُسب للمسيح من قوله أنّ بطرس بيده الحلُّ والرَّبط: إنه لا يعني إلاّ التحريم والتحليل، وهي السلطةُ ذاتها التي سلبها بولسُ من بطرس، وتقمّصها لنفسه.

ثم لننظر إلى ثاني أولئك الثلاثة. إنّه لم يكن إلاّ «يعقوب البارّ»، أخا المسيح نفسه، أو «أخُ الرب» كما يَرِدُ وصفُه في النصوص المسيحية، فهل

قد كان جاهلاً برسالة أخيه إذ هو وقف في وجه دعاوى بولس؟ هل كان مُفترياً على أخيه، بإصراره على تطبيق الناموس، أم أنّ بولس كان هو المُفتري؟

**بطرسُ يمشي، مع المسيح، على الماء**

والعجيبُ أنّ ثلاثةً من الأناجيل الأربعة تروي قصّةَ مشي بطرس، مع المسيح، على ماء البحر، وهي معجزةٌ لم تجرِ لأحدٍ مِمَّن كان مع المسيح إلاّ بطرس، ولكنّها لا تعتِمُ أن تُخبّرنا بشيءٍ مذهل ومؤلمٍ، وهو أنّ المسيح أنَّبَهُ على قلّة إيمانه بعد أن كاد يغرقُ. جاء في **إنجيل متى**:

١٤:٣١ ففي الحال مدَّ يسوعُ يده وأمسك به [ببطرس] وقال له: «يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟».

ويصوِّرُ العهدُ الجديد بطرس على أنه شخصيةٌ حماسيّةٌ مندفعةٌ، وأنّه كان متسرِّعاً في كثيرٍ من الأحيان في إطلاق وعوده أو إصدار أحكامه.

ولكن كيف يكونُ بطرسُ متسرعاً في إصدار أحكامه، وهو الذي قد تسلّم من المسيح الحلّ والربط؟ ذلك تناقُضٌ فيما أورده العهدُ الجديد لا تفسير له إلاّ بصمَةُ آراء بولس ومواقفه القويّة التي سادت وفعلت فعلها القويَّ في كَتَبَةِ الأناجيل الأربعة. حقّاً إنّ بصمة وآثار بولس في هذه الأناجيل، وفي «أعمال الرّسل» لهي بارزةٌ جليّةٌ.

أم كيف يُنكِرُ بطرسُ، رأسُ الكنيسة المسيحية ومؤسّسُها، معرفته للمسيح، ثلاث مرّاتٍ، أثناء محاكمة المسيح؟ هل هو هذا الذي وصفهُ المسيحُ نفسُه بأنّه «حامل مفاتيح ملكوت السماوات»، و«الصخرةُ التي بنى عليها المسيحُ كنيسته، ممّا لا تقوى عليها حتى أبوابُ الجحيم»؟ وتخبرنا الأناجيلُ أنّ بطرس قد ندم بعد ذلك وتاب، وذلك هو انتقاصٌ كبير من شأن بطرس لم يكن لأحد حواريّي المسيح من مصلحة فيه، اللهم إلاّ مصلحة بولس الذي أعلن تنصُّره، بعد تاريخ له أسود في اضطهادِ المسيحيّة والمسيحيّين طويلٍ.

يقول قاموس الكتاب المقدّس في شرح مادّة «بطرس»:



إنّ اندفاعه وتهوُّره في الفِعْلِ والكلام أدّى إلى أن يكلِّمَه السّيّدُ المسيحُ بأحاديثَ قاسيةٍ أكثر من مرّة. وبعدما وُضعت أساساتُ الكنسية، بدأ بطرسُ يختفي، آخذاً مكاناً متواضعاً بِرضىً وقبولٍ [يا له من تناقضٍ رهيبٍ مع لقب «الصخرة» الذي أطلقه المسيح عليه]. ففي الكنيسة في أورشليم أخذ القيادة يعقوبُ أخو الربِّ، وتولّى بولسُ الرّسولُ القيادةَ في توصيل بُشرى الخلاص للأمم، وأمّا بطرسُ كرسول إنجيل الختان، تاركاً أورشليم ليعقوب والأمم لبولس [لم يتبقّ حسب هذا النّصّ لبطرس، في أورشليم، إلاّ الدعوة للختان، والختانُ وحده، وأمّا ما سوى ذلك من الأمور، في أورشليم، فلقد صارت من نصيب يعقوب!].

لقد ذهب بولسُ، بعد ثلاث سنوات من انتحاله المسيحية، إلى أورشليم، «ليتعرّف» على بطرس، فقال عن ذلك في رسالته إلى أهل **غلاطية**:

١:١٦ أن يُعلن [الله] ابنه فيَّ لأُبشِّرَ به بين الأمم،
للوقت لم أستَشِرْ لحماً ولا دماً.

إنّ بولس ليستنكفُ أن يأخذ عقيدته من أيِّ إنسانٍ، ولا حتى حواريّي السيد المسيح أو بطرس نفسه. إنه لا يُطيقُ، ولا يجوز، أن يستشير في ذلك من هو من لحمٍ ودم! ثم إنه يقول إنّ الله قد أعلن ابنه «**فيّ**»، ولا يقولُ «**لي**»، وهذا يَدُلُّ حسبَ تفسير القديس يوحنا الذهبي الفم على «أنّ المسيح صار يتكلمُ فيه!».

١:١٧ ولا صعدتُ إلى أورشليم إلى الرّسل الذين قبلي.

إنه ليؤكد أنّ اتصاله بـ«الرسل» لم يكن بغرض أخذ تفويضٍ منهم للكرازة، إنّه لا يُريد أن يعترفَ بسُلطةٍ لأحدٍ منهم، ولا حتّى بطرس - ذلك الغريم والمنافس «اللّدودُ»على الساحة - عليه. ويقول أيضاً:

١:١٠ أفأستعطفُ الآن الناس أم الله؟
أم أطلبُ أن أُرضي النّاس؟
فلو كنتُ بَعدُ أُرضي الناسِ لم أكُن عبداً للمسيح.

وحُبُّ السّلطة والسعيّ المُلِحُّ إليها واضحٌ في كلام بولس هذا وتصرّفاته مع بطرس، رأسِ الكنيسة، وغيره من حواريّي المسيح، إذ هو يجهر بأنّه لا

يريد أن يُرضي أولئك الرُسُلَ، أو «يستعطفهم»، فلو كان كذلك لما كان قد أرضى المسيح. فتعليم بولس إنما هو في زعمه مخول من الله نفسه، لا غير، رغم أنّه لم يرَ المسيح ولا رافقه، وأن الإثني عشر هم وحدهم تلاميذ المسيح حقاً. لقد أشار بولس إلى توبيخه لبطرس جهراً، أمام الناس، مبرهناً بذلك على أنَّ بطرس لم يكن أعظم منه كرسولٍ، ولا حتى مثله.

**بولس: بطرس وبرنابا مُرائيان**

واعتبر بولسُ بطرس وبرنابا ومن معهما مُرائيين، كما قد رأينا من قبلُ في رسالته إلى أهل **غلاطية**، وأنّهم غيرُ مستقيمين حسب حقِّ الإنجيل:

١٣:٢ وراءى معه [مع بطرس] باقي اليهود أيضاً،
حتى إنَّ برنابا أيضاً انقادَ إلى ريائهم.

١٤:٢ لكن لمّا رأيتُ أنّهم لا يسلكون باستقامةٍ حسب حقِّ الإنجيل،

**صورة بطرس «المُرائي»، من خلال أسفار العهد الجديد**

أولاً: قلنا في كلامنا على ما عُرِف بـ«مشكلة أنطاكية»، حسب الأناجيل، إنّ اليهود المتنصّرين قد أصرّوا على ضرورة اختتان الأمميين (المتنصّرين من غير اليهود)، واضطُرّ «الرّسلُ» والشّيوخُ إلى عقد «مجمع أورشليم» The Council at Jerusalem، لبحث الموقف. ويحدّثنا سِفرُ **«أعمال الرّسل»** عن خُطبةٍ ينسبها إلى بطرس في ذلك المجمع، إذ هو يُخاطب الحاضرين، بعد نقاش طويل، مُحدِّثاً إيّاهم عن المتنصّرين غير اليهود:

٧:١٥ شاء الله أن يسمع غيرُ اليهود كلمة البِشارة على لساني ويؤمنوا.

٩:١٥ فهو لم يفرِّق بيننا وبينهم في شيء، إذ طهّرَ بالإيمان قلوبَهم

١٠:١٥ فلماذا تُعارضون الله فتُحمِّلون تلاميذ الرّبِّ عبئاً ثقيلاً عَجَزَ الآباءُ وعجزنا نحن عن حِمله؟

١١:١٥ فنحن نؤمنُ بأنّنا نخلُص، كما يَخلُصُون هم، بنعمة الرّبِّ يسوع».

إنّ بطرس هنا، يظهرُ داعياً إلى إبطال الختان، باعتباره عبئاً ثقيلاً «نيراً»[1] عجز الآباءُ وعجز بطرسُ ومن معه عنه. وَي! كأن لم يُختتن المسيحُ، ومن





قبله يوحنّا المعمّدان، في يوم ولادتهما الثامن، حسب الأناجيل وكأنّ بطرس كان ينتظرُ مغادرة المسيح حتى يخرج بفتوى جديدةٍ فصّلَ مقاسها حسب رأيه هو، لا بحسب ما ائتمنه عليه المسيح مثلما قيل. وهذه هي آخرُ إشارةٍ إلى بطرس في سفر الأعمال، ليُكمِلَ السِّفرُ الذي كتبه لوقا، صاحبُ بولس، بـ«الدور الخطير الذي قام به رسول الأمم [بولس] بالكرازة في العالم»، حسب تعبير القمص ملطي. فها هو بطرسُ، خليفةُ المسيح بين حواريّيه وتلاميذه، وموسِّسُ الكنيسة، والصخرةُ التي بُنيت عليها، ورأسُها المُدافعُ المُنافحُ عن الختان، بل وعن ناموس موسى كله، ها هو ينقلبُ على ما قد عُرِف له واشتُهر به، فإذا به يدعو، حسب ما نسبه إليه لوقا في هذا السِّفر، إلى اطِّراح ذلك كلِّه باعتباره عبئاً ثقيلاً (وردت العبارةُ بالأصل هكذا: يضع نيراً على رقابهم Placing a yoke on the neck) عَجزَ الآباءُ وعجزَ بطرسُ ومن معه عن حمله. أهكذا إذاً يكون موقف خليفة المسيح الموتمن في الحَلِّ والرَّبط؟

يقف الباحث هنا حائراً بين أن يُشكِّكَ فيما رواه لوقا عن أحداث مجمع أورشليم باعتباره كذباً، أو أن يشكّك في صدقيّة ووثاقة بطرس الذي اشتُهر بين الناس جميعاً بشدة مدافعته عن الحفاظ على الشريعة.

ويزيدُنا شكّاً على شكٍّ ما جاء على لسان بولس نفسه، في رسالته إلى أهل **غلاطية**، حيث هو يروي لهم عمّا حدث في مجمع أورشليم، والذي لام فيه بطرس ووبّخه علانيةً. إنّه يقول بأن [أي بولس] قد اوئتُمن على التبشير بعدم الختان «إنجيل الغُرلة» كائتمان بطرس على الدعوة للختان «إنجيل الختان»:

٧:٢ بل بالعكس، إذ رأوا [المجتمعون في مجمع أورشليم] أنّي اوئتمنتُ على إنجيل الغُرلة
كما بطرسُ على إنجيل الختان

٨:٢ فإنّ الذي عَلِم بالنعمة المعطاة لِ يعقوبُ [«أخُ الرّبّ»] وصفا [بطرس] ويوحنّا، المعتبرون أنّهم أعمدةٌ، أعطوني وبرنابا يمين الشّركة

(١) النِّيْر هو الخشبة المعترضة في عُنُقي الثورين بأداتها.

لنكون نحن للأمم، **وأمّا هم فللختان!**

أي أن يختصَّ بطرسُ بالاستمرار على الدّعوة بين اليهود المتنصّرين إلى الختان، ومعه يعقوبُ ويوحنّا، بينما يُترَكُ المجالُ لبولس بالتبشير بعدم الختان بين الأُمميّين المتنصّرين، وهذا أمرٌ غريبٌ من بطرس لو صحَّ الأمرُ. فلو أخذنا الأمر على ظاهره لقُلنا بأنّ بطرس، وهو المشهورُ بين الناس بالدعوة للإلتزام بالناموس الموسويّ، ومن ضمنه الختان، قد اتخذَ موقفين اثنين متضادّيْن لا يمكن أن نصفهما إلاّ بالمُراءاة، وهو دعوتُه للختان بين اليهود في فلسطين، باعتباره أمراً إلهياً، وعهداً، وقانوناً، لا يُمكن خرقُه بحالٍ، ثم دعوتُه لعدم الختان بين الأمميين المتنصرين. ولكنّ ذلك لا يمكنُ أن يكون صحيحاً، لأنّ بولس نفسه يقول بأنّ أمر التبشير بالختان في فلسطين قد تُرك لبطرس، بينما تُرك أمرُ التبشير بعدم الختان في الأمم كلها!

نستنتج من ذلك أنّ بطرس، في حقيقة الأمر، كان كارهاً، بل ورافضاً لدعوى بولس رفضاً شديداً، وهو ما دعا بولس إلى توبيخه وتعنيفه ذلك التعنيف المرَّ على رؤوس الأشهاد، وأنّ ما أسندَهُ إليه لوقا من دعوته إلى إبطال الختان هو غيرُ صحيحٍ، وادّعاءُ رضا بطرس عن دعوى بولس ليس إلاّ ادعاءاً باطلاً جاء به لوقا صاحبُ بولس وصديقُه الحميم ومسجِّل أعماله في «أعمال الرسل» لتبييض صفحة بولس من ناحيةٍ، ولتشويه صفحة بطرس من الناحية الأخري. وعلى ذلك يَدُلُّ قولُ بولس، في رسالته إلى أهل غلاطية التي أشرنا إليها.

ولم يكن بطرسُ، في مجمع أورشليم، وحدَهُ، فلقد كان معه الحواريُّ الآخر المقرَّبُ من المسيح، برنابا، ومعهما من قد وصفهم بولس بـ«المعتبرين أعمدةً (أو «القادة البارزين» في ترجماتٍ أخرى). ولقد كانت ثمّة مواجهةٌ عنيفةٌ، مليئة بالإتّهامات، والاتّهامات المتبادلة، التي لم يخفّف منها النَّصُّ الذي كتبه بولس هو نفسُه، من غير أن تُتاح الفرصة لبطرس وللآخرين من أن يُسجلوا آراءهم، أو أن يحفظ لنا التاريخُ، على الأقلِّ، ما فاهوا به، اللّهم إلاّ ما جاء في الفقرة ٢:٩ أعلاه، في رسالة غلاطية، على لسان بولس نفسه، وهو ما يؤكّدُ أنّ بطرس ومن معه قد بقوا على الختان، ولم يتنازلوا أو يتزحزحوا عن موقفهم:



٢:٩ فإذ علم بالنعمة المعطاة لِ يعقوب وصفا [بطرس] ويوحنا، المعتبرون أنهم أعمدةٌ، أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحنُ للأمم، **وأمّا هم فللختان!**

ولماذا هو ذلك التعنيفُ الشديد من بولس لبطرس خصوصاً، ومن معه أيضاً؟

لقد كان بطرسُ يشكّل الغريم والمُنافس الأكبر الذي لا يُداني لبولس، فبولسُ قد ادّعى أنّه رسولُ الله، الذي أرسله «الإله ـ الإبن»، مباشرةً، ومن غير وسيطٍ، لا بل أنّه قد جاء بتكليفٍ من «الله ـ الآب» نفسه، ومن غير ما صلة بتلاميذ المسيح «الرّسل»، فهو لا يقبلُ بأقلَّ من أن يترأسهم، بل وأن يُهمِّشهم تماماً، ولقد كان بطرسُ، وبإجماعِ الرأي، تلميذ المسيح الأول الذي ائتمنه من بعده على الكنيسة التي يُعتبر مؤسّسها والبابا الأول لها، وعلى كلِّ أمور الحلِّ والعقد فيها. وكان بولسُ يتحيَّن الفُرَص لتوجيه ضربةٍ عنيفةٍ، بل الضربة القاضية إلى غريمه ومنافسه بطرس، وقد حانت فرصة اعتبرها بولسُ مُلائمة جدّاً له.

فأما وقد توجه بولسُ بدعوته إلى غير اليهود، خارج فلسطين، لتنصيرهم، فقد انتهز تلك الفرصة لإرضاء أولئك من جانبٍ، بإلغاء الختان، بل والشريعة كلها، ولتوجيه ضربةٍ قاصمةٍ إلى هيبة وسلطة غريمه الأكبر: بطرس، من جهةٍ أخرى، وقد كان، فلقد رأينا كيف أنّ بطرس، بعد تلك الحادثة، لم يعُد اسمُه يُذكر مرةً أخرى، وكان ذلك آخرُ ذكرٍ له في سفر «أعمال الرسل». لقد أراد بولس أن يُذِلَّ بطرس ويُنزله عن عرشه الذي جاء أنّ المسيح قد وضعه فيه، ثم أن ينزوي وإلى الأبد. ولم تزلِ الأناجيلُ ورسائلُ العهد الجديد، المرّة بعد المرّة، تُنزلَ بطرس من عليائه، وتكيلُ شتّى صنوف التهم له، ابتداءً مما قيل من تأنيب المسيح نفسه له، مراراً، حسب الأناجيل، وهي الأناجيل ذاتُها التي اعترفت له، على لسان المسيح نفسه، بالأسبقية والعُلوية بين تلاميذ المسيح دائماً.

ولم يُحدِّث بولس الناس، في رسالته إلى أهل **غلاطية**، بجليّة الأمر طبعاً، في سبب توجيهه تلك الإهانات البالغة إلى «أمير رسل المسيح»، وإنما هو

اختلق أكذوبةً سجّلها هو، وليس غيرُه. هو لم يقل للناس بأنّ بطرس، وهو من هو، قد رفض الإنصياع إلى أهوائه، أهواءِ بولس، بالتطويح بناموس موسى، ولكنه اختلق قصةً مضحكةً للنيل من غريمه، وفحوى تلك القصة المفتراة هو أنّ بطرس، بعد أن سلّم للأميين، أي المتنصرين من الوثنيين، بأن لا حاجة للإختتان، وعند مجيئه إلى أنطاكية رفض أن يُجالس قوماً من الأمميين المتنصرين من غير المختتنين، باعتبارهم أنجاساً لا تحلّ مجالستُهم (كما كانت عليه عادةُ اليهود)، واعتبر بولسُ ذلك من بطرس على أنه رياءٌ، واتهمه كذلك بالفعل، ووصف عمله ومن معه بأنه «عدمُ استقامةٍ»، ويا لها من طعنةٍ نجلاء في قلب المؤتمن على الكنيسة، أو «الصخرة» التي بنى عليها المسيحُ كنيسته، ومُرسي دعائم المسيحية:

١١:٢ ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومتُه مواجهةً لأنه كان مَلوماً.

١٢:٢ لأنه قبلما أتى قومٌ من عند يعقوب كان يأكلُ مع الأمم،
ولكن لمّا أتوا كان يؤخرُ ويفرزُ [يعزل] نفسه،
خائفاً من الذين هم من [مناصري] الختان.

١٣:٢ وراءى معه باقي اليهود أيضاً، حتى أنّ برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم

١٤:٢ لكن لمّا رأيتُ أنهم لا يسلكون باستقامةٍ حسب حقِّ الإنجيل، قلتُ لبطرسَ قدّام الجميع: إن كنت وأنت يهوديٌّ تعيش أممياً لا يهودياً، فلماذا تُلزمُ الأمم أن يتهودوا.



# الطهارة والتطهّر في المسيحية البولسية

## لم يَعُد ثمة شيءٌ اسمهُ «نَجِسْ» في المسيحية

### أولاً ـ الطّهارة والنّجاسة في الإسلام

تعطي الديانتان الإسلامية واليهودية أهميةً عظيمة لموضوع الطهارة والتطهر، والنجاسة والمنجسات، حتى أنّ كتب الفقه الإسلامي عادةً ما تبدأُ بموضوع الطهارة. جاء في المصادر الإسلامية عن الطهارة:

اهتمّ المسلمون كثيراً بالطهارة، ووضعوا فيها المؤلفات الطِّوال، ومرّنوا عليها الأطفال، ودرسوها في معابدهم ومعاهدهم واعتبرها أئمةُ الفقه شرطاً أساسياً لصحّة العبادة، ولستُ أغالي إذا قلتُ: لم يهتمَ دينٌ من الأديان بالطهارة، كما اهتمّ بها الإسلامُ.

وهي في اللغة النظافةُ، وفي اصطلاح الفقهاء رَفعُ حدثٍ، أو إزالةُ خَبَثٍ هو النجاسةُ المادية، كالدم والبول والعَذِرَة [الغائط]. والحَدَثُ أمرٌ معنويّ يحدث للإنسان حين يصدُرُ منه ما يمنعه من الدخول في الصلاة، ويُوجب الوضوء أو الغُسل أو التيمّم. والطهارةُ من الحَدَث لا تتمّ إلاّ بنيّة التقرّب وطاعة الأمر بها، أمّا طهارةُ اليد والثوب والإناء من النجاسة فتتمّ من غير نيّة.

وتتحققُ الطهارة من الحدث والخبث بالماء لقوله تعالى: ﴿..**وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ**..﴾ [الأنفال:١١].

ولا بدّ من الوضوء قبل الصلوات الخمس، وقبل مسّ المصحف الشريف، كما لا بدّ من الغُسْل[1] للتطهّر من الجنابة، والحيض، والنفاس، ومسّ الميت، ويحرم على الزوج أن يقرب زوجته إلاّ بعد أن تتطهر من الحيض والنفاس، وما ذكرناه هو مجرّدُ نقاط عامة، وغيرها كثير، ونجدُ

---

(١) الغُسْل هو اصطلاح فقهيّ يُطلق على عملية الاغتسال بطريقة مخصوصة، حسب الشرع، ولا بد فيه من النية، وأما الغَسْل أو الاغتسال فهو كلمة عامة.

التفاصيل في كتب الفقه. وفي كلِّ فعلٍ من هذه الأفعال لا بدّ من وجود النية، أي النية على أداء ذلك الفعل، أولاً. فالغَسْلُ، أو الاغتسال، كيفما اتفق، لا يفي بالغرض الشرعي، وذلك هو مَثَلُه مثلُ أيِّ فعل تعبّديٍّ لا بدَّ أن يجيء على الطريقة المخصوصة التي حدّدها الشرعُ. ولا بد من الإشارة إلى أن النجاسة في الإسلام قد تكون مادّية أو هي مجرد نجاسة معنوية.

قال الله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة:٢٢٢].

وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا..**﴾ [المائدة:٦].

سيتّضحُ لنا أن ليس في المسيحية من شيء اسمُهُ نجاسةٌ، ولا نجسٌ، ومن ثم فلا معنى لقولك بوجود الطهارة أو عدمه، وليس ثمة من حاجة للتطهر من أي شيء، كائناً ما كان، ولا حتى حاجة لمجرد التفكير بهذا الأمر.

وتُطلق كلمة «**الشعائر**»، ومفردها «شعيرة» على ما دعا إليه الشرع الإسلامي وأمر بالقيام به، من وضوء، أو غُسل، أو صلواتٍ، أو غيرها. وأمّا في الخطاب المسيحيّ فيُشار إلى الشّعائر الدّينية بكلمة «**الطقوس**» Rites، وهو نظامُ الخدمة والصّلوات والاحتفالات الدّينية وغيرها. وليس في الطقوس المسيحية أية إشارة إلى الطهارة أو التطهير[1].

## ثانياً ـ الطهارة والنجاسة في اليهودية

### أنواع النجاسات في العهد القديم

يقول الدّكتور **عبد الوهاب المسيريّ**، في كتابه «**اليهود واليهوديّة والصهيونيّة**»، عن الشّعائر اليهوديّة:

الشعائر اليهودية كثيرة وصارمة. على اليهودي أن يقيم شعائر كثيرة من

(١) طقوس الكنيسة (أسرارها) عند الكاثوليك هي سبعة: المعمودية، والميرون، والأفخارستيا والتوبة والاعتراف، ومسحة المرضى، والذبيحة، والكهنوت.



المهد إلى اللحد، مثلاً شعائر الطهارة والنجاسة، والحمّام الطقوسي.

وهذه أنواع لبعض النجاسات، حسب التوراة:

١ ـ من مس جثة الكائنات النجسة فقد تنجس. جاء في سفر **اللاويين**:

٢:٥ أو إذا مسّ أحد شيئاً نجساً: جثة وحش نجِس، أو جثة بهيمة نجسة، أو جثة دبيبٍ نجس، وأُخفي عنه، فهو نجِسٌ ومذنب.

٢ ـ تقع النجاسة على من رافق الميت قبل حال وفاته، وليس للحظةٍ أو ساعةٍ، بل يكون نجساً سبعة أيام، ففي سفر **العدد**:

١٤:١٩ هذه هي الشريعة: إذا مات إنسان في خيمة، فكلُّ من دخل الخيمة، وكلُّ من كان في الخيمة يكون نجِساً سبعة أيام.

١٥:١٩ وكل إناء مفتوح ليس عليه سِدادٌ بعصابة فإنه نجس.

١٦:١٩ وكل من مس على وجه الصحراء قتيلاً بالسيف أو ميتاً أو عظم إنسانٍ أو قبراً، يكونُ نجساً سبعة أيّام.

٣ ـ حيض المرأة، ونفاسها. تكون المرأة في الشريعة اليهودية نَجِسَةً في أيام حيضها ونفاسها، ويجب اجتنابها تماماً، وقد حددت التوراة هذه الفترة بسبعة أيام. جاء في سفر **اللاويين**:

١٩:١٥ وإذا كانت امرأة لها سيل وكان سيلُها في لحمها، فسبعة أيامٍ تكون في طمثها، وكلُّ من مَسَّها يكون نجساً إلى المساء.

كما أنّ كلَّ ما يُلامس جسد المرأة من متاعٍ فقد صار نجساً:

٢٠:١٥ وكلُّ ما تضطجعُ عليه في طمثها يكون نجساً، وكلُّ ما تجلسُ عليه يكون نجساً.

كما يشير السفر نفسه [٢١:١٥ ـ ٢٤] إلى نجاسة كل من يمسُّ فراشها، وإلى وجوب الغُسل عليه، مع ثبوت نجاسته ليلة.

هذا وتختلفُ فترة نفاس المرأة باختلاف مولودها، فإن هي ولدتْ ذكراً تكون نجسة لمدّة سبعة أيام [لاويين ٢:١٢]، وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين [لاويين ٥:١٢].

كما أوجبتِ الشريعةُ اليهودية طهارة الزوجين بعد إتمام عملية الجماع. جاء في سفر **اللاويين**:

١٨:١٥ والمرأةُ التي يضطجعُ معها رجلٌ اضطجاعَ زرعٍ، يستحمّان

بماء، ويكونان نجسين إلى المساء.

**الإغتسال والتطهر والوضوء، في اليهودية**

لقد مارس اليهود هذه الفروض كواجبات شرّعتها التوراةُ، قبل الصلاة، وقبل الأكل، وقبل كلّ اجتماعٍ لعبادةٍ. جاء في سفر **الخروج**:

١٧:٣٠ وكلّمَ الربُّ موسى قائلاً:

١٨:٣٠ «وتصنعُ مرحضةً من نحاسٍ، وقاعدتها من نحاسٍ، للإغتسال، وتجعلها بين خيمة الإجتماع والمذبح، وتجعلُ فيها ماء.

١٩:٣٠ فيغسل هارونُ وبنوه أيديهم وأرجلهم منها.

٢٠:٣٠ عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع يغسلون بماءٍ لئلا يموتوا، أو عند اقترابهم إلى المذبح للخدمة ليُوقدوا وَقوداً للرب.

٢١:٣٠ يغسلون أيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا. ويكونُ فريضةً أبديةً له ولنسله في أجيالهم».

لا بل قد جاء في **مزامير داود**، أيضاً، عما يشبّه الوضوء، على لسان داود النبيّ:

٦:٢٦ أغسِلُ يديَّ في النقاوة، فأطوفُ بمذبحك [محل ذبح القرابين] يا ربُّ.

يقول القمص تادرس يعقوب، في تفسير هذه العبارة:

كانت عادةُ الكهنة أن يطوفوا حول المذبح أثناء تقديم الذبيحة. كان غسلُ الأيدي عملاً رمزياً للنقاوة، وقد قيل بين اليهود: «كل من يحتقرُ غسل الأيدي يُقطع من المجمع، ويصيبه الفقر، وسوف يُنتزع من العالم!».

ويخبرنا اليهود أنّ أحد أفاضلهم R. Aquiba إذ كان في السجن ولم يكن لديه ماءٌ كافٍ ليشرب ويغسل يديه، اختار أن يمارس الفعل الأخير، قائلاً: «من الأفضل لي أن أموت عطشاناً عن أن أتعدّى التقاليد».

**ثالثاً ـ الطهارة والنجاسة في المسيحية**

**لا وجود لطهارة أو نجاسة في المسيحية:**

استدل المسيحيون بما نسب للمسيح من أن ليس ثمّة من شيءٍ نجس،



مادياً، على الإطلاق، ولا نجاسة، وهو ما يستتبع القول أن لا حاجة لشيء اسمه تطهير البدن، ولا طهارة. فإن المسيحية تعرف الاستحمام، ولكنها لا تعرف التطهر بعد جنابة أو حيض أو نفاس أو غيرها، وليس لها شعائر مخصوصة في ذلك، على عكس الإسلام واليهودية.

جاء في **إنجيل متى**، منسوباً إلى المسيح:

١٩:١٥ لأن من القلب تخرج أفكار شريرة: قتل، زنى، فسق، سرقة، شهادة زور، تجديف.

٢٠:١٥ هذه هي التي تنجس الإنسان. وأما الأكل بأيد غير مغسولة لا ينجس الإنسان.

من الواضح من هذا النصّ أنّ المسيح لم يقصِد بكلامه الطهارة الحسية، وإنما كان يقصد الطهارة من الآثام والشّرور التي كان اليهود يقومون بها، وهو كان يُبيِّن التناقض الذي كان اليهودُ يقعون فيه، من ارتكاب كل تلك الآثام ثم هم بعد ذلك يُدقِّقون في غسل الأيادي عند الطعام. لكنّ المسيحيون فسّروا هذا النصّ على أنه إلغاء للطهارة المادية على كل صورها وأشكالها.

أبطل بولس كلّ أحكام التوراة، فكأنها لم تكن، فلم يَعُدْ ثمة من طهارةٍ ولا نجاسةٍ، ولم يَعُدِ المسيحيّون يُلقون بالاً لهذا الموضوع أصلاً، لأن الطهارة أو النجاسة لا تُشغل بالهم. هذا ولا ننسى أنّ رسائل بولس قد كُتبت **قبل** كتابة الأناجيل الأربعة.

وكيف لا يوجدُ شيءٌ نجسٌ، وقد قال بطرسُ، مخاطباً الرّب، في زعمهم، حسبما جاء في «**أعمال الرسل**»، وهو ينفي عن نفسه أكلَهُ شيئاً دنِساً أو نجِساً؟

١٤:١٠ كلا يا ربُّ!

لأنّي لم آكل قطُّ شيئاً دَنِساً أو نجساً».

لكنّ السِّفرَ ذاته يزعم بأنّ الرب قد أجابه بأنه قد طهّر كلَّ شيء، فما عاد شيءٌ دنساً، ولا بإمكان أحد أن يجعله دنساً:

١٥:١٠ فصار إليه أيضاً صوتٌ [صوت «الرب»] ثانيةً: «ما طهّره الله لا تدنسّه أنت!».

وها هو ينسب إلى بطرس قوله أن ليس إنسانٌ دنساً أو نجساً:

٢٨:١٠ فقال لهم.. أراني الله أن لا أقول عن إنسان ما إنه دنسٌ أو نجسٌ.

**بولس: ليس شيء نجساً**

ولا نرى في هذه الأقوال إلاّ صدىً لأقوال بولس في رسائله - التي سبقت كتابتها كتابة الأناجيل الأربعة، كما هو مجمعٌ عليه بين الباحثين - بولس الذي قال في رسالته إلى أهل **رومية**:

١٤:١٤ إنّي عالمٌ ومتيقّنٌ في الربِّ يسوع أن ليس شيءٌ نجساً بذاته، إلاّ من يحسبُ شيئاً نجساً، فله هو نجسٌ.

ونحن نرى في رسائل أخرى لبولس، وغير بولس، مُناقضةً لهذه الأقوال، فها هو بولسُ، في رسالته الثانية إلى أهل **كورنثوس**، يعترف بأنّ الربَّ يأمرُ الناس أن لا يمسوا نجساً:

١٧:٦ يقول الربّ: ولا تمسوا نجساً فأقبلَكم

أي أنّ عدم مسّ الشيء النجس هو شرطٌ للقبول عند الله.

أو أنظر إلى رسالته إلى **العبرانيين**، وهو يتحدثُ على المضجع غير النجس:

٤:١٣ ليكن الزواج مكرَّماً عند كلِّ واحد، والمَضجَعُ غيرَ نَجِسٍ.

أو انظر إلى يهوذا الذي هو أخٌ ليعقوب، وكلاهما هو (أخٌ لـ«الرب») إذ هو يعترف بنجاسة أجساد المحتلمين:

يهوذا ٨:١ ولكن كذلك هؤلاء أيضاً، المحتلمين Filthy dreamers، ينجّسون الجسد.

**موقعٌ مسيحي: ليس لدينا عاداتٌ أو قانونٌ خاص بنظافة الجسد المسيحي لا يحتاج إلاّ إلى اغتسالٍ واحد هو بمياه المعمودية، ولا حاجة للإغتسال من أعمال الجسد**

جاء في موقع الطهارة والاحتراس للتناول في الفكر الأرثوذكسي الآباتي ما يلي، بخصوص الطهارة والنجاسة في المسيحية، ونحن ننقل منه هنا لأننا نرى أنّه يُلقي ضوءاً كافياً على الموضوع الذي نحن بصدده.





يقول القديس صفرونيوس في تعاليمه:

«نظافةُ الجسد ليست هي طهارة القلب. وحسناً أن نكون أنقياء من الداخل. ونحن ليس لدينا عاداتٌ ولا قانونٌ خاصّ بنظافة الجسد، لأنّ هذه الأمور تقع تحت سلطان كل مؤمن بالمسيح، لأننا باغتسالٍ واحد هو مياه المعمودية، قد صرنا أطهاراً لا حاجة لنا إلاّ بالاغتسال من أعمال الجسد الميت بالتوبة، أمّا مياه الخليقة فهي لا تقرّبنا إلى الله [صارت المعموديةُ التي تُجرى للمسيحي مرةً واحدةً في عمره، والتي هي نادراً ما تجري الآن برَمْسِ الجسد كلّه في الماء، بل برشِّ الماء على الرأس، صارت بديلاً عن التطهر الجسدي والوضوء اليومي]».

حيث يشرحُ الآباءُ أنّ الطهر والنجاسة ليست بالمأكولات وعلاقات الزيجة وما يتبعها من تطهيرات واغتسالٍ، وهذا الفكر تسلّموه من السيد المسيح، وسأكتفي هنا بإيراد ما قاله القديس يوحنا ذهبي الفم:

«الخطيّة في القلب هي التي تنجّسُ الإنسان، أمّا المأكولاتُ فلا تنجسُ، ولا غَسلُ اليد، ولا كلُّ التطهيرات تُفيدُ».

وقد أفاض القديس اثناسيوس في ذلك حيث قال:

«كل الأشياء التي خلقها الله جميلةٌ ونقية، لأنَّ كلمة الله [أي الله - الإبن] لم يخلِف شيئاً عديم النفع [يعتقد المسيحيون أنّ «الله - الإبن» قد خَلَقَ الكونَ وما فيه] أو دنس.. ولكن لأنّ حبائل الشيطان مختلفةٌ وماكرة وهو يتحايل لكي يزعج بُسطاء العقول ويحاول أن يمنع الإخوة من الممارسات اليومية عندما يبذر فيهم أفكاراً عن عدم الطهارة والدنس، لذلك علينا أن نشتت أخطاء الشرير بواسطة نعمة المخلّص.. مكتوبٌ للأنقياء كلُّ شيء نقي.. ولكن للنجسين كل شيء غيرُ نقي بل نجسٌ.. **ما هي الخطية أو الدنس في الإفرازات الطبيعية؟!!** .. **والإفرازات الناتجة عن الطعام؟!**.. الإنسان كما تقول الكتب المقدسة من عمل يدي الله، فكيف يمكن أن يتكون عمل نجس من قوة نقية؟!.. فلا شيء نجسا إذاً فينا (Letter to Amun).

ومن هذا النص يتضح أنّ **الإفرازات ليست نجاسةً وعلاقة الزيجة لا تنجس ولا فيها أي دنس أو نجس** [أي أنّ البول، والغائط، وما ينتج عن

العلاقة الجنسية، والحيض، والنفاس، كلها طاهر] وأنّ ما خلقه الله ليكون لا يمكن أن يخلقه دنساً أو نجساً [ساوت هذه الفقرة بين الإنسان وبين إفرازاته]، وأن الشيطان هو من يحاولُ خداع البسطاء بهذه الفكرة [إذاً هيّا وادخل الكنيسة في يوم راحتك وعبادتك المقدّس لديك، وشارك في «القداس»، وتناول «القربان المقدّس» وامسك كتابك المقدس لتقرأ منه، بعد قيامك بكل أعمالك الطبيعيّة «الفزيولوجيّة»!!].

جاء في دسقولية الرسل، ص٧٢٧، ط١، عام ١٩٧٩:

«فلأجل قساوة قلوبهم (شعب إسرائيل) رَبَطَهم بهذا: الذبيحة والتطهير والامتناع.. فأمّا أنتم أيها المؤمنون الذين آمنوا بإلهٍ واحدٍ.. فقد حلّكم من هذه الرباطات وجعلكم أحراراً من العبودية.. لأنّ المسيح ابنُ الله لمّا جاء حقّق الناموس وكمّله، وحَمَلَ الأثقال التي كانت عليهم وبطّلها بالكمال، والناموس الطبيعيّ ثبّته وجعل سُلطان الناس حراً».

ومن القوانين الأخرى لأبو ليدس:

«الذين هم مرتبطون بالزيجة: عندما يقومُ من زوجته فليصلِّ، لأنّ الزيجة [الجماع] غير نجسة ولا يحتاج معها الإنسان لحميمٍ (تطهير)».

(القانون ٢٧ من قوانين أبوليدس)

وأيضاً:

«وأنت يا من هو مرتبطٌ بالزيجة، لا تمتنع عن الصلاة، لأنك لم تتدنس».

(القانون ٤٧ من قوانين أبوليس)

**الخاتمة:**

إنّ العقيدة الآبائية تنظرُ للعلاقة الزيجية الجسدية بصورة سرائرية مقدّسةٍ تمثّلُ الوحدة التي هي أيقونةٌ للاتحاد مع الله، وترى المضجع غير دَنس ولا نجس، **كما ترى الإفرازات الطبيعية من طمثٍ واحتلامٍ هي طبيعيةٌ** [أنا: كذلك البراز والبول] **خلقها الله، وما يخلقُه الله غيرُ نجسٍ ولا دَنِسٍ.**

وجاء عن العلامة ترتليان (١٦٠ - ٢٢٠م) الذي اشتُهر بصياغته لكلمة



الثالوث Trinity، وهو أول من تحدّث على «ثلاثة أشخاصٍ أو أقانيم مادةٍ واحدة» (باللاتينية tres personae, una Substantia)، والذي صاغ عبارتي العهد القديم vetus testamentum والعهد الجديد novum testamentum، قولُه في كتاب الجنس في التاريخ، ص١٣٦:

حتى النظافةُ كانت مكروهة، فالذي اغتسل في المسيح لا يحتاجُ إلى استحمام!

وجاء عن سانت جيروم (٣٤٧ - ٤٢٠م)، الكاهن واللاهوتي والمؤرخ الشهير الذي قام بترجمة الكتاب المقدس من العبرية إلى اللاتينية، قولُه:

إنّ الذي اغتسل في دمِ المسيح لا يحتاجُ إلى تنظيف.

# من الذي بدّل السبتَ؟

## السبت عند اليهود

يُعتبر يوم السبتِ يومَ عبادةٍ وراحة عند اليهود، وكما يتبدّى من العهد القديم. وكلمةُ السبت بحدِّ ذاتها هي كلمةٌ عبرية معناها «راحة». ولماذا هو السبتُ يومَ راحة؟ تقول التوراة، في سفر **التكوين**:

٢:٢ وفرغ الله في اليوم السابع من العمل الذي عَمِلَ [خَلقُ السماوات والأرض].

فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل.

٣:٢ وبارك الله اليوم السابع وقدّسه،

لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عَمِلَ الله خالقاً.

كما جاء في سفر **الخروج**:

١٧:٣١ وفي اليوم السابع استراح [الله] وتنفس [!].

وهذا هراء طبعاً، أنّ الله سبحانه وتعالى لا يتعب، وهو لا يحتاج إلى فسحة من راحةٍ، كما أنه لا يحتاج إلى التنفس! لأنّ ذلك هو من صفات المخلوقين، لا من صفات الله الخالق. قال تعالى في آية الكرسي، في القرآن الكريم، ﴿**اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ**..﴾ [البقرة:٢٥٥].

القيوم: الدائم القيام بتدبير أمر الخلق وحفظهم، والمُعطي لهم ما به قِوامهم. وهو مبالغة في القيام. لا تأخذُهُ سِنَةٌ: أي نُعاسٌ، وهو الفُتور أوّل النوم مع بقاء الشعور والإدراك.

وقد تكفّل كتابُ الله، مرّة أخرى، بالردّ على هذه الشبهة التوراتية التي دلّت على تحريف التوراة، بقول الحقِّ تبارك وتعالى:

﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ**﴾ [ق:٣٨].

والأيّامُ هذه ليست كأيّامِنا نحنُ ﴿..**وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا**



**تَعُدُّونَ**﴾ [الحج:٤٧]. لُغوب: تعب وإعياء. قال المرحوم الشيخ حسنين محمد مخلوف، في «صفوة البيان في تفسير القرآن» في هذه الآية: «هو ردٌّ على اليهود في قولهم: إنّ الله استراح يومَ السَّبت».

وقد وردت كلمةُ «السبت»، في العهد القديم، أولّ مرةٍ في **سفر الخروج**، عندما قال موسى لبني إسرائيل:

٢٣:١٦ غداً عطلةُ سبتٍ مقدّسٍ للرب.

وهو ما دلّ على أنّ السّبت هو يومٌ مقدس.

وحِفظُ السبت، حسب التوراة، هو أحدُ وصايا الله:

١٢:٣١ وكلّم الربُّ موسى قائلاً:

١٣:٣١ «وأنت تكلّم بني إسرائيل قائلاً: سُبوتي تحفظونها، لأنّه علامةٌ بيني وبينكم في أجيالكم لتعلموا أني أنا الربُّ الذي يُقدّسُكم،

١٤:٣١ فتحفظون السبت لأنه مقدّس لكم.

من دنّسه يُقتل قتلاً. إنّ كل من صَنَع فيه عملاً تُقطع تلك النفس من شعبها.

١٥:٣١ ستة أيام يُصنع عملٌ، أما اليوم السابع ففيه سبتُ عطلة مقدّسٌ للرب. كل من صَنَع عملاً في يوم السبت يُقتل قتلاً.

١٦:٣١ فيحفظ بنو إسرائيلَ السبتَ ليَصنعوا السبتَ في أجيالهم **عهداً أبدياً**.

## السبت عند المسيحيين

**بولس: لا يحكم عليكم أحدٌ من جهة عيدٍ أو هلالٍ أو سبتٍ**

لقد تحول المسيحيون إلى يوم الأحد، بدلاً من السبت، ويتحيّرُ الباحثون في تاريخ حدوث ذلك، إذ ليس ثمة مِن دلالة أكيدةٍ على تاريخ معيّن لذلك، ولكنّ الأكيد في الأمر هو أنّ بولس هو أوّلُ من طوّح بالسبت، استناداً إلى العهد الجديد نفسه. جاء في رسالته إلى أهل **كولوسي**:

١٦:٢ لا يحكم عليكم أحَدٌ في أكلٍ

أو شربٍ،

أو من جهة عيدٍ

أو هلالٍ

أو سبتٍ.

**المسيحيون: حفظُ السبت هو اعترافٌ بعدم كفاية المسيح للقيام بالفداء**

يمكنُ أن نختصر الموقف المسيحيّ تجاه الناموس على الشكل التالي: «إما أن تلتزم به كله، وإمّا أن تتركه كلَّه وراءك ظهريّاً!». يقولُ موقعٌ مسيحي يُعرف بموقع «الطريق»، حول هذا الموضوع:

إنّ حفظ السبتِ بالنسبة لليهود هو جزءٌ من الناموس الموسويّ، ومَن حَفِظَ السبتَ مُلْزَمٌ بهذا الناموس كلّه. فقد كتب الرسولُ يعقوب [«أخ الرب»]: «لأنّ من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدةٍ فقد صار مجرماً في الكل» [يعقوب ٢:١٠]. فحافظُ السبت يُصبحُ متعدّياً على الشريعة الموسوية إن لم يُختتن ويقدِّمِ الذبائحَ والمحرقات، ويمارس المحافل والأعياد، ويتقيّد بكل ما يتعلق بها من أطعمة وأشربةٍ، واغتسالٍ وتطهيرٍ وفرائض منسوبةٍ. وكلُّ ما هنالك من تقاليد تتطلبها الشريعةُ. وهذا طبعاً يعني العزوف عن اعتبار ذبيحة المسيح أنّها أُكملت إلى الأبد [= حَذارِ من عمل شيءٍ من الشريعة، فذلك يودي بك إلى الجحيم، لأنك به لا تعترف بالمسيح «ذبيحة» كفلت لك الفداءَ والتحرّرَ من الناموس!].

أيّها المسيحيُّ!

لا تُخْتَتَنْ! فقد ألغت المعموديةُ، أو «الختان الروحيّ»، حاجتك إلى الختان!

ولا تمتنعنَّ عن أكلٍ أو شربٍ، فكل ما دخل جوفك هو طاهرٌ وحلال!

ولكنَّ التزامَك بالسبت لا يُجديك نفعاً إذ أنت لم تُختتنْ ولم تتقيّد بطعامٍ أو شرابٍ!





أرأيتَ إلى هذه المغالطة التي تنضح بالرّوح البولسيّة؟

ويستطردُ هذا الموقع المسيحي، قائلاً:

إنّ حِفظ الناموس لا يقرِّبُ الإنسان من الله، وهدفُ الناموس أن يُظهر قَداسةَ الله لا عجز الإنسان وحاجته إلى مُخلِّص [!]. وإن كلمة الله الواردة في الكتاب المقدس تؤكد لنا عدم جدوى محاولة الإنسان الخلاص من الخطية والحصول على البرّ بواسطة أعمال الناموس، إذ إنّ المؤمن يتبرّرُ بالايمان بالمسيح المخلّص والسير حسب تعاليمه وليس بحفظِ ناموس العهد القديم [غلاطية ٣:٢٤ و٥:٤]. وأنّ حفظ الإنسان المسيحي المؤمن ليوم السبت كجزءٍ من الناموس، هو اعترافٌ ضمنيٌ بعدم كفاية المسيح للقيام بعمل الفداء [عبرانيين ١٠:١٤]، لأنه بمجيءِ المسيح موته وفدائِه تحرّرَ الإنسانُ من الناموس [ما دام ناموس العهد القديم قد ألغاه المسيحيون، فلم هم وضعوا العهد القديم جنباً إلى جنب مع العهد الجديد في كتاب واحد، متميزين في ذلك عن اليهود؟].

ويا له من تسلسلٍ استنتاجيٍّ مُذهلٍ:

إنّ التزامَك، أيّها الإنسانُ، بالناموس، أي بأحكامِ الله، جميعاً، ومهما كنتَ ملتزماً وحيَّ الضمير، لن يُفيدك في أي شيءٍ على الإطلاق.

إذ لا بدّ من إيمانك بالمسيح إلهاً متجسداً، وابناً للإله، والذي صُلِبَ ومات من أجل أن يفديك ويخلصكَ من تبعاتِ الخطيّة الأبدية، خطيةِ أبيكَ آدمَ!

فالناموسُ لم تَعُدْ له من أيّةِ أهميةٍ، فهو قد صار كأن لم يُوجد!

وشيءٌ آخرُ مهمٌّ، وبالدرجة ذاتها!، وهو أنّك إذا خالفت بعض الناموس (بعدم اختتانك، مثلاً)، فذلك هو يساوي عدم عملك بالناموس كله ما خلا الإختتان. لقد صار عملُك كله لاغياً وباطلاً Null and Void!

فالأحسنُ لك من أن تلتزم ببعض الأحكام، ولا تَقْدِرَ على بعضها الآخر، الأحسنُ لك أن تُطوّحَ بها كلها، وترميها بعيداً. لا بل حتى لو أنت التزمتَ بأحكامِ الناموس كلها كأحسنِ ما يكونُ الإلتزام، وبكل الضمير الحيّ،

الواعي ، فإنّ ذلك كله لن يُجديك نفعاً، لأنّ إيمانك بالإله المطلوب الفادي[1] هو المنجيّ وحدَه!

**«يوم الرب»**

لقد تحول المسيحيون من يوم السبت، كيوم راحةٍ وعبادة إلى يوم الأحد، كما أن المسيحيين الأوائل اختلفوا فيما بينهم إنْ كان يتوجبُ عليهم أن يكون يوم عبادتهم هو السبت أو الأحد، ولكنّ الأخير لم يصِرْ يوماً للعبادة بصورةٍ شائعة إلاّ في القرن ٢ رغم ادّعاءِ المسيحيّين بأنّ اتخاذ الأحد جاء بسبب قيامة المسيح the day of Christ's Resurrection فيه. و قد أسموه أيضاً «يومَ الرب» the Lord's Day. وحتى هذا الأخيرُ فإنه لم يُشَر إليه، في العهد الجديد كلّه، إلاّ مرّةً واحدة، حيث ظهر هذا التعبيرُ في رؤيا يوحنّا «الرّسول» [١:١٠]، ومن غير ذكرٍ ليوم الأحد، في العهد الجديد كله. ومن المعروف أنّ يوم الأحد هو «يومُ الشمس»، وقد أصدر قسطنطين الأول، وهو أول أمبراطورٍ مسيحيّ يحكمُ روماً، أمراً، في ٧ آذار ٣٢١م، باعتبار الأحد يوماً للراحة، وهو يبدأُ هكذا:

في يوم الشمس Day of the Sun المجيد، فلْيَخْلُدِ الرّؤساءُ والناسُ في المدن إلى الرّاحة، ولتُغلَقْ كلُّ أماكنِ العمل..

ولكنّ هذا القرار لم يُطبّق إلاّ عام ٣٦١م، عندما حظر مجمعُ لوديسيا Council of Laodicea الإلتزام بالسبت اليهودي، وقرّر تشجيع المسيحيين على العمل في أيام السبت، والراحة في «يوم الرب» (الأحد).

ومن الجدير بالذكر أنّ يوم الأحد، في الكنيسة الكاثوليكية، يبتدئُ مساءَ يوم السبت، حيثُ يقام القُدّاسُ فيه، وتُعتبر صلاةُ السبت هذهِ أوّلَ صلواتِ المساء 1st. Vespers ليوم الأحد.

---

[1] أإلهٌ ومصلوبٌ؟ كيف يلتقيان؟
أنا إنسانٌ، وأنت قد أخطأت في حقّي، وأنا أريد أن أغتفر لك ذنبك وأسامحك، فماذا يمنعني عن ذلك، وأنا الإنسان؟ هل من المعقول في شيء أن أُسلم نفسي إلى العذاب، والهوان، والصلب، والموت، حتى يتم غفراني لخطيئتك؟ فما بالك بالمسيح وقد عدّوه إلهاً. يا لها من فكرة غير مفهومة، البتة، تلك التي تذكرني بالماسوشية البغيضة التي يمكن أن يُوصم بها ذلك الإله الإنسان!



ويتبينُ لنا من هذا البحث أنّ بولس هو الذي أشر إلى الناس بالتطويح بالسبت، ذلك السبت الذي كان الإلتزام به، وبنصِّ العهد القديم، عهداً أبدياً لله مع بني إسرائيل، تماماً كما هو الحالُ مع الختان، واللذيْنِ، ويا للصُدفةِ، لم يتمّ التطويح بهما إلاّ على يد بولس نفسِه. ويشهدُ لذلك، أي لالتزام المسيح بالأعياد والمناسبات اليهودية، احتفالُه، في آخر يومٍ من أيام حياته، حسب الأناجيل، بعيد الفِصح اليهوديّ The Passover، وكان ذلك عشيّة إسلامه إلى الصّلب، فيما يرى الناس.

لقد كان المسيحُ ملتزماً بالأعياد اليهودية طيلة حياته، ولو كان يُريد أن يستعيض عن أيام تلك الأيام والمناسبات بأيامٍ أخرى لفعل، واحتفالُه بعيد الفصح اليهودي «عيد العبور»، عبور بني إسرائيل البحر وتنجيتهم من فرعون وجيشه، لهو خيرُ دليلٍ على ما نقولُ. جاء في **إنجيل لوقا:**

٢٢:٧ جاء يوم الفطير الذي كان يجب أن يُذبح فيه (حَمَل) الفِصح.

٢٢:٨ فأرسل بطرس ويوحنا قائلاً: «إذهبا وجهّزا لنا الفِصحَ، لِنأكلَ!».

# بولسُ لم يُبدِّل الشريعة، إنّه ألغاها!

لقد تبيَّن لنا من الفصولِ السابقة أنّ بولس لم يُبدِّل أحكام الشّريعة بأحكامٍ غيرِها، ولكنّه ألغاها، فلم يَعُدْ ثمةَ مِن أيةِ أحكامٍ تحكمها، على الإطلاق، وتُرِك الحبلُ فيها على غاربه، وصار مسيحيٌّ وما اختارَ.

أوليسَ بولسُ هو القائلُ، في رسالته إلى أهل **كولوسي ٢: ١٦**:

> لا يحكُمْ عليكم أحدٌ في أكلٍ
> أو شربٍ،
> أو من جهة عيدٍ
> أو هلالٍ
> أو سبتٍ..؟

اختار بولسُ عقيدةً مستوحاةً من الخُرافاتِ الوثنيّة ممزوجةً بالفلسفات القديمة، واختار كذلك شريعةً مفرّغة من محتواها الحقيقيّ، فهي شرعة اللاشرع، وبذلك ضَمَن لنفسِه أسهل أُسلوبٍ وأقصر طريقٍ لاستمالةِ قلوب الوطنِين الأُمميّين إليه، بعقيدةٍ تستلهمُ عقائدَهم الوثنيّة، وشريعةٍ خاويةٍ لا تكلِّفُهم شيئاً ولا تمنعهم من شيءٍ، وبذلك انطبق عليه وصفه لنفسِه:

> استعبدتُ نفسي للجميع لأربح الأكثرين.
> فصِرتُ لليهودِ كيهوديٍّ لأربح اليهود.
> وللّذين تحت الناموس كأني تحت النّاموس لأربح الذين تحت الناموس.
> وللّذين بلا ناموسٍ كأنّي بلا ناموسٍ مع أنّي لستُ بلا ناموس الله.
> صرت للكلِّ كلَّ شيءٍ.
> من رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس
> ٩: ١٩-٢٢

وليس ثمة من شك أن رسالة بولس إلى أهل رومية تحوي أكبر بيان



للعقيدة المسيحية التقليدية التي تدين لبولس في نشوئها، إذ يعتقد الكثير من المحللين أنّ بولس قد اختطف المسيحية المبكرة، وغير لاهوتها كما جاء به المسيح، مدعياً في ذلك كله أنه قد استلم إنجيله، إنجيل بولس[1]، بوحي من الرّب، لا بحسب إنسان.

وأمّا بالنسبة إلى الشريعة، فإنّ بولس لم يمُدَّ يده بالتغيير في بعض تفاصيلها، ويا ليته اكتفى بذلك، وإذاً لبقي شيءٌ أو أشياءُ منها، ولكنه لم يَرضَ بأقلَّ مِن أن يقتلعها كاملةً من أرضها ويُطوّح بها بعيداً.

أُنظر إلى ما ذكرناهُ من أمورِ الطعام، ولحوم الذبائح، وعملية ذبح الحيوان، والقرابين، والختان، والسبت، وأمور النجاسة والطهارة، والتنجس، والتطهر، تَجِد أنّ كلاً منها قد صارتْ شِرعتُه كأن لم تكن، وتُرك الحبلُ فيها على غاربه لمعتنقِ المسيحية البولسية، وإنها لمسيحيةٌ بولسيةٌ بحقّ، وكما قد أطلق عليها الكثيرُ من العلماء الباحثين.

إنها شِرعةُ اللاّشرع، أو شِرعةُ الأرض مقابل شرع السماء.

أو قل هو شِرعةُ الشيطان مقابلَ شِرعة الرحمن.

ومقابلَ كلِّ ما ذكرناهُ مِن أحكامٍ وفرائض ووصايا الشريعة، فلقد ابتدعَ بولسُ «القربان الإلهيّ»، وهو طقسٌ وثنيّ أسطوريّ قد بيّنّا تفاصيله في الفصل الخاصّ به.

---

(١) تعبيرُ «إنجيل بولس» جاء على لسانه هو، وهي دلالةٌ تستوقف نظر الباحث النفسي، لأنها تكشفُ له كُنْهَ دعوةِ بولس: إنها دعوته هو، وإنجيله هو، لا دعوة المسيح ولا إنجيله المُغيَّب.

# عقيدةُ «العشاء الربّاني» البولسيّة

## الخبز والنبيذ يتحولان إلى جسد ودم المسيح

يُعتبر «**العشاء الربّاني**» Lord's Supper أو «القربان المقدّس»، بحقّ، وكما قال كافندش، أهمّ طقسٍ مسيحيٍّ، ولكون «القربان المقدس» أهم طقس مسيحي، على الإطلاق، ولطبيعته المحرّفة والوثنية، ولكونه بولسيّ المنشأ، فلقد لزم أن نتناوله بشيء من التفصيل، حيث يقومُ المسيحيُّ، أثناء «القدّاس» Mass، بتناول كِسرةٍ من الخبز وشيءٍ من النبيذ اللّذيْن يُعتقد بتحولهما إلى جسدِ المسيح ودمه أثناء أداء هذا الطقس، أو بحضور حقيقيٍّ (ماديّ) له [إذا حضر الجسد فلقد حضر الدّم أيضاً، أفثمّة جسدٍ من دون دم؟ فما الحاجة مع الجسد، للنبيذ حتى يصير دماً؟].

اعتبر بولس هذا «**التناول**» Communion مُشاركةً في جسد ودم المسيح، وحضوراً حقيقياً للمسيح فيه، وطريقةً للإنتماء إلى «الربّ»، أي المسيح، في موته وبعثه، ويسمّى العشاء الربانيّ أيضاً «**التناول المقدس**» Holy Communion.

كما يُعرف أيضاً باسم **الأفخارستيا** Eucharist، أو «**السرّ المقدّس**» Sacrament، و«سرّ القربان المقدس» Sacrament of the Eucharist. وأمّا «كلمات **التكريس**» Words of Institution (Consecration) فهي ذلك الجزءُ من التناولِ المسيحيّ المبنيّ على ما ورد في الإنجيل الذي يُنسب إلى مرقس [٢٢:١٤ - ٢٤] والذي يُستخدم كتوكيد من المسيح للإحتفال **المستمرّ** بالأفخارستيا. و«**القُدّاس الإلهي**» («القدّاس»، مختصراً) هو مصطلح يستخدمه المسيحيون للدلالة على تجمعهم للإحتفال بالعشاء الربّاني أو الاجتماع للعبادة، وعادة ما يكون القدّاس في الكنيسة، ويقيمه أحد القساوسة. ويعرف العشاء الربانيّ أيضاً باسم «**الذبيحة الإلهية**»، أو «**قربانا قديشا**» بالآرامية (قرباناً: قُربان، قديشا: قدّيس)، وأمّا الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية فتسمّيه «**العشاء السرّي**» Mystical Supper، ولا ترد في العهد الجديد كلمة «العشاء الرباني» بأيٍّ من مترادفاتها.

إنّ ما يُعرف بالعشاء الربانيّ هو الطقس الأساسيّ والجوهريّ في



المسيحية، وأوّل من جاء على ذكره، بإجماع الباحثين، **هو بولس، في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس**، والتي كتبت قبل الأناجيل الأربعة، كما هو معروف[1]، ثم اقتبسه منه كتبة الأناجيل المتوافقة الثلاثة، وشذّ عن ذلك شذوذاً غريباً الإنجيل الرابع الذي يُنسب إلى يوحنّا، وهو ما سنقوم بشرحه في حينه. فبدعة العشاء الربانيّ، في وصفها، وفي المعتقد الذي يقف خلفها، هي بدعة بولسيّة صرفة، كبدعاته الغريبة الأخرى التي نجد مثيلاتها في الدّيانات الوثنيّة التي كانت شائعة على عصره وفي البيئة التي عاش فيها ومن حولها ولقد ظلّ معنى وتأثير عشاء الربّ مثاراً لاختلافٍ عميق بين المسيحيين.

صار العشاء الرّبانيّ، بعد عام ١٢١٥ للميلاد عقيدة رسمية. ويقول **كافندش**: «بعد رفع المسيح كانت أورشليم هي مركز الطائفة الجديدة التي يقودها بطرس والتلاميذ الآخرون، وكانوا يُدعون «النصارى»[2] The Nazarenes، وكانوا يجتمعون في بيوتهم ويتناولون معاً «وليمة المحبة»، وهي وجبة طعام تذكّر بعشاء المسيح الأخير مع تلاميذه قبل القبض عليه. إنّ كلمات وحركات القسّيس تسبّب حسب العقيدة المسيحية «استحالة» الخبز والنبيذ إلى جسد المسيح ودمه، رغم، احتفاظها بمظهرها الخارجي للخبز والنبيذ. ومن خلال تناولهم لجسد المخلّص، فإن العابدين يتّحدون مع المسيح. وكان «القُداس» يُتلى باللاتينية، والتي لم يكن ليفهمها معظم الحاضرين ولا القسّ نفسه أحياناً، ولكن الكلمات اللاتينية الصحيحة كان لا بدّ منها لصحّة الطقس وفعاليته. ولما كان المسيح موجوداً في خبز القربان المكرّس في القدّاس، فلقد انتشرت العادة في حفظه على مذابح[3] الكنيسة في إناءٍ شفاف من أجل عبادة وتوقير المؤمنين له، ويُمكنُ لهذا الخبز أن يُوخذَ خارج الكنيسة ويُدارَ به في المنطقة المحيطة في استعراضٍ دينيّ، وكما هو الحالُ مع الآلهة Gods التي تؤخذ ويُسار بها في مواكب، في

(1) The First Epistle of the Cornthians is the earliest known mention of the Last Supper. Paul's First Epistle to the Cornithians was likely written before the Gospels (Wikipedia).

(٢) وهذا هو اسمهم في القرآن الكريم، وعند المسلمين. وكما يقول كافندش، فإنّه الإسمُ الذي عُرفت به هذه الطائفة في ذلك الوقت المبكّر جدّاً، وبعد رفع المسيح (ع) مباشرة.

(٣) المذبح Altar هو المكان المرتفع الذي توضع عليه «الذبيحة»، أي «الرّب» المسيح، متمثلةً في القربان المقدس.

الأقطار الشرقية. وكانت تماثيلُ المسيح، ومريمَ العذراء، والقدّيسين أيضاً تُحمل وتُنقل في مواكب المهرجانات ليحصل أهل المنطقة على البركة بها. وإذ جاء البروتستانت، وهم اعتبروا أنفسهم مُصلحين وليسوا بالمبتدعين، فلقد استولوا على الكنائس الكاثوليكية، واحتفظوا بأكثر مظاهر الطقوس الكاثوليكية، ولكن الخدمات صارت تُقدّم بالألمانية، وأُلغي من القُدّاس كلّ ما يشير إلى التضحية (تقديم القربان)، وصارت الدولة هي التي تُعين الكهنة، وتدفع لهم مرتّباتهم، وأُغلقت الأديرة Monasteries، وسُمح لرجال الدّين «الإكليروس» بالزواج»[1].

وتزيد المسيحيّة البولسيّة لتقول بأنّ تضحية المسيح على الصليب تتكرّر في كلِّ مرّةٍ يتمّ فيها إجراء القُدّاس وتناول العشاء الربانيّ. وبالطبع، فليس ثمّة في الإسلام، ولا في اليهودية، شعيرةٌ مشابهة للقُدّاس المسيحيّ أو لعشاء الربّ، ولا فكرةُ أن يصير المتعبّد واحداً مع الله The idea of the worshipper becoming one with God.

و«كلماتُ التكريس» التي تُتلى أثناء تناول العشاء الرباني، وتتضمّنُ كلماتٍ تُنسب إلى المسيح نفسه بالدعوة إلى تكرار هذا الفعل لهي مدهشةٌ بل مزعجةٌ ومُقلقة أيضاً لأولئك الذين يحضرون «القُدّاس»، حسب موسوعة «ويكيبيديا» الإنكليزية، خصوصاً وأنّ العشاء الأخير للمسيح كان قد تمّ في يوم عيد الفصح اليهودي «عيد العبور»، عبور اليهود للبحر، واحتفالهم بخلاصهم من فرعون وقومه **Passover seder**[2].

كيف يمكن أن يتصوّر متصوِّرٌ أن يدعو المسيح، وهو اليهودي، في يوم عيد الفصح اليهوديّ، إلى تناول الدم، دمه هو، على شكل النبيذ؟

أوَلم يؤكّد «الحكم الرسولي» Apostolic Decree الذي صدر عن

(١) ولكنّ البروتستانتية الإصلاحية لم تمتدّ، وأسفاهُ، إلى أكثر من إصلاح بعض المظاهر والطقوس أمثال ما ذكرناه، ولكنها لم تمتدّ لإصلاح العقيدة المسيحية، والعقيدة هي جوهر أيّة ديانة، ممّا أصابها على يد بولس من التحريف الخطير. بل ماذا أقول؟ لقد أعلنت البروتسانتية التمسّك بالنّصوص الدينية - وهي بولسيّة في جوهرها - عموداً من أعمدتها الأساسية.

(٢) Seder، حسب قاموس Webster، هو عيد الفصح اليهودي الذي تقام فيه وليمة شعائرية تذكاراً للعبور Exodus، عشية اليوم الأول من العبور، تقليدياً.



«مجمع أورشليم» المسيحي، والذي ورد في «أعمال الرسل»، في موضعيْن منه، [١٥: ٢٠ و٢٩] على حظر تناول المسيحيّ للدم، دم الحيوان؟ فكيف بدم الإنسان، لا بل كيف بدم «الإله المتجسّد» نفسه؟

هذا مع العلم أنّ الطائفة المسيحيّة الوحيدة التي ظلّت على حكم حظر تناول دماء الحيوانات، من بين الطوائف المسيحيّة جميعاً، هي الطائفة الأرثوذكسيّة اليونانيّة.

وأمّا الحظر اليهوديّ التوراتي على تناول دماء الحيوانات، فهو مُغلظ، ويتكرّر في أكثر من موضع من سفر اللاّويّين في التوراة.

إنّ فكرة القُدّاس على ما هي عليه لم تخطر على بال أحد في أيام «رسل المسيح» The Apostles، وآباء الكنيسة لم يعرفوا شيئاً عن هذه العقيدة في أيّام المسيحيّة الأولى، كما أنّ عقيدة «الاستحالة»، استحالة الخبز والنبيذ إلى جسد ودم المسيح، لم تُقرّر كعقيدة إلاّ عام ١٢١٥، في مجمّع لاتيران الرابع Lateran، برئاسة البابا إنوسنت الثالث.

وتُعلِّم الكنيسة الكاثوليكية عقيدة الإستحالة التي تقول: عندما ينطق الكاهن بكلمات التكريس فوق الخبز والخمر في القّداس، يتحوّل هذان إلى جسدِ ودم «الربّ» الحقيقي، أي ناسوت ولاهوت «الرّب يسوع المسيح». وتُشكِّل الاستحالة أساس العبادة في الكنيسة الكاثوليكية، والتي تُعلِّم بأنّه بعد تكريس الخبز والخمر يتحوّلُ هذان إلى ذات الربِّ يسوعَ ابن الله، ولذلك يصلّي الشعب إليه ويعبده.

وتعتقد الكنيسة الكاثوليكية أيضاً أنّ للكاهن القوّة المطلقة لتحويل الخبز والخمر إلى «الله»، لأنّه بحسب تعليم الكنيسة المذكورة يُطيع المسيحُ الكاهنَ ويدخل في الخبز والخمر اللّذين يتحوّلان بعد التكريس إلى المسيح نفسه، كما وتؤمن الكنيسة ذاتها بأن المسيح قد طلب منهم أن يأكلوا لحمه ويشربوا دمه، وقد عُمِل «عشاء الرّب» مخصوصاً ليتحوّل فيها جسداً ودماً[1]. ولإثبات تلك الفكرة تتمسّك الكنيسة البابوية بما ورد في **إنجيل يوحنا**:

٥٣:٦ فقال لهم يسوعُ: الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم: إنْ لم تأكلوا جسد ابنِ

(١) عن موقع «كلمة الحياة» المسيحيّ.

الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياةٌ فيكم.

٥٤:٦ من يأكل جسديْ ويشرب دميْ فله حياة أبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير،

٥٥:٦ لأنّ جسدي مأكَلٌ حقٌّ ودميَ مَشربٌ حقٌّ.

ولعمري، لا يرى المرءُ في ذلك إلاّ معنىً رمزيّاً، وليس ما سُمّي بالعشاء الربانيّ من معنى هذه الفقرات في شيء. فالمقصود بالأكل والشرب هنا، المعنى الروحي، لا المعنى المادي، وأننا لنلمح هنا في الكلام المنسوب للسيد المسيح تبكيتاً لليهود ولوماً مستتراً على ما كانوا ينوونه من قتله.

والأدهى من ذلك أن هذه الفقرات قد جاءت في إنجيل يوحنّا ليس على أنها حدثت عشيّة إسلام المسيح إلى أعدائه وأخذه للصلب، ولكن قبل ذلك بزمن، وفي مناسبة لا تمتّ إلى العشاء الأخير بأيّة صلة.

ويقول الأب القمص كامل بيشوي في مذكّراته:

استلمتُ الذبيحة صباحاً واشتركتُ مع الروح القدس في تحويل الخبز والخمر ومَسَكْتُ الله بيدي وأكلتُه!

أمّا السّجود، فالكنيسة المرشَدة بالرّوح القدس تَعلم أنّه لا يجوز السّجود بعد التناول إذ يكون الإنسان حاملاً الرّبَّ في داخله، فلا يجوز له السّجود. هذا التقليد يؤكد أننا نأخذ المسيح نفسه في سرّ الأفخارستيا.

### مِن مشاكل تفسير التحوّل الماديّ للخبز والخمر

تقول الكنيسة الكاثوليكية بتحوّل الخبز والنبيذ إلى جسد المسيح ودمه، بحقّ وحقيق. وما دام الأمر كذلك، فإنّه تناول للدّم حقّاً وصدقاً، وهو أمر لم تحرّمه شريعة موسى وحدها، بل قد حرّمها أيضاً العهد الجديد، حسب أوّل «مجمّع مقدّس» لتلاميذ المسيح، في أمره للأمميّين (غير اليهود)[١] بأن

(١) لقد أحلّ «مجمع أورشليم» المسيحي الذي أصدر هذا القرار كل طعام وشراب، فأنكر بذلك شريعة التوراة، وهو لم يستثنِ من التحليل إلا «الذبائح النجسة المقربة للأصنام، والزنا، وتناول لحوم الحيوانات المخنوقة، والدم». فلماذا تحريمُ هذه الأربعة دون سواها؟ إنّ «أعمال الرسل» نفسه ينبئنا عن السبب في ذلك: إنه ليس إلاّ احتراساً وخوفاً من «أتباع موسى»! ١٥:٢١ «فإنّ لموسى، منذ القدم، أتباعاً في كل مدينة، يقرأون شريعته ويبشرون بها في المجامع كلّ سبت».



يمتنعوا عن نجاسات الأصنام، والزّنا، والمخنوق، والدم (أعمال الرسل ٢٠:١٥)، وهذا ما يجعل من متناوليها آكلي لحوم بشرٍ، وهذا الرأي الأخير تجده مُعلَناً على مواقع الكنائس غير الكاثوليكية.

وهذا موقع مسيحيّ اسمُه mechristians. files، يتحدث على بعض مشاكل القول بالتحوّل الماديّ للخبز والخمر:

من يَقُل بتناوله لجسد المسيح ودمه فقط، بحسب الكلام الحرفيّ، دون روح «الرّب» يسوع البشرية أو لاهوته المتّحد بكامل ناسوته، فإنه قد سقط في هرطقةٍ أصعبَ من هرطقةِ نسطورَ التي فصلت ناسوتَ المسيح عن لاهوته، إذ يصيرُ عندها ناسوتُ المسيح وقد فُصِل إلى عناصره الأوّليّة، وصار مجرَّدَ جسدٍ منفصلٍ عن الدّم بلا روحٍ بشريّة.

ومَن قال بأنّ الخبز الذي يتناوله هو المسيح بلاهوته وناسوته معاً، فما حاجته إلى تناول الخمر، إذاً؟

أو إن كان الخمرُ هو المسيحُ كلّه بلاهوته وناسوته، فما حاجته إلى الخبز؟

ولو كان الخبزُ هو الجسَدُ، ومختلفاً عن الخمر الذي هو الدّم حرفيّاً، فلقد عُدنا إلى تقسيم المسيح إلى عناصر أوّليّة تفقدنا المسيح باعتباره الله الحيّ المتجسّد كما يقول المسيحيون.

وهكذا لا تزال الطوائف المسيحيّة، حتّى اليوم، متناحرةً أشدّ التناحر وتستغرق الجهْد والوقت وتستنزف الفكر، في مناقشاتٍ وجدالاتٍ لا تنتهي، وفيما لا طائل من ورائه، حول فلسفة العشاء الربّانيّ البولسيّ المزعوم.

تَعتبر المسيحيّةُ البولسيّة السيّدَ المسيح **«ذبيحةً»** من أجل خطايا الناس. جاء في سفر **العبرانيين** من العهد الجديد:

١٢:١٠ أمّا هذا [المسيح] فبعدما قدَّمَ عن الخطايا ذبيحةً واحدةً جلس إلى الأبد عن يمين الله.

وتُعلِّمُ الكنيسة الكاثوليكية بأنّ الكاهن بعد أن يكرّس الخبز والخمر المستعملَين في القدّاس، تتحوّلان إلى جسد ودم ونفس ولاهوت المسيح «ابن الله»، أي إلى الله نفسه. وقد أُعلن في مجمّع ترانت Trent أنّه:

في سرِّ الأفخارستيا الطاهر المقدّس، وبعد تكريس الخبز والخمر، تتحوّلُ هذه إلى ذات المسيح - الإله الإنسان. وهذه الحقيقةُ متضمَّنةٌ تحت الأشياء الظاهرة المنظورة.

كما تُعلِّم هذه الكنيسة أيضاً أنّه يُقدَّم في القدّاس ذبيحةٌ طاهرة عن الأحياء والأموات، وأنْ هذه الذبيحة تُكرَّرُ عند ممارسة كل قدّاس، وأنّ الذبيحة في القدّاس هي ذبيحة وجسد ودم المسيح «الغير دموية».

وتقول موسوعة **«ويكيبيديا» الإنكليزية**، حول كلٍّ من «العشاء الأخير» و«العشاء الرّباني»، ومصدرهما:

يعتبر باحثون أنّ «العشاء الأخير» هو مصدر تقاليد «العشاء الرّباني» المسيحيّة المبكّرة، ولكنّ آخرين يعتبرون **أنّ بيان «العشاء الأخير» قد استُمِدّ من ممارسات «الأفخارستيا» كما وصفها بولس في أواسط الخمسينات** الميلادية [(١)(٢)(٣)].

(1) "The Custom of placing the eucharist at the heart of the worship and fellowship of the Church may have been inspired not only by the disciples",Bromiley, G.W. (1988; 2002) Vol.3.

(2) The Oxford History of Christian Worship. Oxford University Press, USA, 2005.

(3) Funk, Robert W. and the Jesus Seminar. The Acts of Jesus: the search for the authentic deeds of Jesus. Harper - San Francisco. 1998. Introduction, p.1 - 40.





## عيدا الفِصْح: اليهوديّ والمسيحيّ

ثمّة علاقةٌ وثيقةٌ جداً بين عيديّ الفصح، اليهوديّ والمسيحيّ، وهذه العلاقةُ هي أعمق ممّا قد يتبادر إلى الذهن في الوهلة الأولى، فهي تتعدّى التطابق في زمنهما إلى التشابة في مغزاهما. إنّ أصل ومغزى عيد الفصح المسيحي لا يمكن فهمه بدون دراسة عيد الفصح اليهودي، ولذلك يتوجب علينا دراستُهما معاً.

فأما عيد الفصح اليهودي، وهو يُعرف بالعبرية باسم **«پيسَح» Pesach**، فهو **عيد العبور Passover**، احتفالاً بتنجية الله لبني إسرائيل من فرعون وقومه، بعبورهم البحر، في «الخروج» Exodus، وهو يُعرف في التوراة أيضاً بعيد الفطير، إذ أنّ أبرزَ ما في هذا العيدِ ضرورةُ إخلاء الدار من كل خميرةٍ، فلا يُتناول الخبزُ المختمر، كما تُتناول في عشيته أربعُ كؤوس من خمر العنب، وقد جاء ذِكْرُ هذا العيد في سِفر **التثنية**، خامس أسفار التوراة:

١٦: ١ إحتفلوا دائماً بفصح الرّب إلهكم في شهرِ أبيبَ [نيسان]، ففي هذا الشهر أخرجكم الرّبُ إلهكم من مصر ليلاً.

١٦: ٢ واذبحوا للرّب غنماً أو بقراً [يقول اليهود إنهم قد أُمروا بتلطيخ جوانب أبوابهم بدمها، حيث أن «روح الله Spirit of the Lord، عند مروره بهم، يقبض أرواح الأولاد البكر المصريين، ويتجاوز عن أولاد الإسرائيليين «يعبرهم»، ومن هنا جاء اسم «العبور»].

١٦: ٣ لا تأكلوه مع خبز مختمر، بل كُلوه مع فطيرٍ طوال سبعة أيام.

يقعُ هذا العيد في شهر نيسان Nisan اليهودي (وهو غيرُ شهر نيسان المعروف عند العرب، والمقابل لشهر أپريل في التقويم الغريغوري الشّمسي المتّبع حاليّاً)، ويدعى في التّوراة باسم شهر أبيب Aviv (وهي كلمة تُشير إلى الشّهر الذي يُحصد فيه الشّعير)، وشهر نيسان العبريّ هذا هو شهر قمريّ، وليس شهراً شمسياً، كما سيتّضح لنا.

**يبتدأ عيد الفصح اليهوديُّ هذا يوم ١٥ من نيسان اليهودي**، ويدوم لسبعةِ أيامٍ. ويقع هذا الشهرُ العبريّ عادةً في مارس أو أبريل في التقويم

الغريغوري، ولا يَقعُ خارجه، أي أنّه لا يدورُ مع أيام السّنة الميلادية كلها على عكس الأشهر القمرية العربيّة. ويبدأُ اليوم العبريّ من الغسق وحتى الغسق الذي يليه، لا من منتصف الليل.

ويتمّ تناول وجبة الإحتفال بالعيد Passover seder ليلة ١٥ نيسان في التقويم العبريّ. وما يهمّنا من هذا البحث في عيد الفصح اليهودي أنّ **الأناجيل المتوافقة** Synoptic Gospels **تُجمع على تقديم «العشاء الأخير» للمسيح على أنه وجبةُ عيد الفصح اليهوديّ ذاتها** (متّى ٢٦:١٧، مرقس ١٤:١ - ٢، لوقا ٢٢:١- ١٥)، كما توحي هذه الأناجيل ذاتُها بأنّ المسيح قد أُسلِم إلى الصّلب في اليوم التالي لوجبة عيد الفصح اليهودي والذي تحدّده التوراة بأنّه يحدث بعد مغيب شمس يوم ١٤ً من نيسان، أي أنّ المسيح قد أسلم إلى الصلب يوم ١٥ً منه، ولكنّ إنجيل يوحنا يشير إلى إنّ الصّلب قد حدث يوم ١٤ً، قبل أن يتناول القادة اليهود وجبة عيد فصحهم، وفي يوم تناول وجبة عيد الفصح نفسه.

نتيجة خطيرة ممّا سبق: **لقد أُسلم السّيّدُ المسيح إلى الصّلب، فيما يراهُ الناسُ، عشيّةَ عيد الفصح اليهودي أو في أوّل منه.**

**التقويم العبري:**

إنّ التقويم العبري هو تقويمٌ قمريّ - شمسي Lunisolar Calender، أشهُرُه قمريّة (تتكون من ٢٩ أو ٣٠ يوماً)، وسَنتُه شمسيّةٌ (من ٣٦٥ يوماً). ولمّا كانت السّنةُ القمريّة تقِلّ بـ١١ يوماً عن السّنة الشّمسية، وحتى تلحَقَ السّنةُ العبرية ذاتُ الأشهر القمرية بالسّنة الشّمسية، يُضاف شهرٌ كبيس Intercalary Month إلى السنة العبرية كلّ سنتين أو ثلاثِ سنين، وهي بالضّبط تُضاف سبع مرّاتٍ كلَّ ١٩ عاماً، ويبدأُ كلّ شهرٍ عبريّ قمري بمولد الهلال الجديد. ويبدأ اليوم الجديد بغروب الشمس، لا منتصف اللّيل، وينتهي بحلول الغسق التالي.

وشهر نَيسان العبريُّ هو شهرٌ قمريّ، وهو يُعتبر أوّل أشهُر الرّبيع، وهو لا يتراجعُ إلى موسم الشّتاء بسبب إضافة الشّهر الكبيس قبله، عند الحاجة. ويحلّ عيد الفصح اليهودي في منتصف شهر نيسان العبري، أي عند اكتمال





القمر بدراً بعد الاعتدال الربيعي الذي يحدث في ٢١ً من مارس March، ولكنه يحلّ أحياناً في نهاية أبريل April عند اكتمال القمر الثاني بعد الاعتدال الربيعي. واليوم الأوّل من عيد العبور يبدأ بحلول مساء ١٤ً من نيسان العبري وينتهي بحلول مساء اليوم ١٥ً منه. وكما قلنا، فإن عيد الفصح اليهودي هذا يحُلُّ في الشّهر الثالث (مارس) أو الرابع (أبريل) من السّنة الشمسية حسب التقويم الغريغوري Gregorian Calender.

يبدأ العيد اليهودي بانتهاء يوم ١٤ً من نيسان، بحلول الليل. ويحتفل اليهود فيه بخلاصهم من عبودية فرعون تحت قيادة النبي موسى (ع)، بالخروج من مصر وعبور البحر، وقد ذكرت التّوراة ذلك، في سفر الخروج، حيث تقول بأنّ الله قد أصاب المصريين بعشر نكبات قبل أن يُطلِقَ الفرعونُ سراحَ اليهود، وكان عاشرُ تلك النكبات وأسوءُها موتُ الإبن البكر لكلّ عائلة مصريّة، وقد تمّ توجيه اليهود بذبح شاةٍ وتلطيخ قوائم كلّ بابٍ لهم بدم الشيّاه المذبوحة، وعندما تمرّ «روح الرّب» تتخطّى دور اليهود «تعبرها» (ومن هنا منشأ اسم عيد «العبور» بالإنكليزية Passover، حسبما تقول الرّوايات) [الله لا يحتاج إلى تعليم الدور حتى يتعرف على ساكنيها!]. وتقول الرّواية أنّ اليهود عندما أطلق الفرعون سراحهم كانوا على عجلةٍ من أمرهم في الهروب، حتى أنهم لم يكن لديهم الوقت الكافي لأن ترتفع (تختمر) عجينة الخبز لديهم، فاضطرّوا لأكله غير مختمر، وهذا هو السبب في اقتصار تناولهم طيلة فترة العيد للخبز المصنوع من العجينة غير المختمرة «عيد الفطير».

وتقول التعليمات التوراتية بخصوص الاحتفال بعيد الفصح بضرورة التخلص من أية عجينة خبز غير مختمرة قبل بداية اليوم ١٥ً من نيسان. وبانتهاء اليوم ١٤ً منه، ومع حلول الغسق تُذبح شاة تؤكل بعد شيّها، مع الخبز غير المختمر «ماتزو» matzo، وأعشاب مُرّة Maror، وتعرف هذه الأضحية باسم «قُربان بساخ» Korban Pesach وبالإنكليزية Paschal Lamb. وتُعرف وجبةُ طعام عشية عيد الفصح اليهودي باسم The Passover Seder، وفي هذه الليلة تجتمعُ كلّ عائلة يهودية لتناول طعام القُربان إلى الله،

أو «البيساك» Pesach، ويتوجب الإنتهاء من تناول هذه الوجبة قبل منتصف الليل، والتخلُّص ممّا بقي منها. وكلمةُ «Seder» التي تُشير إلى هذه الوجبة تعني حرفياً «الأمر» Order، فهذا الأمرُ بهذا الطقس الدّيني هو محدَّد جدّاً. وإذ تُوضعُ وجبةُ لحم الشاةِ مع الخبز، على المنضدة، لا بدّ من تناول أربعة كؤوس من النبيذ معها، لكلّ شخص، رجلاً كان أو امرأة.

إنّ التوراة، كما نعلم، قد حرّمت تحريماً قاطعاً تناول الخمر في المناسبات الدينية لكنّ لوقا يقول [٢٢] إنّه في عيد الفصح كان اليهود كعائلات أو أصدقاء يأكلون مع خروف الفصح فطيراً ويشربون خمراً، فكيف يمكن أن نفسّر تناول اليهود للخمر، بهذا المقدار الكبير لكلّ منهم في أقدس مناسبة دينيّة لديهم؟

يقول القس **عوض سمعان**، في كتابه **«العشاء الربانيّ»**[١]:

لم تكن الخمر التي تُستعمل في عيد الفصح من النوع الذي يُسْكر - لأنه لم يكن مسموحاً بوجود أي نوع من الخمير في هذا العيد (خروج ١٢:١٣) - إذ إنّها (كما يقول المؤرّخون) كانت عصير العنب الطّازج أو نقيع الزّبيب قبل أن يعتريه تخمير. وبهذه المناسبة نقول إنّ الكلمة المعروفة في اللّغة العربيّة بـ«الخمر»، تقابلها في اللغة العبرية عشر كلمات تدل على عشرة أنواع منها، أهمّها «ياين»، «تشمار» و«مثيخار». والأول هو عصير العنب الطازج، والثاني هو عصير العنب المركّز، والثالث هو عصير العنب المخمّر. والصنف الأخير هو المسكر، أما الصنفان الأولان فلا يُسكران (Young's Concordance)[٢]. ولعل كلمة «ياين» العبرية هي بعينها كلمة «وين» العربية، وهي بعينها كلمة Wine الإنكليزية مع تحريف بسيط في اللفظ. والكلمة الإنكليزية يطلقها الإنكليز على الخمر، والكلمة العربية يطلقها العرب على العنب الأسود (قاموس المحيط ج٤ ص٧٦).

(١) منشور في الموقع المسيحيّ Kalimatalhayat. com (١٠/١٢/٢٠١٤).

(٢) Young's Analytical Concordance to the Bible, compiled by Robert Young (1879) وهو فهرس أبجديٌّ مشهور لمفردات الكتاب المقدّس، والمعلومة أعلاه نجدها في الصفحة ١٠٥٨ منه والمنشورة على صفحات «الإنترنت»، تحت مفردة (Wine) - المؤلف.





فضلاً عن ذلك فإنّ العرب أيضاً يُطلقون كلمةً واحدة على الخمر وعلى عصير العنب قبل أن يختمر (أو بالحريّ على الرشح الذي يصدر عن العنب) وهذه الكلمةُ هي السُّلاف (مختار الصِّحاح صفحة ٣١٠).

**«الباساك»، متى جاء ذكْرُه في الكتاب المقدّس أوّل مرّةٍ، وما معناهُ؟**

جاء ذكرُ الفعل Pasach، في الكتاب المقدّس، أوّل مرّةٍ، في التوراة، في الإصحاح الثاني من سفر الخروج [١٢:٢١]. وثمّة جدالٌ حول معنى هذه الكلمة بالضبط، والإفتراض الشائع أنّه يعني أنّ الله (عَبَرَ عن) أو (تخطّى) بيوت بني إسرائيل He passed over، مُصيباً للمصريّين وحدهم بالعذاب، لكنّ باحثين آخرين يعتقدون أنّ التّرجمة الأكثر دقّة قد تكون (حام) أو (رفرف). وأما مصطلح The Passover، ومعناه الحرفيّ هو (العبور) فلقد ظهر أوّل مرّة في ترجمة الكتاب المقدس الإنكليزية لويليم تندال Willam Tyndal. فكلمتا Pesach العبرية وPassover الإنكليزية مترادفتان، لكنّ الثانية حديثةٌ، وأمّا الأولى فهي كانت معروفةً في التوراة قبل زمن المسيح (ع).

وما يهمّنا من هذا السّرد كلّه أنّ مصطلح العبور العبريّ هذا Pesach قد أخذه المسيحيون، فصار عندهم عَلَماً على عيد الفصح المسيحي Easter الذي يُقام بمناسبة قيامة السيّد المسيح من الموت، حسب اعتقادهم، والذي يُعرف عندهم أيضاً بـ«عيد القيامة». فاليهود يعتبرون أنّ مصطلح Pesach العبري الدّال على العبور وتخليص اليهود من فرعون قد «سُرِقَ» منهم فصار المسيحيون يطلقونه على عيد فصحهم هم. وإنك لتجد هذا المصطلح باللاتينية (پاسكا) Pascha، وبالفرنسية پاك Pâque، وبالسويدية پوسك Pask، وبالدانماركية پوسكا Paske، وهَلُمَّ جرّا. وأما «العبور» فإنّي لا أرى فيه إلاّ عبور البحر، وهي معجزة لم نسمع بمثلها، وقد جاء ذكر العبور في سفر الخروج من التوراة [١٤:٣٠ - ٣١]، وذِكْرُ غرق فرعون ومركباته فيه.

وأهميّة هذا الموضوع لا تقتصر على أهميّة أصل الكلمة اللّغويّ، بل هي تتعدّاها إلى شيءٍ آخر خطيرٍ، وهو مغزى استخدام المسيحيين لاسم العيد

اليهوديّ مُطلِقينَ إيّاه على عيدهم هم.

إنّ المغزى الكامل لهذا يمكن أن نستوعبه بسرعةٍ من خلال استرجاعنا لحقيقة أنّ الأناجيل الثلاثة المتوافقة تُجمع على أنّ عشاء المسيح الأخير قد كان وجبةَ عيد الفصح اليهوديّ نفسها. جاء في الإنجيل المنسوب **للوقا،** عمّا عُرف فيما بعد بالعشاء الرّبانيّ:

٧:٢٢ وجاء يومُ الفطير الذي كان يجبُ أن يُذبح فيه (حَمَل) الفِصح [الحَمَل: الشاة الصغيرة].

٨:٢٢: فأرسل [المسيحُ] بطرس ويوحنا قائلاً: «اذهبا وجهّزا لنا الفصح، لنأكلَ!

١٣:٢٢ فانطلقا،... وجهّزا الفصحَ.

١٤:٢٢ ولمّا حانت الساعة، اتّكأ ومعه الرّسل،

١٥:٢٢ وقال لهم: «اشتهيتُ بشوقٍ أنْ آكُلَ هذا الفصح معكم قبل أن أتألّمَ.

فما قد عُرِف بالعشاء الرّبانيّ للسيّد المسيح لم يكن إلاّ وجبة عيد الفصح اليهوديّ!

كما أن اسمي «الإيستر» أو الفصح المسيحي، وعين «العبور» هما اسم واحد أو اسمان متشابهان جداً في الكثير من اللغات.

**عيد الفصح المسيحيّ، أو «عيد القيامة» Easter (وفي اللغة الإنكليزية القديمة Eastru, Eastrun ، إلخ)**

يعتقد المسيحيون أن المسيح قد مات يوم «الجمعة الحزينة» Good Friday التي تسبق عيد الفصح، وأنه قد قام من الأموات يوم أحد بعد ثلاثة أيّام فيما يعرف بـ«أحد القيامة» Resurrection Sunday أو الـEaster (ويكتبه البعض Eastre أو Ashera). وتقول المصادر التاريخية أن Eastre هو اسم إلهة تيوتونية (أي جرمانيّة قديمة) كانت القرابين تقدّم لها في شهر أبريل، واسم للإلهة البابلية عشتار Esthar، إلهة الخِصب، وكلاهما ليس له أية علاقة بقيامة المسيح.

ويقول العهد الجديد إنّ قيامة المسيح، التي يُحتفَل بها في عيد الفصح





المسيحي، هي أساس الإيمان المسيحي. وإنّ قيامة المسيح قد ثبّتته على أنّه ابنُ الله القويُّ، وأنّ الله قد أعطى المسيحيّين «ولادة ثانية لرجاءٍ حيٍّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات» [١ بطرس١:٣].

ويُنظَر إلى المسيح على أنّه صار «خروفَ التّضحية» Sacrificial Lamb، وحسب الإنجيل المنسوب ليوحنّا فلقد صُلب في نفس وقت ذبح أُضحية العبور عند اليهود، في عصر يوم ١٤ من شهر نيسان العبريّ. فوليمةُ العبور اليهوديّة قد تحقّقت بموت المسيح، وبدلاً من الحَمَل الذي يُذبح، فلقد قُتل المسيحُ نفسه، وبذلك تم افتداءُ المسيح للناس وتخليصهم من الخطيئة المزعومة، وهذه هي العقيدة البولسيّة في «لعشاء الرّبّاني» الذي ابتدعه بولس.

فمن الواضح أنّ بولسُ قد أخذ فكرة عيد العبور اليهوديّ وأُضحيتِه فمزج بينها وبين العقائد الوثنية الشائعة آنذاك حتى يضرب عصفورَيْن بحجرٍ واحد. فعقيدةُ «العشاء الرّبانيّ» البولسيّة تبدو لأوّل وهلةٍ شديدة الشّبه بشعائر عيد العبور اليهودي، ولكنّها أُفرغت من محتواها الأصلي بعقيدةٍ أسطوريّة وثنية خيالية تتمثّل في موت الإله ثم قيامه من جديد. فهذا الطقسُ، في توقيته وفي مظهره يبدو وكأنّه عيدُ الفصح اليهودي نفسُه، فهو مظهرٌ يهودي كاذبٌ ولكنه جاذبٌ بمسحته اليهودية، وهو من الجانب الأخير يحوي عناصر وثنيةً تروقُ للوثنيين الأمميّين وتتماشى مع العقائد والفلسفات التي كانت شائعةً بينهم.

**الكنيسة تفكّ ارتباط العيد المسيحيّ عن اليهوديّ**

لقد سيق المسيحُ للصّلب، حسب الأناجيل الثلاثة المتوافقة، في أوّل يوم من عيد الفصح اليهودي ـ الذي يدوم أسبوعاً ـ وكان يوم جمعة، ثم هو قام من القبر يوم الأحد التالي له، وهو موعد عيد الفصح المسيحيّ، فالتّاريخان متلازمان لا محالة، وقد ظلّ العيدان يُحتَفَلُ بهما في التاريخ ذاته، حتى قرّر المسيحيّون تغيير تاريخ عيدهم وفصله عن العيد اليهودي، بأمرٍ من الأمبراطور قسطنطين، في **مجمع نيقية الأول،** عام ٣٢٥ للميلاد، وأثبت المجمّع قانوناً لم يزل سارياً حتى الآن في تحديد تاريخ عيد الفصح المسيحيّ، وهو أنه يقع في يوم **الأحد** الأول الذي يلي ظهور البدر الكامل

بعد الإعتدال الربيعيّ وجاء في رسالة الإمبراطور **قسطنطين** إلى الأساقفة المجتمعين في نيقية ما يأتي:

إنّه لا يُناسبُ على الإطلاق أن نتبع تقليد أو حساب اليهود الذي عميت قلوبُهم وعقولُهم، وغمسوا أيديهم بأعظم الجرائم فظاعةً، وهكذا إذ نتّفقُ كلّنا على اتخاذ هذا الأسلوبِ ننفصلُ أيهاالإخوة الأحبّاءُ عن كلِ اشتراكٍ ممقوت مع اليهود.

وجاء في قرار المجمّع المذكور:

من غير المعقول أن نتّبع عادات اليهود في واحدٍ من أقدس أعيادنا، فمن الآن وصاعداً يجب أن لا تكون بيننا أيةُ صلةٍ مع ذلك الشعب المقيت.

ويؤكدُ ريبوني على أنّ معاداة المسيحية لليهودية والساميّة ستبقى محفورةً في الطقوس الكاثوليكية، وتمثّلُ جزءاً لا يتجزّأ منها حتى مجمّع الفاتيكان الثاني. فحتى ذلك التاريخ كانوا يردّدون في كل قُدّاس، وفي كلّ كنيسةٍ كاثوليكية، الصلاة التالية:

إننا نصلّي إلهنا من أجل الخونة اليهود، أن تُنزل الغِشاوة التي على قلوبهم، ليعرفوا هم أيضاً ربّنا يسوع المسيح.

وقد أعطى ذلك المجمّعُ الكنيسة الكاثوليكية الحقَّ في تعيين يوم الفصح، وهو صار يَقَعُ دائماً، عند المسيحيّين الغربيّين، في يوم أحد يقع ما بين ٢٢ من مارس و ٢٥ من أبريل. وأمّا بحساب الكنيسة الشرقية فهو يقع بين ٤ أبريل و ٨ مايو بين عامي ١٩٠٠ و٢١٠٠.

ويقول موقع St. Takla.org، في وجه الشبه بين أضحية العيد اليهوديّ و«العشاء الرّباني»:

دمُ ذبيحة العيد اليهودي [الخروف] يُرشُ على قائمتي الباب، ولحمُه يأكله اليهود المحتفلون. أمّا في سرِّ الأفخارستيا «العشاء الرّبّانيّ» فنحن نتناولُ جسد الرّبّ ودمه الأقدسيْن حقيقةً، لا رمزاً ولا مجازاً.

وثـمّـة موقع مسيحيّ آخر، يسمى **«موقع هلول»**، يشرح الفرق بين العيدين اليهوديّ والمسيحي:

اليهود يعتقدون أنّ «الفصح» هو ذكرى عبورهم من العبودية إلى الحرية، بعد خروجهم من مصر، والمسيحيون يعتقدون أن ذلك العيد



يشير إلى عبور المؤمن بالمسيح من العبودية للخطيئة إلى التحرر والحرية، ويرون أنّ المسيح قبل صلبه لم يأكل مع تلاميذه عشاء الفصح المكوّن من الحَمَل المذبوح، بل ذبح نفسه على الصليب ليصير هو «الحمل المذبوح» مشكلاً كفّارة عن خطايا الناس.

**استنتاجات لنا ممّا ورد في هذا الفصل:**

١ ـ إن اسم Pascha الذي هو إسم عيد الفصح «العبور» اليهودي، والذي استخدمه اليهود قبل مجيء السيّد المسيح (ع)، قد «استعاره» المسيحيّون ليطلقوه على عيد فصحهم هم «عيد القيامة».

٢ ـ لا نظنُّ أنَّ اسم «عيد العبور» اليهوديّ إلاّ هو يشير إلى تنجية الله سبحانه لليهود بفرقه لهم البحر، وعبورهم إياه، وكما قد ورد تفصيل ذلك في التوراة ذاتها، لا (تخطّياً) من الله تعالى لبيوت اليهود، كما تذكر التوراة ذلك. حقّاً إنه لأمرٌ عظيم، ومعجزة كبرى، وفضلٌ من الله كبير على اليهود في عبورهم البحر، لا في (تخطّيه) لدورهم.

٣ ـ لم يكن العشاء الأخير للسيد المسيح (ع)، وكما أوردته الأناجيل الثلاثة المتوافقة، جميعاً، إلاّ مشاركةً منه في عيد الفصح اليهودي، لا تأسيساً لطقس جديد يقوم به المسيحيون في المستقبل.

**القول الصحيح في تنجية المسيح**

**الحقيقة الكبرى المغيّبة**

**يومُ خلاص المسيح من اليهود هو يومُ خلاص اليهود من فرعون**

٤ ـ وأخيراً، فثمّة استنتاج خطير!

هل أن هناك من صلةٍ بين الأمرين، بين عشاء المسيح الأخير مع تلاميذه، وتوديعه لهم[1]، وبين «عيد العبور» اليهودي؟

لقد ذكرنا بعض ما تورده الكنيسة من صلات واهية بين الأمرين، كمثل قولهم بأن العيد يمثل «عبور المؤمن من العبودية للخطيئة إلى التحرر والحرية». وبِمَ؟ بصلب «الإله المتجسد» نفسه تكفيراً لخطاياهم المزعومة ثم قيامته من الموت!

(١) جاء في الإنجيل المنسوب إلى لوقا، منسوباً إلى السيّد المسيح:
١٦:٢٢ لن آكُلَ منه بَعْدُ، حتى يتحقّق في ملكوت الله.

إننا لا نرى في هذه المناسبة إلاّ شَبَهاً شديداً، بين أمرين جللين، لا يمكن التغاضي عنهما!

لقد نجّى الله سبحانه عبدَه ورسوله البشر، عيسى المسيح، من الصلب والقتل، كتنجيته لليهود من فرعون، بعبورهم البحر.

ولقد طاردَ فرعونُ، وجندُه، موسى وقومَه، إلى البحر. ولم يكن ذلك إلاّ مَظَنَّةً أكيدةً لغرق اليهود. لكنَّ الله تعالى جعل في ذلك، من خلال معجزة ربّانية لم تخطر ولا تخطرُ على بال، منجاةً لهم وخلاصاً.

ومِثْلُ ذلك هو ما قد سعى إليه اليهود، مِنْ صَلبٍ للسيّد المسيح وقَتْلٍ. ولكنَّ الله سبحانَه نجّى عبده بمعجزةٍ ربانيّة أخرى لا تَقِلُّ إدهاشاً ولا غرابةً عن المعجزة الأولى، بتشبيه الأمر على اليهود في صلبه وقتله.

ثمّ قد شاء الله تعالى أن يُنجيَ السيّد المسيح (ع)، وفي نفس تاريخ تنجيته لموسى (ع) وقومه، هذا برفعه إلى السّماء. وذاك بشَقِّ البحر له.

إنَّ يوم عيدَ العبورِ هو نفسُهُ يوم عيدُ الرَّفعِ!

وما مغزى ذلك كلِّه؟

إنّه تصديقٌ لما أوردَهُ الله تعالى من أنه قد أنجى السيد المسيح من الصّلب ومن القتل، فما صلبوه وما قتلوه، فهو تصديقٌ لكتاب الله، القرآن الكريم، للرّواية الإسلامية حول تنجية الله عبدَه من الصَّلب والقتل.

لقد عانى المسيحُ ما عانى، **حسب الأناجيل ذاتها**، قبل وأثناء الصَّلب، كثيراً جداً، من آلام جسديةٍ ومعنوية لا يُطيقُها بشرٌ. ولكنَّ ذلك هو شيءٌ غيرُ معقول. إذْ أيُّ تَكريمٍ هو من «الله الآب» لِـ«الله الابن» في تعريضه لكلّ ذلك، حتى لو كان المقابلُ لذلك ليس أقلَّ من قيامتِه من الموت؟ لا تكريمَ، ثَمَّةَ، البَتَّةَ، في تعريضه للتعذيب، والصّلب، والقتل، ثم إحيائه.

وإنّما التكريمُ كلُّ التكريم هو في تنجيته، عليه السلامُ، من ذلك كلِّه، مثلما نجّى موسى وقومه مِن قبْلُ.

**﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ**
**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ**
**وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ**





**وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ**
**مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ**
**وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾** [النساء:١٥٧].

ولقد وقع أمرُ التنجيتين، من حيثُ الزّمان، بتاريخٍ، واحد، مثلما هو وقع، من حيث المكان، بسَيْرٍ. ذاك في بحرٍ، والآخرُ في جوٍّ! وليس كأمرٍ مُعجزٍ، بالسَّير على غير يابسةٍ، إلاّ سيرٌ في ماءٍ أو هواءٍ.

وقد حصل الأخيرُ للسّيّدِ المسيح (ع)، مثلما قد حصل الأوّلُ لموسى (ع) وقومه مِن قبلُ!

## بولسُ مُخترعُ القربان المقدّس

وهذا ما جاء، تحت عنوان «**القربان المقدّس لبولس: الكتابُ المقدّس غيرُ المنطوق**» Paul's Echarist: The Unspoken Bible[1]:

لقد بُنيت الأفخارستيا «القربان المقدّس» على ما جاء في أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا. ورسائلُ بولس قد كُتبت قبل هذه الأناجيل، فالكلماتُ التي جاءت على لسان المسيح حول عيد الفصح اليهودي (العبور) Passover قد أخذت من بولس وعُزيت إلى المسيح. لقد قال بولسُ بأنه قد استلم هذه الفكرةَ من الرّب Lord، وهي عبارة مُلطّفة Buphemism للقول بأنها جاءت منه، لا من المسيح. لقد زعم بولس بأنّ معرفته بيسوع جاءت من النّصوص الدّينيّة، والوحي Revelation، والرؤى Visions، وهو لم يكن مُستعيداً لذكرى حادثةٍ فعلية. وبلغة اليوم فإننا نقول بأنه قد انتحل آراء غيره Plagiarized.

وحالما يتطهر المؤمنون، فإنّهم يكونون مخوّلين بأن يشربوا النبيذ ويكسروا الخبز في تذكّر يسوع. ومن خلال السّحر العَطوف، فإنّ بلع الخبز والنبيذ يجلب الممارس إلى جسد المسيح. وكان بولس يقول أذْعُ بموت الرّب هكذا، كثيراً، إلى أن يجيء، وكان يشير بذلك إلى يوم الحساب، حيث إنّ من ماتوا في المسيح، حسب بولس، سيقومون أولاً، ومن كان حيّاً فإنه سيلحق بهم في السُّحب (من رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي ٤:١٤-١٧).

(1) usbible.com

# التأثيرات الوثنيّة

## في نشوء عقيدة وطقس القربان الإلهي

تقولُ المصادرُ التاريخية إنّ المظهريْن الأساسيّيْن للمعتقد المسيحيِّ، وهما الأفخارستيا «القربان المقدّس» وتضحية الإله البشر God man، كانا معروفيْن جيّداً ممّا يحبّه الوثنيون أصحاب المذاهب السرّية mystery cults تماماً، قبل زمن المسيح وأثناءه، وهو ما دمجته المسيحيةُ في معتقداتها التي كان أكثرُها وثنياً. ويقول **روبرتز**، في كتابه **«المسيحيّون الوثنيّون»**[1]:

لا يمكننا إلاّ أن نستنتجَ بأنّ طقس الموت في المسيحيّة قد صيغ في بيئةٍ وثنيّة، وهو يشتمل على بعضٍ من أكثر أفكار الوثنية شيوعاً.

وتتمحورُ هذه العقائد والطقوس الوثنية التي وجدت طريقها إلى المسيحيّة، وفي طقس «القربان الإلهي» بالذات، فيما يلي:

١ ـ عقيدة «الإله الإنسان».

٢ ـ الذي وُلد من أبٍ إلهٍ وأمٍّ من البشر.

٣ ـ والذي قُتل ومات موتاً بطولياً.

٤ ـ من طريق التضحية به.

٥ ـ ثم هو بُعث من الموت، حيّاً من جديد.

٦ ـ والذي من خلال أكلِ الخبز وتناولِ النبيذِ، يقومُ المتناولون بأكلِ جسد الإله نفسِه، وشُرْبِ دمه.

ـ فثمّة أوزيريسُ Osiris، الإلهُ المصريّ القديم، ذو الوجه الإنسانيّ، والذي قتله أخوه، ثم هو بُعث من جديد.

ـ وكذلك آدونيس Adonis.

ـ ودايونيسوس Dionysus.

ـ وآتيس (تموّز، دوموزي) Attis (Tammuz, Dummuzi).

ـ ومِثرا Mithra.

وكلها آلهةٌ بشرية يقوم الناس بالتضحية بها وأكل لحومها، وهي مظاهرُ

(1) Pagan Christs, by J.M. Roberts, Watts & Co. (1911), p.52.



طقسيّةٌ كانت معروفةً جيّداً ومحبوبةً تماماً أيضاً. وكان من الضروريّ أن تكون الضّحيّة راغبة بالتضحية بها، كرغبة المسيح في ذلك التي نسبها إليه كُتّاب العهد الجديد. وإذا ما كانت الضّحيّة غير راغبة. فلقد كانت ساقاها، وذراعاها أحياناً، تُكسر، حتى يبدو وكأنّها كانت راغبة لا تُدافع ولا تُصارع مَن يقومون بالتضحية بها، كالمسيح الذي كان «ضحيّةً راغبة».

فـ«الإله القربان» هو شيء قديم في المجتمعات الوثنيّة، وتقوم طقوس تلك التعبّدات على تناول لحم جسد الإله البشر. وكذلك فإنّ مصطلح «ابن الله» Son of God قد استنسخته المسيحيّة من الوثنيّة.

والمسيح مَثَلُه هو كمثل آدونيس، ودايونيسوس، وآتيس، وأوزيريس، كلّهم آلهةٌ يتألّمون ويموتون ويقومون من جديد، وأن يصير الإنسانُ واحداً مع واحدٍ من هؤلاء الآلهة لهو يشكّل آلاماً سرّيّة طقسيّةً mystical Passion لذلك المتعبّد. وكانت تماثيل الإله آتيس تُسمّر بالمسامير أو تُوثق إلى شجر الصنوبر (الأناناس)، وكان اليهود يعرفون ذلك، فجاء في سفر غلاطية من العهد الجديد [١٣:٣] «ملعون كلّ من عُلِّقَ على خشبةٍ» Cursed is he who hangs upon a tree.

وأما في **العبادت المِثرائيّة** Mithraic Worship، تلك الديانة الوثنية القديمة التي **كانت هي الديانة الغالبة في عهد الدولة الرومانية قبل ظهور المسيح**، فلقد كان مِثرا إلهاً للشمس وحامياً للحقيقة نزل إلى الأرض ليعمل من أجل الإنسان ثم هو يصعد إلى السّماء دون أن يموت، ويُقال بأنه قد ذبح ثوراً مقدّساً، والذي نبعت ونمت كلّ النباتات والحيوانات المفيدة للبشرية من جسده. وكان عُبّاده يقولون بأنّ الحياة الآخرة يمكن الحصول عليها بشرب دم الثور المقدّس أو شرب كأس القربان من النبيذ في إيماءة رمزيّة للدّم. كانت المثرائيّةُ هي الديانة السائدة في الأمبراطورية الرّومانية، وقد نقل بولس وقلّد العناصر الرئيسية فيها. والطّريف أنّ عبادة مثرا كانت تعرف التعميد، كما كانت طقوسُها أو أسرارها سبعةً كالمسيحيّة. وكان كهنةُ مِثرا يرتدون قبّعاتٍ غريبةً لا يزال أساقفة الكنيسة يرتدونها حتى اليوم. وكانت طقوسهم تتضمن طقساً يحوي إناءً هو أشبه بإناء الأفخارستيا إلى درجة الخلط بينهما، وكانت كنائسُهم نماذجَ للكنائس المسيحية. ويعتقد

الباحثون أنّه لافتراضٌ معقولٌ أنّ بولس قد عمل تشكيلةً هي مزيج من المثرائيّة واليهوديّة. وقيامة المسيح من القبر وإزاحته للصخرة هي كقيامة مثرا من قبره الصخري. ويوجد في متحف اللوفر في باريس، حالياً، تمثال لأتباع «الإله مِثرا»، يصوّرهم وهم يتناولون الخبز والنبيذ، وقد وصف الكاتب الفرنسي فرانز كومون، في مجلة علم الآثار، هذا الأثر بقوله: «وكانوا يرمزون بذلك إلى لحم مِثرا ودمه كما يرمز المسيحيّون بأكل الخبز وتناول النبيذ إلى لحم يسوع ودمه». وقد ذهب غوستاف لوبون وكغيره من النقاد العقليين إلى أنّ شعائر المسيحية، ومنها العشاء المقدس، هي بدعة منقولة عن الوثنية المثرائية.

ولقد كان للتقاليد الإغريقية القديمة («الهيلينيّة») أثرها الكبير على اليهودية قبل زمن بولس، وما أن جاء الغزو الرّوماني للشّرق حتّى صار اليهود يمارسون تناول الطعام الطقوسيّ كالإغريق تماماً، في وجبة من الطعام يعقبها شرب النبيذ. وثمّة وصفٌ للطقوس اليهوديّة التي كانت تشابه الطقوس الهيلينيّة في تناول الخبز، بعد فتوحات الإسكندر الكبير Alexander the Great، في القرن ٢ قبل الميلاد. وكان هناك طقس إغريقيّ يتّصف بسكب الخمر على الأضحية، تكريما للإله Ritual libation، ثم تناول النّبيذ. وهكذا تأسس نظام لكسر الخبز وشرب النّبيذ، ولقد تكلم بلوتارك Plutarch المؤرخ والفيلسوف (٤٦ - ١٢٠م) باحترام كبير عن الأواصر التي تنشأ عن المشاركة في إناء النبيذ، وذلك ما نجد صداه عند بولس الذي تكلّم على المشاركة في الخبز والنبيذ باعتبارها طقساً خالقاً للمجتمع.

وبالتوازي مع الواجبات الدينيّة تجاه الإله والدّولة، فلقد كان هناك في العالم الهيلينيّ عددٌ من الدّيانات أو «الطقوس السّرّيّة» Mystery Cults "underground religions"، وكانت تسمّى بالسرّية لأنّ أتباعها أقسموا أن لا يبوحوا بأسرار طقوسها إلى من لا يريدون.

وكان هناك العديد من الآلهة الذّكريّة الشّابّة التي وُلدت لأبٍ إلهٍ وأمٍّ من البشر، والتي قامت من الموت بعد ميتةٍ بطوليّة، وكان المحتفلون في بعض تلك الطقوس السّرية يتشاركون في تناول وجبة طعام يأكلون فيها اللحم





ويشربون دماء آلهتهم بصورةٍ رمزية[1].

لقد اجتاح الإغريقُ فلسطين، ومعهم طقوسهم السرّية التي ظلّت تفعل فعلها طيلة أكثر من ٢٠٠ عاماً قبل مجيء المسيح، فأُدمجت في الطقوس المسيحية. وقد قابل مجهودَ تغيير الديانة اليهودية إلى شيءٍ أكثر انطباقاً وقُرباً إلى الوثنية الهيلينية حروبٌ شُنّت للتقليل من هذا التأثير. وبعد حرب المكابيّين Maccabbes War التي قام بها الثوار اليهود الذين أعادوا سيطرة الدّيانة اليهودية، في القرن ٢ قبل الميلاد، فلقد أُجبر أصحاب هذه الديانات الوثنية الهيلينية على الإختفاء، ولكن أثرها ظل موجوداً في قلب الثقافة اليهودية، ومن هنا جاء التأثير الإغريقي على خرافة يسوع. فالمسيحية البولسية هي، في أساسها، الوثنيّة التي قد أُعيد تشكيلها Paganism reshaped، مُضافةً إلى الممارسات اليهودية والبيئة الرومانية والفكر الإغريقي.

لقد انتشرت المسيحيّة الأولى في مجتمعات اصطبغت بالهيلينيّة Hellenized، واتخذتِ الطقوسُ اليهودية أشكالاً هيلينية كما قد رأينا. ويقترح پاول[2] أنّ العقائد المسيحيّة التي تناول جسد المسيح وشرب دمه قد تأثرت بديانة ديونيسوس، «إله الخمر» الإغريقي وابن زيوس Zeus، رئيس الآلهة.

ولقد كانت قضية «القربان المقدّس» هاجساً في العالم الوثني القديم، إذ كانوا يعتقدون أنّ كلّ من يأكل من جسد الإله الميّت ويشرب من دمه يتحقق له الخلود، وعلى سبيل المثال، فلقد كان قدماء المصريّين يعبدون «الإله أُوزيريس»، زوجُ أيزيس Isis، ومَلِكُ العالَم السّفليّ، والحاكمُ على الرّوح بعد الموت. وكانوا يصنعون له جسداً من عجين القمح ثم يأكلونه باعتباره قرباناً مقدّساً، معتقدين أنّهم يستمدّون السطوة من جسد أوزيريس ودمه. فالحبوب كانت رمزاً لأوزيريس، والخبز المصنوع من القمح طعاماً مقدّساً، في حين أنّ الجعة المخمّرة من الشّعير كانت شراباً مقدساً، وكانوا

(1) Harris, Stephen L. "Understanding the Bible" 4 th. Edit, P.286.

(2) Powell, Barry B., Classical Myth, 2rd, Edit., with new translations of ancient texts by Herbert M. Howe. Upper Saddle River, New Jersey: Prentice - Hall, Inc., 1998.

يعتقدون أنّ الخبز والجعة في جسد ودمّ أوزيريس موجودة فيه حقّاً وصدقاً، لا بالمعنى المجازيّ للكلمة.

وهاك ما تقوله **موسوعة «المعرفة»** عن مِترا الذي تقولُ عنه بأنه إلهٌ هامٌّ في الزرادشتيّة:

قبل مئات السنين من ظهور المسيح، وعند ولادة مثراس، زار ثلاثة من الحكماء الوليد مثراس وجلبوا معهم هدايا ومصوغات ذهبية، وقدّموها إلى أمّ الوليد تبرّكاً بقدومه إلى العالم. كان يوم ميلاده في ١٥ً من شهر ديسمبر، وهو نفس اليوم الذي سُمّي فيما بعد بعيد ميلاد الإله الشمس. وفقاً لمؤرخي الديانة المثراسية، فإنّ مثراسَ مات على الصليب، وقبل موته بأيامٍ حضر العشاءَ مع اثني عشرَ من أتباعه المقرّبين، وسُميّ ذلك العشاء بالعشاء الأخير. أمّا أتباعه الإثنا عشر فهم يمثّلون دائرةَ الأبراج الإثني عشر في منظومة الشمس. بعد موتِ مِثراسَ على الصليب وُضع جسدُه في تابوتٍ صخريّ.

في فصل الرّبيع وبعد صلبه صعد مثراسُ إلى السّماء في اليوم الذي تساوى فيه طول الليل مع طول النهار، وهو تاريخ عيد الفصح المعاصر!

وحوالى العام الأول للميلاد كانت عبادةُ الإلهِ السّوري أدونيسَ منتشرةً في الإمبراطورية الرومانية. وأدونيس هو ربُّ الحياة وإلهِ الإنبات الذي كانت النسوةُ يبكين موته كلّ ربيع ويُنشِدْنَ من أجل بعثه، وهي وقائعُ وصلت روما من طريق العبيد السوريّين، وكان تاريخ وفاته وبعثه قريباً من تاريخ عيد الفصح عند اليهود، وقد استولت المسيحية على هذا الطقس لتجعل منه عيداً أكثر عالميّةً من اليهود.

وثمة الأسطورةُ الإسكندنافية التي نرى فيها بالدر Balder، إبنُ الإله أودين Odin الذي يُبعث بعد مقتله لتأكيد سعادة البشر، فهو مثلُ الإلهِ أوزيريس أو المسيح «ابنِ الله» الذي قُتل ثم بُعث.

ويقول **كافندش** الباحث في الأديان، في كتابه **«ديانات العالم العظيمة»**[1]:

(1) The Great Religons, Richard Cavendish, W.H. Smith, London, 1980, P.126: "The Parallel with the Christian Mass is obvious".



لقد ألّهَ الآريّون في إيرانَ شراباً مُسْكراً اسمه «هوما» Hoama («سوما Soma» في الهند)، والذي كان يُعتقد أنّ الإنسان يرتفع تحت تأثيره المهيّج إلى مستوى الآلهة. وقد أصبح شرب الهوما طقساً أساسيّاً فيما بعد في الزرادشتية، وكان يُنظر إلى الهوما على أنّها ابن الله The hoama was addressed as the son of God. وكانت تُقدّم إلى الله ثمّ يقوم بشربها الكاهن والمتعبّدون كتوقّع للحياة الأبدية مع الله، ومشابَهةُ هذا الطقس للقدّاس المسيحيّ واضحةٌ.

ويقول **فرانز كومون**[1]:

إنّ أتباع أتارغاتيس، المعبودةِ السوريّة القديمة، كانوا يلتهمون السّمك الذي يقدّمونه لها، ثم يُنشدون معتقدين أنهم أكلوا لحم معبودتهم (كما يفعل المسيحيّون في القُدّاس).

أمّا **وول ديورانت**، فيقول[2]:

إنّ المسيحيّة لم تقضِ على الوثنية، بل ثبّتتها: ذلك أنّ العقل اليوناني عاد إلى الحياة في صورة جديدة، في لاهوت الكنيسة وطقوسها، ونُقلت الطقوس اليونانية الخفيّة إلى **طقوس القدّاس الرهيبة**.

تقول الكنيسة إنّ المسيح، في عشائه الأخير مع تلاميذه، قد كرّس «القربان المقدّس»، بإعطائه إياهم الخبز طالباً إيّاهم أن يأكلوه، لأنّه كان جسده، وكأساً من النبيذ طالباً منهم أن يشربوه لأنّه كان كأسَ العهد في دمه هو It was the cup of the covenent in his blood، ولكنّ هذه المقولةَ الأخيرة المنسوبة للمسيح تتصادم بالضرورة مع الحظر اليهودي الجازم بل والمسيحي أيضاً[3] على شرب الدم. وهذه الحقيقة، إضافةً لانتشارِ المسيحية خارج المجتمعات اليهودية وتأثير الأفكار والطقوس الوثنية الهيلينية، تُنبئنا بقوّةٍ بصمةِ الأخيرة التي انطبعت بها المسيحية البولسية.

(١) الأديان الشرقية القديمة، فرانزكومون.

(٢) قصة الحضارة، وول ديورانت ١١/٤١٨.

(٣) أعمال الرسل ٢١:٢٥ «بل يُرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم».

# العشاءُ الربّاني

## هل هو طقسٌ مسيحيّ، أم مهرجانٌ وثني؟[1]

تتشاركُ بعض الأجزاء من الأناجيل، وفكرةُ أنّ المسيح هو إلهٌ ـ بَشَرٌ، وما إلى ذلك من العقائد، مع عقائدِ العالَمِ الوثنيّ اشتراكاً كبيراً. وتُفسَّرُ هذه العناصرُ المزعجةُ على أنها اختراعاتٌ لاحقة، وهو شيءٌ معقول، لأنّ معظم هذه العناصر غائبٌ في أوّلِ الأناجيل الأربعة كتابةً، وهو الإنجيل الذي يُعزى إلى **مرقس**. ولكن ثمّة عنصرٌ واحدٌ في ذلك هو مُشْكِلٌ بدرجة كبيرةٍ حقاً، لأنه يَظهرُ في إنجيل مرقس فعلاً، وهو يتمثل في حَثّ المسيحِ المفترضِ، خلال العشاء الأخير، على القيام بالطقس المعروف باسم «العشاء الرباني»، أو الأفخارستيا، وهو ما يعرف أيضاً بـ(تقديم الشكر) Thanksgiving، أثناء ما قيل عن طلبه من تلاميذه أن يتناولوا الخبز ويشربوا النبيذ، باعتبارهما لحمه ودمه.

إنّ الحظرَ اليهوديَّ الأساسي على شرب الدم، دعك عن الدم البشري، يعني أنّ يهودياً تقليدياً لا يمكنُ أن يقول بممارسة كهذه، حتى لو كان ذلك رمزياً بحتاً. وأيُّ شخص مقدس أو مسيحٍ منتظرٍ يفعلُ ذلك سيجد نفسه كمن يحرث في البحر، وهو شيءٌ مشابهٌ جداً للواجبات الطقسية في المذاهب السّرية الوثنية Pagan mystery cults، والتي يتم فيها رمزياً تناولُ جسد ودم الإله كرابطةٍ سريّة بين المتعبد وبين الإله. ولقد تصارع المسيحيون الأوائل مع هذه الفكرة، مُدّعين أنّ الشيطان قد أوحى إلى الوثنيين أنْ يقلّدوا هذا الطقس حتى قبل أن يُولَد المسيح!

ولكنّ المؤرخين المُحْدَثين هم أكثرُ منطقيةً من ذلك، وهم يقولون بأن العشاء الربّانيّ الذي نعرفه لا يمتُّ إلى المسيح بصلةٍ: إنّ أوّل تناول للعشاء الربانيِّ كان مجرّدَ إحياءٍ لذكرى ليلة المسيح الأخيرة مع تلاميذه، وقد أُضيف الطقسُ السريُّ عندما التحق الأمميون (الوثنيون) بالديانة الجديدة. ويُشيرُ الكثيرُ من العلماء إلى **بولس** باعتباره اللاهوتيَّ البارزَ، المُلَفِّقَ، الذي

(1) Tracing the Eucharist's source, Christian rite or Pagan festival? Lynn Picknett and Clive Prince, Jan, 2010.



أضاف هذا الشيء المثير إلى الإضبارة المسيحية بهذا الشكل.

ورغم ما في هذا الاقتراح مِن براعةٍ، فلم يكن ثمّة مِن دلالةٍ مباشرة عليه ـ حتى اكتُشِفَ حديثاً نصٌّ رُحِّبَ به على أنه البرهانُ الذي افتُقِدَ طويلاً ـ وكان ذلك هو يُعرَفُ بـ«الديداكيه» The Didache، الذي يضمُّ تعاليم التلاميذ الإثني عشر[1]، والذي كان مفقوداً حتى وُجدت نسخةٌ إغريقيةٌ منه في سبعينات القرن ١٩ (١٨٧٠). ورغم أنّ تلك النسخة تعود إلى القرن ١١، فلقد وُجدت فيما بعدُ أجزاءٌ من النصِّ ذاتِه أقدمُ من هذا التاريخ بسبعةِ قرون.

لقد كان «الديداكيه» كُتيّباً للتعاليم مخصّصاً للمتنصّرين الجُدُدِ في المجتمع المسيحيّ الأول، ويُحتمل أن يكون سورياً. وبالطبع، فإنه يحتوي على الأفخارستيا «العشاء الرباني»، ومِنَ المتفق عليه عامّة أنه **أوّلُ سِجِلٍّ لهذا الطقس**، كما يُشير إلى ذلك باريت Barrett، ولكنّ السببَ وراءَ هذا الإجماع لَهُوَ شيءٌ يكشفُ الحقيقة: إنّ الديداكيه لا يُشيرُ أيّةَ إشارةٍ وعلى الإطلاقِ إلى الخبز والنبيذِ باعتبارهما ممثّلَيْنِ لجسدِ ودم المسيح. وذلك يُثبتُ أنه لا بُدّ أن يكون كُتب قبل أن يقوم **بولسُ** بعملية غشِّهِ لعشاء الرب.

إنّ أوّلَ وصفٍ للعشاءِ الربانيِّ، في العهد الجديد، قد جاء في رسالةِ بولسَ الأولى إلى أهل كورنثوس (منتصف الخمسينات بعد الميلاد)، حيث أنه يعزو «الاحتفالَ التذكاريَّ» (in - memoriam) وتناول العشاء الربانيَّ «communion» إلى المسيح في العشاء الأخير:

١١ : ٢٤ وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. **اصنعوا هذا لذكري.**

١١ : ٢٥ كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. **اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري.**

والوصف التالي لذلك، والذي جاء في **إنجيل مرقس** (وهو يؤرخ عامة بسبعينات القرن ١ الميلادي، وربما قبل ذلك بعشر من السنين)، يستخدم الكلمات ذاتها تقريباً ـ ومن النادر جداً أن يتم استخدام العبارات ذاتها بين بولس وبين أيٍّ من الأناجيل ـ ما عدا تلك العبارة التي تصفه بإحياء الذكرى

(1) The Teaching of the Twelve Apostles.

commemoration: إن **مرقس** لا يحتوي إلا على فقرة تناول العشاء الرباني وحدها:

١٤: ٢٢ وفيما هم يأكلون، أخذ يسوعُ خبزاً وبارك وكسر، وأعطاهم وقال: خذوا كلوا، هذا هو جسدي.

١٤: ٢٣ ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم، فشربوا كلهم.

١٤: ٢٤ وقال لهم: هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرين[١].

والأكثر إشكالاً أننا نرى المسيح في **إنجيل يوحنا** (وقد كتب في الثمانينات من الميلاد أو بعدها) حاثّاً على عمل هذا الطقس، قبل ذلك، في الجليل، وهو ما يدل على أنه كان مظهراً صميمياً لممارساته قبل العشاء الأخير بزمن طويل، وهو لذلك لا يحمل أي عنصر من عناصر إحياء الذكرى على الإطلاق:

٦: ٤٧ الحقّ الحقّ أقول لكم: من يؤمن بي فله حياةٌ أبدية.

٦: ٤٨ أنا هو خبز الحياة.

٦: ٤٩ آباؤكم أكلوا المنّ في البرية وماتوا.

٦: ٥٠ هذا هو الخبزُ النازل من السماء، لكي يأكلَ منه الإنسان ولا يموت.

٦: ٥١ أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكَلَ أحَدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبزُ الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذلُه من أجل حياة العالم.

٦: ٥٢ فخاصم اليهودُ بعضهم بعضاً قائلين: كيف يقدرُ هذا أن يعطينا جسده لنأكلَ.

٦: ٥٣ فقال لهم يسوع: الحقّ الحقّ أقول لكم: إنْ لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشرّبوا دمَه، فليس لكم حياةٌ فيكم.

٦: ٥٤ من يأكلُ جسدي ويشربُ دمي فله حياة أبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير.

---

(١) قد أنبأنا كتاب الله أنّ المسيح لم يقتل ولم يصلب، فالحديث عن سفك دم السيد المسيح (ع) ليس من الحقيقة في شيء.





٦: ٥٥ لأنّ جسدي مأكل حقٍّ ودمي مشربُ حقّ.

٦: ٥٦ من يأكلْ جسدي ويشربْ دمي يَثبُتُ فيَّ وأنا فيه[١].

ولم يقتصر إنجيلُ يوحنا على أنه جعل هذا الفعل أكثر خصوصيةً: «من يأكل جسدي ويشرب من دمي فله حياة أبدية»، بل أنه وصف بصورةٍ مثيرة كيف أنّ هذا الطقس قد تسبب في فرارٍ جماعي للتلاميذ، الذين ارتعبوا من مجرد فكرة شرب الدم. ومن الصعب جداً تصوّرُ أن يكون كاتِبُ إنجيل يوحنا قد اخترع هذه القصة، خصوصاً وأنّ إنجيله هو الأكثرُ اهتماماً بإظهار يسوعَ على أنه معصومٌ من الزلل: إنّ قائده الأعظم ما كان ليختار أبداً حواريِّين مختلِفين كمثلِ هذا.

ويعتقدُ بعض الباحثين أنّ روايات كل من بولس ومرقس ويوحنا قد استُقيت من مصدرٍ آرامي مشترك. وهكذا، ففيما يخصّ الأفخارستيا، فإنّ تعاليم العهد الجديد الثلاثة - رسائل بولس، وتعاليم الأناجيل المتوافقة (مرقس ومتى ولوقا)، وإنجيل يوحنا - تستقي من مصدرٍ واحد، ولا يمكننا أن نؤكّد أكثر على أنّ مثل هذا التوافق لهو شيءٌ نادر وهام: إنَّ أيَّ شيء يتشاركه الثلاثة لا بدّ أن يكون متأصلاً بعمق في العبادة المسيحية منذ البدايات الأولى. وكونُ المصدرِ المُستقى منه آرامياً يُشير أيضاً إلى أنّ المصدر إن لم يكن تسجيلاً لكلمات يسوع الفعليةِ ذاتها، فإنه على الأقل مبكّرٌ جداً.

ولكنّ **روايةَ بولَس وحدها** تحتوي على مقولة «**لِذكري**» in memory. والأكثرُ من ذلك - وهو ما أُشير إليه منذ زمنٍ طويل يرقى إلى عام ١٩١١ من قبل اللاهوتي والمبشر المشهور ألبرت شفايتزر[٢] Albert Schweitzer (١٨٧٥ - ١٩٦٥) - فإنّ كتاباته هو نفسه تُظهر أنّه قد ناضل حتى يُوفِّقَ بين عنصر تناول العشاء الرباني وبين تصويره ليسوع على أنه المسيح[٣] (أُنظر محاولاتِ بولس المستقلة غالباً لشرح مغزى الأفخارستيا باصطلاحاته اللاهوتية الخاصة به: ١ كورنثوس ١٠: ١٤ - ٢٢، ١١: ٢٣ - ٣٣).

---

(١) لا نرى في هذا الكلام وأشباهه ألا معنىً رمزياً صرفاً: إنه يريد أن يقول لهم إن غذاء النفس، بالفكر والإيمان، هو المهم، لا غذاء الجسد. وليس غذاء النفس إلا بمعرفة الله الحقة وطاعته.

(٢) طبيب ولاهوتي فرنسي، مُنح جائزة نوبل للسلام لعام ١٩٥٢.

(٣) Paul and his Interpreters, A and C Black, 1912, pp.199 - 200

ورُغمَ أنّ تناول العشاء الربانيّ الطقسيّ السريّ mystical بين المسيحي وبين المسيح كان شيئاً أساسياً، فلقد تمّ الحصولُ على ذلك من خلال التعميد Baptism؛ وتجديدُه من خلال أكلِ لحمِ يسوعَ وشُربِ دمِهِ هو أمرٌ لا معنى له. ولكنّ بولس، على أيةِ حالٍ اضطُرَّ لقبول هذا الطقس لأنه كان محبوباً جداً باعتباره أمراً محورياً في العبادة المسيحية، وكان الحلُّ الذي لجأ إليه هو في تغيير مغزى هذه الوجبة، بإضافة وصية يسوع في تذكره: **وذلك** هو الجزءُ الذي اخترعه بولس، وهذا بالطبع يَقلِبُ إعادةَ البناء رأساً على عَقِبٍ.

ويقولُ يرمياس Jeremias «إنّ اللُّبَّ المشترك للتعاليم فيما يخصّ روايةَ عشاء الرب ـ ما قاله يسوعُ في العشاء الأخير ـ قد حُفظ لنا بما يُعوَّلُ عليه بالضرورة على شكلٍ موثوق، وأنه قد سُجّل بأوثق صورةٍ في إنجيل مرقسَ (وهو كما نتذكر لا يذكر إلاّ عنصر تناول العشاء الرباني). وبالاختصار، **فإن يسوع ليس هو لم يَحُثَّ على الأفخارستيا وحسب، ولكنّ كلماته الأصلية أشارت فقط إلى أكلِ لحمِه وشُربِ دمه الرمزيين.**

ولكنّ يرمياس يصِرُّ على أنّ **استنتاج شُربِ الدم لهو «سوءُ فُهمٍ» من قِبَل تلاميذ المسيح، وبالذات لأنّ ليس ثمّة مِن يهوديٍّ يمكنُ أن يكونَ قد نطقَ بـ«شيءٍ بغيضٍ للنفس»** dark animistic abomination[1] **كهذا**. (وبعبارة أخرى، فرغم أنّ يسوع قد قال ذلك حقيقةً، فلا يُمكن أن يكون قد عنى ما فهمه تلاميذه منه). ولكن حتى هذا الاستنتاجُ الأخير هو أكبرُ من أن يتقبله الأكاديميون العصريون. فإنّ أحد علماء العهد الجديد، بينما هو يعترفُ بخبرة يرمياس، إلا أنّه يرفض استنتاجاته، لأنها وبكلّ بساطةٍ «**تبدو غيرَ ممكنةٍ بالمرّة في أن يكون يسوعُ قد قال شيئاً كهذا**»[2].

وأقولُ: إنّ طقسَ الأفخارستيا لهو طقسٌ وثنيّ بامتياز، وهو لا يُمكن أن يكون يهودياً أبداً، وقد كان المسيحُ يهودياً. إنه طقسٌ وثني سار عليه الناس من قبل المسيح، وألبسه بولسُ حُلَّةً جديدةً، بزعمِ أنّ المسيحَ قد حثّ على تكراره من أجل إحياء صَلبه المزعوم.

(1) The Eucharistic Words of Jesus, Joachim Jeremias, SCM Press, 1966, pp.170 and 203.

(2) A Commentary on the Gospel According to St. Mark, Morna D. Hooker, Continuum, 1992, p342.

وهنا ينتهي هذا النصّ الذي ترجمه المؤلف عن الأصل الإنكليزي.





# الأصول الوثنية لبعض الطقوس المسيحيّة

جاء في كتاب دوك ماركيز Doc Marquis «أسرار الطبقة المستنيرة» Secrets of the Illuminati، عن التشابهات ما بين الطقوس المسيحية والوثنية:

١ ـ **المذبح Altar**: إنّ المذبح هو شيءٌ أساسيّ في القُدّاس، وكما هو عليه الحال في مذبح السِّحر، فإنّ المذبح الكاثوليكي يُستخدم للإحتفال بأسرار Mysteries القدّاس. وفي التضحية الكاثوليكية الرومانية البشرية، فإنّ العقيدة الكاثوليكية تؤكّد موضوع حدوث تضحية بشرية، أي تقديم البشر كضحيّة مذبوحة، خلال كلّ قدّاس! وفي هذه العقيدة الفظيعة (هكذا هو التعبير في الأصل)، فإنّ مِن المُفترَض بأنّ يسوع المسيح يُجْبَرُ على النزول من السماء حتى يُضحّى به مرّة ثانية. ولكن بدلاً من التضحية به على الصليب مرّة أخرى، فإنّه يُضحّى به على المذبح، وهو مذبحٌ وثنيّ كمذبح الشيطان! وأين قد ذُكِرَ في الكتاب المقدّس أنّ يسوعَ كان يتوجّبُ عليه أن يُضحَّى به على المذبح؟ ليس ثمّة شيءٌ كهذا.

٢ ـ **كأسُ القُربان**: يُستخدمُ كأسُ القربان، في السِّحر، بطريقةٍ خاصّة جداً. فعندما يقوم الساحر بتضحيته البشرية، بعد أن يتمّ قطع بلعوم الضحيّة، فإنّ الدم المنسكب يُجمَعُ في كأسِ قُربان Chalice ، مثلما يفعل الكاثوليك، ما عدا أنّ كأس السّاحر يجمع الدم الحقيقي (ص٢٠٩).

وبالطّبع، فإنّ كأس القربان الكاثوليكي يُملأُ **فعلاً** بالدم الحقيقي، أليس كذلك؟ ومن خلال عملية الاستحالة فإنّ الكاهن يجعل النبيذ يتحوّل إلى دم المسيح الحقيقي!

٣ ـ **الشّموع**: وتُستخدم في الكنيسة الكاثوليكية مثلما يستخدمها السّحرة خلال جلساتهم.

٤ ـ **البَخُور** Incense: يأخذ الكهنة الكاثوليك المبخر ويسيرون حول المذبح، ثم يُلوّحون به إلى الخارج نحو الحشد مع الابتهال Invocation، ثم إنّه يُرمى. وكذلك يستخدمه السّحرة بالطريقة ذاتها تماماً (ص٢١٢). ويستخدم البخور أيضاً كعاملٍ للتّطهُّر Purification (ص٢١٦).

٥ ـ **الأجراس والنواقيس Bells**: ويستخدمها الأولادُ الذين هم بمعيّةِ الكاهن، ويطوفون بها، كالسّحرة.

٦ ـ **الصولجانات (العِصِيّ)**: وتُستعمل لإسباغ البركة، إذ يقوم البابا أو الكاردينال أو الكاهن بغمس العصا الذهبية في الماء المقدّس، ثم يُلَوّحُ بها للناس، وكذلك يستخدمها السَّحرة.

٧ ـ **الماء المقدّس**: يقوم الكهنة الكاثوليك بترسيم الماء المقدّس، بخلط الملح بالماء، ثم بالصلاّة فوقه، وكلّ مَن يَمَسُّه من الكاثوليك يصبح مباركاً، وكذلك يُطهِّرُ السّحرة أنفسهم.

٨ ـ **خبز القربان The Host**: ويكون على شكلِ رقاقاتٍ مستديرة صغيرة من الخبز أو البسكويت (wafer)، يضعها الكاهن في فم كل واحد، وهي يُفترض أنّها تتحول إلى جسد المسيح حقيقة حسب عقيدة الاستحالة الكاثوليكية. ونحن نعلم بالطّبع أنّ مثل ذلك لا يمكن أن يحدث حقيقةً، لأنّ الكتاب المقدّس يمنعُ صراحةً أكلَ اللّحم الإنسانيّ، ولكنّ البابا هونوريوس الثالث Pope Honorius III أعلن عقيدة الإستحالة هذه عقيدة رسمية، عام ١٢٢٠.





## آراءُ الفرق المسيحيّة المختلفة في «القربان المقدّس»

تُجمع الكنائسُ المسيحية كلها، على اختلافها، على أهمية «القربان المقدس» الذي يُعتبَرُ أهمّ «سرٍّ» Sacrament من أسرار المسيحيّة على الإطلاق. ولكنّ هذه الكنائس نفسها قد اختلفتْ اختلافاتٍ عظيمةً في كُنه هذا السّر الذي يرجعُ منشأُه، وكما رأينا مِن قبلُ إلى بولسَ الذي أشار إليه، في أول مرةٍ يرد ذكره في العهد الجديد، وذلك في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس.

وبسبب غرابةِ ، بل وعدم معقولية العقيدة التي تَقِفُ وراءَ طقس «القربان المقدس» السرّي، فلقد صار هذا الطقسُ، وبقَدَرِ ما هو مركزيٌّ وأساسيّ في المسيحية، صار مصدراً للفرقة والنزاعات بين الطوائف المختلفة، إذ أننا لاننسى، مثلاً، أنّ قائد حركة الإصلاح البروتستانتية الأول في أوروبا، وهو مارتن لوثر، لم يخرج بحركته الإصلاحية بادئ ذي بدء إلاّ بسبب عدم اقتناعه بتفسير الكنيسة الكاثوليكية الرومانية لهذا الطقس، ممّا سنشرحه بعد قليل.

لقد تسبب هذا الطقس السرّي التعبدي بمجادلات ونزاعات، داخل المسيحية، لا حصر لها ولا نهاية، وصارت الطوائف والفرق المسيحية تتكاثر، بسبب هذه الاختلافات، كالأرانب، وهي خلافات فوق تفريقها للمسيحيين إلى طوائف متناحرة، فهي لا طائل من ورائها إلاّ إكدادَ العقل البشري بما لا نَفْعَ فيه، وكما هو الحالُ مع اللاهوت المسيحي نفسه، والذي هو يرتبطُ به أشدَّ ارتباط.

ولتبيان النظرة المسيحية التقليدية إلى «القربان المقدس»، أو «العشاء الرباني»، يقول **إبراهيم القبطي**، في كتابه «**العشاء الرباني مصدر وحدة الكنيسة لا صراعات الطوائف**» (٢٠١٣):

قبل أن يكمل الرب [المسيح] ذبيحته الأبدية [المسيح هو الذبيحة] على الصليب بيوم واحد، قرّر أن يقوم بعمل واحد أخير هو الاحتفال بالفصح معهم. العشاء يذكرنا بجلسة كل عائلة يهودية معاً لذبح خروفِ الفصح، وأكْلِهِ من أيام موسى احتفالاً بأهم حدث في حياتهم، الخروج من أرض

العبودية، وظلوا يمارسون هذا الإحتفال لما يقرب من ١٥ قرناً كل عام.

لكن العشاء الرباني لم يكن مجرّدَ وجبة فِصح يهودية، فكان يجب أن يكون المسيحُ هو نفسه الفصح، أو الحَمَل المذبوح ليخرج العالم كله (ليس اليهود فقط) من عبودية الخطية والشر والشيطان (وليس فرعون)، لأنه حمل الله الذي يرفع خطية العالم. فالعشاء كان وجبةً مع الحَمَل **للاشتراك في الحَمَل الإلهي نفسه**. المسيح قدم ذاته كذبيحة واحدة أبدية تجمع ذبيحة العائلة (الفصح) مع ذبائح الكهنوت في العهد القديم.

ويعترفُ القسّ **عوض سمعان**، في كتابه **«كلمة الحياة»**، أنّ الطوائفَ المسيحيّة تختلفُ بشأن العشاء الرباني اختلافاً كبيراً. وبينما يعتبرُ الكثير من المسيحيين العشاء الرباني سِرّاً مقدّساً Sacrament، فإنّ بعض البروتستانت يعتبرونه طقساً دينياً Ordinance وحسب. وأكثرُ المسيحيين يعتقدون بتواجدٍ خاصٍّ للمسيح في هذا الطقس، ولكنهم يختلفون اختلافاً كبيراً في كيفية ذلك بالضبط.

فالكاثوليكية، والأرثوذكسية الشرقية، والأرثوذكسية المشرقية، وكنيسة المشرق تُعلِّم بأنّ الحقيقة («المادة») لعناصر الخبز والنبيذ تتحوّل كليّة إلى جسد ودم المسيح، بينما تبقى مظاهرها (the species) على حالها. ويستخدم الكاثوليك اصطلاح «الإستحالة» Transubstantiation، أي تغيّر الحقيقة للدلالة على ما يُعتقد بحدوثه، وليس لشرح كيفية حدوثه، فالكنيسةُ الكاثوليكية تُعلِّم بأنه «مَظاهرَ الخبز والنبيذ تصبحُ، بطريقةٍ تتحدّى الفهم، جسدَ ودم المسيح».

وأمّا اللوثريون، فهم يقولون بالحرف إنّ جسد ودم المسيح يوجدان «في، ومع، وتحت» أشكال الخبز والنبيذ، حقّاً وصدقاً، ومادّةً. وهي فكرةٌ تُعرف باسم «الإتّحاد السّرّي» Sacramental Union.

وتعتقد الكنائس المصلَحة Reformed التي تتبع جون كالفن John Calvin بحضور روحيّ، غير مادي، للمسيح بقوّة الروح القدس.

والأنغليكانيون Anglicans يتّبعون مجموعة من الآراء، رغم أنّ بنود الديانة تقول بأنّ وجود المسيح هو حقيقيّ من الناحية السّماوية والروحيّة وحدها.





لكنّ بعض المسيحيين ينكرون فكرة الوجود الحقيقي، معتقدين أنّ القربان الإلهي هو فقط تذّكر احتفاليّ لموت المسيح.

**العقائد الخاصّة بالعشاء الرباني**

١ - **الرأي الكاثوليكي والأرثوذكسي**[1]، وهو يتلخص في أنّ الخبز والنبيذ يتحولان، بطريقة سرّية إلى ذات لاهوت المسيح وناسوته، مع بقاء الخبز والنبيذ على حالهما في الشكل واللون والرائحة والطعم. فالتحول الذي يحدث في العشاء الرباني حسب اعتقادهم هو تحوّل فعلي، وليس معنوياً، وكل ما في الأمر أنه غير مدرَك بالحواسّ البشرية. ويقولون أيضاً بأنّ لهذا العشاء فاعليّة ذاتيّة، أي أنّ فعاليته مستمدة من ذاته، وليست متوقفة على إيمان الذين يقبلونه. وهذه الفعالية هي في منح الذين يتناولون منه الغفران والحياة الأبدية، وإعطاؤهم امتياز التمتع بحلول المسيح في نفوسهم. فهؤلاء يفهمون ما نُسب إلى السيد المسيح عن العشاء الرباني بمعناه الحرفي.

وأما الأرثوذكس فهم يقولون بأن فاعلية العشاء الرباني، وإن كانت لا تتوقف على سلوك الذين يتناولون منه، إلاّ أنّ من الواجب عليهم أن لا يقاوموا تأثيره في نفوسهم، وإنّ الإنسان إذا ما تناول العشاء الرباني من دون استحقاق منه فإنه لا يفيد منه، بل هو يعرّض نفسه لدينونة الله أيضاً.

والطائفة الكاثوليكية هي أول من أدخلت عناصر الأفخارستيا أو العشاء الرباني إلى الكنيسة كعقيدة رسمية، وقد ظلت فترة طويلة من دون عقيدة مكتوبة عنها، حتى انعقاد مجمّع لاتيران ٤ Fourth Lateran، عام ١٢١٥ للميلاد، عندما أُدخل رسمياً مصطلح «التحوّل المادّي» البايولوجي أو «**الإستحالة**» Transubstantiation (تحوّل جوهر مادة الخبز إلى مادة جسد المسيح، وجوهر مادة الخمر إلى مادة دم المسيح)، وتمّ تأكيد ذلك كعقيدة في مجمع ترنت Trent، عام ١٥٤٥ للميلاد، ثم أصبح هذا المفهوم جزءاً من العقيدة الكاثوليكية الرّسمية المكتوبة.

وقد توصّل رجال دين الطائفة الأرثوذكسية، في مجمّع أورشليم، عام ١٦٧٢ للميلاد، إلى صيغةٍ تقترب من فكرة التحول المادي الحرفي الذي

(١) الأرثوذكس Orthodox، «مستقيمي الرأي» - يقولون بأنهم يتمسكون بكلمة الله وحدها، وليس بكلمة الله وأقوال القديسين القدماء، لأن الأخيرين غير معصومين عن الخطأ.

آمن به الكاثوليك منذ القرن ١٣م، واستمرّوا في التأكيد على الاعتراف **بالوجود الفعلي للمسيح** Real presence في سرّ القربان المقدّس.

وكذلك فإنّ قسماً من أتباع الأنغليكانية Anglicans يؤمنون بعقيدة التحول المادي، وأنّ هناك حضوراً حقيقياً للمسيح في العناصر (الخبز والنبيذ)، يتبعه تحول في جوهر (مادة) الخبز والنبيذ - لا في العرض الخارجي الذي يظلّ على مظهره - إلى جسد ودم.

ويقول **موقع بروتستانتي** إنّ الكنيسة الكاثوليكية تقول بأن يسوع المسيح يجب أن يطيع القسيس وينزل من السماء ليذهب إلى المذبح، وهو يعلّق على ذلك بالقول بأنه شيء هو السّحرُ بعينه، حيث إنّ الكائن فوق الطبيعة Supernatural being يُجبَرُ، في السّحر، على عَمَلِ ما لا يُريده، أي على خدمة الإنسان الذي يمتلكُ السيطرةَ عليه.

وكلمةُ «المذبح» Altar - وهي تُطلق على المكان الذي يُوضع عليه الخبز والنبيذ المخصّص لطقس القربان الإلهي، في القُدّاس - تحمل ضمنياً معنى ذبح المسيح. وقد بدأ استعمالُها بدلاً من كلمة «مائدة» في القرن ٣م، على يد أُسقف روما سيكستوس الثاني (٢٥٧ - ٢٥٩م). ويقول إبراهيم القبطي في كتابه المذكور (ص٤٦) آنفاً حول العشاء الرباني، في كلامه على «المذبح»:

لم يكن العشاءُ الرباني هو ذبحٌ متكرّر للمسيح على مذبحٍ حجريٍّ بواسطة كاهنٍ يتبّع مثال طقس اليهود كما يُمارسُ الآن في الكنائس التقليدية، و تقديمُ ذبيحةِ المسيح متكرّرةً بواسطة كهنوتٍ خاص طقسيّ، لأنّ المسيح رئيسُ الكهنة الحقيقيُّ **هو الذي قدّمَ ذبيحةَ نفسه** مرّةً واحدةً وإلى الأبدِ على الصّليب بعد العشاء الربانيّ.

وقد نقلت مجلة **Tablet** الكاثوليكية[1]، في عددها الصادر يوم ١٩ من شباط (فبراير) عام ١٩١٠، نصّ الخطبة التي وعظها **الكاهن ڤاون** Vaughen في كاتدرائية وستمنستر، فقالت:

إنّ نفس الجسد الذي وضعته مريم العذراء على يديها في ليلة الميلاد، ونفس الحياة والشخص الذي نفخ وقال لمريم المجدلية، إذهبي بسلام،

(1) Tablet, The international Catholic news weekly.



مغفورة خطاياك، نفس العيون التي نظرت بمحبة إلى الشاب الغنيّ في الإنجيل، ونفس اليدين اللتيْن باركتا الأطفال وكتبتا على الرمل، والجبين الذي نزف الدم من تحت تاج الأشواك، واليدان والرِّجلان المثقوبة على الصليب، والجروح والقلب المنكسر من أجل خطايانا، كلّها مجتمعة داخل الخبز والخمر في الشركة المقدسة.

ويقول موقع «**الكلمة**» الإنجيلي، عن ذلك:

إنّ عقيدة الاستحالة تناقض التفكير المنطقي السليم. فكنيسة روما تدعي بأن المسيح حول الخبز والخمر إلى جسده ودمه أثناء ممارسته العشاء السري مع التلاميذ. وبحسب هذه العقيدة نرى أنّه قد حوّل نفسه إلى الخبز والخمر، ثم أكل وشرب نفسه، كذلك التلاميذ أكلوه وشربوه، بالرغم من أنه كان واقفاً أمامهم. يا لها من عقيدة هدّامة! إنّنا نستنتج من الكتاب المقدس أنّ المسيح لم يكنْ داخل الخبز والخمر أبداً.

عندما يقولُ كهنةُ الكنيسة إنّ الخبز والخمر المكرّس هو المسيحُ نفسُه ويحملونه على أيديهم، ويضعونه في المكانِ السرّي الخاص به في الهيكل وعلى المذبح، نتذكرُ تحذير الرب يسوع في متى ٢٣:٢٤ - ٢٦ «حينئذ إنْ قال لكم أحدٌ هوذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدّقوا. لأنه سيقوم مسحاءُ كَذَبَةٌ وأنبياءُ كذبة».

تزعم الكنيسة الكاثوليكية أنّ الخبز والخمر عندما يكرّسان يتحولان إلى يسوع المسيح بالذات، إلى ابن الله وإلى الله نفسه، وبالتالي فعلى الشعب أن يركعوا ويُصلّوا له ويعبدوه. أي أنّ الكنيسة تقول بكلّ وضوح إنّ للكاهن السلطةَ لتكريس الخبز والخمر وتحويلهما إلى الله. يقول الكتاب المقدس [أعمال الرسل ١٦:١٩] «.. إنّ التي تُصنع بالأيادي ليست آلهةً».

ثم إنّ عقيدة الإستحالة تناقض تاريخ الكنيسة. إنها عقيدةٌ باطلة اختُرعت بعد صعود المسيح بمئات السينين، إنّ علماء اللاهوت في القرون الأولى لم يعرفوا شيئاً عن الاستحالة ولم تظهر هذه العقيدة إلاّ عام ١٢١٥م.

# تناول «العشاء الربّانيّ»

## حسب أقوال القدّيسين والكنيسة الكاثوليكية

ولمزيد من التفحّص للمعتقد الكاثوليكي الروماني في «العشاء الرباني»، أو «القربان المقدّس»، ننقُل من مصادرَ كاثوليكية. والمصدرُ الأولُ الذي سننقُل عنه هو الكتاب الكاثوليكي **«إيمان الملايين»** Faith of Millions[1]، فيما أورده عن القديس توماس St. Thomas عن «قوّة التكريس»، Consecrating Power.

إنّ القوة العظمى لقُداس القسّيس هي في قوّة التكريس. يقول القدّيس توماس: «لا فِعلَ أعظم من تكريس جسد المسيح. فإنّ قوّة القسّيس، في هذا الدّور الضروري للكهانة المقدّسة، لا تُدانيها لا قوّة الأسقف Bishop، ولا رئيس الأساقفة Archbishop، ولا الكاردينال، ولا حتى البابا، إنها في الحقيقة تساوي ما ليسوع المسيح نفسه. ذلك لأن القسّيس في دوره هذا إنما هو يتكلم بلسان وسلطة المسيح نفسه. **وعندما يعلن القسّيس كلمات التكريس العظيمة، فإنه يصل إلى أعالي السماء، ويجلب المسيح إلى أسفل، من عرشه، ويضعه على مذبحنا، حتى يُقدّمَ مرّةً أخرى باعتباره ضحيّةً لخطايا الإنسان»**..

«إنها لقوّة هي أكبر من تلك التي للملوك والأباطرة: إنها أعظم من تلك التي هي للقدّيسين والملائكة، أعظم من تلك التي للساروفيم Seraphim والكروبيم Cherubim[2]. إنها في الحقيقة أعظم من قوّة مريم العذراء. إذ بينما كانت العذراءُ المباركة هي العامل البشريّ الذي بوساطته صار المسيح متجسّداً مرة واحدة، **فإن القسّيس يجلب المسيح من السّماء إلى أسفل، ويجعله موجوداً على مذبحنا باعتباره الضّحيّة الأبدية لخطايا الإنسان ـ ليس لمرّة واحدة، بل ألف مرّة! الكاهن يتكلّم، ولكن أُنظرْ! إنّ المسيح الإله الأبدي والإله القادر على كلّ شيء، يحني رأسه في طاعة خاشعة لأمر الكاهن».**

(1) John O'brien, ph.D., L.L.D., 268 - 269, "nihil obsat", by rev. T.E. Dillon - Censor Librorum and "imprimatur" by John Fravcis Noll, D.D. - Bishop of Fort Wayne.

(٢) الساروفيم والكروبيم هي أصناف من الملائكة، والأولى حسب المعتقد اليهودي القديم هي إحدى ملائكة الطبقة الأولى الحارسين لعرش الله.





فأيُّ شرفٍ سامٍ يفوق هذا الشرف الذي هو لمنصب الكاهن المسيحي بكونه عاملاً كسفير وممثلٍ للمسيح على الأرض! إنه يواصل سفارة المسيح الضرورية، وهو يُعلِّم المؤمنين بسلطة المسيح، ويعفو عن المذنب التائب [أيُّ فرقٍ لهذا عن «صكوك الغفران»؟] بقوة المسيح الذي يُقدّم التضحية ذاتها مرّةً أخرى بعبادة وآلام المسيح، تكفيراً عن خطايا البشر Atonement الذي قدّمه على الجمجمة [الموضع الذي يصفونه بأنه موقع صلب المسيح]. فلا عجب من ثمّ أنّ الإسم الذي يُطلقه الكُتّاب الرّوحيون على الكاهن هو اسم Altar Christus «مسيحُ المذبح»، لأنّ الكاهن هو مسيحٌ آخر، وهكذا يجب أن يكون في القُدّاس (ص٢٦٨ - ٢٦٩).

فأيُّ شيءٍ هو أبغضُ للنفس من هذا، في تقرير قوّة الكاهن المفترَضة، خلال القُدّاس أو التناول؟ إنّه شيء هو أشبه بالسّحر. إنّ من الواضح أنّ المسيح لن يرغب في أن يذهب من جديد عبر عذابات الصليب، وبكل ما فيه من إذلالٍ، وألم، و«انفصال عن أبيه».وهكذا، فإننا عندما نفترض أنّ المسيح «يحني رأسه» ويُطيع الكاهن لينزل مرّةً أخرى إلى المذبح، فإنّه يفعلُ شيئاً هو كارهٌ له حقّاً، ولكنْ لا بدّ له من ذلك، لأنّ الكاهنَ لديه التعزيماتُ أو الرُّقى الصالحة [القُدّاس، مثلاً]، وهو قد عمل التحضيرات الماديّة الصحيحة لذلك، ولذا فيتوجبُ على المسيح أن ينزلَ إلى المذبح حتى يُضحّى به مرّةً أخرى.

فلنتفحص كلماتِ القديس توماس التجديفية في أنّ الكاهن الكاثوليكي يَجبُرُ المسيحَ على النزول على المذبح حتى يُضحّى به «ليس مرّةً واحدةً، بل ألفَ مرّةٍ». لقد أعلن الإلهُ، بصلابة، أنّ المسيح سيُضحّى به **مرّة واحدة وإلى الأبد!!** وثمّة نصوصٌ عديدة من الكتاب المقدس على ذلك، وهذا واحدٌ منها، في سفر **العبرانيين** من العهد الجديد، والذي يُعزى، ويا للسخريّة، إلى بولس نفسِه:

٢٢:٧ قد صار يسوعُ ضامناً لعهدٍ أفضل.

٢٧:٧ الذي ليس له اضطرار كلّ يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدّم ذبائح to offer sacrifice day after day أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب، لأنّه فعل هذا مرّة واحدة، إذ قدّم نفسه.

ولقد كرّر كاتب سفر العبرانيين أنّ المسيح قد ضُحّي به مرّة واحدة، وإلى

الأبد، لكل الخطايا، المرّة بعد المرّة. وإذا كان القدّيس توماس قد عاش قبل زمن طويل، وقد تغيّرت الكنيسة الكاثوليكية كثيراً منذ ذلك الحين، وكان ذلك ما يعتقده القارئ، فلننقُلْ عن **مصدرٍ كاثوليكيٍّ آخر**، متأخّرٍ كثيراً عن القدّيس توماس:

> إنّ التكريس يعيد إنتاج التذكار السرّي Mystic Memorial للعشاء الأخير ويؤسّسُه عندما قدّم يسوع، الذي كان يواجه الخيانة والموت، جسده ودمه من أجل خلاص البشرية. وهنا يكمن جوهر القُدّاس. فالمسيح، ولذلك السبب، هو مُوجد شكل وأفعال وكلمات التكريس ذاتها. وفي هذه اللّحظة، فإنّ الكاهن، وبالمعنى الحرفيّ للكلمة، يصير هو المسيحُ ذاتُه، وتنمسح شخصيته وتختفي، إنها تُمتَصُّ في تلك التي للكاهن الأزلي [المسيح] الذي هو إحدى الأوقات، الضحيّةُ المقدّمة والمُقدِّس [الكاهن القائم بالتقديس] الأعظم.

وهذا ما يقوله كتابٌ أميركي حديث، هو كتاب «**كهنوتنا**»، وهو مخصص للكهنة (القسسة) وحدهم، ومن تأليف القسّ جوزيف برونو، حول هذا الموضوع[1]:

> لقد ضُحِّيَ بربّنا في الجمجمة. إنّه يقدم نفسه مرّة أخرى في كلِّ صباح على المذبح على يدي كاهنه. إنّ التضحية في القداس هي ذاتها، وبالضرورة، كما في الصّليب. إنّ الضحيّة المقدّسة حاضرة في القدّاس. وما يجري على لسان الكاهن من العبارات فليس الكاهن هو الذي يقولها. إننا لنسمع صوته حقاً، ولكنه أداة الكاهن السيد [المسيح] فقط: إنّ ربنا يتكلم من خلال ممثله، ومجد هذا إنما هو يكون بالضبط بالاختفاء، وبالسّماح ليسوع بالعمل من خلال شخصيته (شخصية الكاهن). إن المسيح الذي يقدّم نفسه الآن إلى الله بأيدي الكاهن هو ذاته المسيح الذي هو في السماء. بالسعادة نفسها، والقوة نفسها، والجلال نفسه. إنه يقوم بالأعمال ذاتها، مقدّماً نفس العبادات والتقديسات وصلاة الشكر Thanks Giving ذاتها، والصلوات نفسها. إنّ المسيح هو الآن في يدي الكاهن. وإذا كان الكاهن يتسبّب في أن يوجد ربنا Our Lord على المذبح، إذا ما قدّمه، بينما أنّ يسوع هو الآن

(1) Our Priesthood, Rev. Joseph Bruneau, p149 - 151.



في السماء، أفليس لنا أن نستنتج بأن الكاهن يسحب ضحيته المقدسة draws his divine Victim من قلب الآب نفسه؟

٢ ـ رأي **الطائفة اللوثرية** ـ رغم أنّ لوثر هو أوّلُ من خرج على الكاثوليكية في حركته الإصلاحية، وهاجم عقيدة «الاستحالة» الكاثوليكية، ومعتقد أن تضحية المسيح على الصليب، تتكرر في القدّاس Mass، إلاّ أنه لم يستطع أن يحرّر نفسه من أغلال عقيدة العشاء الرباني الكاثوليكية لأنه هو نفسُه كان راهباً كاثوليكياً، وبسبب تغلغل الكثلكة فيه منذ حداثته، فلقد عاش طوال حياته **تحت تأثير عقائدها الخاصة بالعشاء الرباني، لأنّ هذا العشاء كان يُحاط بالقدسية التي يُحاط بها الله نفسه، وكان كلّ من يشكّ في كونه ذاتَ المسيح، بلاهوته وناسوته، يُعتبر كافراً ومستحقاً للهلاك**. ولذلك فإنّ لوثر وإنْ لم يستطع قبول عقيدة الإستحالة الكاثوليكية لتعارضها مع الواقع، ومع خصائص المادة أيضاً، إذ ليس ثمة من تغير منظور، إلاّ أنّه ذهب إلى ما يشبه هذه العقيدة، غير عالم أنه قد أتى كذلك بأمرٍ يتعارض مع الواقع ومع خصائص المادة أيضاً، لأنّه قال بعقيدة «**الحلول**» Consubstantiation التي تُعرف أيضاً بعقيدة «**الحضور الحقيقي**» Real Presence، أو «**الإتحاد السرّي**» Sacramental Union. وتقول هذه العقيدة إنّ العشاء الربانيّ هو ذاتُ جسد المسيح ودمه، ليس بمعنى أنّه يتحولُ إلى ذات لاهوتِ المسيح وناسوته [المسيح الإله والمسيح البشر]، أو إلى ذات جسده ودمه، بل بمعنى أنّ **ذات جسده ودمه يحلاّن في العشاء المذكور**، حلول السيف في الغِمْدِ واستقراره فيه. ولذلك فهُم يعتقدون بأنّهم بتناولهم من العشاء الرباني إنما هم يتناولون جسد المسيح ودمه، ذاتهما، في غلافٍ من الخبز والخمر. فالحلول الذي يقولون به إذاً هو حلولٌ فعلي، وكلُّ ما في الأمرِ أنّه غيرُ مُدرَكٍ بالحوّاس البشريّة، أو كما قال لوثر، هو كوضع الحديد في النار، حيث تتحد النار والحديد في الحديد المحمى إلى درجة الإحمرار، رغم أنّ كلاًّ منهما يستمر وجوده من دون تغيّر. وهكذا فإن تعاليم لوثر حول العشاء الرباني لم تختلف كثيراً عن التعاليم الكاثوليكية. وكما قلنا من قبل فإنّ البروتستانت، ولوثر منهم، آمنوا بحرفية معاني النصوص الدينية للكتاب المقدّس، وهو إذ قرأ الكلام المنسوب إلى المسيح «هذا هو جسدي.. هذا هو دمي..» لم يكن يملِكُ الفكاك من هذا النصّ وأمثاله. ولكنه إذ هو لم يكن لِيرى أيَّ تحوّلٍ

مادّي أمامه في الخبز والنبيذ، فلقد اضطرّ إلى أن يؤسس عقيدته على الإتّحاد أو الامتزاج بين مادّة الخبز (التي تظلّ خبزاً) وجسد المسيح، وكذلك بين مادّة الخمر (التي تظلّ خمراً) ودم المسيح. أي أنّ ثمّة حضوراً حقيقياً للمسيح في مادة الأفخارستيا (العشاء الرباني)، بمعنى حدوث اندماج أو اتّحاد بين جوهر جسد ودم المسيح ليتخلّلا عناصر الخبز والخمر كمادتَيْن، أي أنّ جسدَ المسيح يحلّ داخل الخبز، ودمَه داخل الخمر، ولكنّ الخبز والخمر يبقيان كما هما، حاملَيْن للجسد والدم، ولا يتحوّلان إلى جسد ودم.

ولكنّ لوثر قد جانبَ الحقيقة التي احتجّ على الكنيسة الكاثوليكية بها، إذ أنّه أتى بأمرٍ هو متعارضٌ مع الواقع، ومع خصائص المادة أيضاً، لأنّ الحلول الذي قال به لم يكن أمراً واقعياً.

ومن الطريف أنّ التاريخ قد نَقَل لنا نصّاً حرفياً عن عقيدة لوثر في العشاء الرباني، وهي تقول:

**إنّ جسد ودم المسيح موجودان، فعلاً، ومادّة، في، ومع، وتحت أشكال عناصر الخبز والنبيذ المكرّسيْن (المُتناوَليْن).**

The Body and blood of Christ are truely and substantially present in, with and under the forms of Consecrated bread and wine (the elements).

وانعقد مجمع ترنت The Council of Trent، عام ١٥٥١، للتعامل مع التحدي البروتستانتي، وللعن لوثر ورفض عقيدة «الحلول». وبالإضافة إلى ذلك فلقد أعاد هذا المجمّع تعريف «الحضور الحقيقي» للمسيح ليشمل الخبز والنبيذ باعتبارهما جسد المسيح الكامل، وروحه، وألوهيته. ومن الجدير بالذكر أنّ فكرة أنْ يمكن للشيء أن يتحول إلى شيء آخر هو ما قد عُرف بالكيمياء Alchemy.

٣ ـ رأي الطائفة **المشيخيّة**[1] Presbyterianism (الكالڤينية Calvinism)، وتُعرف أيضاً باسم الكنيسة المُصلحة Reformed Church وجون كالڤن John Calvin (١٥٠٩ ـ ١٥٦٤) الفرنسيّ هو أبو المشيخيّة التي هي فرعٌ رئيسي من فروع البروتستانتيّة. عكف كالڤن على دراسة الكتاب المقدّس، فانتهى به الأمر إلى الإنفصال عن المذهب الكاثوليكي والانضمام إلى مذهب لوثر، إلاّ

(١) المشيخيّة مشتقّة من نظام الشيوخ، إذ إنهم يعيّنون شيوخاً أو «قسوساً» للقيام بالرّعاية الدينية لأتباعهم. وكلمة «القسوس» هي مشتقّة من كلمة «قشيشو» السريانية، أي الشيوخ.



أنه خالفه في اعتقاده من جهة العشاء الربانيّ، إذ هو لم يكن متأثّراً بالكثلكة تأثُّر لوثر بها. يقولُ المشيخيّون إنّ العشاء الرباني لا يتحوّلُ إلى ذات لاهوتِ المسيح وناسوتِه، ولا هو يحوي جسد المسيح ودمه، بل إنّ المسيح يُرافقُ هذا العشاء بحالةٍ روحية إلى قلوب الذين يتناولون منه بالإيمان، دون أن يطرأ على العشاء تغييرُ ما، وأنّ العشاء الرباني ليست له فعاليّةٌ ذاتية، بل إنّ فعاليته تتوقفُ على إيمان الذين يتناولون منه، أي **أنّ جسد المسيح يحلّ في نفوسهم بطريقة روحية وليست مادية**، وهو ما يُعرف بالحلول الروحي Spiritual Presence. وبالنسبة لكالڤن، فإنّ العشاء الرباني ليس هو لتذكر عشاء المسيح الأخير Last Supper، وإنّما هو للتّماس الروحيّ مع المسيح.

وأمّا الطائفة **الميثودية** («**المنهاجية**») Methodism التي أسسها جون ويسلي John Wesley الإنكليزي (١٧٠٣ ـ ١٧٩١)، والتي ركزت على الأفعال، وخصوصاً مساعدة المحتاجين، أكثر من العقائد، فهي طائفة بروتستانتية إنجيلية أخرى، وهي لم تقتنع بالتفسير الكاثوليكي الماديّ ولا بالتفسير اللوثري القريب منه، ولكنها مثل الطوائف الأخرى التي أخذت بالكلام الذي نُسب للمسيح وآمنت به، ووُصفت عقيدتها في الأفخارستيا بأنها **حضور حقيقي له، ولكن على المستوى الرّوحي** Spiritual Presence، وليس الماديّ، لأنّ جسد المسيح المادي الحقيقي بحسب الكتاب المقدّس قد صعد إلى السّماء وجلس على يمين الآب. ففي العشاء هم يأكلون جسد المسيح روحياً ويشربون دمه روحيّاً، والمتناول يأكل جسد المسيح ودمه الحقيقيْن، ولكن في حالةٍ روحيّة لا ماديّة، فهي حقيقية (لا رمز)، وروحيّة (لا مادية).

وأما وأنّ المسيحية البولسية تقول بالخلاص بمجرد الإيمان بالمسيح وحده إلهاً مُخلِّصاً، بالعمل، فلقد صار من الشائع جداً إشتكاء أرباب المسيحية من أنّ الشّباب المسيحي يرى أنّ قراءة الكتاب المقدّس والمشاركة في القدّاس والقربان الإلهي ليست ضرورية، مُكتفياً بأنّه قد (خُلِّص)، وبأنها مجرد رموز لا يحتاجها المرء للنمو الرّوحي أو معرفة الرّب أو لتغيير الذّهن والتوبة.

٤ ـ وأما الطوائف **المعمدانية** Baptists، **والكواكرز** Quakers، **وبعض الطوائف البروتستانتية** التي ظهرت في القرنين ١٩ و ٢٠، فلقد اعتقدت **بالتفسير الرمزي** Symbolism أو **التذكاري** Memorialism، وهي انبنت على

فكر زوينغلي السويسري الجنسية Huldrych Zwingli (١٤٨٤ - ١٥٣١) المعاصر للوثر والمختلف معه في معنى حضور المسيح في الأفخارستيا. فبينما يرى لوثر حلول جسد ودم المسيح في مادة الخبز والنبيذ، فإنّ زوينغلي يراه حضوراً شخصياً حقيقياً ولكن روحياً للمسيح، ليس في عناصر الخبز والخمر، ولكن في وسط شِركة المؤمنين، فهو **حضور علاقي** relational presence[1].

ولكنّ تلك الطوائف الحديثة من المعمدانيين وغيرهم قد تطرّقت أكثر من ذلك في فهم زوينغلي ومعنى كلامه إلى حدّ إنكار أيّة فعاليّة للأفخارستيا في حياة الكنيسة، ونظروا إليها على أنّها مجرد احتفال تذكاريّ لحدث تاريخي انتهى، وليس ثمّة أيُّ حضورٍ حقيقي للمسيح في العشاء وسط الكنيسة، وإنما هو مجرّد احتفال رمزي بلا أيّة فاعلية. وينظر البعض إلى ذلك على أنّه ردّة فعل على تطرّف الكاثوليك ومن بعدهم الأرثوذكس في عقيدة التحوّل المادي، وكما يؤكّد ذلك بين ويذرنغتون الثالث Ben Witherington III، أستاذ العهد الجديد المعمداني، ولسان حالهم يقول بأنّه لا يحدث تحول أو اتحاد أو أيّ نوع من التأثير على الخبز والنبيذ، وإنّ كل ما يستفيد منه المؤمنون بالأفخارستيا هو مجرّد **التذكّر العقلي** Memorialism لما حدث على الصليب ولقيامة المسيح، وبهذا فلقد خالف هؤلاء الطوائف المسيحية الأخرى كلّها، وتحول القربان الإلهي على أيديهم إلى **فريضةٍ إلهيةٍ** Ordinance يمارسونها لأنّ الرّب أمر بها، وهذا الأمر الأخير قد انتشر بين الطوائف البروتستانتية العربية.

ويؤكدُ ويذرنغتون حقيقة معنى الأفخارستيا (القربان المقدّس)، عند المسيحيين، والتي جاءت أول ما جاءت على لسان بولس، لمّا كتبه بولس عنها، في **رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس**، فيقول[2]:

إنّ بولس (في رسالة ١ كورنثوس ١٠:١٦) لهو يفكّر في أكثر مما هو مجرّد رموز، إذ يبدو وكأنّ ثمّة شِركة حقيقيّة وروحية بين المسيح وبين

---

(١) كان زوينغلي أولَ أمره كاثوليكياً، ولكنْ نتيجة لدراسته للعشاء الرباني على ضوء نصوص الكتاب المقدس فلقد وجد باستنتاج بسيط أنه طالما أنّ المسيح موجود بجسده في السماء الآن، فإنه لا يمكن أن يكون موجوداً بجسده هذا على الأرض في الوقت الحاضر تحت أيّ شكل من الأشكال، ومن ثم فلا يمكن أن يكون العشاء الرباني هو ذات جسد المسيح ودمه، أو أن ذات جسده ودمه يحلان في هذا العشاء، ولزوينغلي مجادلة حادة مع لوثر حول هذا الموضوع.

(2) Ben Witherington III, Making a Meal of it, p.45.



الآخرين «المؤمنين» في الأفخارستيا.

وأمّا طائفةُ الكويكرز Quakers، فهم جماعةٌ قام بتأسيسها جورج فوكس، في القرن ١٦، وقد انفصلت عن الكنيسة الإنكليزية، ثم هي تشظت بدورها إلى كنائس عديدة، وكانت تنادي بما تدعوه «النور الباطني» Inner Light، والأخيرُ حسب اعتقادها هو وجودُ معرفةٍ غريزية في نفس كلِّ إنسانٍ من جهة الخلاص والحياة الأبدية، ولذا فالإنسانُ ليس في حاجة إلى وحي من السماء عنهما. وقد قادَتْهُم دعوتُهم إلى الحريّة إلى سوء السلوك لا بل والإباحية.

يرى الكويكرز - أو «الأصدقاء» - أنّ القربانَ الإلهيّ الذي عمله المسيح لم يكن إلاّ رمزاً للتغذي الروحي بشخصه، ولذلك فإنهم لم يجدوا ضرورةً لممارسة هذا العشاء، واكتفوا بذكر موت المسيح على الصليب عند كسر الخبز في كلّ وجبةٍ يتناولونها، إلاّ أنّ كثيرين منهم أقلعوا عن هذا الرأي في أوائل القرن الحالي، ومن ثم أخذوا بممارسة العشاء الرباني على النمط المتبّع عند الإنجيليين تقريباً.

٥ - الـرأي **الأُسقفي**: إنّ «الأُسقـفـيـة» Episcopal Church هي طائفة بروتستانتية، وهي كنيسة إنكلترا، وتنقسم إلى قسمين: قسمٌ يتّبع في عبادته نُظُماً تشبه النظم المستعملة عند الكاثوليك، وقسمٌ آخرُ يتّبع في عبادته نظُماً تشبه النظم المتبعة عند الإنجيليين، ومع اختلافهما في نظم العبادة إلاّ أنهما لا يؤمنان بالإستحالة أو الحلول. وتسمى هذه الكنيسة بالأسقفية لأنها تُقيم أساقفةً يشرفون على أعمال القسوس فيها. وكلمة «أُسقف» ليست عربية، بل هي معرّبة عن الكلمة اليونانية «أبسكوس»، ومعناها «ناظر».

ويقول الأسقفيّون إنّ العشاء الرباني هو سرُّ جسدِ المسيح ودمه، وإنّ المسيحَ في هذا السرِ هو قوتٌ روحيّ للمؤمنين، لأنهم يعتقدون أنهم يتناولون المسيحَ بحالةٍ روحيّةٍ عند التناول من العشاء الرباني، وأنّ جسد المسيح ودمه لا يحلاّن في هذا العشاء، بل يحلاّن في المؤمنين.

والحقّ أنّ الاختلافات المسيحية في فهم ما لا يمكن فهمُه، وتعليلِ ما لا يُمكنُ تعليلُه، لا حصر لها. فهذا «**الشهيد يوستين**» Justin Martyr (١٠٠ - ١٦٥ للميلاد) يقول بما يعرف بعملية «التحوّل» Transmutation:

إنّ الخبز والخمر يتحوّلان أوّلاً إلى جزء من دمنا ولحمنا، عندما نتغذى بهما، وبعد تحوّل الخبز والخمر إلى دمنا ولحمنا، عندها يمثّلان جسد المسيح ودمه.

وأمّا «القديس إيريناوس» Saint Irenaeus (١٢٠ - ٢٠٢ للميلاد)، فهو يقولُ كلاماً قريباً جداً ممّا قاله لوثر، ولكنه يضيفُ إلى ذلك عاملاً سمائيّاً هو عنصر الابتهال بكلام الله Invocation.

وهكذا فلقد اختلف الآباءُ، مثلما اختلف الأبناءُ في سرّ القربان المقدّس، ويا له من سرٍّ. ويقول في ذلك **إبراهيم القبطي**، في كتابه عن هذا القربان (ص٤٩):

> كما تتصارع الطوائف حالياً في تفسير معنى الأفخارستيا، كذلك تعثّر الآباء قديماً في الوصول إلى معنى الأفخارستيا، فاختلفت تفسيراتهم، وكأنهم كانوا يعتصرون عقولهم ليفهموا الخبرة التي اختبروها في العشاء، وماذا كان يعني الرب. فالاختلاف العقيدي المعاصر إذن ما هو إلاّ امتداد لصورة الكنيسة الأولى. يمكننا أن نعمّم بما يقارب اليقين أنه لا يوجد أي نصّ آبائي صريح في أوّلِ قرنين عن أيِّ تفسيرٍ ماديٍّ أو رمزي. وفي القرن ٢ً استنكر كثير من الآباء أيّ تحوّل إلى دم أو لحم بشري في معرض دفاعهم عن الإيمان في مواجهة الوثنيين، لكن بعد نهاية القرن ٢ً، اختلفت أقوال الآباء وتفاسيرهم، مع إجماعهم على أهمية الأفخارستيا في حياة الكنيسة.

لقد كان بولسُ أوّلَ من كتب عن «العشاء الرباني»، في صفته وليس في اسمه، فهذا ما لم يُذكَرْ في العهد الجديد ولا الكتاب المقدس كلِّه قطّ. ويعترفُ موقعٌ للكنيسة المسيحية بالقول بأنّ بولس قد كتب عن العشاء الرباني برؤيةٍ إلهيةٍ، إذ إنّه لم يكن مع تلاميذ المسيح في تلك المناسبة، ولا هو حتى شَهِدَ السيّد المسيح في حياته رغم معاصرته له.

ويصف بعضُ الباحثين عقيدة الأفخارستيا بأنّها عقيدةُ «أكلة لحوم البشر»، فالكاثوليكيُ الذي يأخذُ المناولة مُفترضٌ فيه أنّه يأكل «لحم الإنسان الحقيقي والإله الحقيقي»، ويشربُ دمه، وإلاّ فسد إيمانُه.

ويقول إنريكو ريبوني عما يطلق عليه «قتل وبعث الإله»:

> إنّ هذه الجزئية تحديداً تجعل من الكاثوليكية الديانة الوحيدة التي تفرض على أتباعها أن يصبحوا أكلةَ لحم إلههم! إنّ أيَّ إنسانٍ يمتلك شيئاً من حرية الفكر والمنطق لا بدّ وأن يُصاب بالهلع من مثل هذه العقيدة آكلةِ لحم الإله. فهي عقيدةٌ تسبُّ المنطق والذوق في آنٍ واحدٍ، وكثيرٌ من الكاثوليك الذين يقومون بواجباتهم الدينية يرفضون واقعَ هذه العقيدة بشدّة.





«مَن يأكلُ جسدي ويشربُ دمي فله حياةٌ أبديةٌ». - المسيح

**إنجيل يوحنا ٦: ٥٤**

المعنى الواردُ في عنوان هذا الفصل تجدُهُ في الأناجيل الأربعة جميعاً. ولكنّه، ويا للغرابةِ، يَرِدُ بصدد حدثينِ اثنين منفصلين ومختلفين. فبينما توردُه الأناجيلُ الثلاثة الأولى المتوافقة على أنّ السيّد المسيح قد قاله عشيّة إسلامه إلى الصّلب، فيما يُعرف بـ«العشاء الأخير» له، عشيّة عيد الفصح اليهوديّ، فلقد أورده إنجيلُ يوحنا بمناسبة مختلفةٍ تماماً، وهي مناسبةُ معجزةِ إطعام الخمسةِ آلافٍ. وعندما نستذكرُ أهميّة عيد الفصح في الطقوس اليهوديّة، والأهميّة التي اكتسبها عشاء المسيح الأخير، يصعُبُ علينا أن نتصوّر كيف أنّ التراث الذي نقله المبشّرون عنه قد نسي زمن هذا العشاء.

**روايات الآلام تختلف في الأناجيل الأربعة**

١ - وليس ذلك فحسب هو ما اختلفت فيه الأناجيلُ الأربعة،

٢ - فلقد اختلفت أيضاً في أحداثِ «العشاء الأخير» ذاتها.

- فروايتا العشاءِ الأخير للمسيح، والآلام The Passion تحتلاّنِ مساحةً كبيرة في إنجيل يوحنّا، على عكس بقية الأناجيل.
- وبينما يسردُ الإنجيل المنسوب إلى يوحنّا خطبةً طويل للمسيح في تلامذته تستغرقُ أربعة إصحاحاتٍ (١٤ - ١٧)، حيث يوجّهُ المسيحُ آخِرَ إرشاداته لحواريّه، في آخر وأهمّ حديثٍ له في وداعه المؤثّر الذي يحتوي على وصيّته الروحيّة، فإنّنا لا نجدُ لذلك كلّه أثراً في الأناجيل الثلاثة الأخرى.
- وإذ تسردُ أناجيل متّى ولوقا ومرقس صلاةَ المسيح في جبل الزّيتون، ومعه حواريّوه، وتضرّعه، قبل القبض عليه، فإنّ إنجيل يوحنا لا يُشير إليها.
- والأهمُّ من ذلك كلّه أنّ يوحنا لا يُشيرُ أدنى إشارةٍ إلى تأسيس «القربان المقدّس» في أثناء عشاء المسيح الأخير مع تلاميذه، وهو لا يشير إلى ذلك ولو بكلمةٍ واحدة، ولكنه ينفرد بدلاً من ذلك بسرد قصّة غسل المسيح لأقدام تلاميذه في بداية العشاء. ولا يَسَعُ المؤرّخ الباحث إلاّ أن يتعجّب من استبدال المسيح غسله لأقدام تلاميذه بإعلان العهد الجديد في جسده ودمه، في هذا الإنجيل.

ويقول الدكتور **موريس بوكاي**[1] بخصوص ذلك:

هكذا إذن يمكنُ أن ندهش لصمت يوحنّا على ما يسرده المبشّرون الثلاثة الآخرون، ولصمت هؤلاء على ما أعلن المسيح عنه في قول يوحنّا.

وما هو سرُّ انفراد إنجيل يوحنّا بسردِ قصّة غسلِ أقدام الحواريين، وعدم إشارته على الإطلاق إلى «القربان المقدس»؟ لم يَجد الأبُ روجي P. Roguet، في كتابه «مقدّمة إلى الإنجيل»، في تعليل ذلك، سوى القول:

يرى بعض علماء اللاّهوت المتخصّصين في الكتاب المقدّس أنّ حكاية غسل الأقدام قبل العشاء الأخير معادِلٌ رمزيّ لتأسيس القربان المقدّس.

**رواية الأكل من جسد المسيح، والشرّب من دمه، في إنجيل يوحنا**

ليس الغريبُ وحده أن يسكتَ إنجيلُ يوحنا عن ذكر «القربان المقدس»، أو العشاء الأخير، عشيّة إسلامه إلى الصّلب، والذي ذكرتْهُ الأناجيل الثلاثة الأخرى، ولكنّ الغريب أيضاً أن يذكرَ إنجيلُ يوحنا روايةً مُشابهة تماماً لِما حدث في عشاء المسيح الأخير، ولكن في حادثةٍ أخرى منفصلةٍ تماماً سبقتها، وهي روايةُ إطعام خمسة آلافِ شخصٍ بخمسة أرغفةٍ تكاثرت بصورةٍ مُعجزة.

فلننظر مَلِيّاً فلي رواية **إنجيل يوحنا** لقصة هذه المعجزة، إذ نجد فيها البيان الشافي لمقصود السيّد المسيح من الكلام على الأكل من جسده والشّرب من دمه:

٩:٦ «هنا غلامٌ معه خمسةُ أرغفةِ شعيرٍ وسمكتان، ولكن ما هذالمثل هؤلاء؟».

١١:٦ وأخذ يسوعُ الأرغفة وشكرَ، ووزّع على التلاميذ، والتلاميذُ أعطوا المتّكئين. وكذلك من السمكتيْن بقدْر ما شاؤوا.

١٣:٦ فجمعوا [الكِسَرَ الفاضلة]، وملأوا اثنتي عشرة قُفَّةً من الكِسَر، مِن خمسة أرغفةِ الشعير، التي فضلت عن الآكلين.

٢٦:٦ أجابهم يسوعُ وقال: «الحقَّ الحق أقول لكم: أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آياتٍ، بل لأنّك أكلتم من الخبز فشبعتم.

(1) La bible, le Coran et al., la Science (1978) - The Bible, the Quran and Science, Dr. Maurice Bucaile.



٢٧:٦ **اعملوا لا للطّعام البائد، بل للطّعام الباقي للحياة الأبديّة** الذي يعطيكم ابنُ الإنسان، لأنّ هذا الله الآب[1] قد ختمه».

٢٨:٦ فقالوا له: ماذا نفعلُ حتى نعملَ أعمالَ الله [الأعمال التي تُرضي الله]؟»

٢٩:٦ أجاب يسوعُ وقال لهم: «**هذا هو عملُ الله: أن تؤمنوا بالذي هو أرسله**».

٣١:٦ [فقالوا له] آباؤنا أكلوا المَنَّ في البرّية، كما هو مكتوب: أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا.

٣٢:٦ فقال لهم يسوعُ «الحقَّ الحقَّ أقول لكم: ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء، بل أبي [إلهي] يعطيكم الخبز الحقيقيَ من السماء».

٣٣:٦ لأنّ **خبز الله هو النازل من السماء الواهبُ حياةً للعالم**».

٣٤:٦ فقالوا له «يا سيّدُ، أعطنا في كلّ حين هذا الخبز».

٣٥:٦ فقال لهم يسوعُ: «**أنا هو خبز الحياة** مَن **يُقبِل إليّ** فلا يجوعُ، ومن **يؤمن** بي فلا يعطشُ أبداً».

٣٨:٦ لأني قد نزلتُ من السماء [أرسلني الله]، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني.

٥٠:٦ هذا هو الخبز النازلُ من السماء، لكي يأكلَ منه الإنسان ولا يموت.

٥٦:٦ من يأكلْ جسدي ويشرب دمي يثبُت فيّ وأنا فيه.

٥٨:٦ هذا هو الخبز الذي نزل من السَّماء. ليس كما أكل آباؤكم المنَّ وماتوا. مَن يأكل هذا الخبزَ فإنه يحيا إلى الأبد».

لا يشكّ أحدٌ يقرأ هذا الكلام إلاّ ويفهم منه أنّ المقصود بالطعام البائد والطعام الباقي للحياة الأبدية هو العملُ للدنيا والعمل للآخرة، وأنّ المقصود بخبز الله النازل من السّماء إنما هو الطعامُ الروحيُّ والهداية الإلهية على يد رسوله، وليس الطعام الماديّ.

فقال لهم يسوعُ: «**من يُقبل إليّ فلا يجوعُ**». هو لم يَقُل: «من يأكلني»! وقال، حَسَب النصّ نفسه: «**ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً**». وهو لم يَقُلْ: «من يشرب دمي»!

(١) أثبتنا في كتاب «الألوهية في الأديان الثلاثة» أنّ معنى كلمة «الآب» هو الله، وليس هو «الأب»، ونضيف إلى ذلك دليلاً آخر من عندنا، وهو أنّ كلمة «الآب» لا تطلق على غير الله تعالى. وراجع معنى هذه الكلمة في أكبر قاموس إنكليزي - إنكليزي معروف، وهو قاموس Webster، تَرَ أنّ من معانيها هو «الله».

إنّ السيّد المسيح لَيمثّلُ هنا ـ وكعادته في ضرب الأمثال، وما أكثرها في العهد الجديد ـ الإقبال إليه بالأكل، والإيمان به بالشرب.

وهكذا فإنّ هذه النصوص من إنجيل يوحنّا، الذي هو آخر الأناجيل الأربعة كتابة، لتفضح زيف كلّ تفسير آخر لقوله «من يأكل جسدي ويشرب دمي» وذلك هو ما يطوّح بالعقيدة البولسية الوثنية الخرافية التي هي ظهرت، أوّل ما ظهرت في كتابات بولس حول «القربان المقدس» ثم انتقلت إلى الأناجيل الثلاثة التي كتبت من بعد رسائل بولس.

إنّ تمثيل المسيح لنفسه بالخبز لهو شيء رمزيّ، فالمسيح (ع) للناس هو كالخبز في ضرورته لحياتهم، ولكنه لهم غذاء روحيّ، لا ماديّ.

وأما احتفال المسيح عشيّة عيد الفصح اليهودي، بوجبة عيد الفصح، حسب الأناجيل الثلاثة، فلا أراه ـ إنْ صحّ ـ إلاّ احتفالاً بنجاته هو، وكتنجية الله تعالى لموسى (ع) وقومه، من قبل، وفي الموعد نفسه، فكأنّ بالمسيح عليه السلام وهو يقول، إنّ الله سيخلصني من اليهود كتخليص الله لهم من قبلُ!

ولقد كاد الله سبحانه لعبده ورسول عيسى (ع)، مثلما قد كاد له اليهود ليقتلوه، ولكن شتّان ما بين الكيدين:

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً. وَأَكِيدُ كَيْداً﴾ [الطارق: ١٥ و١٦].

وكذلك فقد شاء الله تعالى أن يَردَ ذلك في نفس الإنجيل، الإنجيل الذي يُنسب إلى يوحنّا، والذي يقول زوراً في أول فقراته أنَّ المسيحَ هو ابنُ الله، بل الله المتجسّدُ نفسُه!

**«القربان المقدّس» في العهد الجديد**

١ ـ مرقس ٢٢:١٤ وفيما هُم يأكلون، أخذ يسوعُ خبزاً وبارك وكسر، وأعطاهم وقال: خذوا كُلوا، هذا هو جسدي.

٢٣:١٤ ثم أخذ الكأسَ وشكر وأعطاهم، فشربوا منها كلّهم.

٢٤:١٤ وقال لهم: هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرين [والإسلام يُنكر سفك دم المسيح، بل هو شُبّه لهم].

٢ ـ متّى ٢٦:٢٦ وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز، وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا كلوا. هذا هو جسدي.

٢٧:٢٦ وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: إشربوا منها كلّكم.



٢٨:٢٦ لأنّ هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا.

٣ ـ ١كورنثوس ٢٣:١١ لأنني تسلّمت [الكلام هنا لبولس] من الرّب [المسيح] ما سلّمتكم أيضاً: إنّ الرّب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها، أخذ خبزاً.

٢٤:١١ وشكر فكسر، وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم، إصنعوا هذا لذكري.

٢٥:١١ كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشّوا، قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. إصنعوا هذا كلما شربتم لذكري.

٤ ـ لوقا ١٩:٢٢ وأخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطاهم قائلاً: هذا هو جسدي الذي يُبذل عنكم.

**إصنعوا هذا لذكري do this in remembrance of me.**

**٢٠:٢٢ وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً:**

**هذه الكأسُ هي العهدُ الجديد the new covenant بدمي الذي يُسفك عنكم.**

وتُشير الكلمات بالخطّ الغليظ إلى النصّ المُشكّكِ فيه disputed text من إنجيل لوقا، إذ إنّ بعض النّسخ تحذف النصف الثاني من الفقرة ١٩ وكل الفقرة ٢٠. ويتّضحُ لنا من هذه النّصوص أنّ إنجيل لوقا هو الإنجيلُ الوحيد الذي يخبّر فيه المسيحُ تلاميذه في أن يكرّروا طقس الخبز والنبيذ. ويقول بارت إيرمان Bart D. Ehrman إنّ هذه الخطوط بالذات لا تظهر في نسخ قديمة معيّنة، وقد لا تكون في أصل النّص. هذا بينما أنّ إنجيليّ متّى ومرقس، عندما يوردان قصة «القربان المقدّس»، لم يشفعا ذلك بأمر المسيح بجعل هذا العمل عبادة مستمرّة وطقساً دائماً. ولكنّ بولس لمّا أراد أن تأخذ هذه العبادة طابع الاستمرار أضاف إلى تلك القصّةِ الجملة التالية: «إصنعوا هذا لذكري» [١كورنثوس١١: ٢٤]، والتي كتبها بولس في العام ٥٥ الميلاديّ تقريباً. وتقول موسوعة ويكيبيديا الإنكليزية إنّ بعض الباحثين يعتبرون أن «القربان المقدس» لا يرجع إلى عشاء المسيح الأخير مع تلاميذه، ولكن بالأحرى إلى التقاليد الأمميّة الوثنيّة لوجبات الأكل التذكارية للموتى. و«العشاء الأخير»، حسب هذاالرأي، يترافق أساساً مع الكنائس الأمميّة التي أسّسها بولس بأكثر ممّا هو يترافق مع التجمعات اليهوديّة السّابقة لذلك.

ولكنّ إنجيل يوحنّا لا يذكر المسيح وهو يكسر الخبز ويأخذ الكأس ويتكلّم عليهما باعتبارهما جسده ودمه، قبل إسلامه إلى الصّلب، بل إنّه يستذكر بدلاً من ذلك فعله المتواضع في غسل أقدام تلاميذه وتنبؤه بخيانته، وخطبته الطويلة استجابة منه لبعض أسئلة تابعيه.

**الأدلّة على تزوير النّص المشار إليه من إنجيل لوقا، حول الأمر بتكرار «القربان المقدس»**

استنتج الكثير من الباحثين أنّ النّصوص المشار إليها من إنجيل لوقا هي توليدات متأخرة[1]، وأعلن **راتكليف** E.C. Ratcliff، عام ١٩٢٦[2]:

إنّ «النصوص المستلمة» («received text») textus receptus، أي النصوص الإغريقية المطبوعة للعهد الجديد والتي كانت أساساً للكتاب المقدس الأصلي للوثر الألماني، وترجمة العهد الجديد إلى الإنكليزية عن ويليم تندال William Tyndal، ونسخة الملك جيمس King James Version، وأكثر تفاسير عصر الإصلاح لهي تحتوي على الأمر بهذا الطقس، ولكنه توليد اقتُبس من تقرير بولس، وكيفما نظرنا إلى الأمر، فإنّ ذلك الأمر (بتكرار «القربان المقدّس») ليس هو جزءاً من الأصل.

ويقول **فانك** Robert Funk، في كتابه «**أعمال المسيح**»:

إنّ العلماء الباحثين في ندوة يسوع يعتبرون، بصورةٍ عامّة، تقارير الإنجيل عن العشاء الأخير باعتبارها أسطورة (خرافةً) دينيّة، أي أنها قصّةٌ تُبرّر بعض الممارسات الطقسيّة في الحركات المسيحية[3].

كما يقول **إيرمان**:

إنّ بعضَ النُّسخِ الأقدمِ من إنجيل لوقا لا تحتوي ذلك [أي الأمر بالقربان المقدّس]، وإنّ هذه الجملة ليست موجودةً في الأصل[4].

---

(1) Karis, Robert J. (1996). "The Gospel According to Luke".

(2) Encyclopaedia Britannica 13 Edition (1926) art. Eucharist.

(3) Funk, Robert, and the Jesus Seminar, "The Acts of Jesus", Harper Collins, 1998, p.16: Scholars of the Jesus Seminar generally regard the Gospel accounts of the last Supper as cult legend, that is, a story that accounts for some ritual practice in the Jesus movements.

(4) Ehrman, Bart D., Misquoting Jesus: The Story Behind Who Changed the Bible and Why. Harper Collins, 2005.



# أهميّةُ «القربان الإلهيّ» في المسيحية

لا يكادُ غير المسيحيّين يدركون مدى أهمية وخطورة طقس «القربان الإلهي»، أو العشاء الربّاني، في المسيحية. فمن قام به فقد حصل على خَلاصه، وإلاّ فإنّ الجحيم مصيرُه.

وللدلاة على مدى خطورة وأهمية هذه الطقس الذي يُعتبرُ الطقس الرئيسيّ والمركزيّ في المسيحيّة، نذكُر مثالين على ما نقول.

فلقد جاء في الأخبار أنّ جون كيري John Kerry، وزير الخارجية الأميركية (٢٠١٣ - ...)، كان مرشّحاً لرئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة الأميركية[1]، عام ٢٠٠٤. وكيري، وكما هو معروف، كاثوليكيٌّ منذ نعومة أظفاره، وقد اتُخذ موقفاً مُسانداً لحقِّ النّساء في الإجهاض، ولكنّ رئيس أساقفة سين أُومالي Sean O'Malley كان قد صرّح قبل ذلك بأنّ من يدعو إلى إباحة الإجهاض هو في «خطيئة مميتة» Grave Sin، وهو لا يمكنُه أن يقوم بـ«المناولة» Communion (تناول القربان المقدس) بصورةٍ صحيحة. وفي مُناظرة، قام أُسقف القديس لويز، ريموند بورك R. Burke، بمنع كيري من تناول القربان المقدس أثناء جولاته الانتخابية في المنطقة، بسبب موقف كيري من الإجهاض.

وعندما رشّحَ الرئيسُ الأميركيّ الرّاحل جون كنيدي John F. Kennedy (١٩١٧ - ١٩٦٣) لرئاسة الجمهورية، عام ١٩٦٠ (وهو أول كاثوليكيّ ينتخب رئيساً للولايات المتحدة، منذ تأسيسها عام ١٧٨٩، بل هو الرئيس الكاثوليكيّ الوحيد في تاريخ الولايات)، فلقد اضطرّ للدفاع عن نفسه تجاه اتّهاماتٍ من البروتستانت أنّ روما (الفاتيكان) يمكن أن تؤثّر على القرارات التي يتّخذها، فصرّح في خطبةٍ شهيرة له، عام ١٩٦٠، بأنه لا يتكلم كممثّل لكنيسته في الأمور العامّة، كما أنّ الكنيسة لا تتكلّم كممثّلةٍ عنه.

ويقول أحد المعلقين الأميركان بأنّ زيف بعضٍ من رجال الدين المسيحيين يتبيّن أنّهم، أكثر من أيِّ شخص آخر، يُفترض فيهم أن يكونوا مؤمنين بأن الرّحمة هي من الله، لا من الكنيسة. ثم إنّ تناول المرء للقربان الإلهيّ ليس هو بمُلزمٍ لله.

---

(١) يؤلّفُ البروتستانت ٥١,٣٪ من سكّان الولايات المتحدة، والكاثوليك ٢٣,٩٪ منهم، حسبَ إحصائية لعام ٢٠٠٧.

## مغزى انفراد «إنجيل يوحنا»، آخرِ الأناجيل الأربعة كتابةً، بذكر عبارة «هذا جسدي.. هذا دمي..» في غير موردِ «العشاء الأخير»

أوّلُ من أشارَ إلى رواية المقولة الشهيرة المنسوبة إلى السيّد المسيح بخصوص ما سُمّي فيما بعد بالقربان المقدس هو بولُس، في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، كما هو معروف. ورسائل بولس سبقت كتابةَ الأناجيل الأربعة، كما هو مُجمَعٌ عليه بين الباحثين، وإنجيلُ يوحنا هو آخِرُ تلك الأناجيل كتابة. وكان تأثيرُ بولس طاغياً على كُتّاب هذه الأناجيل، فكرّر أولئك العقائد والمقولات البولسية، ومنها المقولةُ التي نُسبت إلى المسيح «هذا جسدي.. هذا دمي»، والتي صارت فيما بعدُ أساساً لأهمّ طقسٍ ديني على الإطلاق في المسيحية، وهو القربان المقدّس. ولكنّ المُلفت للإنتباه أنّ تلك الرواية التي أثبتتها الأناجيل الثلاثةُ الأولى (متّى، مرقس، لوقا) بهذا الخصوص، قد وردت هي ذاتها تقريباً في إنجيل يوحنا، ولكن في موردٍ آخر ليس هو عشيّة إسلام المسيح إلى ما أرادوه من صلبٍ، بل هي جاءت في مورد الكلام على معجزة «الخمسة آلاف» كما هو معروف.

فالرواية التي أوردها إنجيلُ يوحنّا، في حدِّ ذاتها، يبدو أنها قد وردت فعلاً عن المسيح. ولكن ثمّة نقطتان أساسيّتان فيها:

١ ـ إنها قد وردت بالمعنى الرمزيّ، لا الماديّ، وكما قد شرحنا ذلك. فالمقصودُ بتلك المقولة، وكما هو واضحٌ، هو الغِذاءُ الرّوحي لا الغِذاء الجسديّ.

٢ ـ والنقطةُ الثانية التي خالف بها إنجيلُ يوحنّا الأناجيلَ الأخرى هي زمنُ حدوث تلك الحادثة. ولمّا كان زمنُ كتابة هذا الإنجيل متأخراً على رسائل بولس والأناجيل الثلاثة، فلا شك أنّه كان عالماً بما جاء فيها عن تلك الحادثة التي قالوا عنها بأنها كانت عشيّة عيد الفصح اليهودي «العبور»، فهو لم يغفل عنها ولا كان جاهلاً لها، واختلافُ توقيت روايته لا شكّ جاء عن عمدٍ وتقصُّدٍ.

إنّ من الواضح أنّ رواية تلك القصّة في إنجيل يوحنّا على أنها وردت بصدد معجزة إطعام الخمسة آلاف ينزع عنها، بالطبع، أيّة علاقةٍ لها بما قد عُرِف بالعشاء الأخير للسيّد المسيح مع تلاميذه، والتي صارت فيما بعد، وبسبب تلك الرّواية البولسية، أساساً للعشاء الرّباني أو القربان المقدس.



## اليهود وشرب الدّم

لطالما أغلظت التوراةُ الكلام حول تحريم تناول الإنسان للدّم، دم الحيوان، فما بالُكَ بشرب الإنسان لدم الإنسان؟

ثمة اعتبارٌ أساسيّ يُعتبر مفتاحاً لموضوع دعوى المسيح للناس في أن يأكلوا من لحمه ويشربوا من دمه (بالمعنى الحرفيّ للكلمة)، في كلِّ «قدّاس»، فيما سُمّي بالقربان المقدّس، وهو مشكلة تحريم التوراة المغلظ لتناول الدم. والذين يقولون بأنّ هذا الطقس هو من تأسيس المسيح، حقّاً وصدقاً، هم غير قادرين على أن يشرحوا كيف قد كان لشُربِ الدّم أن ينشأ في محيطٍ ومشهدٍ يهوديّ، لا يُمكن فيه لأحد أن ينطق بتحليلٍ لتناول الدّم «الحقيقيّ»، بل الدّم الإنسانيّ، بل الإلهيّ، بل والأمرِ بعمله، على وجه الإستمرار والدّوام!

وثمّة فجوةٌ زمنيةٌ تُقارب العشرين عاماً بين تاريخ «العشاء الأخير» وبين كتابة بولس لرسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، بل وأكثر من ذلك بالنسبة للأناجيل، وذلك كلّه دعا المؤرّخين والباحثين إلى التشكيك في وثوقها التاريخي، والقول بأنّها تعكس اهتمامات وموقف المسيطرين على الأحداث آنذاك، وليست هي نقلاً موضوعياً للأحداث التي وقعت قبلها بعقود، إذ تدخّلت فيها عناصر هيلينية وثنية كانت موجودة في هذه الفترة التي هي تحت الدراسة. ولذلك يعتبر أولئك الباحثون أنّ بولس هو موجد الأفخارستيا (القربان الإلهي) في سياقٍ وثني، مُستدِرّاً عواطف أولئك الوثنيين، وطقوسهم التذكريّة في التناول، وخلفية بولس نفسه الهيلنية. فبولس الذي وصف نفسه، في رسائله، وبكل صراحة، بأنه كان يُمثِّل دور اليهوديه لليهود، والوثنيّ للوثنيين، كان في رحلاته الدّعوية المتكررة إلى الأمميين من غير اليهود، ليس بصدد القول بأشياء تُرضي اليهود، ولكن بصدد كسب عواطف وقلوب الأمميين الوثنيين بما اعتادوا عليه من الطقوس، كيف وأنّ رسائل بولس كلّها لم تكن موجّهة إلاّ إلى أولئك الوثنيين، فذلك كان هو مجالُ نشاطه، ومحور توجّهه واهتمامه.

ويجلبُ ديفز W.D. Davies الإنتباه إلى حقيقة أنّ دالمان Dalman قد جادل بأنّ النّصّ البولسيّ عن تأسيس الأفخارستيا قد نشأ في بيئة أمميّةٍ (وثنية)، للتخلّصِ من الصّعوبات المُواجَهة بالنصِّ المرقسيّ.

**ميخائيل نعيمة، الأديب والمفكّر المسيحيّ، يقول بأنّ «الأفخارتسيا» لم تكن، في كلام المسيح، إلاّ تعبيراً رمزيّاً محضاً، ولم يُقصد به المعنى الحرفي الذي تقول به الكنيسة**[1]:

بعد أن انتهى يسوع من غسل الأرجل عاد إلى المائدة وباشر الأكل مع تلاميذه. «وبينما هم يأكلون أخذ خبزاً وبارك ثمّ كسره وناول تلاميذه وقال:

«خذوا فكُلوا. هذا هو جسدي».

ثمّ أخذ كأساً وشكر وناولهم وقال:

«اشربوا منها كلّكم. هذا هو دمي، دم العهد الجديد، يراق من أجل جماعة كثيرة لغفران الخطايا».

لم يكن الخبز الذي باركه يسوع، ثمّ كسره ووزّعه على تلاميذه، غير خبز عادي. ولو أنّه، بطريقة عجائبيّة، تحوّل إلى لحم بشريّ، لتقزّزت منه نفوس التلاميذ فما استطاع واحد منهم أن يمضغه. فكيف بابتلاعه وهضمه؟ وهذا القول يصحّ كذلك في الخمر التي ناولها يسوع تلاميذه. فلو أنّها تحوّلت دماً لعاف شربها حتى يهوذا الأسخريوطي الذي اتّهمه يسوع بالخيانة له ولرسالته.

**ما أكثر ما كان يسوع يخاطب تلاميذه والناس بالرموز والأمثال.** وهو لم يشذّ عن نمطه هذا حتى في ساعاته الأخيرة مع بطانته. فالخبز الذي اتخذه رمزاً لجسده هو القوت الذي لولاه لما كان الجسد. والخمر التي اتّخذها رمزاً لدمه هي إكسير الحياة الذي لولاه لما كان للقوت أن يكوت قوتاً. وأن يأكل التلاميذ «جسد» معلّمهم، وأن يشربوا «دمه» يعني أن يصبحوا وإيّاه واحداً لا في اللحم والدم، بل في الحياة السرمديّة التي ليس اللحم والدم غير رمزين محسوسين لوجودها الذي لا يُحَسّ.

ويسوع الذي أوصى تلاميذه أن يأكلوا الخبز ويشربوا الخمر لذكره لا أكثر كان مزمعاً في اليوم التالي أن يتخلى عن جسده الترابي ليحيا فيما بعد مع أبيه في عالم النور الصافي حيث لا أجساد ولا خيالات أجساد.

غير أنّ آباء الكنيسة الذين رتّبوا لها عقائدها وطقوسها وتقاليدها أبت

(١) من وحي المسيح، ميخائيل نعيمة، مؤسسة نوفل، بيروت (١٩٨٧)، ص١٩٨ - ٢٠١.



عليهم غيرتهم إلاّ أن يضفوا على تلك العقائد والطقوس والتقاليد ألواناً من السر،وألواناً من البهرجة، وألواناً من القداسة. فكانت «الأسرار»، وكانت «الليتورجيا» الطويلة النفَس، المنوّعة المشاهد، والمصحوبة بالموسيقى الصوتيةوالوترية، وكانت التقاليد التي ترافق «الأسرار» والأعياد والصوم والصّلاة. فكأن الآباء شاؤوا بذلك أن يبزّوا الوثنيّين واليهود بكثرة أسرارهم، وجمال طقوسهم، وقدسيّة تقاليدهم.

من أهمّ أسرار الكنيسة سر «الإفخاريستيا» أو سر استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه. والخبز والخمر إذ ذاك هما «القربان» يتناوله المؤمن لغفران الخطايا. وهناك أسرار أخرى كسر المعمودية، وسر الكهنوت، وسر الزيجة، وغيرها. وهذه الأسرار كلّها لا تتمّ إلاّ «بنعمة الروح القدس». ونعمة الروح القدس لا تحلّ إلاّ بوساطة كاهن سبق أن نالها من أسقف بمجرد أن وضع هذا الأخير يده على رأسه. وهذا يعني أنّ الروح القدس ما برح ينتقل بوضع اليد منذ أن نزل على الرسل بعد انفصال معلّمهم عنهم.

لئن كان في مستطاع يسوع، وهو مَن هو في دنيا الفهم والطهارة والمحبّة وبذل النفس في خدمة الغير، أن يمنح تلاميذه نعمة الروح القدس؛ ولَئن كان في مستطاع تلاميذه أن يمنحوا تلاميذهم تلك النعمة وقد تناولوها صافية من منبعها، فهل مَن يصدّق أنّ الذين جاؤوا منذ أيّام الرسل وحتى اليوم كانوا كلّهم آنية صالحة للروح القدس؟ إذن لماذا انقسمت الكنيسة إلى كنائس؟ ولماذا اختلف رؤساؤها في من يكون الأوّل بينهم؟ ولماذا قامت الحروب بين المسيحيين؟ ولماذا ضجّ أبناء قطعان كثيرة من سلوك رعاتهم؟ أكلّ ذلك بمعرفة الروح القدس ونعمته وبركته؟ وهل ينزلق الروح القدس عن أيدٍ لوّثتها شهوات الأرض ونزوات البشر؟

لكنّما الكنيسة باتت «مؤسّسة» كباقي المؤسسات. وهي تحافظ على كيانها بكلّ ما لديها من قوّة. وقوّتها رهيبة حقّاً ما دامت تدّعي أنها تستمدّها مباشرة من السماء، وما دام في الأرض أناس يخشون بطش تلك القوّة في الدنيا وفي الآخرة.

## الذين اعتبروا بولس عدواً للمسيح

يقولُ الكاهن هولمز ـ غور، في كتابه الممتاز «المسيح أو بولس؟»[1]:

> إذا ما قارن القارئُ بين المسيحيِّ الحقِّ وبين مسيحية بولس، فلسوف يرى خيانةً رهيبة لكلِّ ما قاله السيّدُ المسيحُ، ذلك لأنَّ أوكد طريقةٍ لخيانةِ معلّمٍ عظيمٍ هي في تحريف رسالتهِ وتشويهها، وذلك هو ما فعله بولس ومن معه. ولأنَّ الكنيسة قد اتّبعتْ بولس في خطأه، فلقد فشلت بصورةٍ تبعثُ على الرثاءِ في تخليصِ العالم. وحاول تلاميذُ المسيح، أمثالُ يوحنا وبطرس ويعقوبُ (أخو المسيح) أن يدافعوا عن التعاليم التي جاء بها السيّدُ المسيحُ، مُقاومين ـ وبكلِّ ما في الكلمة من معنىً ـ الإنجيل البولسي The Pauline Gospel، كمقاومةِ الضوءِ للظلام.

ويردّدُ اللاهوتي الكبير كيركغارد Soren Kierkegaard، في مقالة في مجلة The Journals، صدى الرأي الوجدانيِّ السابق الذكر، فيقول:

> إنّ تعاليم السيّد المسيح، في الديانة المسيحية، هي في صيغة الحاضر تماماً، فالمسيحُ هو الأنموذجُ الأصليُّ الذي يتوجّبُ علينا أن نقلّدُه ونصير تلاميذ له. ولكنّ بولس جاء بعدئذٍ بالتغيير الأساسي، فلقد أبعدَ بولسُ انتباهنا عن تقليد المسيح، وركّزه على موته المكفِّر. وما فشل مارتن لوثر أن يدركه في حركته الإصلاحية هو أنّ المسيحية قد اضمحلّت على يدي بولس حتى قبل الكاثوليكية. لقد جعل بولسُ المسيحية ديانةَ بولسَ، وليس ديانةَ المسيح، وهو قد طوّح بالمسيحية بعيداً عن المسيح، لا بل هو قلَبَها رأساً على عقب، جاعلاً إياها نقيضاً صُراحاً لدعوة المسيح الأصلية.

ويقولُ اللاهوتي الشهير إرنست رينان Ernest Renan، في كتابه «القديس بولس» Saint Paul:

> إنّ المسيحية الحقيقية، والتي ستبقى إلى الأبد، قد جاءت في كلمات إنجيل المسيح، لا في رسائل بولس. لقد كانت كتاباتُ بولس خطراً وهاويةً مخفيّةً للمسيحية، من خلال إحداثِ خللٍ خطيرٍ وعيوب أساسية في اللاهوت المسيحي.

(1) Christ or Paul? People who have understood Paul is anti - Christ, Rev. V.A.Holmes - Gore.



وهذا ألبرت شفايتزر Albert Schweitzer، الحائز على جائزة نوبل للسلام، عام ١٩٥٢، والذي وُصِفَ بأنه «واحدٌ من أعظم مسيحيّي عصره»، وكان فيلسوفاً، وطبيباً، وموسيقاراً، ورجلَ دينٍ، ومبشّراً، ولاهوتياً، وهو صاحب كتابي «البحث عن يسوع التاريخي» The Quest for the Historical Jesus (١٩٠٦)، و«صوفية[1] بولس الرسول» Mysticism of Paul the Apostle (١٩٣٠)، يقول:

> لم يرغب بولس في أن يعرف المسيح، وهو قد أرانا كم كان ينظرُ إلى حياة المسيح الأرضية بإهمالٍ تام.. وما هي أهميةُ ذلك لإيماننا ولحياتنا الدينية، وحقيقةُ أنّ إنجيلَ بولَسَ [تعاليمه] هو غيرُ إنجيل المسيح.. إنّ الموقف الذي اتخذه بولس تجاه إنجيل المسيح يتلخص في أنّه لا يستخدم تعابير يسوع، ولا يحتكمُ إلى سلطته. والشيء المُميتُ هو أنّ اللاهوتيين الإغريق، والكاثوليك، والبروتستانت، يحوون كلَّهم إنجيلَ بولس بشكلٍ لا ينهج إنجيل المسيح، بل هو يُزيحه.

ويخبّرنا ويليم وريدي William Wrede، في كتابه الممتاز «بولس» :

> إنّ التناقضاتِ الواضحة في التقارير الثلاثة التي يقدّمها بولسُ فيما يخص تحوله إلى المسيحية تكفي لزرع عدَم الثقة وسوء الظنّ.. إنّ عظمة يسوع الأخلاقية، ونقاءه، وتقواه، ورسالته بين الناس، وسلوكه كرسولٍ، والمحتوى الأخلاقي ـ الديني الكلي المتين لحياته الأرضية، لا تعني كلها بالنسبة إلى كريستولوجيا[2] Christology بولس أيَّ شيءٍ على الإطلاق.. وليس ثمةَ من انطباقٍ يُذكَرُ لاسم «تلميذ المسيح» Disciple على بولس. يسوع أو بولس: إن هذا الخيار يميّزُ، جزئياً على الأقل، الحرب الدينية واللاهوتية في الوقت الحاضر.

وكتب رودولف بولتمان Rudolf Bultman، وهو واحدٌ من أكثر لاهوتيي هذا القرن احتراماً، في بحثه المعنون «معنى يسوع التاريخي في لاهوت بولس» Significance of the Historical Jesus for the Theology of Paul:

(١) الصوفية Mysticism هو الاعتقادُ بأهميّة أنّ يكون الإنسانُ صوفيّاً Mystic، وهو الإنسانُ الذي يبحث عن «الاتّحاد مع الله»، ومن خلال ذلك، إدراكُ الحقيقة التي هي فوق ما يفهمه الإنسان (قاموس المعاني).

(٢) الكريستولوجيا هي التعليل اللاهوتي لشخص المسيح وعمله (المورد).

> من الواضح جداً أنّ بولس لا يحتكمُ إلى كلمات السيد Lord[1] [المسيح]، لمساندة آرائه. وعندما ننظرُ إلى الأفكار التي هي بولسية بالضرورة، فمن الواضح أنّ بولس ليس مستنداً إلى يسوع. إنّ تعاليم يسوع.. في كلِّ النقاط الضرورية. لا أهميّة لها عند بولس.

وكتب والتر بوير ، وهو عالمٌ لاهوتي آخر، في بحثه المعنون «الأصولية والهرطقة في المسيحية الأولى» Orthodoxy and Heresy in Earliest Christianity:

> إذا كان للمرء أن يتكلّم بصورةٍ موجّهة، فلقد كان بولس المُهرطق الوحيد الرئيسي the only Arch - Heretic المعروف في عصر تلاميذ المسيح.

ونقرأ فيما كتبه جورج برنارد شو George Bernard show، الحائز على جائزة نوبل للآداب، عام ١٩٢٥، في «أندروكليز والأسد» Androcles and the Lion:

> ليس ثمّةَ مِن كلمةٍ واحدةٍ من المسيحية البولسية يُمكنُ أن نجدها في أقوال يسوع المميزة.. ولم يكن ثمة، في الحقيقة، من خُدعةٍ شديدة البشاعةِ أكبرَ من خُدعةِ روح بولس لروح يسوع. وإنّ من اليسير علينا الآن أن نفهم كيف أنّ مسيحية يسوع.. قد قُمعت من قبل الشرطة والكنيسة، بينما أنّ البولسية Paulinism قد اجتاحت العالم الغربي المتحضر كلّه، وهو ما كان في ذلك الوقت الإمبراطورية الرومانية، التي تبنّت البولسية باعتبارها الديانة الرسمية.

وكتب ويل ديورانت Will Durant، في كتابه «قصة الحضارة، قيصر والمسيح» The History of Civilization - Caesar and Christ، عام ١٩٤٤:

> لقد أحدث بولسُ لاهوتاً ليس فيه إلاّ أوهى المبررات والبينات مما يمكن أن نجده في كلمات المسيح.. ومن خلال تلك التفسيرات والتأويلات، فلقد أمكن لبولس أن يهمل حياة وأقوال المسيح الحقيقية، والتي لم يعرفها بصورةٍ مباشرة.. لقد أحلّ بولسُ السلوك محلّ العقيدة، باعتباره مقياساً للفضيلة، وكان ذلك تغيّراً مأساوياً.

ويكتب الدكتور هاي شونفيلد Hight Schonfield، في واحدٍ من أحسن الكتب حول المسيحية الأولى «أولئك المسيحيون المدهشون» Those Incredible Christians:

(١) تأتي كلمة Lord إمّا بمعنى (الرب) أو بمعنى (السيد). وكل وصفٍ جاء للسيد المسيح ، في العهد الجديد، باسم Lord ترجموه باسم (الرب)، وكلمة (السيد) هي الترجمة الأصحّ والأدقّ.



> لم تكن تعاليمُ وأعمالُ بولس وحدُها هي التي جعلته بغيضاً للقادة المسيحيين، بل أيضاً معرفتُهم بأنه قد وضع رؤاهُ فوق سلطتهم، وادّعى لنفسه علاقةً حميميةً مع عقل يسوع أعظم من تلك التي كانت للذين رافقوا يسوع على الأرض والذين اختيروا مِن قِبَلِه. كان ذلك مَقيتاً لهم جدّاً، خصوصاً وأنّ أفكار بولس كانت بالضِّدِّ من تلك التي عرفوها عن يسوع، باتخاذه وضع المُجَسِّدِ لإرادة المسيح.. كان يُنظر إلى بولس على أنه عدوٌّ مَسُوقٌ من الشيطان demon - driven للمسيح.. أمّا بالنسبة للكنيسة الشرعية، فلقد كان لبولس تأثيرٌ خطير وممزِّق، عاقداً العزم على تطويع عددٍ كبير من الأتباع بين الأمميين (الوثنيين)، حتى يُشبعَ رغبته بالحصول على التفوّق العددي، والذين يمكن له بمساندتهم أن يتحدّى حكماء أورشليم وشيوخها. لقد كان بولسُ هو العدوُّ منذ البداية، ولأنه فشل في عدوانيته السابقة والمفضوحة، فلقد حشَرَ نفسه وبصورةٍ حاذقةٍ إلى داخل الحظيرة المسيحية حتى يُدمِّرَها من الداخل.

ويقول الأستاذ أوغولو Tom O'Golo، في كتابه «المسيح؟ لا! يسوع؟ نعم!» Christ? No! Gesus? Yes! (ص١٩٩):

> كلُّ ما هو حَسَنٌ في المسيحية هو من يسوعَ، وكلُّ ما هو سيءٌ فيها هو من بولس.

أمّا ليو تولستوي Leo Tolstoy (١٨٢٨ - ١٩١٠)، الروائيُ الروسيّ الشهير، فيقول عام ١٨٨٢، في كتابه الكنيسة والدولة Church and State، عن الإنحراف الذي أصاب المسيحية:

> إنّ هذا الإنحراف قد بدأ على زمن التلاميذ، وخصوصاً على زمن ذلك التائق إلى السيادة توقاً عظيماً بولس.

ويقول جيمس تابور James Tabor (١٩٤٦ - ٠٠٠)، أستاذُ الدراسات الدينية في جامعة نورث كارولينا، في كتابه «سُلالة يسوع» The Jesus Dynasty:

> إنّ بولس قد قاد الكنيسة في انفصالها المصيريّ عن الأبيونيين Ebionites الذين احتوت تعاليمُهم على تعاليم يسوع الأصيلة.

ويقول قاموس أوكسفورد للكنيسة المسيحية Oxford Dictionary of the Christian، من تحرير لوكاس F.L.Lucas، في مادة «بولس»:

> إنّ تأثير بولس على الفكر المسيحيّ يُقال عنه بأنه أكثر أهميّة من أيِّ كاتبٍ آخر للعهد الجديد.

# الدليلُ على المسيحيّة البولسيّة من العهد الجديد

يَشهدُ للحقيقة المُريعة، حقيقة أنّ المسيحية الحاضرة إنّما هي مسيحيّةُ بولس، أو ما أسماهُ الباحثون «المسيحية البولسيّة»، أنّ سفر أعمال الرُّسُل، الذي يتتبّعُ أعمال «رُسُل» المسيح، والذي قام بكتابته لوقا، صاحبُ بولس الحميمُ، والذي يُعزى إليه «إنجيلُ لوقا» أيضاً، قد خصّصَ نصفَ سفره ذاك للحديث على حياة وأعمال بولس.

وليس ذلك وحدَهُ، بل أنّ أكثر من نصف «العهد الجديد»، كتابُ المسيحيّين المقدّسُ، إنّما هو لبولس، إذ من بين ٢٧ سفراً في العهد الجديد يُوجدُ ١٤ سفراً تُنسَبُ، إليه، تقليدياً. وذلك هو يشهدُ لأثر بولس العظيم في المسيحية التي يعرفُها الناسُ اليوم.

ومن السُّخريّة المريرة أن يحتوي سفرُ أعمال الرُّسل هذا، في مُقدَّمتِهِ على مفارقة - أو مُناقضةٍ مذهلة: إنّ أعظم مُضطهدٍ للمسيحيّة والمسيحيّين قد صار أعظم رُسُلها:

**بولس الذي كان من أكثر المُضطهدين حماسةً، يتحوّلُ إلى رسولٍ للأُمم يحملُ الإنجيل في أرجاء الإمبراطورية الرومانية.**

من مقدّمة سفر «أعمال الرُّسُل»

لقد أثبت كتابُنا هذه الحقيقة، استناداً إلى نصوص «العهد الجديد» نفسه. ونحنُ، فوق ذلك، قد أثبتنا، أيضاً، استناداً إلى النصوص المسيحية نفسها اضطهاد بولس للمسيحيّة التي جاء بها السيّدُ المسيحُ (ع)، حتى بعد إدّعاء بولس تحوّله إلى المسيحيّة.

لا بل إنّ آثاره كانت أشَدَّ وقعاً في صفحتها الثانية، بل هي كانت، وبحقٍّ، آثاراً مريرةً، لم يزل يُعاني منها العالمُ حتى اليوم.



# الفهرس




بعد صدور كتابه الأول «لاهوت التجسد من الهندوسية إلى المسيحية» وهو واحد من من أربعة كتب هي ثمرة زهاء عشر سنوات من البحث المضني يطلع علينا المؤلف الدكتور داود السعدي بكتابه الثاني «الرجل الذي اضطهد المسيحية مرتين» والواقع أن الهدف من هذا الكتاب ليس إلا البحث عن الحقيقة المحضة من مصادرها الأصلية.

اعتمد المؤلف فيه على نصوص «الكتاب المقدس» المتداولة والمعترف بها، العربية منها والانكليزية، في طبعاتها المختلفة. كما اعتمد في غير ذلك المورد، على النصوص المترجمة، والانكليزية منها بشكل خاص، أكثر بكثير من المصادر العربية التي تعتبر شحيحة نسبيًا بالمقارنة مع نظيراتها الاجنبية. كما أن البحوث الغربية، إذ تسودها عامةً روح البحث عن الحقيقة، والتحليل العميق، فإنها أكثر جرأة في تناولها لما هو بصدده من بحث.

وقد ألزم نفسه في هذا الكتاب بروح البحث العلمي المجرد، فبذل الغاية من الوسع، بحيث استغرق منه الجهد الكبير والوقت المديد، ولم يكن رائد في ذلك كله إلا البحث عن الحقيقة كأقرب ما تكون إلى الحقيقة المحضة المجردة، مثلما لم تكن أداته فيه إلا النظرة المدققة والمتأنية لما بين يديه من النصوص.


ISBN 978-614-8014-19-2


دار الحرف العربي
للطباعة والنشر والتوزيع